

للنشر والتوزيع

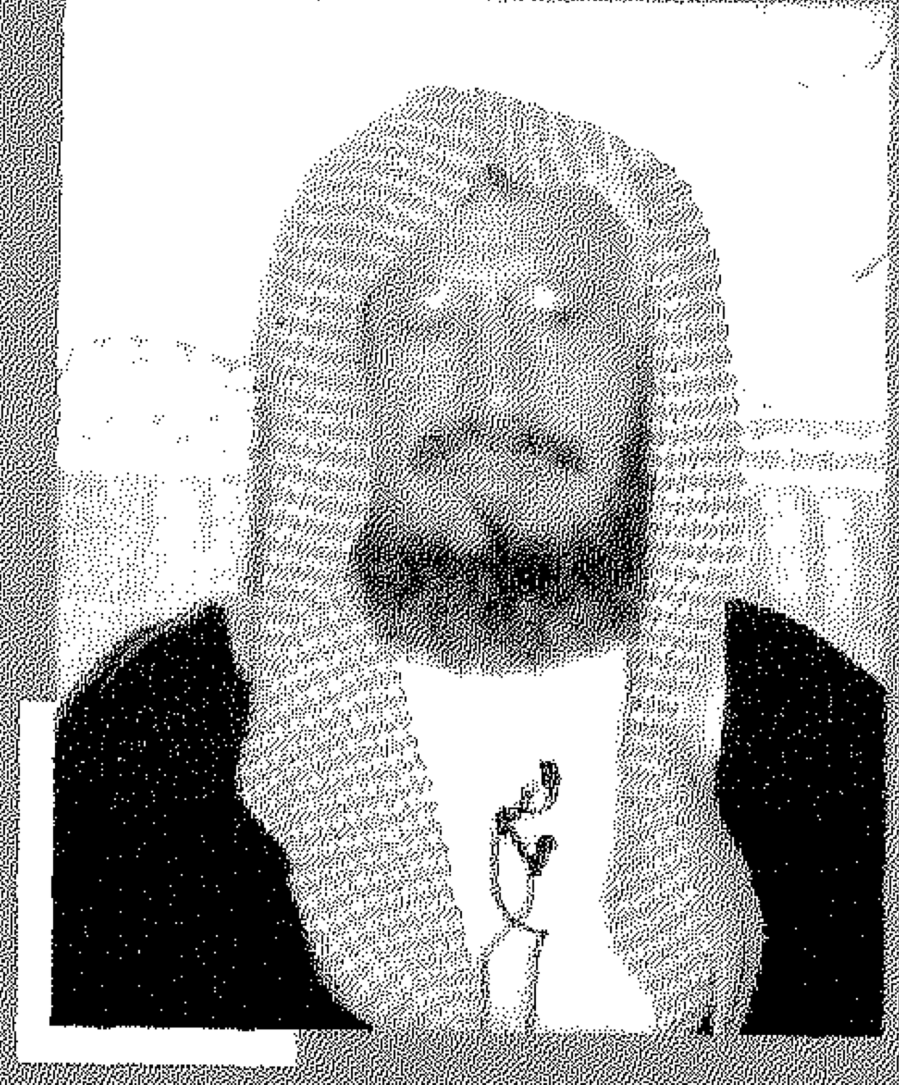
عميد الرحالين

محمد بن ناصر العبودي

حياته - إسهاماته - جهوده

تأليف

محمد بن عبد الله المشوح



الرحالة

لقد سعى العلامة العبودي بجد واجتهاد للتحصيل والطلب فنمى نبوغه وغذى مداركه حتى إذا ما اشتد ساعده واستوى على سوقه قام بهمة وعزيمة ببذل علمه وما آتاه الله إياه من مواهب وقدرات.

ولقد جال هذا العلامة العالم ببصيرة نافذة وعقل راجح وفؤاد حي وعمق ديني راشد وحس حضاري مفتوح. ولم يكن أنانيًا في حياته وتجاربه بل صاغ ذلك في كتبه ودون ما لقيه في سطور أوراقه ومخطوطاته حتى اجتمعت فيه علوم وفنون ومعارف شتى كلها تتجاذب العلامة العبودي إلى كنفها ومحيطها.

ولقد نال العلامة العبودي من تلك المعارف حظه ومبتغاه فأبصرت عيناه حضارات الأمم ووطئت قدماه حواضر العالم القديم والحديث فلم يبعده ذلك عن فكر أمته وتراثها ولم يحجبه عن مكامن مجدها وحضارتها الخالدة بل قد أصاب من تلك الحضارة خيرها وارتوى على أثر ذلكمن معين أمته الصافي.

عميد الرحالين

محمد بن ناصر العبودي

حياته - إسهاماته - جهوده

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المشوح، محمد بن عبدالله بن ابراهيم
عميد الرحالين : محمد بن ناصر العبودي ، حياته، اسهاماته ، جهوده
محمد بن عبدالله المشوح- الرياض ،١٤٢٤هـ
٤٩٦ ص ؛ ١٧X ٢٤ سم
ردمك :٨-٦٦٠-١٠-٩٩٦٠
١- العبودي، محمد بن ناصر أ- العنوان
ديوي ٩ ,٩٢٣ ١٤٢٤/٤٤٧٣

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٤٤٧٣
ردمك :٨-٦٦٠-١٠-٩٩٦٠

المملكة العربية السعودية
ص.ب ٩٠٠٢ الرياض ١١٦١٣ - شارع العليا العام
هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ - ٢٨٠٠٥٨٥ - ٢٨٠٠٥٨٦
فاكس: ٢٨٠٠٥٨٧
فاكس الإدارة العامة: ٤٦١٢١٦٣

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

عميد الرحالين

محمد بن ناصر العبودي

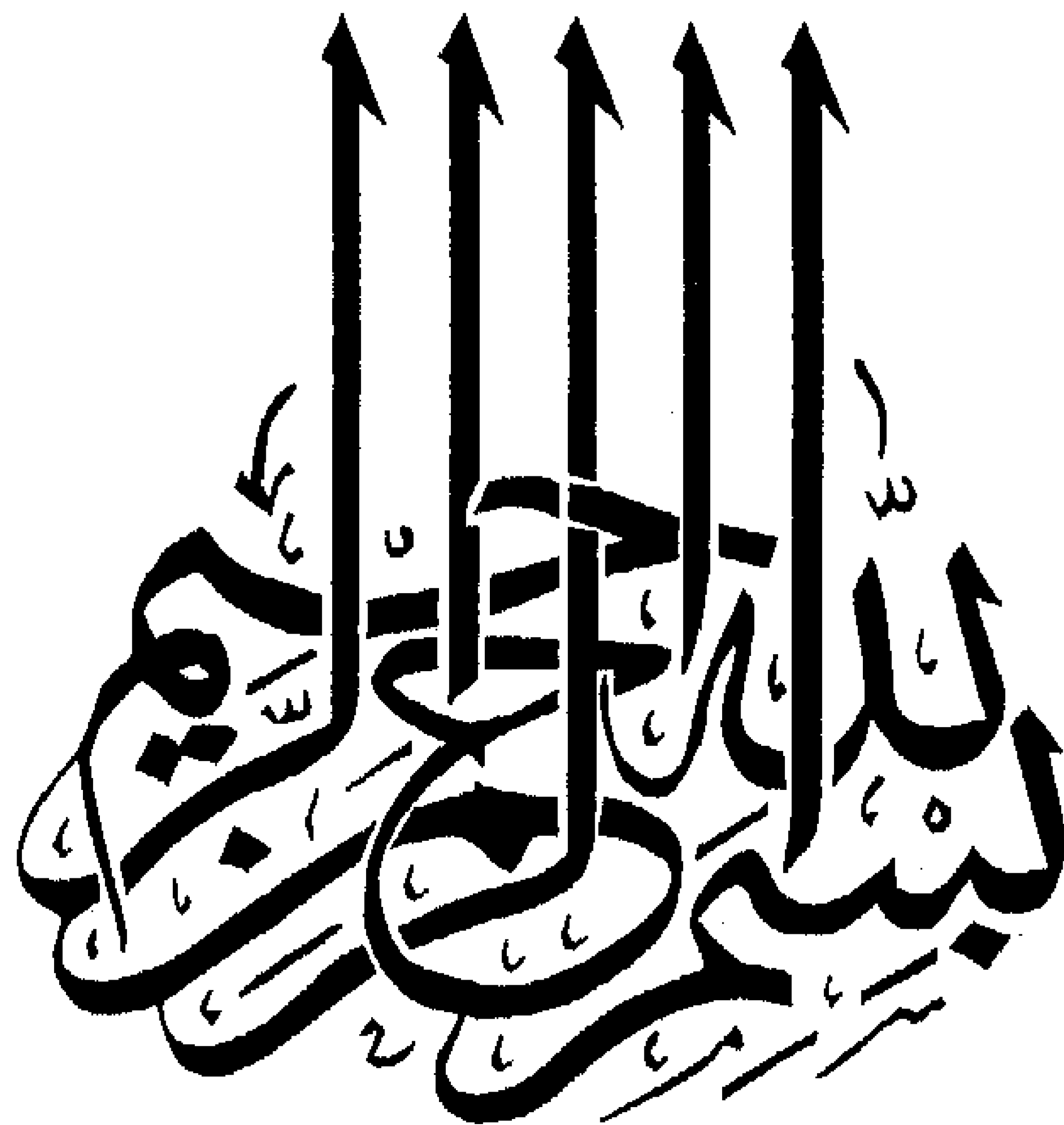
حياته - إسهاماته - جهوده

تأليف

محمد بن عبد الله بن إبراهيم المشوح



مطبوعات
سليمان بن عبدالله الميمان
دار الميمان للنشر والتوزيع
السعودية - الرياض


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

- إلى أبي وأمي فحسب

- إلى من سقاني محبة الحرف وغرس فيَّ صحبة العلماء.

- إلى والدي الراحل الحيَّ بذكره وصداه

- إلى أمي الحنون الصالحة الصابرة ثمرة من نبتها الطيب وحدبها اللطيف .

- مبتهلاً إلى ربي أن يرحمهما كما ربياني صغيراً

أهدي هذا العطاء

المؤلف

بين يدي الكتاب

من أفضال الله عليَّ، وأفضاله كثيرة لا تُحصى، أن هيأ لي فرصة التعليم، منذ نعومة أظفاري، حتى يومنا هذا، جئت إليه مترددًا، وخرجت منه كارهًا، فكان أن تركت في كل موقع نبتة، أعرف جيدًا أنني لم أتعهدها بالسقي، ولكنني أرقت في حوضها ذَنُوبًا من رسيس ما أحمل من ماء المعرفة والتجربة.

ولولا الوفاءُ من الأبناء لنسوا ذلك الرسيس وحامله، وكم ألاقي تلاميذ الأمس وزملاء اليوم فأجدني وسط الحفاوة والتقدير، حتى لَكأني المنعم المتفضل، وما أنا إلا واحد من مئات المسهمين في تشكل الكفاءات الوطنية.

تذكرت أشياء كثيرة وأنا أتصفح مخطوطة الأستاذ محمد بن عبد الله المشوح عن (عميد الرحالة محمد بن ناصر العبودي)، ومثلما تذكرت نفسي أستاذًا علمت المؤلف حرفًا من المعرفة، تذكرت نفسي تلميذًا صغيرًا بإزاء أستاذي العلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، فأنا وسط بين تلميذ متألق وأستاذ متفوق.

لقد كان – أَمَدَّ الله في عمره– من بناة العلم والمعرفة، ومن أوائل رجال التعليم في بريدة، أسهم في وضع اللبنات الأولى للتعليم النظامي، وتسلم إدارة (المعهد العلمي ببريدة) قبل نصف قرن، وكان القوي الأمين إداريًّا، والجهبذ الحفيظ علميًّا، عرفته الأوساط العلمية طلعة، يستشرف المستقبل، ويرد الموارد المعرفية، وصل حباله بجهابذة العلماء، وأساطين الثقافة، وقويت صلته بالكتاب، في زمن لم يكن في متناول اليد، وكان في سلوكه قدوة صالحة، ما شهدته خلال نصف قرن إلا قارئًا، أو مؤلفًا، أو متعهدًا لمنشأة علمية، أو رحالة يجوب فجاج الأرض الإسلامية داعمًا أو مصلحًا أو داعيًا إلى الله، فيه تواضع العلماء وزهد المقتدرين، وعفة الكرماء.

وما أحسبني قادرًا على إضافة شيء إلى ما حواه الكتاب، فلقد قطع به قول كل خطيب، حيث تلقى الراية باليمين، وأخرج للناس عملاً مستوفيًا لكل متطلبات التأليف، وهو بهذا الإسهام المتميز ناب عن الجميع، وسد خلة ما كان لها أن تظل إلى الآن مشرعة الأبواب.

لقد قرأت الكتاب فَأَلْفَيْتُهُ وافيًا متقصيًا، معتمدًا المنهجية والمرجعية والخطة المناسبة لمثل هذا العمل، بحيث اشتمل على فصول ومباحث، وأحسب أن كتابًا ينيف على خمسمائة صفحة سيكون في جوفه كل الصيد، ولقد قدم فيه بعض الحق الممطول لعلامة قضى حياته في خدمة عقيدته وأمته علمًا وعملاً في مجالات متعددة، وحين يشرفني المؤلف بتقديم هذا العمل إلى مُحِبي المعرفة من خلال معرفة الرجال، أجدها مناسبة سعيدة لاستثارة همم الشباب الأشداء، لمبادرة الوفاء لمن هم أهل له من علماء قَضَوْا نحبهم، وآخرين ينتظرون، وما بدلوا تبديلاً، ودعوتي للمشاركة بعض الأفضال التي لما يزل يغمرني بها تلميذ الأمس وزميل اليوم الأستاذ محمد المشوح.

أسال الله له مزيدًا من التوفيق، وللعلامة مزيدًا من الصحة ليواصل عطاءه الخيِّر.

د/ حسن بن فهد الهويمل

أستاذ غير متفرغ بجامعة الأمام محمد بن سعود الأسلامية بالقصيم

رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي بالرياض

رئيس نادي القصيم الأدبي ببريدة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ: فإن مدارسة حياة الأعلام، وتقليب صفحات أيامهم، والنهل من علومهم صبغة حميدة تضفي على الأمة آية صحة ودلالة بُرْء وسداد.

وإن مسيرة العلاّمة الشيخ محمد بن ناصر العبودي في البحث والتأليف والكتابة والتدوين في الدعوة والأدب والتراث لَتَسْتَدْعِي من عاشقي العلم التوقف والتأمل؛ لإبرازها إلى خلوف الأجيال من بعد، والذي صار بدوره ظاهرة تستحق المعاينة والدراسة، ومرحلة تاريخية يلزم كشفها ودراستها.

ها هو ذا العلاّمة العبودي بقامته الممتدة عبر علومه المتزاحمة، وفنونه المشرعة، يقدم أنموذجًا فريدًا لشخصيات فريدة اختصتها المملكة العربية السعودية؛ فقدم وبذل حتى احتلَّ مترلة شمَّاء في نفوس الناس كافّة.

بل لقد سَبَقَتْ ذكرى محاسنه إلى السمع، ووصل خبر لطائفه إلى الفؤاد، وحقًّا ما قيل:

"وما المرء إلا ذكره ومآثره"

وقول الآخر:

أماوي إن المــال غــاد ورائــح   ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

إن الحديث عن العلاّمة العبودي أمنية تراود الكثيرين؛ آمل أن أكون قد قمت بالفرض الكفائي فيه.

ولقد آنس هذا العلاّمة من نفسه مخايل النبوغ ومواهب الإبداع، فدأب يسعى بِجَدٍّ واجتهاد للتحصيل والطلب، فنمَّى نبوغه وغذّى مداركه حتى إذا ما

اشتدَّ ساعده، واستوى على سوقه، قام بهمة وعزيمة ببذل علمه وما آتاه الله إيَّاه من مواهبَ وقدرات.

لقد جال هذا العلاَّمة العالم ببصيرة نافذة، وعقل راجح، وفؤاد حيٍّ، وعمق ديني راشد، وحسٍّ حضاري مفتوح بأن ذلك في شخصه وبدا على مُحَيَّاه.

ولم يكن أنانيًّا في حياته وتجاربه، بل صاغ ذلك في كتبه، ودَوَّنَ ما لَقِيَهُ في سطور أوراقه ومخطوطاته، حتى اجتمعَتْ فيه علومٌ وفنون ومعارف شَتَّى، كلها تتجاذب العلاَّمة العبودي إلى كنفها ومحيطها.

وقد نال العلاَّمة العبودي من تلك المعارف حظَّه ومبتغاه، فأبصرَتْ عيناه حضارات الأمم، ووطئت قدماه حواضرَ العالم القديم والحديث، فلم يبعده ذلك عن فكْر أُمَّته وتراثها، ولم يحجبه عن مكامن مجدها وحضارتها الخالدة، بل قد أصاب من تلك الحضارة خيرها، وارتوى على أثر ذلك من مَعِينِ أمته الصافي.

وإني أحسب هذا الكتاب محاولة لِلَمِّ أطراف الحديث عن هذا الموسوعي الكبير الذي ما ندَّ عنه شبر من الأرض إلا وطئه، فجاس الديار، وسعى في البلدان يصف ويعاين ويقدم الخبر، وينتقد المشهد، ويشخص الداء، ويسقي الدواء، ممتطيًا صهوة الصبر والحلم والأناة في خلق فريد صار فيه أبهى من الروض النضير.

إنها محاولة متواضعة لتخفيف وزر التقصير وذنبه اللذين لقيهما هذا العلاَّمة الشهير، فسعيت إلى إبراز منـــزلته الحقة، ورفع رايته الزهراء الخافقة، وكشف خفايا علومه، وزوايا نبوغه التي امتدت وتعددت، فكان بها مثلاً تأتسي به الأجيال، ونبراسًا يضيء الطريق لسالكي دربه.

إن العلاَّمة العبودي، ومن خلال هذا السفر الحاوي لمسيرته وعطائه ليدل دلالة أخرى على حياة أمتنا، وتواصل قدرتها على إنجاب الرادة النوابغ، فتقدَّم بثقة وتؤدة ليعتلي ريادة في الفكر والثقافة، فكان رائدًا تنويريًّا وموسوعيًّا وعلميًّا عالميًّا.

وعندما قدمت فكرتي إليه لم ينشب أن اعتذر بتواضع العلماء ورقة الأدباء، فألزمته بمرادي، وألححت عليه بمطلبي الذي لا أطمح منه سوى ما قيل:

لا يبتغون سوى الوفـــاء ومـــا لهــم　　　غير البقاء علـــى الصـــفاء مــرام

وإني في هذه التقدمة أزجي الشكر والتقدير لكل من آزرني وعاضدني وشجعني على هذا العمل منذ أن كانت ولادتُهُ فكرةً حتى صار بين يديك أيها القارئ، وإن أعظم الشكر وأوفاه لله أولاً على تيسيره، ثم لشيخنا العلاّمة محمد العبودي الذي أمدَّني بما احتجت إليه من معلومات مهمة، وحقائق موثوقة ناصعة عن حياته وإسهاماته.

و الشكر موصول لكل الجهات الحكومية والرسمية والأفراد والشخصيات التي كانت لها يدُ خيرٍ على هذا العمل المحمود بإذن الله.

وأُذَكِّرُك أيها القارئ بأن أي سهو أو خطأ سوف تلقاه في هذه الكتاب يغفره محبتنا للمُتَحَدَّثِ عنه، وأعتذر إليك أيها القارئ من كل سهو أو قصور أو خلل، راجيًا أن أحظى بتصوبيك وتصحيحك ورأيك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد بن عبد الله المشوح

ص ب ٦١٤٥٣ - الرياض ١١٥٦٥

ناسوخ: ٤٦٤٥٩٩٩

الفصل الأول

القصيم

الحياة العلمية والأدبية في القصيم

المبحث الأول: القصيم - بريدة

المبحث الثاني: المساجد وحلق العلم في بريدة

المبحث الثالث: الأدب في بريدة

المبحث الأول

القصيم - بريدة

من اللازم لكل باحث عن مدينة (بُرَيْدَة)، وتاريخها، وما بين سطورها أن يكون لـــه إطلالة عجلى على القصيم. تلك المنطقة المترامية الأطراف التي تحتل (بُرَيْدَة) قاعدتها وسنامها.

والقصيم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، ليمتد إلى العصور الجاهلية المتقدمة، وطالما تغنَّى الشعراء الجاهليون بنسيمه وهوائه وشجره وطلحه وآثاره وموارده. فقد كان الشعر ــ ولا يزال ــ ديوان العرب، ووعاء أمجادهم، وسجل أحداثهم وحروبهم، وكنف ذكرياتهم في أفراحهم وأتراحهم، فزع إليه علماؤنا ينشدون في ثناياه ضالتهم، ويسجلون من دلالاته تاريخ أمة وأمجادها[1].

والقصيم الحاضر يحتضن حضارات مضت، وأممًا اندرست كانت لها دولها وأيامها.

وإذا كان القصيم قد أتعب من ساروا على ظهره، وتلمَّسوا ثراه، فقد حظي منهم بالذكر القديم عن عيونه الجارية، وبساتينه الخصبة كالنِّباج، والقَرْيَتَيْن، وعيون الجواء[2].

وقد حمل القصيم أيضًا طبائع للأرض مختلفة، واجتمعت فيه تباينات عدة في تكوينه الصحراوي، والجبلي، وغير ذلك.

بل إن هناك أدلة تثبت أن المنطقة الرسوبية بمنطقة القصيم، كانت مغمورة بالمياه[3].

(١) بُرَيْدَة ص١٩.

(٢) معجم بلاد القصيم ١/ ٢٤.

(٣) أرض القصيم ص٦.

ورغم صغر مساحة القصيم، بالنسبة إلى مساحة المملكة العربية السعودية، الذي تقدر مساحته بنحو ٨٠,٠٠٠ كم٢، أي ٣,٦ % من مجمل مساحة المملكة، إلا أنها كانت محط أنظار الكثيرين منذ القِدم، لأسباب عديدة أهمها: وقوع القصيم في القسم الشمالي من أواسط الجزيرة العربية؛ ممَّا جعل موقعها يشكل إستراتيجية مهمة، خصوصًا في زمن قوافل الحُجَّاج، وطرق التجارة المتجهة إلى شمال الجزيرة والشام والعراق.

فقد فرض موقع القصيم، بمياهه السارحة، وأوديته الخِصبة، على أرباب القوافل التجارية المرور بأجزاء منه؛ للتزود بموفور مائه وخصب نمائه. وهو فوق هذا يمثل نقطة الوسط للمرور التجاري بين أطراف الجزيرة العربية[1].

ولقد شهدت أرض القصيم بعض المعارك الإسلامية، ومنها سَرِيَّة زيد بن حارثة التي وقعت في حدود القصيم الشمالية الغربية، في موضع يُدعى «الفَردة».

قال النُّمَيْري:

عجبت من السارين والريح قَرَّة إلى ضوء نار بين فَرْدَة والرَّحَا[2]

و(الرَّحَا) أحد الجبال القريبة من الفَوَّارة شمال غرب القصيم.

وعلى أرض القصيم أو حواشيها دارت أيام العرب الفاصلة، والمعارك والملاحم الكبرى مثل: يوم خَزَاز، ويوم جَبلَة، وحرب داحس والغَبْراء، وحرب البَسوس.

بل إن بعض جهاته كانت مسرحًا لحروب الرِّدَّة، التي كانت من أيام الإسلام الفاصلة الحاسمة.

---

(١) الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي ص٥٩.

(٢) المرجع السابق ص٦٨.

ونبغَ من أرض القصيم رموز وأعلام، من الشعراء وذوي المشورة والفرسان الأبطال مثل: زُهَيْر بن أبي سُلمى، وابنه كَعْب بن زُهَيْر، وعَنْتَرَة بن شَدَّاد، وزيد الفَوارس الضبي، وغيرهم.

إن الحديث عن تاريخ القصيم الجاهلي يمتد طويلاً، حتى يصل إلى صدر الإسلام، وما احتضنته ميادينه من معارك ووقائع وأحداث مهمة.

أمَّا تحديد موقع القصيم: فقد تقاربت عبارات التحديد لموقع القصيم، ومن أجمع البيانات التي تناولت القصيم ومعالمه وحدوده، ما أورده بعضهم من أن: القصيم بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع في القطعة الشمالية من نجد، عامر كثير القرى والنخيل والمزارع، تبلغ قراه وحدوده والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية، ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مئتي قرية، وأهم مدنه (بُرَيْدَة) و(عُنَيْزَة) و(الرَّسّ).

حدُّه الجنوبي بلد (المِذْنَب)، وحدُّه الشمالي بلد (القوارَة)، وحدوده الشرقية النِّباج الذي يسمَّى اليوم بالأسياح، وحدود الأسياح الجنوبية (الجعلة) و(النبقية)، وحدوده الغربية الشمالية (أوثال) و(عيون الجواء) و(الروض) وجنوبها (الرَّسّ) وما حولها.

قال أهل اللغة عن سبب تسمية القصيم: أنه رمال متقصمة تُنبت الغضى.

قال محمود شُكري الآلُوسي[1]: سمِّي القصيم؛ لأنه قِصمات رمل متقطعة، وهو يَشقُّه طريق الحاج من (البَصْرَة) إلى (مكَّة) إلى نصفين، وهو الفاصل بين جبلي طَيّ وحائل وقراهما، وبين عارض اليمامة وقراه، ووَشْم اليمامة[2].

---

(١) أبو المعالي محمود شكري الآلُوسي الحسيني مؤرخ عالم بالأدب والدين، ولد سنة ١٢٧٣هـ وتوفي سنة ١٣٤٢هـ، له اثنين وخمسين مؤلفًا في التاريخ والتراجم والأدب والشريعة، كتب محمود بهجة الأثري "محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية". انظر الأعلام ١٧٢/٧.

(٢) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ١/١٥١.

إلا أن الدكتور صالح الوشمي[1] يصحح قول الآلوسي بأنه «يَشقُّه نصفين»، ويقول: إن الطريق الرئيسي لحاج (البَصْرَة) يسير في نصفه الجنوبي، وطريق فرعي آخر منه يسير في جهته الشمالية.

ويكاد يُجمِع جُلُّ مَن كتبوا عن القصيم وموقعه، أنه يتوسَّط الجزيرة العربية في القسم الشمالي منها، ويصفه العبودي بأنه بمنزلة القلب، فهو في وسطها، وقريب من قمتها، فشمالها وجنوبها وشرقها وغربها منه غير بعيد[2].

ويؤكد بعض المهتمين أن القصيم يأخذ شكلاً مستطيلاً، ينحرف صوب الجنوب الغربي بطول ٤٠٠ كم٢ وعرض ٢٠٠ كم٢ تقريبًا[3].

قال المستر لوريمر: القصيم أوسط نجد، منطقة صغيرة نسبيًّا، ولكنها عامرة بالسُّكَّان بالنسبة إلى المناطق المجاورة لها، والقصيم على درجة كبيرة من الأهمية، ويقع في قلب شبه الجزيرة العربية[4].

والقصيم بحق استقطب واستهوى عددًا ليس بالقليل من القبائل العربية المتحركة في وسط الجزيرة؛ بسبب مراعيه وأراضيه ومياهه الوافرة. لذا ليس غريبًا أن يَرِدَ ذكر مواضع من القصيم في عدد من القصائد الجاهلية، مثل: (عيون الجواء)، و(جبل قَطَن)، و(أبانين)، و(ساق)، و(وادي الرُّمَّة)، و(وادي النِّباج)، وغير ذلك.

---

(١) الدكتور صالح بن سليمان بن ناصر الوشمي (١٣٦٠- ١٤١٣هـ): مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). تلقى تعليمه الأولي في الكُتَّاب، وتخرج في مدرسة عيون الجواء الابتدائية سنة ١٣٧٥هـ وواصل تعليمه حتى تخرج من كلية الآداب بجامعة الملك سعود سنة ١٣٨٦هـ. وعمل موجهًا تربويًّا في إدارة التعليم بمنطقة القصيم، وهو أحد أعضاء مجلس إدارة نادي القصيم الأدبي، وله إسهامات أدبية وعلمية وتاريخية مهمة، وهو شاعر وكاتب مرموق؛ من كتبه: «لمحات عن منطقة القصيم» بالاشتراك مع الدكتور حسن بن فهد الهويمل، و«أبو مسلم الخراساني: صاحب الدعوة العباسية»، و«الجواء»، و«الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم»، و«ولاية اليمامة: دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري». انظر: موسوعة الأدباء والكُتَّاب السعوديين ٣/ ٢٩٢- ٢٩٦، وتتمة الأعلام ١/ ٢٣٨.

(٢) معجم بلاد القصيم ١/ ١٥.

(٣) أرض القصيم ص٢.

(٤) انظر دليل الخليج ج. ج. لوريمر ٥/١٨٥٣.

وكل تلك الأسماء وردت على ألسنة الشعراء مثل عمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني، وزُهَيْر بن أبي سُلمى، وعَنْتَرَة العَبْسي، وامرئ القيس، وغيرهم.

بل إن شعراء المُعلَّقات العشر جميعهم من نجد، ما عدا امرئ القيس فأصله اليمن وإقامته بنجد، كما ذكر ابن بُلَيْهِد(١).

لذا لم يكن غريبًا أن يكون للقصيم هذه المكانة المرموقة في العصر الحاضر، حتى كان في القرون الثلاثة الماضية موضع نزاعات وتجاذب قوى، وموقع مطامع من ذوي النفوذ والسلطة آنذاك، للسيطرة على خيراته وثرواته ورجالاته، فقد تنافس على السيطرة عليه ونيل ولايته وإمارته إمارات بعيدة.

وكان لأهل القصيم في مرحلة التوحيد يدٌ طولى في تلك المرحلة الشاقة التي قادها الملك عبد العزيز- رحمه الله ، كما كان لهم دورهم السابق إبَّان الدولة السعودية الأولى والثانية.

وقد حظي القصيم من القائد الموحّد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن- رحمه الله- برعاية وعناية خاصة، وكانت أرضه مسرحًا لمعارك فاصلة، مثل: الصريف سنة ١٣١٨هـ، ووقعة البُكَيْرِيَّة سنة ١٣٢٢هـ، والشَّنَّانَة سنة ١٣٢٢هـ، وروضة مُهَنَّا سنة ١٣٢٤هـ، والطرفية الثانية سنة ١٣٢٥هـ، وغيرها من الأحداث المهمة التي صاحبت مرحلة البناء والتوحيد لهذا الكيان العظيم (المملكة العربية السعودية)، الذي كان للقصيم فيه دوره المعروف.

يقول محمد بن سليمان الفوزان:

وسَلْ عن رجال في القصيم بَواسل ... ميامين قوم في المُلمَّات تصبر

إذا عاهدوا بَرُّوا، وأوفوا عهودهم ... وليسوا كمن يعطي العهود ويغدر

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ولد في بلدة غسلة بالوشم سنة ١٣١٠هـ، وآل بليهد من آل سيار من الجبور من بني خالد تقلّد عدة مناصب في عهد الملك عبد العزيز، وله إسهامات علمية رائدة من أنفسها (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) في خمسة أجزاء، وتحقيق (صفة جزيرة العرب) للهمداني، توفي سنة ١٣٧٧هـ ـ رحمه الله، انظر علماء نجد للبسام ١٨٣/٦.

بُرَيْدَةُ:

بريــدة ينبــوع العطــاء بأرضــها   وإن لها فــوق الســحاب لمقعــدا
تضيء شموعًا في الظــلام، وأهلــها   أقاموا لها مجــدًا رفيعًــا وســؤددا

اختلفت أقوال الباحثين والمؤرخين والمَعنيين في أمرين مهمين يتعلقان ببُرَيْدَة: أولهما سبب التسمية، وثانيهما تاريخ تأسيسها ونشأتها.

سبب التسمية:

تعددت الأقوال، وكثرت التخمينات في سبب تسميتها (بُرَيْدَة)، وجميعها لا يرقى إلى القطعية، وقد استقصى العلاّمة العبودي جميع هذه الأقوال التي يمكن إيجازها بالآتي:

١- قال بعضهم: إنها سُمِّيت (بُرَيْدَة) لبرودة مائها.

وقد مال الدكتور صالح الوشمي - رحمه الله - إلى هذا القول، بأن التسمية ترجع إلى برودة مائها لقرب منابعه في السابق[1].

إلا أن العلاّمة العبودي لم يقبل هذا التعليل؛ لأن تصغير «بارد» هو «بُوَيْرِدَة» أو «أبَيْرِدَة» في كلتا اللغتين، وليس (بُرَيْدَة)، فتصغير «فاعل» هو «فُوَيْعِل» وليس «فُعَيِّل».. فهذا تعليل يجب أن نَغُضَّ النظر عنه[2].

---

(١) لمحات عن منطقة القصيم، ص .

(٢) معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٦٦.

إلا أن الدكتور حسن الهويمل[1] تعقّب العلاّمة العبودي، وإن لم يختر ما اختاره الوشمي، يقول: «وقد وهم العلاّمة العبودي في ذلك، ووجه الوهم أنه بنى ردَّه على «باردة»، وليس من المحتم أن تكون (بُرَيْدَة) تصغيرًا «لباردة» فيختلف الوزن الصرفي.

ألا تكون (بُرَيْدَة) تصغير «لبَرْد»؟ فبَرد فعل ماضي مصدره بَرْد، وتصغير البَرد «بُرَيْد»، ثم لحقت التصغيرَ تاءُ التأنيث فصارت (بُرَيْدَة)»[2].

وعلى الرغم من أن العلاّمة العبودي يرى أن أقرب الأقوال ـ في سبب التسمية ـ هو أن أصل تسميتها كان «بُرَيْزَة» بالزاي، ثم لَمَّا اتسعت العمارة فيها، وقويت شوكة أهلها، أو بردت لهم خالصة دون غيرهم أسموها (بُرَيْدَة)... إلاّ أنه لم يقطع به، وأشار إلى هذا نزولاً على رغبة الترجيح.

٢- إنها كانت روضة (مجمع مياه) ينبت فيها نبات البردي، وكانت هذه الروضة تقع في الأراضي الطينية في غرب المدينة القديمة، تسمَّى البَرْديَّة نسبة إلى البردي، ثم حُرِّفَ هذا الاسم إلى (بُرَيْدَة).

---

(١) هو الدكتور حسن بن فهد بن حسن الهويمل: ـ أحد أبرز النقاد والأدباء السعوديين، ولد عام ١٣٦١هـ في بريدة. ـ حصل على ليسانس لغة عربية من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٣٨٧هـ/ ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في التربية جامعة الملك سعود ١٣٩٤هـ/ ثم حصل على الماجستير في الأدب والنقد جامعة الأزهر عام ١٣٩٥هـ/ ثم حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٤هـ. ـ أستاذ الأدب الحديث بفرع جامعة الإمام بالقصيم، ومدير المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي. ـ لمحات عن القصيم بالاشتراك عام ١٣٩٢هـ/في الفكر والأدب، دراسات وذكريات ١٤١٠هـ/ اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، دراسات ١٤٠٤هـ/ حاتم الطائي بين أصالة الشعر وأسطورة الكرم ١٤٠٠هـ/ بريدة حاضرة القصيم، ط٢ ١٤١٠هـ/ النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، دراسات ١٤١٢هـ، الحداثة بين التعمير والتدمير ١٤١٣هـ، عضو نادي الرياض الأدبي/ رئيس نادي القصيم الأدبي، أسهم بالكتابة والعمل الصحفي والإذاعي والتلفازي، وشارك في بعض المؤتمرات الأدبية والندوات في الداخل والخارج.

(٢) بُرَيْدَة ص٣٢.

٣- قيل: إنها سُمِّيت باسم رجل يقال له: «البريدي»، كما نُسب إليه - أو إلى سَمِيٍّ له - خَبٌّ يسمَّى (خَبّ البريدي).

وهناك أقوال جنحت بها العاطفة فأبعدتها عن التحقيق العلمي لمسمَّى المدينة، ومن ذلك ما رجَّحه الأستاذ المعارك من أن أصلها كان بئرًا لإبل الصدقة، حفرها الصحابي الجليل بُرَيْدَة بن الحُصَيب الأسلمي ﷺ، الذي أرسله الرسول ﷺ لتفقُّد إبل الصدقة، معضدًا ذلك بقول الشاعر محمد الجاركي الفارسي:

(بُرَيْدَة) هـــذي بلـــدة أســـلمية علاوة لمجـــد بـــل ســـنامٌ مُسَـــنَّمُ

(أَسلمية) نسبة إلى الأسلمي، وهو بُرَيْدَة بن الحُصَيب ﷺ، وموردًا تعليلاً آخر لوالده الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم المعارك، وهو أن كثرة المساجد وحلقات العلم، وتولى عدد كبير من أبناء (بُرَيْدَة) القضاء والتدريس... كل ذلك من مآثر هذا الصحابي الجليل[1].

قلت: أمَّا الشاهد الشعري فهذا كغيره ممن علموا اسم هذا الصحابي، وتوارد عليهم اسم (بُرَيْدَة)؛ فنسبوه حينئذ بلا دليل قاطع.

وأمَّا المساجد ودُور العلم فيها، فهذا متأخر بالنسبة إلى ربطه بالصحابي الجليل بُرَيْدَة بن الحُصَيب.

بل إن تلك النهضة العلمية التي أشار إليها المعارك، كانت إبَّان العصر العلمي الذهبي الذي عاشته (بُرَيْدَة) في القرن الرابع عشر ونهاية القرن الثالث عشر الهجري.

---

(١) بُرَيْدَة ماض مجيد ص٨، ٣١.

وقد ردَّ الشيخ العبودي هذا الرأي في مقدمته لكتاب المعارك، حيث قال: «إن الحديث عن الأمور الإيجابية المفيدة في هذا الكتاب، لا يتعارض مع الإشارة إلى ذكر موضع خلاف بين الباحثين، الذين ربما لا يوافقون المؤلف الفاضل عليها، كترجيحه كون تسمية مدينة (بُرَيْدَة) أنها على اسم الصحابي الجليل **بُرَيْدَة بن الحُصَيب الأَسلميِّ**، الذي بعثه الرسول ﷺ على إبل الصدقة، وحفر لها بئرًا يسمَّى (بُرَيْدَة)؛ فسُمِّيت (بُرَيْدَة) باسمه كما قيل»[1].

ومن الأقوال المردودة أيضًا ما أورده بعضهم من أن قبيلة بني ضَبِيْنَة كانت (بُرَيْدَة) أحد منازلهم.

وقد ردَّ العلاّمة العبودي على هذا بقوله: «إنما ورد لفظ (بُرَيْدَة) لموضع آخر بعيد عن مكان (بُرَيْدَة) عاصمة القصيم».

وعلى الرغم من عدم ورود ثمرة حقيقة وراء هذا البحث، اللهم سوى فضول الباحثين عن سرِّ هذه التسمية. فقد ظهرت ترجيحات المحققين في ذلك.

فبينما يرى الدكتور الوشمي - رحمه الله - أن سبب التسمية يرجع إلى برودة مائها؛ لقرب منابعه في السابق، إذْ ناقش العبودي رأي الوشمي، وردَّ عليه مستعينًا بالمقاييس الصرفية.

وانتصر الدكتور الهويمل لرأي الوشمي، معللاً وجاهته بوهم العبودي لوزنها الصرفي[2].

ومال العبودي إلى رأي يحمل ثقلاً كبيرًا من الوجاهة، وهو أن اسمها السابق «بُرَيْزَة» بالزاي، من البُروز والابتعاد... وبَقيت مدة طويلة بهذا المسمَّى حتى قويت وكثر سكانها، واستطاع أهلها في زمن أميرهم «حمود الدريبي» وهو من آل (أبو عليَّان) أن يمنعوا عنها الأذى، وأن يحموها من غارات الأعراب وانتها

(١) بُرَيْدَة ماضٍ مجيد ص٨.
(٢) بُرَيْدَة ص٣٢.

بهم، ومن غزوات أهل القرى المجاورة المناوئة لها؛ فأسموها (بُرَيْدَة). يريدون بذلك أنها بردت لأهلها، أي: خلصت لهم لا يشاركهم في ذلك أحد سواهم[1].

إلا أن هذا التعليل الذي أسنده العبودي بتأييد كثير من الرواة والأخباريين، يرد عليه القول الذي انتصر لــه العبودي في موضع آخر، وهــو: أن (بُرَيْــدَة) سابقة لورود آل (أبو عليَّان) عليها، وأنها لم تكن مجرد ماء لابن هَذَّال باعــه إلى راشد الدريبــي في آخر القرن العاشر.

ويظهر لي أن أقوى هذه الأقوال وأرجحها، هو القول بأن سبب التســمية عائد إلى برودة مائها ووفرته، وأنها قديمة بالنسبة إلى التاريخ الذي دوِّنــت فيــه أحداثها، وهو ما رجَّحه أيضًا د. الربدي[2].

موقعها وتاريخها:

تمثِّل (بُرَيْدَة) موقعًا متميزًا في وسط الجزيرة العربية، في القصيم المعــروف بكثبانه الرملية الزاحفة، وقيعانه المستديرة، وجباله الرملية الثابتة التي كانت تشكِّل حصنًا طبيعيًّا بخبوبها المحيطة، مزدانة بفروع النخيل المتدلية.

وهي بموقعها المتميز تتوسط مدن القصيم ونواحيه، مع أنها تميل إلى الشرق قليلاً. ولقد تغنَّى الشعراء بها في عددٍ من قصائدهم:

يقول الشاعر السعودي **أحمد سالم باعطب**[3]:

أنا يا (بُرَيْدَة) جئت أطفي غلَّــتي ... من كل ما حفلت بــه أرصــادي
أنا قد وُلِدْتُ على بساطك عاشقًا ... وكتبتِ أنــتِ شــهادة المــيلادِ

---

(١) معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٦٧.

(٢) بُرَيْدَة ونموها الحضري ٢/ ٢٦.

(٣) أحمد سالم باعطب: ولد بحضرموت سنة ١٣٥٥هـ، يحمل بكالوريوس تجارة شعبة اقتصاد وعلوم، عمــل معلمًــا، ثم التحق بالخطوط السعودية، ثم انتقل إلى مؤسسة النقد العربي السعودي إلى أن أحيل إلى التقاعد، لــه عــدة دواويــن منها: الروض الملتهب، وقلب على الرصيف،و عين تعشق السهر، وهو عضو بالنادي الأدبي بالريــاض، ولــه نشــاط أدبي واسع، وإسهامات شعرية متنوعة، انظر: دليل الكتاب والكاتبات، خالد أحمد اليوسف.

تيهي (بُرَيْدَةُ) وازدهي وتَبختـــري   يـــا قُبَّـــةَ العلمـــاء والزُّهَّـــادِ
تيهي ففي عينيك لوحـــة نهضـــة   منـــها تشـــع شمائـــل الـــرّوادِ

ويقول الشاعر مشوِّح المشوِّح(١):

إنما أنـــت يـــا (بُرَيْـــدَة) شمـــس   ضوءها شـــاع في رُبـــا الأوطـــان
إنمـــا أنـــت تـــاج عِـــزّ رصـــين   قد رســـا فـــوق هامـــة البنيـــان
إنمـــا أنـــت نبـــع علـــم أصـــيل   يرتوي منـــه صـــاحب القـــرآن
أنت ما أنت أنت ركـــن ركـــين   مـــن بـــلاد التوحيـــد والإيمـــان
أنت ما أنـــت في ثـــراك المفـــدى   علمـــاء الهـــدى وأهـــل البيـــان
حين أطريك ينصت الدهر يصـــغي   وإذا قمت قـــام جســـم الزمـــان

ويقول الشيخ الأديب الشاعر صالح بن عبد العزيز بن عثيمين(٢):

وسكناي في فيحا (بُرَيْدَة) مَن لهـــا   ينادي جميع الشرق وسطك أرحب

إلى قوله:

فهـــذا بإفتـــاء وهـــذاك واعـــظ   وذاك بأمر العرف يأتي ويَـــذهب
وذاك بتـــدريس وذاك مُصَـــنِّفٌ   يُهَدِّي بما يبـــدي لنـــا ويهـــذِّب
يُقَضِّي زمانًـــا والأنامـــلُ دَأْبُهـــا   تُسَـــيِّر أقلامًـــا بـــذا وتُبَـــوِّبُ

---

(١) مشوح بن عبد الله المشوح: شاعر شاب له قصائد منوعة من مواليد بريدة سنة ١٤٠٤هـ، شـــارك في عدد من الأمسيات الشعرية والمناسبات الأدبية، له ديوان بعنوان "لو تعلم الأيام".

(٢) صالح بن عبد العزيز بن عثيمين: من مواليد بريدة سنة ١٣٢٠هـ وتوفي في نهاية ســـنة ١٤١٠هـ، طلب العلم على علماء آل سليم، يحمل إجازات من عدد من علماء عصره، فقيه وأديب وشاعر تصـــل قصائده إلى ديوان، من مؤلفاته النفيسة (تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة) في أربعة مجلدات.

ويقول الشاعر عبد الله بن صالح التويجري[1]:

(بُرَيْدَة) أطياف تجول بناظري | تلازمني أنّى صحوت وراقدا
(بُرَيْدَة) أمي كيف لا وأنا ابنها | وفي حضنها شَبَّ الغلام وأرشدا
(بُرَيْدَة) عمري الحقّ فيها قضيته | وما إنْ بلغت الرشد حتى تشرَّدَا
(بُرَيْدَة) ينبوع العطاء بأرضها | وإن لها فوق السحاب لَمقعدا
تضيء شموعًا في الظلام وأهلها | أقاموا لها مجدًا رفيعًا وسؤددا
(بُرَيْدَة) حصن للضعيف احتمى بها | وإنَّ بها للضيف دارًا وموردا
شمائل أرباها الكبار وصانها | حماة أتوا من بعدهم طيلة المدى
(بُرَيْدَة) بحر بالكنوز مليئة | قد احتضنت مجدًا طريفًا وتالدا
فها أنتِ هذا اليوم إبداع ماهر | على منبر الدنيا تجلّى ليخلدا
ولحن سرى بالدفء من ثغر غادة | رخيم الأدا في مطلع الفجر رددا
يعانق في الأفق الرحيب مسامع | ويروي شجيًّا ظامئ النفس مجهدا
ويَنساب همسًا ناعمًا وسط الدجى | طليقًا يُناغي الكون ليس مقيَّدا
إذا افتخرت كل المدائن بالعُلا | ترى علمًا فوق المعالم قد بدا

---

(١) عبد الله بن صالح التويجري: ينتمي إلى أسرة التويجري العنزية الشهيرة، ولد في ضراس أحد خبوب بريدة ودرس فيها الابتدائية ثم المتوسطة والثانوية في معهد بريدة العلمي ثم كلية الشريعة، عمل مستشارًا في وزارة الشؤون البلدية والقروية حتى سنة ١٤١٦هـ، حيث انتقل إلى هيئة التحقيق والادعاء العام مديرًا لدائرة التحقيق في قضايا المخدرات والمؤثرات بالمنطقة الشرقية.

وها هو ذا العبودي يقدم وصفًا أدبيًا رائعًا لها، في قطعة بديعة من الوصف والخيال: «تحتل (بُرَيْدَة) موقعًا جميلاً، إذ تحيط بها الكثبان الذهبية من جهات ثلاث، وهي كثبان مُؤَزَّرة بالخضرة، مُزنَّرة بفروع النخيل التي تنهض من تحت أقدامها شامخة الذُّرا.

وكل كثيب ذهبي تُرقِّشه الأشجار الخضر، وتفصل بينه وبين الكثيب الآخر بسط سندسية بديعة، تتظاهر تلك الرمال ــ بعد تلك البُسط الخضر ــ كأنما هي لتحمي (بُرَيْدَة) ومَن يحلُّون فيها، حتى من المناظر التي يمكن أن تجعلهم يتخيَّلون الصحراء، فتكون سياجًا لها عن البرد، ودرعًا يقيها عواصف الصحراء ورياحها. حتى إذا ما هَبَّ عليك الهواء فيها، فإنك لا تُحسُّ فيه من رياح الصحراء إلا نسيمًا عَليلاً بَليلاً، كأن رياح الصحراء لا تَصِلُ (بُرَيْدَة) إلا وقد انكسرت حدَّتها حتى فقدت شِرَّتها.

وإذا أردت أن ترى منظرًا شاعريًّا جميلاً، فما عليك إلا أن تذهب إلى غرب البلد القديم، فتطِلُّ من عَلياءِ الكثبانِ الرملية فوق فَيْحان (الصبّاخ)، فترى ما امتدَّ إليه بصرُك: خضرة قائمةً إلى جانبها رمال ذهبية، تطل على استحياء من بين أفنان الشجر، لترنو إلى وجوه الحقول.

أمَّا منظر النخيل من ذلك المكان، فذلك ما لا يدرك إلا بالمشاهدة، ولا يستطيع أن يعطيه حقَّه من الوصف إلا الشعراء البلغاء.

أَتَخَيَّلْتَ العرائس وقد ازَّينت في يوم من أيام الربيع، ثم أخذت ترقص وسط الرياض المُعشبة المطربة؟

إنها قد تذكرك بمثل هذا المنظر!

وليس ذلك فحسب، بل إنك إذا نظرت إلى بيوت (بُرَيْدَة) وما حولها من النخل والحقول، تكون كأنما جمعت بين يديك قبضتين ثمينتين من التاريخ.

فالبيوت ومآذن المساجد القديمة تُشعرك بالقديم، وتأخذ بيدك إلى جلال الماضي، والحقول الخضر والعمارات الحديثة الجميلة، تنقلك إلى عالم العصر المهرول إلى الأمام»(١).

تأسيس بريدة:

تُجمع الإشارات واللمحات التاريخية برمتها على أن تاريخ عمارة (بُرَيْدَة) كان في حدود سنة ٩٨٥هـ، وهو ما أشار إليه ابن عيسى في تاريخه المذيَّل على تاريخ ابن بشر.

وينتهي العبودي - بعد مناقشة مستفيضة للنقول التاريخية كافة- في ابتداء تاريخ عمارة (بُرَيْدَة) إلى خلاصة القول بأن: (بُرَيْدَة) لم تكن مجرد ماء لابن هَذَّال من عنزة، باعه لراشد الدريبي وجماعته القادمين من (ثَرْمَداء) بآخر القرن العاشر الهجري... وإنما كان مكانها وما حوله معمورًا مأهولاً قبل ذلك التاريخ، وأن الدريبي وجماعته جاءوا إليها وسكنوها مع مَن كانوا يسكنونها.

ولكن الجهل الذي كان غالبًا على الناس في العصور المظلمة، في وسط الجزيرة العربية التي امتدت من القرن الرابع حتى القرن العاشر، هو الذي عَمَّى على الناس أمرها، وجعلهم يجهلون تاريخ عمارتها، كما جهلوا أشياء أخرى مهمة من تاريخهم(٢).

إن السياق التاريخي لبُرَيْدَة القديمة، يقودنا إلى القول والجزم: بأنها كانت موضعًا سابقًا وقديمًا على استيطان الدريبي لها وجماعته.

فدلائل التاريخ التي تتحدث عن الشماس، وما كان لأهلها من قوة، تؤكد أن (بُرَيْدَة) الضعيفة آنذاك كانت سوف تحتضن أي قوة، يمكن أن تحميها من هجمات الشماس وطوائلهم.

---

(١) معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٦٠- ٤٦١.

(٢) معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٨١.

ومن هنا كانت مشورة ابن هَذَّال للدريبـــي بنـــزول (بُرَيْدَة)، ورئاســـتها التي كانت تشكل همًّا رئيسيًّا للدريبـــي الذي يريد الزعامة، وقد أشار عدد من المهتمين الباحثين إلى هذه الحقيقة، ومنهم الدكتور محمد الربدي[1].

وخلاصة الأمر وحقيقته: أن الدريبـــي ليس المؤسس الأول لبُرَيْدَة، وإنمـــا كان قدومه واستيطانه بها نقطة تحول مهمة في تاريخها، فاشتهرت حينئذ (بُرَيْدَة) بشهرة رؤسائها «الدريبـــي»، ومن هنا ظن بعضهم أن بدء ورود اسم (بُرَيْدَة) في تدوينات تاريخ نجد عُدَّ بمنزلة تأسيسها، وليس هذا غريبًا، فكثير من البلـــدان عظمت شهرتها من خلال أمرائها وقوتهم وسلطانهم، فشهرة (الدِّرعيَّة) ليســـت قبل قيام إمارة الإمام محمد بن سعود ـــ رحمه الله، ودعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- مثلها بعد ذلك.

وكذلك كثير من المواقع المهمة في التاريخ التي يعلو شأنها، ويشتهر أمرهـــا تكون- في الغالب- على أثر أمير شهير أو عالم جليل يدفعها إلى أبواب التاريخ.

---

(١) انظر: معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٨١، وبُرَيْدَة ونموها الحضاري ١/ ٥٦.

المبحث الثاني

المساجد وحلق العلم في بريدة

عاشت منطقة القصيم حركة نهوض علمي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ووصلت ذروتها في أواسط القرن الثالث عشر الهجري.

وكانت طلائع تلك الحركة العلمية في بعض المراكز العلمية المنتشرة في نجد مثل: (أُشيقر)، و(العُيَيْنَة)، و(الرياض)، و(عُنَيْزَة) التي بدأ نهوضها في بدايات القرن الثاني عشر الهجري.

ويشير عدد من الباحثين إلى أن بذرة النهوض العلمي بالقصيم، كانت على يد الشيخ الفاضل عبد الله بن أحمد بن عضيب ــ رحمه الله[1]، الذي انتفع به وتخرَّج على يديه جمع غفير من العلماء، الذين كان لهم أثر في الحياة العلمية هناك.

ومن المؤكَّد أن التفاف عدد من طلبة العلم حول الشيخ ابن عضيب، كان بداية لنهوض علمي عام بدأت بوادره بالشيخ ــ رحمه الله.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيب من آل رحمة الناصري التميمي (نحو ١٠٧٠- ١١٦١هـ)، وُلِدَ في (سُدَيْر) وتوفي في قرية (الضَّبْط) قرب (عُنَيْزَة). أخذ العلم عن علماء بلده ومنهم فوزان بن نصر الله، ثم رحل إلى (أُشيقر) وقرأ على الشيخ أحمد بن محمد القصيِّر ولازمه، ثم توجَّه إلى (المُذْنِب). فلمَّا سمع به أهل (عُنَيْزَة) طلبوه وأقنعوه بالرحيل معهم، فباشر التعليم والقضاء بعُنَيْزَة. وكانت له إسهامات عظيمة في نشر العلم والتشجيع عليه، واضطره حدوث الخلافات بين أهالي البلد، إلى خروجه لقرية (الضَّبْط) القريبة من (عُنَيْزَة)، وواصل التدريس فيها حتى وفاته. انظر: السحب الوابلة، ١٦٠٦/٣، وعلماء نجد ٤/ ٤١- ٥٢ والحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، رسالة علمية للدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام، ص٤٥.

ومن المؤكّد أيضًا أن (بُرَيْدَة) ليست بمعزل عن هذا الجو العلمي، الذي كانت تعيشه جارتها (عُنَيْزَة)، فليس ببعيد أن يكون بعض طلبة العلم قد سمع بالشيخ ابن عضيب وتتلمذ علية، ومن هؤلاء القاضي الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد الصايغ، الذي تشير المصادر إلى أنه كان قاضيًا على القصيم.

ولكن لم يُسمع و لم يُضبط أسماء كان لها حضور في تلك الحلَق، ولعلّ حالة عدم الاستقرار السياسي الذي كانت تعيشه (بُرَيْدَة) إبَّان إمارة آل أبي عليَّان، كان لها أثرها على الحركة العلمية التي تحتاج دومًا إلى مناخٍ آمن مستقر.

ومن المؤكّد أيضًا وجود جمع من طلبة العلم والقضاة هناك، و لم يتيسر تدوين حياتهم وضبط أخبارهم وذلك لعدم العناية بهذا الأمر في تلك الفترة.

وإذا كانت المتابعة التاريخية تشير إلى غياب عدد من أمراء أُسرة آل أبي عليَّان، الذين تعاقبوا على إمارة (بُرَيْدَة) بدءًا من سنة ٩٤٥هـ منذ تولي راشد الدريبي الإمارة، حتى سنة ١١١٧هـ حيث غابت أسماء الأمراء في تلك الفترة. ففي سنة ١١١٧هـ ذُكِرَ مقرن الحجيلان، ثم خلفه أمراء لا يذكرهم التاريخ، ثم ذُكِرَ حمود الدريبي سنة ١١٥٣هـ الذي قتل أبناء عمه الثمانية. إلا أنه في الوقت ذاته ضبطت عدة أسماء مهمة كانت محل ثقة من أهل البلد في تدوين كتاباتهم ومبايعاتهم ووصياتهم، وهؤلاء، وإن لم يصلوا إلى درجة العلماء، إلا أنهم كانوا على قدر من العلم يؤهلهم للقيام بتلك المهمة، التي تصل في بعض الأحيان إلى عمل القضاة الذين كانوا بالفعل موجودين، إلا أنهم لم يكن لهم ذلك المشهد الحاضر الذي يقودهم إلى ذكر التاريخ.

بل ذكر المؤرخون في أحداث سنة ١١٩٦هـ: أن أهل القصيم أجمعوا على نقض بيعتهم لابن سعود، سوى (بُرَيْدَة) و(الرَّسّ) و(التَّنومَة)، وتعاهدوا على أن كل أهل بلد يقتلون المعلّمين الذين عندهم.

وأثنى ابن غَنَّام على موقف أهل (بُرَيْدَة)، ووقوفهم مع علمائهم وأهل التوحيد عندهم، فقال: وهذا من لطف الله تعالى بأهل (بُرَيْدَة) وسلامتهم من الشيطان وكيده، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته[1].

وانظر إلى موقف أهالي (بُرَيْدَة) من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب- رحمه الله، وما لقيته عندهم من حفاوة. إضافة إلى انتقال عدد من طلبة العلم والأُسر العلمية من (الدّرعيَّة) إلى (بُرَيْدَة)، ومنهم أُسرة آل سَلَيْم[2] العلمية الشهيرة، وغيرهم.

ومن دلائل ذلك اختيارالشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سويلم من قِبَل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ليكون قاضيًا في (بُرَيْدَة)، وهو من بيت علم وصلاح، ووالده هو الذي استقبل الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب حينما انتقل من (العُيَيْنَة) إلى (الدّرعيَّة)، وجمع بينه وبين الأمير محمد بن سعود في داره المباركة. ولِمَّا عُرِفَ أيضًا عن الشيخ عبد العزيز - رحمه الله - من فقه وعلم، أدركه من تلمذته على يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهَّاب- رحمه الله، وابنه عبد الله[3].

---

(١) انظر: تحفة المشتاق ص٢٤١، وتاريخ ابن غنام ٢/ ١٢٥، وعنوان المجد ١/ ١٣٤.

(٢) آل سَلَيْم يعودون في نسبهم إلى ولد سَلَيْم من قبيلة حرب، وكانت منازلهم في السابق في (الفقرة) قريبًا من (المدينة المنوَّرة)، وهي ـ كما ذكر الشيخ محمد العبودي في كلامه، وكما هو معروف ـ أسرة علمية معروفة، وأشهر آل سَلَيْم الشيخ محمد بن عبد الله بن حمد بن سَلَيْم (ت١٣٢٦هـ)، والشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سَلَيْم (ت١٣٠٨هـ)، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم (ت١٣٥١هـ)، وأخوه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم (ت١٣٦٢هـ). وقد وضع الشيخ صالح السليمان المحمد العُمَري كتابًا مطبوعًا متداولاً في مجلَّدين عنوانه «علماء آل سَلَيْم وتلامذتهم وعلماء القصيم». للمزيد عن الحركة العلمية في (بُرَيْدَة) انظر: قضاة بُرَيْدَة (مخطوط للمؤلف)، وعلماء آل سَلَيْم، ص.

(٣) للمزيد من التفصيل عن حياة آل سويلم وغيرهم من القضاة انظر كتاب: قضاة بُرَيْدَة خلال خمسة قرون (مخطوط للمؤلف). انظر علماء نجد للبسام ٣/٤٤٣، وروضة الناظرين للقاضي ١/٢٨٤.

ومن هنا فإن قدوم الشيخ عبد العزيز لبُرَيْدَة أحدث فيها نقلة مهمة في مسيرة العلم والقضاء، حيث الْتفَّ حوله عدد غير قليل من طلبة العلم، وصارت منذ ذلك الحين مركزًا علميًا مهمًّا.

ومن تلاميذه المعروفين - رحمه الله - خليفته على القضاء الشيخ عبد الله بن صقيه، والشيخ قرناس بن عبد الرحمن عالم (الرَّسّ)، وغيرهما.

وظهر في نهاية القرن الثاني عشر عدد من العلماء الأجلاء في (بُرَيْدَة)، مثل الشيخ سليمان بن علي المُقبل - رحمه الله - الذي طلب العلم في الشام، التي سافر إليها مرتين، وأخذ من علمائها، وكانت لـه دروس في (بُرَيْدَة) استفاد منها جمع غفير، وجلس للتدريس في المسجد الحَرام، وكان لـه - رحمه الله - تلاميذ كثر[1].

كما أن لظهور أُسرة آل سَلَيْم العلمية دورها الكبير في إحياء الحركة العلمية ونهوضها، مما جعل (بُرَيْدَة) في القرن الثالث عشر من أكبر المراكز العلمية في الجزيرة العربية، وجعلها تحتضن المئات من طلبة العلم الذين توافدوا للتحصيل على آل سَلَيْم وغيرهم.

ومن الملاحظ أن الحياة العلمية في (بُرَيْدَة) ليست بعيدة عن الأجواء العلمية التي كانت تعيشها باقي بلدان نجد، التي كانت تعاني شُحَّ الكتب وقِلّتها، وأيضًا من ضعف تداول الكتاب ونَسْخه الذي كان يأخذ وقتًا طويلاً من طالب العلم، ثم يدفع الأصل إلى صاحبه.

---

(١) الشيخ سليمان بن علي المُقبل (نحو ١٢٢٠- ١٣٠٤هـ)، مولده في (خَبّ المَنْسِي) وتوفي في (خَبّ البُصُر) وهما من خبوب (بُرَيْدَة). وقرأ على الشيخ قرناس بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله أبا بُطين، والشيخ عبد الله بن صقيه، وكان فقيهًا قاضيًا ومعلمًا محمود السيرة عنوانًا في الزهد والورع والفقه، وقد تولى قضاء (بُرَيْدَة) أكثر من أربعين سنة. انظر علماء آل سليم للعمري ١٩٧/١ وعلماء نجد للبسام ٣٧٤/٢ وروضة الناظرين للقاضي ١٣٣/١.

وقد فات هذا العلم على الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين - رحمه الله - في كتابه الحافل: (تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة)، كما فات على صاحب الذيل على كتاب ابن عثيمين الشيخ بكر أبو زيد، ولم يستدرك ترجمة هذا العالم الكبير غفر الله للجميع.

ومنذ أن أعلن أئمة آل سعود نشر الدعوة في أرجاء الجزيرة العربية، أعلنت (بُرَيْدَة) موالاتها وتأييدها لها، وأثبت هذا الولاء الصامت دعوة أميرها راشد الدريبـي سنة ١١٨٢هـ الإمام عبد العزيز للحضور إلى ناحيته، وسوف يكون عونًا لـه وناصرًا. فلمَّا أتى سعود إليهم بالجنود، وتوجهوا إلى (عُنَيْزَة) ومعهم أمير (بُرَيْدَة) راشد الدريبـي، وكان أهل القصيم بصفة عامة، وبالأخص قاعدته (بُرَيْدَة)، من الموالين للدعوة ولحكومة (الدّرعيَّة) منذ قيامها سنة ١١٥٨هـ، ولم يترددوا أو يتراجعوا عن مناصرتها، ولكن في بعض الأوقات يتغلّب الحُكّام المحليون على السلطة؛ فتكون السياسة الرسمية تابعة لسياسة الغالب، فيؤثِّر الحُكّام في المحكومين. كما جرى من عريعر بن دجين سنة ١١٨٨هـ، لَمَّا استولى على (بُرَيْدَة)، وولى عليها من قبله أميرها السابق راشد الدريبـي، فتراجع الولاء الرسمي، ومال لحُكّام (الأحساء) تبعًا لولاء أميرها، ولكن الإمام عبد العزيز استطاع استرداد السلطة، فعاد الولاء لحكومة (الدّرعيَّة) بعد أن تولى حجيلان بن حمد بعد عبد الله الحسن، الذي أخلص الولاء لحكومة (الدّرعيَّة) حتى النهاية، حين قُتِلَ في معركة مخيريق الصفا سنة ١١٩٠هـ في غزوته مع عبد العزيز أول مرَّة(١).

وإذا كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب أثرها الواضح في العالم الإسلامي، فإن أثرها الداخلي في الجزيرة العربية كان بيِّنًا وجليًّا.

وكانت مبادئ الدعوة السلفية منتشرة في أوساط طلبة العلم، خصوصًا مع وصول الشيخ عبد العزيز بن سويلم الذي يحمل كافة أصول الدعوة الإصلاحية ومبادئها، وقد تَربَّى في أحضانها وتلمذ لمشايخها.

---

(١) انظر: تاريخ ابن غنَّام ص١٣٧، والدرعية العاصمة التاريخية ص١٠٤.

وكان من مقاصد إرساله ــ والله أعلم ــ حمل الدعوة الإصلاحية ونَشرها في تلك الناحية المهيئة، وقد وَجَدَ في (بُرَيْدَة) مناخًا طيبًا، واستقبالاً جيدًا لتلك الآراء المباركة الصالحة.

المبحث الثالث

الأدب في بُرَيْدَة

لقد كان للأجواء العلمية الدينية الشرعية التي نعمت بها (بُرَيْدَة) تأثيرها في الحركة الأدبية هناك، فقد كان الاهتمام منصبًّا على حِلَق العلم والمشـايخ، و لم يكن للناس حماسة نحو الأدب أو الشعر إجمالاً.

إلا أن ذلك لم يحرم (بُرَيْدَة) ذات المناخ الواسع لجميع التيـارات العلميـة والفكرية والأدبية أن يكون لها حظها من ذلكم الحصاد.

وإذا كان الحديث عن الأدب يتبادر أول وهلة فيه الشعر وديوانه بشقيه الفصيح والعامي، فقد احتضنت (بُرَيْدَة) بحق أشهر شاعري حماسة وحرب في نجد على الإطلاق، وهما: شاعر الحرب والحماسة الكبير محمد بن عبد الله العوني[1]، ورصيفه محمد بن سليمان الصغيِّر[2]. وقد حملا في شعرهما أشد معاني الشعر العامي إثارة وجزالة.

أمَّا العوني فهو أديب عملاق حيَّر الباحثين، وأدهش الدارسين، مما جعلـه يوصف بحق «متنبي الشعر العامي». فقد خاض في السياسة، وطـاف جزيـرة العرب مادحًا وراثيًا ومحمسًا لأمرائها.

---

(١) محمد بن عبد الله العوني (١٢٧٥- ١٣٤٣هـ)، وُلِدَ في (الربيعية) شرقي (بُرَيْدَة). كان لـه رفقـة وصداقة مع آل مهنا أمراء (بُرَيْدَة) السابقين حين كانوا يقيمون بعض أوقاقم في الربيعيـة، وطلـب العلم على مشايخ آل سَليْم في (بُرَيْدَة) إلى أن انقطع للشعر، وعُنِيَ بدراسة شعره الكثيرون. انظـر: "من شعراء بُرَيْدَة" ١/ ٦٨، "وتاريخ جيل وحياة رجل" (مخطوط)، و"علماء آل سَليْم" ٢/ ٤٧٦.

(٢) محمد بن سليمان الصغيِّر (١٢٨٠- ١٣٢٦هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة) وتوفي عن عمر يناهز ستًا وخمسين سنة. ينتمي إلى أُسرة القوسي المعروفة في (بُرَيْدَة) سافر مع العقيلات مبكرًا، ولُقِّبَ بالصغيِّر لضـآلة جسمه، وامتاز شعره العامي بالجزالة ومتانة الأسلوب، وكان فارسًا شجاعًا ذا حماسة وبطولة عُرِفَ منه الثبات في مواقفه والحصافة، وكان محبًّا عاشقًا لبُرَيْدَة وقال بها قصائد كثيرة. انظر: "من شـعراء بُرَيْدَة" ٢/ ٢٧.

ولقد أطنب في ذكر الحديث عنه وعن قصائده العلاّمة العبودي في كتابه «معجم أُسر القصيم»، وفهد المارك[1] - رحمه الله - في دراسة لا تقل عنها روعة.

وكانت تلك الحقبة حافلة بالشعر العامي الذي كانت له الريادة في القرنين السابقين، ومن الرموز الشامخة في الأدب والشعر في نجد عمومًا في تلك الفترة: الأمير الشجاع محمد بن علي العرفج[2]، ومحمد بن مناور، وصالح بن عبد العزيز العرفج، وإبراهيم بن عبد المحسن الضويّان، وعلي الحميدة، وناصر العلوان، وسليمان بن عبد الرحمن السمحان، ومحمد بن سليمان الفوزان، وعبد الله بن عبد الرحمن اللويحان، وعلي بن طريخم، ومحمد السعيدي، وصالح الجار الله، ومحمد بن حصيص، ومحمد الخزاب، وسليمان بن ناصر الشريم، وأُسرة الباحوث ومنهم صالح وعلي ومحمد، وعبد الله بن خزيّم، ومحمد بن عبد العزيز بن عمّار، وعبد الهادي بن فهد السبيعي، وعبد الله بن سليمان العيسى، وعبد الله بن محمد الوني. ومن النساء: لولوه العرفج (المعروفة بالعرفجية)، وميثاء السلامي[3].

---

(١) فهد المارك: أديب سعودي معروف، له مواقف وطنية وعروبته معروفة، شارك في عدد من المعارك للدفاع عن فلسطين، له مشاركات أدبية وكتابات منوعة من أبرزها: (١) (من شيم العرب). (٢) (من شيم الملك عبد العزيز). (٣) (تاريخ جيل وحياة رجل). (٤) (كيف ننتصر على إسرائيل). توفي رحمه الله مساء يوم ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ. من شيم العرب ١/ ٢.

(٢) أبو زيد محمد بن علي العرفج من آل أبي عليّان من أمراء القصيم، وهو أحد أمرائها المشهورين ورجالها البارزين (١١٩٠- ١٢٥٨هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة) ومات مقتولاً فيها على يد أبناء عمه. تولى إمارة (بُرَيْدَة) عدة مرّات، وله قصائد قوية امتازت بالجودة والمتانة. انظر: من شعراء بُرَيْدَة ١/ ١٩، ومحمد العلي العرفج حياته وشعره.

(٣) لمعرفة المزيد عن حياة هؤلاء الشعراء وشعرهم انظر: من شعراء بُرَيْدَة في جزأين والثالث مخطوط، ومعجم أُسر القصيم (مخطوط).

وإذا كان الشعر العامي في (بُرَيْدَة) قد احتل ريادة في هذا الجانب، فإن الشعر الفصيح بل والعناية بالأدب إجمالاً لا يقل عن ذلك، على الرغم من التحفظ إبَّان حركة الازدهار العلمي الكبير الذي حظيت به (بُرَيْدَة)، وذلك في زمن العلماء الأبرز في تاريخها وهم: أُسرة آل سَلَيْم، وآل مقبل، وآل جاسر[1]... تجاه الشعر والأدب، وتركيزهم في العناية بالعلوم الشرعية وتعلُّمها وإتقانها.

إلا أنه ظهر أعلام وأدباء نشؤوا من تلك الحِلَق العلمية الشرعية، وكانت لهم ريادة بارزة في هذا الميدان، ولعلنا نشير باختصار إلى أبرز الأسماء الأدبية التي كان لها إسهامها البارز في إثراء الحركة الأدبية ليس في (بُرَيْدَة) وحدها، ولكن في نجد والجزيرة العربية عمومًا، وذلك في فترة ما قبل التوحيد وفي أثنائه، ومنهم:

(١) سليمان بن صالح الدخيل (١٢٩٠- ١٣٦٤هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة) وتوفي في (بَغداد). أحد أبرز روَّاد العمل الصحفي العربي، ومن صنَّاع الصحافة الأوائل وعمالقتها، نال لقب أول نجدي صحفي يمارس الصحافة.

(٢) الشيخ السياسي السفير المحنك فوزان السابق ١٢٧٥هـ-١٣٧٣هـ ولد في بريدة وتلقى العلم على علمائها، ورحل إلى عدة بلدان، اشتغل بالتجارة، وكان ذا ريادة وزعامة فيها، حظي بثقة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وولاه عددًا من المسؤوليات الهامة.

عرف بأنه من أعلى الرجال عقلاً وعلمًا وغيره على دينة ومحبة لبلادة. توفي في القاهرة بعد عمر طويل قضاه في العلم والعمل ١٣٧٣هـ

أسَّس جريدة الرياض الأم سنة ١٩١٠م، وصدرت حتى سنة ١٩١٤م، وكانت جريدة أسبوعية تُعنى بأخبار نجد وتاريخها وأحداثها.ثم أصدر مجلة الحياة

---

(١) آل جاسر أحد أُسر (بُرَيْدَة) القديمة المشهورة، عُرف رجالها بالشجاعة والكرم، وينتهي نسبهم إلى قبيلة حرب المشهورة. وبرز منهم شخصيات علمية في قمتهم الشيخ الورع الزاهد إبراهيم بن حمد الجاسر (ت١٣٣٨هـ)، ومنهم: صالح بن إبراهيم الجاسر (عبيلان)، ومحمد بن عبد الله الجاسر، وعبد الكريم بن عبد العزيز الجاسر، وغيرهم من رجالاتها وأعيانها.

مشاركة مع إبراهيم العمر، ثم أصدر جريدة جزيرة العرب، وهي سياسية أسبوعية[1]. وله إسهاماته الأدبية وبحوثه التاريخية، التي صارت مَحَلَّ عناية وتحقيق من قِبَل عدد من الدارسين.

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن عبيد بن عبد المحسن آل عبيد (١٣١١- ١٣٣٧هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة) وتوفي في (الأرطاويَّة) شابًّا لم يتجاوز عمره الثلاثين، أديب وشاعر، كان ذكيًّا، نابهًا، يحفظ المُعلَّقات وعدة علوم، تلقى العلم على يد الشيخ عمر بن سَلِيْم - رحمه الله - وغيره، وله قصائد جميلة ومَرَاثٍ عديدة[2].

(٤) الشيخ عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر (١٢٩٤- ١٣٧٣هـ)، وُلِدَ في (الأَسياح). وهو حفيد المؤرِّخ ابن بشر صاحب «عنوان المجد»، وقد تلمذ لعلماء آل سَلِيْم، وولي قضاء (الأَسياح)، وكان - رحمه الله - أديبًا شاعرًا وله قصائد جميلة ومراثٍ عديدة[3].

(٥) الشاعر الشيخ عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن آل عبيد (١٣١٩- ١٣٦٤هـ) مولده في (بُرَيْدَة). تلمذ لعدد من العلماء والمشايخ، وله قصائد كثيرة في الحث على طلب العلم ورثاء العلماء ومديحهم[4].

(٦) الأديب الشاعر نصيَّان بن حمد النصيَّان- رحمه الله، وهو أحد طلبة العلم ممن تلمذوا لعلماء آل سَلِيْم، وكان يحفظ الكثير وله قصائد ومراثٍ.

(٧) الشيخ الأديب عمر الوسيدي (١٣٠٣- ١٣٧٤هـ)، طلب العلم على عدد من المشايخ ومنهم آل سَلِيْم، وكان- رحمه الله- قارضًا للشعر محبًّا للأدب[5].

---

(١) انظر: الصحفي السياسي المؤرِّخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل.

(٢) انظر تذكرة أولي النهى والعرفان ٢/ ٢٤٤ وعلماء نجد ٥/٣٢٩ وعلماء آل سليم ٩٢/١.

(٣) انظر: ترجمته في علماء نجد ٥/ ٧٠- ٧٢، وقصائده في تذكرة أولي النهى والعرفان ٣/ ١٥٨.

(٤) انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان ٤/ ٢١٨، وعلماء آل سَلِيْم، ص .

(٥) انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان ٥/ ١٠٢.

(٨) الشيخ محمد بن صالح بن سَلَيْم- رحمه الله- كان شاعرًا، وله عدد من المراثي.

(٩) الشيخ الشاعر فهد بن عيسى بن عبد الكريم العيسى (١٣٢٠-١٣٧٢هـ)، درس على العلماء والمشايخ وكان زاهدًا ورعًا، له قصائد جميلة في العلم والأدب ورثاء العلماء.

(١٠) الشيخ الأديب العلاَّمة صالح بن عبد العزيز العثيمين (١٣٢٠-١٤١٠هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة)، وتوفي في (مكَّة). طلب العلم على علماء آل سَلَيْم، وكانت له مطالعات في العلوم جميعًا، وله إجازات علمية بها، رحل إلى عدد من الأقطار، وله قصائد كثيرة تجمع في ديوان[1].

هذه بعض الأسماء الأدبية والعلمية التي كان لها هوى بالأدب والشعر، وقد اقتصرت على هؤلاء خشية الإطالة فليس المقام مقام ذكر للأدب تفصيلاً في (بُرَيْدَة). إنما أردت وصف الأجواء العلمية المتحركة التي كانت تعيشها (بُرَيْدَة)، وهناك عشرات من طلبة العلم الذين يقرضون الشعر، ويُعْنَوْنَ بالأدب.

لقد عاشت (بُرَيْدَة) في تميُّز علمي وأدبي خلال القرنين الماضيين، وعرفت عددًا من الأسماء اللامعة شعرًا ونثرًا، وقد تناول الشعر والأدب في (بُرَيْدَة) خلال قرون الثلاثة الماضية العلاَّمة الشيخ العبودي في كتابيه:

(١) شعراء من القصيم: تناول فيه شعراء الفصيح مع تراجمهم وأخبارهم ونماذج من أشعارهم (مخطوط).

(٢) شعراء العامية في بُرَيْدَة: وهو توثيق مهم لأبرز الشعراء في تلك الفترة وأخبارهم وشعرهم (مخطوط).

---

(١) انظر: السابلة لمريد معرفة الحنابلة ص٥.

وشهدت الحركة الأدبية والعلمية في القرن الخامس عشر الهجري قفزة هائلة، أثمرت عن مئات من الأدباء والشعراء الذين وُلِدوا في محاضن التعليم الحديث، الذي بدت بواكيره في طلائع الستينات الهجرية، وكان لبُرَيْدَة فيه ريادة وسبق كما سيأتي بآخر هذا الفصل.

لذا فإن من المتعذر الحديث في هذه العجالة عن أسماء الحركة الأدبية ورموزها في (بُرَيْدَة) خلال هذا القرن؛ لأنه- بلا شك- سيحتاج إلى إفراده في حديث مفصل خاص، لاستعراض مئات الأسماء التي كان لها أثرها في إثراء الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

ومن هنا لم يكن خروج العلاّمة العبودي وميوله العلمية والأدبية وليد المصادفة، بل كان إرهاصات أجواء علمية حيَّة كانت تعيشها (بُرَيْدَة) ليولَد فيها العبودي أديبًا وداعية ومؤرخًا ومحققًا.

وفي المجال الفكري كانت (بُرَيْدَة) ساحة إثراء وجدل في آنٍ واحد، يعزوه بعضهم إلى تراكمية الخلاف، حتى على مدلولها ومسمَّاها.

ويصفها صنف من النقاد[1] بأنها تميل إلى الحدية أكثر من ميلها إلى التناقضات، ويكتنز المجتمع البردي رصيدًا هائلاً من التزاحم الفكري اللانمطي، الذي انعكس بدوره على رصيد هائل لا حصر له من التباينات الفكرية المتعددة، التي قادها رموز بردية معروفة.

وعلى الرغم من الخطأ الكبير الذي ارتكبته بعض تلك الأسماء المحدودة بجمودها الفكري، يبدو للناظر إليها من أول وهلة أنها تمثل مجتمعًا منغلقًا، فيقع حينذاك ربط بين تلك الأسماء المتخفية و(بُرَيْدَة) نفسها المحاطة بتلك الأطواق الشاهقة من الرمال المسمَّاة «خبوبًا»، وهي التي تحصِّن (بُرَيْدَة) من أطرافها، وتغلق عنها منافذ التسلل والتغلغل الأمني آنذاك.

---

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط، العدد ٨٧٥٧ في ٢٠٠٢/١١/١٩م.

ولكن الحقيقة أن ذات «الخبوب» لم تفلح في رَدِّ الكثير من الآراء، التي تحمل في ردائها تعددية فكرية واسعة.

فالخلافات التي عاشتها (بُرَيْدَة)، واحتضنها مجتمعها العلمي حول عدد من المسائل التي اصطلح على تسميتها بـ «فقه الواقع»، كان لبُرَيْدَة نصيب متقدم منها في اختلاف الآراء، وتعدد الطروحات التي صاحبت تلك الفترة.

وبرزت أسماء مهمة احتلت مساحة كبرى في النضج الفكري، داعية إلى ضرورة إتاحة مساحة متسعة للحوار العلمي الذي ينبغي ألاّ يغمط للآخر حقه.

فالشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر[1] كان أنموذجًا متقدمًا في ذلك، مع ما حظيت به شخصيته من احترام وتقدير، وقلّ أن يتكرر في علمه وتقواه وورعه وكرمه وسعة أخلاقه.

حتى قيل: إنه كان يمتلك مكتبة من أكبر المكتبات الخاصة وأندرها وأغزرها في نجد.

وولي – رحمه الله – قضاء أكبر بلاد القصيم (بُرَيْدَة) و(عُنَيْزَة).

والحديث يمتد إلى أسماء أخرى كان لها نصيب من الجدل المبكر كالقصيمي، الذي عُدَّ أكبر منافح عن السلفية والتوحيد، أو ما عُرِفَ عند الخصوم بـ «الوهَّابيَّة».

وكان يمثل نقلة مهمة في الحوار والجدل مع المخالف، خصوصًا لدى المجتمع النجدي، بكتابه «البروق النجدية» وغيره. على الرغم من انحرافه الأخير وانتكاسته المؤسفة، التي كانت نتيجة مسببات وآثار لاحقة أودت به إلى التخبط والحيرة.

---

(١) انظر روضة الناظرين ١٩٣/١ وعلماء نجد ٢٧٧/١ وتسهيل السابلة ١٧٦٨/٣.

إضافة إلى الدور الذي قام به الشيخ عبد الله بن عمرو في نقـــده لـــبعض الأساليب الدعوية، واجتهادات الفتيا القائمة آنذاك، مما استدعاه إلى مصادمة تلك الفتاوى حتى وصل إلى الحِدَّة في ذلك والتشنيع بها، مع ما كان يتمتع بـــه مـــن سلامة معتقد وحسن سريرة، والله أعلم، لا كما يُشاع عن بعضهم من اتهامـــه والتعريض بعقيدته.

بل إن هذه الاختلافات التي حفلت بها (بُرَيْدَة) امتدت تأثيراتها إلى نواحي القصيم ونجد عمومًا، وهي خلافات في حقيقتها تدور حول: تكفـــير المُعـــيَّن، والسفر إلى بلاد المشركين، فحسب.

لكن الحماس والتعصب لبعض الآراء وشدة المُنافَرة، كل ذلك أدى إلى تلك الخلافات بين طلبة العلم، التي كان من نتائجها نهاية الشيخ ابن عمرو المؤسفة.

رحم الله الجميع وعفا عنهم[1].

أمَّا الحديث عن الشخصيات الفكرية والعلمية والثقافية المعاصرة التي كانت مثار جدل ومحل نقد، فهي أسماء كثيرة تبقى شاهدة علـــى التنـــوع الفكـــري والتعددية في الآراء، أحسب أن المتابع والقارئ والمثقف لا يجهلها.

فضلاً عن الريادة الدعوية التي تبوأتها (بُرَيْدَة) بفضل شخصيات تحظى بقبول واسع في الداخل والخارج، ولها حضورها القوي في مشكلات الهوية الإســـلامية وقضاياها.

وعلى الرغم أيضًا من عدم تصنيف (بُرَيْدَة) ضمن أهم المـــدن الســـعودية الكبرى، إلا أنها دخلت وبقوة منافسة شرسة جعلتها تحتل مكانة مرموقة معـــززة بين وصيفاتها من العواصم العلمية، ذلك بما حملته من ثرائها العلمي والفكري.

---

(١) انظر: علماء نجد ٤/ ٣٣٣- ٣٣٤.

وعلى الرغم من محاولة بعضهم وصف المجتمع البردي بالتشدد وعدم التسامح؛ بسبب بعض الوقائع والنوازل المردودة... تبقى روح التسامح السمة الغالبة على (بُرَيْدَة) ومجتمعها؛ ولمكانتها العلمية والدينية التي جعلت بعض أصحاب الرؤى والطروحات يتزاحمون حول عتبات علمائها، بحثًا لهم عن مشروعية وغطاء يدعم أن مشروعهم الأيديولوجي، ليعتم بعدئذ بعمامة السلفية وعباءة الشرعية.

وليس من المبالغة القول بأن المجتمع البردي كان له سبق في كثير من الميادين العلمية، فأول مكتبة علمية في نجد كانت في (بُرَيْدَة) حيث فتحت في سنة ١٣٦٤هـ.

وكانت (بُرَيْدَة) من أُوَل من استقبل التعليم النظامي، بل كانت ريادتها أنموذجًا للبرهنة على صلاحية التعليم النظامي والاطمئنان إليه، وكانت يد المربي الشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّلْيم هي التي دقت جرس بدء التعليم في العاصمة السعودية (الرياض).

و(بُرَيْدَة) ذاتها هي التي احتضنت أول إذاعة خاصة، وكان رائدها (طامي)- رحمه الله سنة ١٩٦١م.

كما أن الظهور الأول لأصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ على شاشة التلفاز كان من أبناء (بُرَيْدَة)، بظهور الشيخ عبد العزيز المسند الذي مثّل أنموذجًا للتسامح والوسطية في طروحاته وآرائه، على امتداد نحو الثلاثين عامًا. فضلاً عن عدد من الأسماء الفكرية اللاحقة التي لها حضورها، ويقصر الحديث عن تعدادها.

وبريدة هي ذاتها التي احتضنت صحيفة القصيم منذ أن كانت فكرة لدى الشيخ صالح بن سليمان العُمري ١٣٦٩هـ، حيث أحس بالحاجة إلى إصدار صحيفة تخدم المنطقة، ثم في عام تحققت الفكرة حين تقدم الأستاذ عبد الله بن علي الصانع يطلب الترخيص لجريدة القصيم، وصدر العدد الأول فيها يوم

الثلاثاء ١ جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ الموافق ١ ديسمبر ١٩٥٩م من ثمانِ صفحات وكيلاً لاثنين من أبناء بريدة، حيث أعيد الامتياز إلى صاحب الفكرة الشيخ صالح بن سليمان العُمري ليرأس تحريرها اعتبارًا من يوم الثلاثاء ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١هـ واستمرت في الصدور صحيفة أسبوعية حتى العدد ٢١٦ وتاريخ ٢٨ شوال ١٣٨٣هـ إثر صدور نظام المطبوعات والمؤسسات الصحفية وإنهاء صحافة الأفراد.

وكانت طيلة صدورها وطباعتها في مطابع القصيم تمثل حِسًّا صادقًا، ووطنية مثلى، مستقطبة نخبًا ثقافية متميزة من أبناء المنطقة وخارجها.

كان العلامة العبودي أحد كتابها والمشاركين فيها، فهل يا ترى بعد أكثر من ثلاثٍ وأربعين عامًا على انقطاعها تعاود الصدور من رحمها الأول بريدة؟

وإذا كان هناك ثمة استدراك على هذا العرض، فهو هذا السؤال: ما أسباب هذا التباين في الفكر والطرح والعرض في المجتمع البردي؟

والجواب عن ذلك من شقين:

الأول: أنه لا يسوغ تسمية ذلك تباينًا ولا تناقضًا، ولكنه تنوُّعٌ وتكامل تفرضه ضرورات ومسببات.

الثاني: كون (بُرَيْدَة) مدينة تجارية، ذات اتصال قديم مع مجتمعات وبيئات وثقافات متعددة، جعل من اللازم أن يكون هناك تأثيرات من تلك الثقافات، التي تنعكس في مجملها على المجتمع وتعليمه وثقافته.

ويُلخَّص هذا في سليمان بن صالح الدخيل الصحفي النجدي الأول وغيره من أبناء العقيلات، الذين تعلموا في تلك البلدان، وحملوا معهم ثقافة جديدة وآراء تنويرية حديثة.

لذا فإن الحديث عن العلاّمة العبودي، إشارة إلى أنموذج قائم لنماذج علمية شاهدة على التنوير منذ وقت مبكر، وهو ـ كما سيتضح من هذا الكتاب ـ صورة صادقة للمجتمع البردي الحيِّ المنفتح المحافظ، الذي يحمل معه أصالة الفكر والعلم مع روح التسامح والاعتدال.

وقد طاف العبودي العالَمَ من أقصاه إلى أقصاه، في رحلة تجاوزت أربعين عامًا، مع تعدد في العلوم، وتنوُّع في المدارك، وبُعد في النظر والطرح... مُبرزًا أنموذجًا دعويًّا هادئًا، بعيدًا عن كل الملصقات الكاذبة التي يرمى بها المجتمع البردي— نسبة إلى "بريدة".

الفصل الثاني

حياته الشخصية

أحب اسمه من أجله وسميّه ويتبعه في كلِّ أخلاقه قلبي

المبحث الأول : نسبه ومولده وأسرته

المبحث الثاني : العبودي في الكتاتيب

المبحث الثالث : شيوخه

المبحث الرابع : زملاؤه

المبحث الخامس : صفاته

المبحث الأول

نسبه ومولده وأسرته

ينتمي العبودي إلى أُسرة آل سالم المشهورة في (بُرَيْدَة)، وهي أُسرة عريقة قديمة يناهز عمرها في المنطقة أربعمائة سنة، ولهم أملاك موغلة في تاريخ (بُرَيْدَة) ترجع في بعض الأقوال إلى آخر القرن التاسع الهجري، ولهم أملاك قديمة وكيان مميَّز معروف يسمى «جورة السالم» بمعنى حارة السالم، وتقع إلى الغرب من قُبَّة رشيد، وإلى الجنوب من المسجد الجامع الكبير على بعد نحو مائتين وخمسين مترًا[1]، بل كانت لهم ناحية من منطقة (بُرَيْدَة) قبل أن تتخذ صفة مدينة واحدة، حيث كانت مجموعة محلات زراعية، وذلك قبل أن يحكمها آل أبي عليَّان[2].

والدليل على قدمها أنها تفرَّعت إلى أُسر عديدة مقيمة في (بُرَيْدَة)، ثم تفرَّقت في أرجاء المملكة العربية السعودية، وهذه الأُسر هي: «السالم – الغصن – الهلالي – الصليهم – النصَّار – العبودي – الحسن – العبود – الشعلان – العضيب – الذيب»[3].

وهم جميعًا ذرية سالم بن جزاي بن علي بن حدجان آل محفوظ العجمي، وقد برز من هذه الأسرة رجال لهم زعامة ورئاسة في (بُرَيْدَة).

ومنهم: علي بن ناصر السالم الذي ذكره المؤرِّخ ابن بشر في أخبار وقعة اليتيمة سنة ١٢٦٥هـ، وأنه ممَّنْ سأل عنهم أمير (بُرَيْدَة) عبد العزيز بن محمد آل أبي عليَّان، ظانًّا تخلفه عن المعركة هو وسعد التويجري، وهما أكبر أعيانها آنذاك، يدبروا أمرها في غياب أميرها فأعلمه أخوه عبد المحسن أنهما في عداد قتلى الوقعة.

---

(١) انظر: معجم بلاد القصيم ٢/ ٤٨٠.

(٢) انظر: بُرَيْدَة نموها الحضاري ٢/ ٤٩.

(٣) انظر: شجرة آل سالم.

ومن أفراد هذه الأُسرة كُتَّاب وطلبة علم بارزون[1].

أمَّا ولادة الشيخ محمد فقد كانت في ٣٠ ربيع الآخر من سنة ١٣٤٥هـ.

أمَّا والد الشيخ محمد العبودي فهو ناصر بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبود (١٢٩٢- ١٣٧٠هـ)، وكانت أسرة الشيخ إلى عهد قريب يُعرفون بالعبود، ثم أضيفت الياء في عهد جده الأقرب عبد الرحمن.

فقد كان الكثير من وصايا أُسرته وكتاباتهم ووثائقهم باسم العبود، وكان والده ناصر رجلاً شهمًا، يحفظ أخبار الناس وأحاديث العرب وقصص المروءة والشهامة، وكان ذا معرفة بالأُسر والأنساب على الرغم من أنه كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

ويشير الشيخ محمد[2] إلى أن والده التحق بأحد الكَتاتيب[3] آنذاك، إلا أنه لم يرق لـه حال ذلك المعلم، ثم ذهب به والده إلى البادية حيث عدة سنوات مع شمر بينما كان والده مع عقيل في العراق والشام. كما كان ذا عناية بالأدب، أما جده عبد الرحمن فكان شاعرًا عاميًّا، ويعزو الشيخ محمد عناية والده بالاطلاع، ومعرفة الأخبار، والعناية بالعلوم الدينية إلى خال والده عبد الرحمن الشيخ المعروف المُلاَّ عبد المحسن بن محمد السيف. وأُسرة آل سيف أُسرة عِلْميَّة متقدمة، برز منهم طلبة علم وكُتَّاب ومعلمون؛ من أشهرهم: القاضي محمد بن ناصر السيف، والشيخ ناصر بن سليمان السيف[4].

---

(١) ومنها عبد الكريم السالم المقتول في معركة الميدا سنة ١٣٠٨هـ، ومنهم الزاهد الورع جدي لأمي سالم بن محمد السالم مؤذن مسجد السالم ببريدة لأكثرَ من ثلاثين عامًا- رحمه الله.

(٢) في لقاء خاص تم تسجيله معه في (مكَّة المكرَّمة) في رمضان سنة ١٤٢٢هـ.

(٣) الكَتاتيب: جمع كُتَّاب، وهو مكان يتولى فيه أحد الشيوخ إقراء القرآن الكريم لعدد من التلاميذ، ويُعنى أيضًا بتلقين الطالب أوَّليَّات اللغة العربية من قراءة وكتابة ومبادئ الحساب ونحو ذلك. وقد كان أول ظهور الكَتاتيب في العالَم الإسلامي هو نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثاني الهجريين، واستمرَّتْ منذ ذلك الحين تؤدي دورها في محاربة الجهل والأُمِّيَّة حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، فقد بدأ يَحِلّ مَحَلَّها مدارس التعليم الحديث في المملكة. انظر: التعليم في عهد الملك عبد العزيز ص٣٣ وما بعدها.

(٤) انظر: علماء آل سَلَيْم ٢/ ٥١٨.

أمَّا والدته فهي نورة بنت موسى بن عبد الله العضيب، وكانت قارئة للقرآن وللكتب، وهذا من العجب أن تكون الأمة قارئة والأب أُمِّيًّا.

والعضيب كما سبق أحد فروع أُسرة آل سالم الكبيرة[1] وهم من ذُرِّيَّة موسى بن زيد بن مبارك آل سالم، ومنهم: جده موسى بن عبد الله العضيب، وكان خاله عبد الله بن موسى بن عبد الله العضيب[2] هو نائب سوق بريدة الذي يرجع الناس في خصوماتهم ومنازعاتهم إليه وهو من الآمِرِينَ بالمعروف والناهين عن المنكر، وذا رأي وعقل وسداد، ومنهم الوجيه المحسن: موسى بن عبد الله العضيب[3].

أسرته:

ذكرنا آنفًا أن الشيخ محمد العبودي تزوَّجَ مَرَّةً واحدة من ابنة خاله عبد الله بن موسى العضيب، وقد أنجب منها ثلاثة ذكور وخمس بنات وهم:

(١) ناصر: يحمل بكالوريوس هندسة من جامعة القاهرة، ويعمل مهندسًا معماريًا في وزارة الأشغال العامة والإسكان.

(٢) خالد: يحمل بكالوريوس كلية العلوم الإدارية من جامعة الملك سعود، وماجستير من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل في المؤسسة العربية لتنمية القطاع الخاص التابعة للبنك الإسلامي للتنمية.

---

(١) موسى بن عبد الله العضيب (١٢٦٩- ١٣٣٨هـ)، من مواليد (بُرَيْدَة). قرأ على الشيخ سليمان بن محمد بن سيف، وطلب العلم على الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف، والشيخ عبد العزيز بن بشر، والشيخ عبد الله بن سَلِيْم.

(٢) حدثني الشيخ محمد العبودي عن خاله عبد الله بن موسى العضيب أنه غزا مع العم حمود بن مشوح المشوح في اليمن سنة ١٣١٥هـ.

(٣) أحد رجال التربية والتعليم في (بُرَيْدَة)، كان ذا وجاهة وبرٍّ وإحسان، تولى إدارة معهد (بُرَيْدَة) العلمي سنة ١٣٨٨هـ وتوفي في ١٤١٧/٦/٢٣هـ، وكان نائب مدير شركة أسمنت القصيم لسنوات عديدة.

(٣) طارق: يحمل بكالوريوس كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ويعمل في ديوان سمو ولي العهد.

(٤) د. فاطمة: تحمل دكتوراه في الرياضيات، وتعمل عميدة الأقسام العلمية في كلية التربية للبنات ولها مشاركات أدبية وفكرية منشورة.

(٥) د. لطيفة: تحمل دكتوراه في الاقتصاد المنزلي، وتعمل في كلية التربية للبنات.

(٦) شريفة: تحمل ماجستير وتحضر الدكتوراه في الترجمة، لها إسهامات أدبية وقصصية منشورة.

(٧) مريم: بكالوريوس لغة إنجليزية.

(٨) ليلى: بكالوريوس في علم النفس.

(٩) مي: بكالوريوس كلية العلوم.

أما إخوته فهم:

١- الشيخ سليمان بن ناصر العبودي:

وهو سليمان بن ناصر بن عبد الرحمن العبودي، ولد في مدينة بريدة عام ١٣٥٠هـ، تعلم في مدارسها، وأصاب عينيه رمد حاد أضعف بصره واستمر يعاوده.

تلقى العلم على عدد من مشايخ بريده منهم: عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي.

التحق في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٢هـ حيث اجتاز امتحان القبول فيه، والتحق بالسنة الأولى الثانوية، وعندما فتح معهد بريده العلمي عام ١٣٧٣هـ التحق به حتى أكمل دراسته الثانوية، ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض حتى حصل على إتمام الدراسة العالية فيها.

عين فضيلته قاضيًا بمحكمة بريده الكبرى من دون أن يمر بمرحلة ملازم قضائي، وذلك تقديرًا لكفاءته للقضاء ولبث في محكمة بريده قاضيًا مدة خمس سنوات حيث ألح هو نفسه في طلب النقل من محكمة بريده إلى قضاء الأرطاوية في السر في ١٣٩٠/١١/٦هـ ولم يناسبه المقام هناك فتم نقله إلى وزارة المعارف مدرسًا في معهد النور في بريده، لأنه يحمل شهادة في كيفية تعليم المكفوفين، فبقي يدرس فيه إلى عام ١٤١٠هـ، وأحيل إلى التقاعد لبلوغه السن النظامية. وتوفي عام ١٤١٥هـ عن عمر يناهز خمسًا وستين سنة، وفضيلته شاعر مجيد.

٢- الشيخ عبد الكريم بن ناصر العبودي:

وهو طالب علم، عمل في عدد من الوظائف الحكومية حتى تقاعد، كان آخر أعماله ووظائفه مديرًا للامتحانات في كلية العلوم العربية والاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وهو أصغر إخوانه ولادته في عام ١٣٥٦هـ كما أن للشيخ محمد ثلاث أخوات.

* * *

المبحث الثاني

العبودي في الكتاتيب

في هذا الجو العائلي غير البعيد عن الأجواء العلمية نشأ الشيخ محمد، فلم تكن حلَق العلم وأخبار العلماء والقضاة وطلبة العلم جديدة أو غريبة، وكان لوالده الأميّ النابه تأثير في تكوينه المبكر نحو الرغبة في التحصيل، ممَّا دفع والده أن يَزُجّ به لِيِى كُتَّاب، وهو كُتَّاب أو مدرسة الشيخ سليمان بن عبد الله العُمَري، الذي كان له إحدى المدارس الأهلية لتعليم الصغار القرآن والخط والحساب والقراءة، فتعلَّم في هذه المدرسة. وقد كان الشيخ سليمان العُمَري من طلبة العلم، قوي الحافظة، حافظ للقرآن، حسن الصوت، أمّ في عدد من المساجد، وتوفي سنة ١٣٨٨هـ[١]، ويشير العبودي إلى أنه دخل هذا الكُتَّاب وعمره لا يتجاوز خمس سنوات؛ وذلك لسببين:

أولهما: رغبة والده في التعليم المبكر لابنه.

وثانيهما: قرب مدرسة الشيخ سليمان بن عبد الله العُمَري من بيتهم، حيث كان جارًا لهم، وتربطه به صلة مصاهرة وقربى، فلا يحتاج إلى مَن يوصله إلى المدرسة.

وكان ذلك في حدود سنة ١٣٥١هـ، ويحدد العبودي أول حادثة تذكره بهذا الكُتَّاب، وهي وفاة الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلَيْم قاضي (بُرَيْدَة)، -رحمه الله-[٢]، وذلك بعد دخوله الكُتَّاب بشهرين أو ثلاثة.

---

(١) انظر: مساجد بُرَيْدَة القديمة ص٢١٦.

(٢) وُلِدَ الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلَيْم في (بُرَيْدَة) سنة ١٢٨٤هـ ونشأ بها، وقرأ على والده العلاّمة محمد بن عبد الله بن سَلَيْم والشيخ محمد بن عمر بن سَلَيْم، ولي قضاء (بُرَيْدَة) و(البُكَيْرِيَّة) وتوفي بُرَيْدَة سنة ١٣٥١هـ وكان من أجلّ علماء زمانه ديانة وزهدًا وورعًا، شديد التمسك بالسُّنَّة متأسيًا بسلف الأمة. انظر علماء نجد ٤/ ٤٦١ وعلماء آل سَلَيْم ١/ ٦٤ وتذكرة أولي النهى والعرفان ٣/ ٢٨٢ وتسهيل السابلة ٣/ ١٨٠٠.

ويصف العبودي تلك الكَتاتيب وطريقتها قائلاً: «الكُتّاب» يَعتمد على «المطوِّع» الذي هو الأستاذ، وهو فريد فلا يوجد عدة أساتذة، وإنما يساعده كبار الطلبة الذين يَعهد إليهم بتدريس صغارهم.

وبطبيعة الحال الطلبة لا يَنصاعون إلى طالب منهم، ولو كان كبيرًا؛ لذلك يكثر اللغط والفوضى، ولكن في ذلك الوقت لا يوجد أفضل من هذه الطريقة.

ثم يواصل العبودي قائلاً: وفي سنة ١٣٥٦هـ فُتحت مدرسة (كُتّاب) متميِّز في (بُرَيْدَة) فتحها الشيخ محمد بن صالح الوهيبي(١)، وأتى بطريقة جديدة في التدريس، وهي جميلة جدًّا، وأذكر أن مِن بين الأشياء التي كان يقولها لنا: «باء يمين» مثل: بسم الله؛ يعني: الباء التي تأتي من جهة اليمين. وهناك باء ثانية تُسَمَّى «باء يسار» مثل: الباء في آخر كلمة باب، و«باء وسط» مثل: الباء الأولى في كلمة الباب... وهكذا.

وقد كانت الطريقة السابقة المعروفة ألف باء تاء ثاء... إلخ.

---

(١) هو الشيخ الصالح محمد بن صالح الوهيبي (١٣٢٦- ١٤١٣هـ)، وُلِدَ في (بُرَيْدَة)، ورحل إلى أخواله في الكويت، وتعلم في المدارس الأميرية، وافتتح مدرسة خاصة في الكويت، ثم عاد إلى (بُرَيْدَة) فعيَّنه الشيخ عمر بن سَلَيْم قاضي (بُرَيْدَة) وإمامًا وخطيبًا في جامع الصباخ، وتخرج على يديه مئات من الطلاب، وعمل في التدريس، ثم مديرًا لمدرسة القدس حتى تقاعد.
وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٣هـ جلس ـ رحمه الله ـ كعادته منذ أكثر من خمسين عامًا بعد صلاة الفجر في المسجد للذكر والقراءة، ثم صلى ركعتين وخرج إلى بيته فسقط عند باب بيته، فحمل إلى المستشفى وبقي في غيبوبة لمدة يومين، ثم انتقل إلى رحمة الله في ١٤١٣/٤/١٤هـ.
وقد كنت أحضر للسلام عليه، والاستماع إلى ذكرياته مع صهره زوج ابنته الشيخ محمد بن صالح المنصور رحمه الله، وذلك عصرًا من كل أسبوع، فكان أنموذجًا في خلقه وأدبه وحسن معاملته ورجاحة عقله رحم الله الجميع.

وقد الْتَحَقْتُ عنده مع أخي الشيخ سليمان، وهو يَصغرني بخمس سنوات.

ثم بعد ذلك انتقل إلى المدرسة الحكومية التي فتحت آنذاك في (بُرَيْدَة) سنة ١٣٥٦هـ، وكانت واحدة من تسع مدارس اقترحها الشيخ طاهر الدَّبَّاغ بأمر الملك عبد العزيز، -رحمه الله-، فأمر بها سنة ١٣٥٥هـ، وفتحت هذه المدارس سنة ١٣٥٦هـ في كل من: وبُرَيْدَة، وعُنَيْزَة.

وقد فتحت جميعها عدا مدرستي (الرياض) و(شَقْراء) فتأخرتا.

أمَّا (بُرَيْدَة) فأُسندت إدارة مدرستها إلى الأستاذ موسى عَطَّار[1]. إلا أن مجيئه قوبل بفتور وعدم تشجيع من الأهالي، وقد تعثرت الدراسة مدة بقائه في الإدارة على نشاطه، كما يقول العُمَري[2]. وبعده الشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم[3].

---

(١) موسى عَطَّار: تربوي متعلم نشيط من أهل (مكَّة المكرَّمة) أثنى عليه الشيخ صالح العُمَري بقوله: «إنه لو وجد التشجيع لصار للمدرسة شأن آخر» صاحب همة ونشاط يعدُّ من روَّاد التعليم في المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: التعليم في القصيم.

(٣) الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز السَلَيْم (١٣٣٢- ١٤١٧هـ)، مولده في (بُرَيْدَة) ووفاته مستشفيًا في (الرياض). تعلَّم القراءة والكتابة والحساب والخط في كُتَّاب والده الشيخ إبراهيم، ثم طلب العلم على عدد من مشايخ (بُرَيْدَة) ومن أبرزهم: الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبَّادي.

وخَلَفَ الشيخ عبد الله والده في كُتَّابه، وتنقَّل ــ رحمه الله ــ في الوظائف التعليمية، وقد ارتبط اسم هذا الشيخ بالتعليم الحكومي النظامي، الذي كان مرفوضًا من العامة، ارتباطًا وثيقًا. وقد حكى الشيخ عبد الله شيئًا كثيرًا من معاناته مع الناس وتغيرهم عليه بعد قبوله للتعليم النظامي، حتى بلغ الأمر ببعض الباعة ألاَّ يبيعه من متجره! وقد عُيِّن ــ رحمه الله ــ مديرًا لمدرسة بُرَيْدَة (المدرسة السعودية التحضيرية) سنة ١٣٥٧هـ، ثم مديرًا لمدرسة الرياض الأهلية (المدرسة التذكارية) سنة ١٣٦٧هـ، ومعتمدًا للمعارف في نجد خلال الفترة من عام ١٣٦٧هـ إلى عام ١٣٦٩هـ، ثم عاد إلى (بُرَيْدَة) مديرًا لمعهد المعلمين من عام ١٣٧٥هـ إلى أن أُحيل إلى التقاعد عام ١٣٩٧هـ. وقد أَلَّف الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سَلَيْم عددًا من الكتب، وبخاصة في علم الفَلَك الذي برع فيه، وله كتاب «من واقع الحياة» لم يُطبع، ويحكي به شيئًا من تجارب الحياة التي مرَّت به وبعصره. انظر «الشيخ عبد الله السَّلَيْم: حياته وجهوده في العلم والتعليم».

وبعد إلحاح من الأهالي بقفل المدرسة، شأنهم في ذلك شأن بقية نواحي نجد التي فتحت فيها مدارس، وبعدما تبيَّن للملك عبد العزيز أن هدف المعارضين الخوف على عقائد أبنائهم، أمر -رحمه الله- الشيخ عمر بن محمد بن سَليْم أن يختار مديرًا للمدرسة ومعلمين من تلامذته، فاختار الشيخ عمر -رحمه الله- المربي الكبير الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سَليْم مديرًا للمدرسة، الذي كان لديه مدرسة خاصة «كُتَّابًا» على مستوى متقدم عن غيرها خاصة في القرآن والحساب والإملاء، فضُمَّت إلى المدرسة السعودية التي أقبل عليها أبناء البلد لثقتهم واطمئنانهم إلى وضعها الحاضر، فقد كانت تصطفي نخبة من المعلمين المعروفين؛ مثل: الشيخ صالح العُمَري[1]، والشيخ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن[2]، والشيخ محمد بن سليمان السليم -رحمه الله-[3]، والشيخ إبراهيم بن سليمان العُمَري[4]، والشيخ عبد الله الشلاش العبد الله، والشيخ محمد السليمان الخضر[5]، والشيخ

---

(١) تسلم الشيخ صالح العُمَري إدارة مدرسة (بُرَيْدَة) بعد أن انتقل مديرها الشيخ عبد الله السَّلَيْم إلى (الرياض) عام ١٣٦٧هـ، لافتتاح أول مدرسة نظامية عامة في (الرياض). وتُبيِّن الأوراق الرسمية أن التعيين للشيخ صالح العُمَري عُدَّ من غرة المحرم عام ١٣٦٨هـ. انظر: التعليم في القصيم للعمري.

(٢) ولد في بُرَيْدَة عام ١٣٣٧هـ، وتربى في بيت آل سَلَيْم فأفاد ممَّا فيه من علم وورع، ونشأ نشأة صالحة على الرغم من وفاة والده وهو صغير، تعلم القرآن والقراءة والكتابة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ والنحو، وبرع في علوم الدين، كالحديث والتفسير والفقه والفرائض، إلا أنه لم يكن ممَّنْ يتطلع إلى المناصب، امتاز بقراءة القرآن وتعليمه، ويبدو أن ذلك من الأسباب التي دعت القائمين على التعليم لإلزامه بالتعليم، فقد كان من أقدم المدرسين في مدرسة (بُرَيْدَة)، فرفع إلى مساعد لإدارة المدرسة المنصورية، فمديرًا لها إلى أن توفي -رحمه الله- عام ١٣٩٥هـ. انظر: علماء آل سَلَيْم ٢/ ٤٤٤ والتعليم في القصيم، ص .

(٣) ولد في بُرَيْدَة عام ١٣٣٧هـ، وتربى في بيت آل سَلَيْم فأفاد ممَّا فيه من علم وورع، ونشأ نشأة صالحة على الرغم من وفاة والده وهو صغير، تعلم القرآن والقراءة والكتابة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ والنحو، وبرع في علوم الدين، كالحديث والتفسير والفقه والفرائض، إلا أنه لم يكن ممَّنْ يتطلع إلى المناصب، امتاز بقراءة القرآن وتعليمه، ويبدو أن ذلك من الأسباب التي دعت القائمين على التعليم لإلزامه بالتعليم، فقد كان من أقدم المدرسين في مدرسة (بُرَيْدَة)، فرفع إلى مساعد لإدارة المدرسة المنصورية، فمديرًا لها إلى أن توفي -رحمه الله- عام ١٣٩٥هـ. انظر: علماء آل سَلَيْم ٢/ ٤٤٤ والتعليم في القصيم، ص .

(٤) تربوي وتعليمي معروف من أوائل الملتحقين فيه، له إسهامات مبكرة ونشاط متقدم مع أخيه الشيخ صالح بن سليمان العمري.

(٥) سافر إلى والده وهو صغير فالتحق بمدرسة الشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم وأجاد الخط والحساب وكان قارئ مسجد الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سليم لحسن صوته وجماله، وعين قارئًا خاصًّا للأمير عبد الله

ناصر السليمان العُمَري[1]، والشيخ علي بن صالح النقيدان[2].

وكان العبودي ضمن تلك أفواج الطلاب التي التحقت بها.

* * *

بن فيصل ثم مديرًا لمدرسة طارق بن زياد ببريدة واستمر حتى تقاعد، توفي رحمه الله سنة ١٤٠٦هـ.

(١) كاتب معروف له مساهمات أدبية وثقافية من أوائل الملتحقين في سلك التعليم، ومن أوائل كتاب جريدة القصيم، له كتاب "ملامح عربية"، يتضمن قصصًا وأحداثًا مهمة عن تاريخ القصيم ورجالاته.

(٢) الشيخ علي بن صالح النقيدان: تولى إدارة مدرسة المريدسية، ثم مدرسة الوسيطي، ثم مدرسًا بالمعهد العلمي في الحرم المكي الشريف.

المبحث الثالث

شيوخه

(١) **الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس**(١):

لقد عاش العبودي في وسط وفي مجتمع علمي مزدهر ينبض بقوة، وكانت الأجواء الدينية والشرعية تطوّقه: المساجد، والحِلَق العلمية، والكتب... كانت محاضن أولية عاش فيها، تعج بطلبة العلم والدارسين.

فتلقى عن شيوخه، وأخذ عن أساتذته، وتفتحت مداركه وتفجَّرت مواهبه مبكرًا.

فما الحداثة من حِلمٍ بمانعةٍ قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وعاش كغيره مرحلة تدرَّج في تعليمه بدءًا من الكَتاتيب، وشيوخه في ذلك من سبق ذكرهم.

حتى بلغ سنًّا مناسبة للزج به في أحضان حِلَق العلم، التي وَجَدَتْ في هذا الفتى الصغير نبوغًا وبروزًا يجدر العناية به.

---

(١) هو الشيخ صالح بن إبراهيم بن سالم بن كريديس (١٢٩٢- ١٣٥٩هـ)، مولده في (بُرَيْدَة) أو (البُكَيْرِيَّة) ووفاته في (بُرَيْدَة). أخذ العلم عن الشيخين محمد بن عبد الله بن حمد بن سَلِيْم، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز بن سَلِيْم، وغيرهما. وتولى ـ رحمه الله ـ الإمامة والتدريس في مسجد عبد الرحمن بن شريدة في (بُرَيْدَة) أكثر من عشرين عامًا .
تلمذ له عدد كبير، منهم الشيخ صالح الخريصي، والشيخ صالح السكيتي، والشيخ محمد العبودي، والشيخ إبراهيم الحبيبي، وسليمان الناصر الوشمي.
كان ذا قراءة جيدة، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، متقنًا للقرآن، قلت وقد برز من أسرته عدد من طلبة العلم والعلماء؛ منهم: الشيخ محمد بن سالم الكريديس، تولى قضاء المذنب، وصار خطيبًا وواعظًا فيها، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن سالم الكريديس، جلس للتدريس في البكيرية، وتوفي سنة ١٤٠٢هـ، ومن تلامذته الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، وعدد كبير من طلبة العلم والعلماء في البكيرية.
أما الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس فكانت وفاته سنة ١٣٦٠هـ.

لذا لم يكن غريبًا أن يُطلق شيخه الأول الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس التنبيه الأول على هذا الغلام الحدث، الذي لم يتجاوز عمره آنذاك أربعة عشر عامًا.

فقد سأله الأب ناصر العبودي قائلاً: ما رأيك في محمد في القراءة؟

فأجاب الشيخ صالح: «والله محمد يفيدنا».

قد نتفق أن هذا الغلام لم يكن لديه تلك الفوائد المهمة، التي من الممكن أن يعنيها الشيخ ابن كريديس من محمد العبودي الصغير، إلا أن فواتح النبوغ ودلائل الألمعية كانت قد بَدَتْ آياتها، وظهرت علاماتها في محيًّا هذا الغلام النابه.

ويعلّق الشيخ محمد العبودي على ذلك الموقف قائلاً: «بطبيعة الحال أنا لا أفيده، ولكنني كنت أقرأ عليه من كتاب؛ فهو إنما يعبر عن تواضعه بأنني إذا قرأت استفاد ممَّا أقرؤه».

ويشير العبودي إلى أن تلك القراءة كانت مبكّرة، فقد توفي الشيخ صالح سنة ١٣٥٩هـ، -رحمه الله-، فانقطعت القراءة عليه.

وهو يثني على الشيخ صالح بن كريديس، ويقول: إنه من العلماء الأفاضل المتبحرين، ولو كان يوجد وظائف قضاء كثيرة في ذلك الوقت؛ لكان على رأس إحدى تلك الوظائف. وهذه ترجمته(١):

٢- الشيخ عمر بن محمد بن سَلَيم(٢):

أحد أعلام هذا القرن ملأ اسمه الآذان، وقلَّ أن يوجد أحد إلا وسمع به، علاّمة القصيم ومرجعها الأول في زمنه.

---

(١) أخبرني الشيخ العبودي أنه وضع ترجمة خاصة للشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس وأُسرته في كتابه: معجم أُسر القصيم.

(٢) انظر آل سليم العمري ٩٨/١، وتسهيل السابلة ١٨١٩/٣، وعلماء نجد ٣٢٩/٥، وروضة الناظرين ٥٣/٢، وتذكرة أولي النهى ١٤٨/٤، ومشاهير علماء نجد ص٣٥٧.

كان رابع أُسرة آل سَلَيْم العلمية المشهورة، الذين تعاقبوا على قضاء (بُرَيْدَة)، وهم:

١- الشيخ محمد بن عبد الله بن سَلَيْم[١].

٢- الشيخ محمد بن عمر بن سَلَيْم[٢].

٣- الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلَيْم[٣].

فضلاً عن عشرات من طلبة العلم وأئمة المساجد من هذه الأُسرة المباركة، إلا أنه- بحق- أشهرهم على الإطلاق.

وصل الشيخ عمر ببُرَيْدَة إلى قمَّة توهجها العلمي، فقد التف عليه مئات من طلبة العلم، ليس من القصيم فحسب، بل حتى من أطراف المملكة العربية السعودية ونواحيها.

وُلِدَ هذا العالم الجليل في (بُرَيْدَة) في ١٥ رجب سنة ١٢٩٩هـ، وتربَّى في أحضان والديه، ولازم والده العلاَّمة محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وكان يحضر مجالس القضاء والتدريس، وحظي بقبول مبكر، فكان الملك عبد العزيز يدعو الشيخ عمر مع العلماء، على الرغم من صغر سنه، فلم يبلغ الثلاثين وقتها، وقد جعل الله في تعليمه بَرَكَة مع قبول وإقبال وهيبة عظيمة لم تمنح إلا لنفر من العلماء الأوائل.

تولى قضاء (بُرَيْدَة) بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلَيْم سنة ١٣٥١هـ.

---

(١) انظر علماء آل سليم ٢٠/١، علماء نجد ١٥٠/٦ وروضة الناظرين ٢٤٢/٢ وتسهيل السابلة ١٧٤٢/٣.

(٢) انظر علماء نجد للقاضي ٣٤٠/٦ وتسهيل السابلة ١٧٢٦/٣ وعلماء آل سليم ٥٣/١ وروضة الناظرين ٢٣٨/٢.

(٣) انظر روضة الناظرين ٣٨٩/١ وعلماء نجد ٤٦١/٤ وعلماء آل سليم ٦٤/١ وتسهيل السابلة ١٨٠٠/٣ وتذكرة أولي النهى ٢٧٣/٣.

ابتدأ في التدريس بعد وفاة أبيه مباشرة وهو في السابعة والعشرين من عمره، ورزقه الله محبة وقبولاً قلَّ أن يوجد لها نظير، وعاش في حُلَّة سلفية نقيَّة، وقد وهبه الله مهابة وإجلالاً من الناس قاطبة مع ما كان يتحلّى به من زهد وورع وعبادة وتقوى.

يصفه البَسَّام ويقول: «كان إلى علمه الواسع، ونفعه المتعدي إلى العباد، أوقاته في غير الدروس معمورة بالتلاوة والذِّكر والصلاة، فلا يمل من ذلك ولا يفتر، وقد أعطاه الله رغبة في ذلك وجلدًا عليه، وكان يتابع بين الحج والعمرة، في تلك المشاق والأسفار الطويلة والطرق البعيدة الشاقة.

وإلى ذلك كان من الكرماء الأجواد، الذين بيوتهم عامرة بالحاشية والأتباع، وخاصة بالضيوف والزائرين بنَفْس طَيِّبة وخُلُق كريم»(١).

ويقول العبودي عنه: «كان الشيخ -رحمه الله- شخصية فذة عظيمة، حتى إنني أذكر أنه إذا مرَّ مع السوق تسارع الناس لرؤيته»(٢).

وعاش -رحمه الله- في جمع فريد ومزيج خالص، بين العلم الغزير والجاه العريض، والزعامة الشعبية والمحبة القلبية والذِّكر البعيد الطيب، حتى بلغت حلقاته مشهدًا لم تجتمع لعالِم قبله في نجد، ووصلوا إلى نحو خمسمئة طالب.

يقول العُمَري: «مرَّت أوقات في المملكة وأكثر قضاتها من تلامذة الشيخ عمر بن سَلَيْم وعدَّهم. بل إن الملك عبد العزيز قلَّ أن يُعيِّن قاضيًا أو إمامًا إلا ويطلب من الشيخ عمر ملأه بأحد تلامذته»(٣).

لقبه الشيخ عبد الله بن بليهد بـ «إمام العلماء»، ويقدمه للإمامة وهو أسن منه. وكان بحق أهلاً لتلك المكانة العالية.

---

(١) علماء نجد ٥/ ٣٣٠.

(٢) أشار العبودي في لقاء خاص أنه ذكر ترجمة مفصلة كاملة، لم يذكر لها مثيل في تفاصيلها عن الشيخ عمر بن سَلَيْم، وأُسرته آل سَلَيْم.

(٣) علماء آل سَلَيْم ١/ ١٠٠.

التحق العلاّمة العبودي بحلقات الشيخ عمر بن سَلَيْم، -رحمه الله-، وجلس للطلب، ولكن ذلك كان في أواخر أيامه، فقد انتقل الشيخ عمر إلى رحمة الله سنة ١٣٦٢هـ، ولكن الشيخ أدرك القراءة عليه في عدد من الكتب والعلوم، وخاصة في التفسير والحديث والفقه وغيرها.

٣- الشيخ صالح بن أحمد الخريصي(١):

هو الشيخ صالح بن أحمد بن عبد الله الخريصي (١٣٢٨- ١٤١٥هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). حفظ القرآن الكريم وجوَّده على يد الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس، وطلب العلم على عدد من المشايخ؛ منهم: الشيخ محمد بن عبد الله بن حسين آل (أبو الخيل)، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبَّادي، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم ولازمه كثيرًا واستفاد منه.

تولى في السادسة والعشرين من عمره إمامة أحد أكبر مساجد (بُرَيْدَة) والتدريس فيه، وذلك سنة ١٣٥٣هـ. ثم تنقل في وظائف القضاء حتى استقرَّ رئيسًا لمحاكم القصيم، إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة ١٤٠٧هـ، إلى جانب قيامه بالتدريس، فتخرَّج عليه عدد كبير من العلماء.

وقد قرأ عليه الشيخ محمد العبودي في عدد من العلوم، كالتفسير والفقه والحديث، وقد أثنى الشيخ كثيرًا على الخريصي، خصوصًا ما منحه الله إياه من عبادة وزهد وتقوى.

٤- الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي(٢):

هو الشيخ صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم السكيتي (نحو ١٣٣١- ١٤٠٤هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). نشأ نشأة صالحة، وتعلَّم مبادئ القراءة

---

(١) انظر علماء نجد ٢/٤٣٧.

(٢) انظر علماء نجد ٢/٤٧٨.

والكتابة بكُتّاب الشيخ سليمان بن عبد الله العُمَري، ثم أخذ العلم عن الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس، والشيخ عبد العزيز العَبّادي، ثم أخذ عن مشايخ آل سَلِيْم: الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلِيْم، وأخيه عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلِيْم، وأكثر الأخذ عنه، وغيرهما كما أخذ قليلاً عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وأخيه الشيخ عبد اللطيف.

وقد عيَّنه شيخه الشيخ عمر بن سَلِيْم إمامًا ومدرسًا بمسجد الأمير عبد العزيز بن مساعد في شمال (بُرَيْدَة) سنة ١٣٥٥هـ، فاستمرَّ فيه حتى وفاته، –رحمه الله–، فأمَّ في هذا المسجد نحو خمسين سنة. وتولى القضاء في (المِذْنَب) بضع سنوات، ثم نُقل للتدريس في المعهد العلمي في (بُرَيْدَة)، واستمرَّ فيه إلى أن أُحيل إلى التقاعد.

وقد قرأ عليه الشيخ محمد العبودي فترة ليست طويلة في عدد من الكتب.

٥- الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد(١):

لم يكن هول الصدمة التي تلقتها (بُرَيْدَة) والعلماء وطلبة العلم فيها سهلاً في فقدهم قطب القصيم وقلبه إمام العلماء الشيخ عمر بن سَلِيْم، –رحمه الله–.

لذا سارع الوجهاء والعلماء والأعيان إلى الملك عبد العزيز، –رحمه الله–، ليطلبوا منه إرسال أحد العلماء المعروفين الكبار، ليخلف حِلَق العلم والتدريس التي كانت تقدر بمئات الطلاّب.

وبالفعل كان اختيارًا مناسبًا يليق بحاجة أولئك وبمكانة البلد، وهو إرسال الفقيه الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، –رحمه الله–، الذي يُعدُّ بحق مجددًا للنهضة العلمية في القصيم كما سيأتي بيانه.

يصف العبودي شيخه ابن حُمَيْد ويقول: «كانت القراءة على الشيخ عبد الله بن حُمَيْد فتحًا عظيمًا لي من الله سبحانه وتعالى، فقد كانت له طريقة

(١) انظر علماء نجد ٤/٤٣١، وروضة الناظرين ٢/٥٥.

خاصة في التعليم مغايرة للطريقة التي يعرفها الناس سابقًا، وهي طريقة «الإمرار». والإمرار أن يُمَرَّ الكتابُ أي: أن يستمر، ويبدأ الإمرار بكلمة (سم)، وينتهي بكلمة (بَرَكَة). وكلمة (بَرَكَة) يقولها الشيخ إذا استمر طالب العلم يقرأ عليه وأراد أن يوقفه قال له: «بَرَكَة» أي: قف.

وقد قدم الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله- إلى (بُرَيْدَة) أول الأمر مدرسًا، وليس قاضيًا، واستمر ثلاثة أشهر ونَيِّفًا، ثم ذهب إلى (الرياض) وعاد مرَّة ثانية قاضيًا ومدرسًا.

وكان يناقش الطلاَّب ويشرح لهم ما أشكل عليهم، ويسألهم في المسائل العلمية، بل لقد استطاع أن يُقدِّم مقرَّرات لطلبة العلم شهرية خاصة، كان ينالني ـ والكلام للعبودي ـ منها اثنا عشر ريالاً، وأعلى شخص كان يأخذ ثمانية عشر ريالاً، وهما اثنان فقط، ثم ينزلون إلى نحو ريالين.

واختصني الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله- وجعلني قَيِّمًا على المكتبة، هكذا أي بمعنى: «أمين مكتبة»، فكنت أهيّئ الكتب، وأحضر المراجع المتعلقة بالدرس، وكانت طريقة إحضار الكتب والمراجع في الدرس، والبحث في المسائل المشكلة جديدة على لبعض الناس.

لذا كانت طريقة الشيخ ابن حُمَيْد ومنهجه مع طلبة العلم وسيلة جذب مهمة، أعجبت الطلاَّب، وجعلت الدروس أكثر عمقًا وجدية وفهمًا وتحصيلاً.

وفتح -رحمه الله- آفاقًا رحبة للنقاش والحوار والمساءلة، ممَّا جعل الطالب يخرج بنتيجة مقنعة في المسائل المطروحة.

إضافة إلى دور الشيخ ابن حُمَيْد في المجال القضائي، فقد أوجد تنظيمًا جديدًا للقضاء، وبهر الناس بذكائه الخارق، وذاكرته العجيبة، التي قطعت الطريق على كثير من ذوي النفوس المريضة.

فضلاً عن عنايته بالتعليم عمومًا، وبحِلَق العلم خصوصًا، فقد كان الشيخ من أوائل من قام بالتدريس بالمعهد العلمي ببُرَيْدَة، إيمانًا منه برسالة التعليم المهمة، وتشجيعًا لتلميذه مدير المعهد الشيخ محمد العبودي.

والشيخ ابن حُمَيْد هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حُمَيْد (١٣٢٩- ١٤٠٢هـ)، وُلِدَ في معكال، أحد ضواحي مدينة (الرياض)، وتوفي في (الطائف)، ودُفِنَ بمكّة. وقد كفَّ بَصَرُه في طفولته، فحفظ القرآن الكريم ومتون العلم، ثم تلقى العلم على الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عَتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ولازمه ملازمة تامَّة وتخرَّج على يديه.

تنقّل -رحمه الله- بين عدد من المواقع القضائية، حتى عُيِّنَ رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، ورئيسًا لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالَم الإسلامي. وكانت له اليد الطُّولى في الإفتاء ونشر العلم والدعوة، حتى صار مرجعًا للمسلمين في كل مكان، مع ما منحه الله من الريادة ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة. واكتفى -رحمه الله- في مشاركاته بالتأليف بالرسائل والردود والمقالات الصغيرة[1].

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف[2] -رحمه الله-:

وهو سماحة الشيخ العلاّمة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب (١٣١١- ١٣٨٩هـ)، مولده ووفاته في مدينة (الرياض). دَخَلَ كُتَّاب المقرئ عبد الرحمن ابن مُفيريج، فقرأ القرآن ثم حفظه، وتلقى العلم على يد والده، وفي السنة الرابعة عشرة من عمره، فَقَدَ بَصره.

وهو مُفتي البلاد السعودية في وقته ورئيس قضاتها، وتولّى عددًا من المناصب، وتخرَّج على يديه جَمْعٌ كبير من العلماء. من مصنَّفاته: «الجواب المستقيم»، ورسالة «تحكيم القوانين»، إلى جانب الفتاوى. وقد أفردت كتب لترجمته، -رحمه الله-.

---

(١) لمزيد من ترجمة الشيخ عبد الله بن حميد انظر علماء نجد ٤/٤٣١.
(٢) انظر علماء نجد ١/٢٤٢.

المبحث الرابع

زملاؤه

يرى العلاّمة العبودي أن مصطلح الزمالة متباين ومختلف، يمرُّ بعدة مراحل؛ فهناك زملاء طفولة، وهؤلاء ـــ كما يرى الشيخ ـــ لا ينبغي ذكرهم؛ لأن المرء في تلك السن لا يعني شيئًا، لذا فذكرهم قد لا يجد المرء منه كبير فائدة.

أمَّا الزملاء الذين يجدر ذكرهم ويحسن التنويه بهم، فهم زملاء الطلب والمدارسة والتعليم، وهم ـــ في الغالب ـــ يحمل المرء معهم ذكريات جميلة في أعز مراحل عمره، وأغلى ساعات حياته.

ومن أبرز من يتذكرهم العلاّمة العبودي في مراحل الطلب:

١- الأستاذ: علي بن عبد الله الحصيِّن:

وهو من مواليد بريدة سنة ١٣٥٠هـ، درس المبادئ على الشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم، ثم عُيِّنَ مدرسًا بالمدرسة الفيصلية، ولازم الشيخ عبد الله بن حميد، -رحمه الله-، وتخرج في كلية الشريعة، وعمل مديرًا للتعليم بالنيابة، ومديرًا لشركة الكهرباء، كان-رحمه الله-شخصية اجتماعية وثقافية عالية، وهو أديب وكاتب مجيد، تعرض لحادث مروري وتوفي سنة ١٣٨٢هـ، وهو من أخص رفقائه، وأعز أصدقائه.

٢- الشيخ سلطان بن سليمان بن سلطان العرفج:

ولد-رحمه الله-سنة ١٣٤٧هـ ببريدة، وطلب العلم على الشيخ عبد الله بن حميد، -رحمه الله-، وتخرج في كلية الشريعة، وعمل في التعليم بالخرج والأحساء، وكان له جهود في افتتاح عدد من المدارس بمنطقة القصيم. توفي -رحمه الله- في ١٤١٣/٧/١هـ.

٣- الشيخ فهد بن عبد العزيز السعيد:

ولد في بريدة سنة ١٣٣٧هـ، تعلم على علماء عصره حتى أدرك علومًا، وأسندت إليه إدارة مدرسة رياض في الخبراء عند افتتاحها سنة ١٣٦٨هـ، ولزم الإمامة هناك. كان ذا عناية بالكتب واقتنائها ونشرها، وارتبط بصداقة مع رفيقه الشيخ صالح العمري، -رحمه الله-.

٤- الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلَيم:

ولد في بريدة سنة ١٣٣٩هـ، وطلب العلم على والده وعمه الشيخ عمر بن سليم والشيخ عبد الله بن حميد، جلس للتدريس في مسجده الذي يؤم فيه، توفي سنة ١٣٦٧هـ.

٥- الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح:

وُلِدَ في (بُرَيْدَة) عام ١٣٣١هـ، دخل في السابعة من عمره كُتَّاب الشيخ صالح بن محمد الصَّقْعَبي، وتعلَّمَ فيه القراءة والكتابة وقراءة القرآن، ثم انتقل إلى كُتَّاب الشيخ عبد العزيز بن صالح بن فَرَج، فحفظ القرآن فيه وهو دون الرابعة عشرة من عمره، وتلمذ لعدد من المشايخ، من أبرزهم: الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخوه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، ولازمه وانتفع منه، وبخاصة في الفرائض، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبَّادي. وتدرَّج في سلك القضاء إلى أن وصل إلى منصب مساعد رئيس محاكم القصيم، فعمل في القضاء عشرين سنة، كما باشر الإمامة في المسجد والتدريس فيه أكثر من خمسين سنة. وله عدد من المؤلَّفات في نظم كتب العلم وشرحها، ومن أبرزها: «عقد الدراري في كوكب الساري» وهي منظومة شعرية جمع فيها عقيدة أهل السُّنة والجماعة، و«شرح أسماء الله الحُسنى» وهو شرح منظوم في ألف وثلاثمئة وأربعة وأربعين بيتًا.

٦- الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي:

تلقى العلم على علماء آل سليم ولازمه الشيخ عبد الله بن حميد-رحمه الله- عند قدومه، وكان طالب علم مميز، تقلد عددًا من المسؤوليات في الإشراف الديني في المسجد الحرام، توفي في حادث مروري، -رحمه الله-.

٧- الأستاذ صالح بن عبد الله المضيان:

ولد في بريدة، وتعلم على المشايخ فيها، مُحبٌّ للأدب والعلم، وله قصائد جميلة، ومراسلات لطيفة مع الشيخ محمد العبودي أيام الطلب، وانقطع عن الشعر أخيرًا، مقيم الآن في مدينة الدمام، ويعمل في القطاع الخاص.

٨- الشيخ علي بن سالم السالم:

هو الشيخ علي بن سالم المحمد السالم، ولد في بريدة سنة ١٣٤٠هـ، طلب العلم على العلماء آنذاك، ورُشِّحَ للقضاء وتولاه، حتى أسند إليه مساعد رئيس محاكم القصيم، وله دروس مقامة في مسجده حتى توفي-رحمه الله-سنة ١٣٩٧هـ.

٩- الشيخ علي بن راشد الرقيبة:

عمل في التجارة، وأحب العلم ورافق العلماء، وعُرف برجاحة عقله، وسداد رأيه ووجاهته، وهو من آل سبهين.

١٠- علي بن عبد العزيز العجاجي:

ولد -رحمه الله-سنة ١٣٢٨هـ، وقرأ على الشيخ عمر بن سليم وشقيقه الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي، حافظ للقرآن، محب للعلم، ملازم للشيخ عمر بن سليم، تولّى رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الشيخ عمر، ثم مديرًا لدار التربية الاجتماعية، توفي سنة ١٣٨٣هـ، -رحمه الله-.

١١- عودة بن عبد الله السعوي:

أحد طلبة العلم المعروفين، والده الشيخ عبد الله بن عودة السعوي، تولّى القضاء في عدة أماكن من المملكة، وهو شقيق معالي الشيخ محمد بن عودة، وقد عمل الشيخ عودة في المعهد العلمي مدة وجيزة، ثم تفرغ لأعماله الخاصة.

١٢- عبد العزيز بن عبد الرحمن العودة:

طلب العلم على المشايخ، ثم التحق بالعمل في المعهد العلمي مراقبًا، وهو حفيد مطوع اللسيب المعروف بقصصه وحكاياته ومواقفه الطريفة.

١٣- الشيخ صالح بن إبراهيم الرسيني:

ولد-رحمه الله-سنة ١٣٣١هـ في بريدة، وطلب العلم على العلماء فيها، وتولّى إمامة مسجد ابن سيف، وعمل بالتجارة مع طلبة العلم، وكان ذا سماحة وخلق، توفي سنة ١٣٦٦هـ.

* * *

المبحث الخامس

صـــفاته

(١) الجدِّيـة:

لقد كان أول مستحضر للعلاَّمة العبودي هو مجالسته ومدارسته لأخبار العلماء والفضلاء والأدباء، فضلاً عن حلَق العلم ومجالس الذكر التي فجَّرت ينابيع النبوغ لديه، ومَهَّدَت الطريق لانطلاقة علْمية ماضية، فكانت همته مبكرة، وطموحاته عالية، وأمانيه عريضة:

ومـــا للمـــرء خـــير في حيـــاة ... إذا ما عُـــدَّ مـــن سَـــقْط المَتـــاع

لقد كانت الجديَّة في الحياة والحرص على الوقت واستغلال ساعاته، أجلى صفات العلاَّمة العبودي الذي تنقل في محطات العظماء من: تعليم، ومطالعة كتب، وإدارة، ودعوة، وما تبعها من مسؤوليات.

إن شيوع مثل هذه النماذج في الأمَّة يُعدُّ- بلا شك- أمارة بُرْء وصحَّة، وأنها ما زالت في قدرة على إنجاب الرواد النوابغ، تغذوهم رائق النبغ، وترأمهم بأفيائها في أكناف حياةٍ مواتية مجدًا وعزةً، وأخذًا بأسباب التكوُّن والنشأة، لتمتد من بعد إلى مواطن الإبداع والتأصيل.

(٢) الهمَّة:

إن علو الهمَّة من أعلى مقامات الريادة، وسُلَّم الوصول إلى كل الأصول، وعندما أدرك العلاَّمة العبودي هذا الأصل المهم، انبرى نحو الحياة يخوض الزمان ممارسة ويعرك الزمان تجاريب، فتنقل في عدة مواطن فما ضنَّ ولا ونى، بل جَدَّ واجتهد، وما لانت له قناة.

واستحضر وهو على عتبات طريق حياته الأول ومفترقه أنه بين خيارين: إمَّا أن يعيش بين الحُفَر قد ثنته نفسه عن بلوغ العُلا ورقي السؤدد، وإمَّا أن يرمي بنفسه في البحر ليظفر بالدُّرِّ الذي انطوى في لُجِّه... فاختار الأعلى على الأدنى، وظفر بما في نفسه وطموحه، وصار بعدئذ يَفترع الأصداف، ويُنبط اللؤلؤ، ويصوغ للناس منه عقودًا في ألوانٍ شتى.

إن همَّته التي جرت معه مجرى الدم، هي ذاتها التي قادته إلى الالتحاق بشيخه الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله- مبكرًا، وهو شاب لم يبلغ العشرين بعدُ، فيقترن معه في حلِّه وترحاله، حضرًا وسفرًا؛ ليشرب من معين العلم، ويرتوي من مناهل العظماء الكبار.

والهمَّة التي أَهَّلَتْهُ لتولي مهام إدارة المدرسة الفيصلية، وهو في العشرينات ليعلن في هذا العمر المبكر بدء المسؤولية وتحمل الأمانة.

والهمَّة التي دفعته إلى أن يتم ترشيحه لإدارة ثاني معهد علمي في المملكة العربية السعودية في (بُرَيْدَة)، ليتم اصطفاؤه من بين نخبة متميزة حافلة آنذاك من طلبة العلم، بل حتى مِمَّن لهم سَبْقٌ عليه في سن التعليم.

والهمَّة هي التي ساقته إلى الجامعة الإسلامية، ليتم تعيينه أول موظف فيها، وتُوكل إليه أصعب المهام وأكلفها، وهي المهام الإدارية والمالية.

فنجاحه في محطاته السابقة ومكانته العالية، كانت أسبابًا مقنعة ليتم تنصيبه في هذا الموقع الهام الناشئ.

ومن كانت هذه بدايات الهمة لديه، فليس بمستكثر أن يكون قدره بعدئذ شبه أسطورة في تطواف للعالَم أرضًا أرضًا؛ يتلمس تمتمات المسلمين فيها، ويسبر أوضاع الدعوة في ثناياها، ويكشف لمن يبحث عن كل معلومة جميلة مفيدة فيقدمها بلا مَنٍّ ولا أَذَى.

والهمَّة التي قادت العلاَّمة العبودي إلى مصاف العالمية، وقائمة العلماء العظماء تأليفًا في الرحلات، ليناهز المطبوع لـــه مئة وثلاثة من الكتب في هذا اللون فحسب، ليأتي بما لم يُسبَق إليه في هذا الميدان. وصدق الشافعي:

والجدُّ يدني كـــل أمـــر شاســـع   والجد يفتح كـــل بـــاب مغلـــق

(٣) بذل العلم:

العلاَّمة العبودي ربيب علم، فهو يعي عِظَم شأنه، وحاجة الناس إليه، ويدرك ضريبة العلم الكبرى المتمثلة في صيانته وحفظه، ومِنْ ثَمَّ بذله ونشره.

لقد سمعت منه حكايات فريدة في مَشَاقٍّ مضنية، سلك فيها السبيل للبحث عن كتاب، والعثور على نسخة من وثيقة أو مخطوط.

والعلم شرط نيله مرهون بهذه المعادلة الصعبة في الصبر والعطاء، فلا أحسب هيِّنًا أن يمضي المرء عمره وسويعات حياته في اقتناء تلك المخطوطات والوثائق، والتنقيب عنها في مظانها، ثم لا يتردد هُنيهة في بذلها لمريدها والمستفيد منها.

أجزم أن تلك من ثمار العلم وقيمه التي يجنيها صاحبها، متى ما صدق في عهده مع طريقه. وها هو ذا العبودي يدلل على ذلك بتلك الملفات الخمسة التي أعطاها العلاَّمة حمد الجاسر، -رحمه الله-، عند كتابته لـــ «أنساب الأُسر المتحضرة في نجد»، فاعتمد عليه في أُسر القصيم، مع أن العبودي لديه مشروعه الوثائقي الكبير المتمثل في «معجم أُسر أهل القصيم»، الذي سوف يأتي الحديث عنه مفصلاً في آنه.

إلا أن هذا شاهد على بذل العلم لمريديه مِنْ قِبَل العبودي، فضلاً عن عشرات ومئات الباحثين والمتخصصين الذين يرجعون إليه في بحوثهم التاريخية والجغرافية والدعوية واللغوية، وليس أدل على بذله من تقديمه تلك المعلومات المهمة عن أوضاع المسلمين في العالَم، مع ما حلَّى به رحلاته من لطائف ومعارف ومعلومات وأخبار عن البلد المُزور؛ ليجعل القارئ يجد فيه حتى ما لم

يكن يبحث عنه، فمتعته في سفره لم تحل بينه وبين مدِّ تلك المتعة إلى القارئ، الذي لا يملُّ في إمضاء عدة سويعات في قراءة أكثر من مصنَّف للعبودي في الرحلات.

(٤) حسن الخُلق:

يتمتع الشيخ العبودي بخُلق فِطري، لا يَصطنع ولا يَتكلَّف في تعامله مع الآخرين، لكنه يُنْــزِلُ الناسَ مَنازلهم، ولا يَبْخَس أحدًا منهم حَقَّه، ولا يخلو مجلسه الجاد في غالبيته من طُرفة جميلة، أو نكتة بديعة تُخْرِجُ ابتسامةً لطيفةً على مُحَيَّا الجميع؛ لتبعد عنهم السآمة والملل، تعلو مهابة غريبة اقترنت به منذ الصغر.

فقد عُرف عند طلاَّبه مَهِيبًا وقورًا حازمًا، خطواته المتأنية على قدميه تبعث الطلبة على الانضباط، ولكنه بشوش.

وهو مِمَّنْ يُحْسن التعاملَ مع المواقف والأحداث بكل رَوِيَّة.

حَدَّثَني أحدُ الإخوة أن أحد طلبة المعهد العلمي ببُرَيْدَة ــ آنذاك ــ أَوْقَفَهُ أحدُ المعلمينَ للاشتباه في أنه يمارس الغش في الامتحان، وعند تَفَقّدَ مديرُ المعهد للصفوف وسير الاختبارات، شاهَدَ الشيخ العبودي ــ وهو المدير بالطبع آنذاك ــ هال الطالب الموقَف، فسأل عن أمره، فأحيط بخبره، لكنه ــ أي العبودي ــ حسم هذا الأمر، وقال: إن هذا الطالب أعرفه وأعرف والده، ولا يمكن أن يصدر من مثل هذا غش.

وهذا أسلوب ذكي مؤدَّب، أراد منه أن يَستشعِر هذا الطالب قيمة العلم والأدب، وسمعته وأهله وأسرته.

وصدق حَدْسُ الشيخ العبودي؛ فقد صار هذا الطالب أحدَ أبرز طلبة المعهد العلمي، ويعمل حاليًا قاضيًا في محكمة التمييز، ومشهودًا لــه بالفضل والعلم والوقار. وصدق حافظ إبراهيم[1]:

---

(١) شاعر النيل المعروف، ولد سنة ١٨٧٢م، عمل في المحاماة في بداية حياته، ثم التحق بالعسكرية، عاصر

والناس هــذا حظـه مـال، وذا علـم، وذاك مكـارم الأخـلاق
والمـال إن لم تَـدَّخِره مُحَصَّـنًا بـالعلم كـان نهايـة الإمـلاقِ
والعلـم إن لم تكتنفـه شمائـلُ تُعليـه كـان مَطيَّـة الإخفـاقِ
لا تحسبن العلـم ينفـع وحـده مـا لم يتـوَّج رَبُّـه بِخَـلاَقِ

ومن حسن خُلقه ذكراه دومًا لأصدقائه من زملاء الطلب والعمل الأوائل، الذين قد بعدتهم صروف الأيام وتقلباتها وأحوالها، وقد حالت دون اللقاء بهم... إلا أنه دومًا يحرص على لقاء الأحياء منهم، وتجاذب ذكرياته معهم، وكمْ حضرتُ بعض تلك المجالس التي تميط اللثام عن ورقات من صفحات الماضي الجميل.

ويذكر الأموات دومًا بخير، ويذكر مناقبهم، خصوصًا مَن كانت لـه بهم رفقة وصحبة خاصة؛ مثل: الأستاذ علي الحصيِّن، والشيخ عبد الله البقيشي، رحمهما الله. إضافة إلى زملائه في المعهد؛ مثل: الشيخ علي الضالع، والشيخ علي بن عبد العزيز العجاجي، والشيخ صالح البليهي، كما يذكر الأحياء ومنهم الشيخ محمد بن سبيل، والشيخ عبد الله بن سليمان الربدي، وقبل ذلك يذكر الشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّلَيْم، والشيخ صالح بن سليمان العُمَري، رحمهم الله.

كما أنه لا يتردد في ذكر مواقف بعض زملائه من العلماء الأجلاء في الجامعة الإسلامية، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، -رحمه الله-، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، والشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني، والشيخان أبو الحسن الندوي، وحَمَّاد الأنصاري اللذان يذكرهما الشيخ بأنهما من أقلاء أبناء أهل هذا الزمان ورعًا وزهدًا.

شخصيات فكرية وأدبية وسياسية مرموقة، أبدع في الشعر بكافة أغراضه وفنونه، توفي سنة ١٩٣٢م في العام نفسه الذي توفي فيه الشاعر أحمد شوقي. له قصائد رائعة جميلة متداولة يحفظها الكبار والصغار. انظر أعلام وروَّاد في الثقافة والأدب الحديث لنصر محمد عباس ص٣٨.

وكذلك الشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ عبد العزيز بن محمد القويفلي عميد كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الباهلي من مدرسي الجامعة، والأستاذ النبيل عبد الله بن حمود الباحوث مدير الشؤون المالية بالجامعة الإسلامية سابقًا، والشيخ عبد المحسن العَبَّاد، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد، وغيرهم.

ومن فرائد الشيخ العلاّمة العبودي أنه مُقِلٌّ إعلاميًا، لا يثقل نفسه كثيرًا بالركض وراء المناسبات، وحضور اللقاءات التي تشغله ـــ حسب رأيه ـــ عن أموره العلمية المهمة من قراءة وكتابة وتدوين.

كما أنه لا يقبل تخصيصه بشيء من التكريم مع أحقيته لذلك، وكم عانيت في سبيل إقناع الشيخ ـــ حفظه اللهً ـــ بأمرين مهمين: أولهما حضوره الثلاثية المقامة في دارتنا وتكريمه فيها، وثانيهما التقديم لهذا الكتاب والإلحاح عليه بالموافقة

*   *   *

الفصل الثالث

العبودي والوظيفة

إذا كسب الناس المعالي بالندى　　فإنك تعطي في نداك المعاليا

المبحث الأول : العبودي قيِّم مكتبة بريدة

المبحث الثاني : العبودي معلماً ومديراً

المبحث الثالث : العبودي والمعهد العلمي

المبحث الرابع : العبودي والجامعة الإسلامية

المبحث الخامس : العبودي والأمانة العامة للدعوة الإسلامية

المبحث السادس : العبودي ورابطة العالم الإسلامي

المبحث الأول

العبودي قيِّم مكتبة بريدة

تحـــــيتي لأمنــــــاء المكتبــــــةْ   وشيخهم أعلــى الشــيوخ مرتبــةْ

أحمد شوقي

قد تكون فترة قيام الشيخ العبودي بعمل قيِّم مكتبة بريدة أخصب فترات عمره، فقد دخل هذا المعترك وهو بعد في عقد الشباب وعنفوانه وهمّته وشغفه وحرصه.

وكانت تَهيئة جميلة لهذا الشاب أن وافق ميله العلمي، الذي كان يقوده إلى حلق الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- يوميًّا مع ميدانه العملي، أي: يرتبط بعلاقة أخرى تزيد من الصلة التي كان مصدرها الطلب والتتلمذ، ويشير العلاّمة العبودي في بعض ذكرياته عن مكتبة بريدة إلى أن نجدًا لم يكن فيها آنذاك مكتبات علمية قائمة بالمعنى المتعارف عليه اليوم.

إنما كان هناك كتب متداولة أو محفوظة في بعض رفوف المساجد، وغالبًا ما تكون وقفية ترد من بعض الأثرياء ومحبي العلم الذين يقفون بعض تلك الكتب على طلبة العلم والمشايخ، وكان هناك كتب متداولة؛ مثل: كتاب عدة الصابرين، ورياض الصالحين، وغيرهما.

إلا أن الحركة العلمية والتهافت الهائل الذي شهدته بريدة إبّان وجود المشايخ آل سليم وغيرهـــم أدت إلى ضرورة التفكير في أهمية إيجاد المراجع المهمة والكتب الضرورية لطلبة العلم.

وكان لإهداء كتب الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي- رحمه الله- إلى جامع بريدة مدعًى قويٌّ دافعٌ للشيخ عمر بن سليم -رحمه الله- إلى إيجاد مكتبة في الجامع.

وعندما حصل خلل في جامع بريدة سنة ١٣٥٩هـ، وطلب الشيخ عمر بن سليم- رحمه الله- من الملك عبد العزيز- رحمه الله- إصلاح الجامع مع بناء سكن للإمام والمؤذن وجميع ما يلزم حسَب نظر الشيخ عمر بن سليم وتوجيهه.

تم بالفعل البدء بذلك وكان الذي يباشر البناء والإشراف عليه أحد الرجال المشهورين بهذا الأمر، ويعرف بأنه أكبر المعلمين آنذاك ويسمى "الستاد" وهو علي بن محمد الحامد.

إلا أن الشيخ عمر -رحمه الله- رأى أن يضاف إلى المبنى رواق حول المسجد وكانت العادة قد جرت في مساجد بريدة أن يكون المسجد في جهة القبلة ويكون إلى الشرق ما يعرف بـ "السرحة" وهو فناء مكشوف.

فكان أن أقيم في الجهة الشمالية الشرقية بناء للمكتبة في الطابق الثاني.

وبنيت المكتبة التي كان يرغب الشيخ عمر أن يجمع فيها شتى الكتب الموقوفة على طلبة العلم إلى جانب ما تيسر جمعه من الكتب الأخرى.

إلا أن المسجد استغرق بناؤه نحو سنتين، ولم يكتمل إلا في نحو ١٣٦١هـ، وقد مرض الشيخ مرضه الطويل، ثم توفي في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ، قبل أن تتكون المكتبة، وإنما جُهز مكانها.

وعندما قدم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد- رحمه الله- ليخلف الشيخ عمر بن سليم في حلقات التعليم والتدريس والإفتاء سنة ١٣٦٣هـ وكان- رحمه الله- شخصية فذة في علمه وقدره ووجاهته، فسعى إلى أن يتم أمنية الشيخ عمر بن سليم في المكتبة، فباشر في أول خطوة نحو ذلك حيث عيّن الشيخ محمد العبودي قيِّمًا على المكتبة، وهو ما يعرف اليوم بـ "أمين المكتبة"، والتي كانت نواتها مجموعتين: الأولى كانت كتبًا للشيخين محمد وعلي ابني عبد العزيز العجاجي[1].

---

(١) الشيخ محمد بن عبد العزيز بن سليمان العَجاجي (١٣١٢- ١٣٤٤هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). تعلَّمَ القراءة والكتابة، ثم شرع في طلب العلم فأخذ عن عالمي (بُرَيْدَة) الشيخ عبد الله بن

والأخرى للشيخ عبد الله بن محمد الروّاف[1] - رحمهما الله، وقد أحضر كتبه ابنه سليمان بن عبد الله الروّاف الذي يصفه الشيخ العبودي بأنه من أبرز رجالات بريدة ثقافة وعقلاً، وكان ذا عناية فائقة بالكتب واقتنائها.

يقول العبودي عندما عينني الشيخ عبد الله بن حميد- رحمه الله- قرَّرَ لي راتبًا مقداره ٤٠ ريالاً في الشهر.

وكان من مبادرات الشيخ ابن حميد أن أرسل إلى الملك عبد العزيز الرغبة في مواصلة فكرة الشيخ عمر بن سليم في إقامة المكتبة وتهيئتها بالكتب، وأن تكون ملتقًى لطلبة العلم، فأرسل الملك عبد العزيز مبلغًا ماليًّا قدره ثلاثة آلاف ريال فرنسي، ثم زاد بعد ذلك، ولم يكن هنالك ريال سعودي معروف.

كما قرر الشيخ ابن حميد تقديم شاي للذين يحضرون ويتباحثون من طلبة العلم وكان مشرفًا على هذه الأمور فهد بن مزيد الخطاف.

وكان هناك حماسة ورغبة من أولئك الطلبة الذين كان الشيخ ابن حميد يحوطهم بعنايته وتشجيعه في العلم والتعليم، فعلموا أن لدى الشيخ فوزان

محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، ولازمهما، وهو من الطبقة الأولى من تلاميذهما، بل أشهر تلامذتهما في وقته، حتى أدرك في شبيبته إدراكًا تامًّا، وفاق أقرانه، ولذا حاز في مطلِع عمره الإكرام والتقدير من مشايخه وزملائه، فصاروا يرجعون إليه فيما يُشْكِل عليهم. توفي ـــ رحمه الله ـــ شابًّا، بعد أن أُصيب بالسُّلّ. انظر «علماء آل سَلَيْم» (٢/ ٤٥٧- ٤٥٨)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٧٤- ٧٧) وذكر البَسَّام أن مولده سنة ١٣٠٩هـ، بخلاف التاريخ الذي ذكره العُمَري، والعُمَري ينقل عن ابن المترجَم.

(١) آل رَوَّاف أحد أُسر (بُرَيْدَة) العريقة ينتهي نسبهم إلى محمد بن علوي بن وهيب، أحد بطون بني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، ولهم إسهامهم المعروف في العلم والزَّعامة. من أهم أعلام هذه الأسرة: العالم القاضي الشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله آل رَوَّاف (١٢٩٢- ١٣٥٩هـ)، المولود في (بُرَيْدَة) والقتيل غِيلة في (جعلان) من بلاد عُمان، وقد تولى قضاء (المُكلا) وقضاء (جعلان)، وله عناية بالكتب واقتنائها، فجمع مكتبة قيمة تضمُّ مخطوطات بخط يده، ومن أهمها تلك المخطوطات التي نسخها من المكتبة الظاهرية.
ومحمد بن أحمد بن عبد الله آل رَوَّاف من أمراء العُقَيْلات، وسليمان بن عبد الله بن أحمد آل رَوَّاف أحد أعيان (بُرَيْدَة) السابقين، رحمهم الله. انظر «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٢٨- ٣١).

السابق[1]- رحمه الله- بعض الكتب المحفوظة لدى أسرة المشيقح الذين كانوا وكلاء له خلال إقامته في مصر آنذاك، فطلبوا تزويدهم بالكتب الشيخ عبد الله بن عبد العزيز المشيقح[2] ورغب في توجيه الطلب إلى الشيخ فوزان السابق نفسه لتصدر الموافقة منه وأنه سوف يؤيد ذلك بكتاب للشيخ فوزان.

يقول الشيخ محمد العبودي: أعددت خطابًا موجهًا من الشيخ عبد الله بن حميد إلى الشيخ فوزان مبديًا الرغبة في إهدائه الكتب إلى مكتبة الجامع، فرحب الشيخ فوزان- رحمه الله- بالفكرة، ووافق على أن تحال جميعًا إلى المكتبة.

كما أن أسرة المزيني[3] وهي إحدى أسر بريدة التي كانت مقيمة بالكويت، وكانوا أهل ثراء ومال، وقد مرُّوا ببريدة وهم في طريقهم إلى الحج، فعرض عليهم الشيخ محمد العبودي وطلب منهم التبرع للمكتبة.

---

(١) الشيخ فوزان بن سابق بن فوزان (١٢٧٥- ١٣٧٣هـ)، مولده في (بُرَيْدَة) وتوفي في (القاهرة). نشأ في مسقط رأسه، وتعلَّمَ في كُتَّابها مبادئ القراءة، وتلقى العلم على عدد كبير من المشايخ. واشتغل بالتجارة، ثم اتصل بالملك عبد العزيز، وشارك في بعض حروبه، ثم صارت له مشاركات في السياسة، فعيَّنه الملك عبد العزيز مُعْتَمَدًا له في (دِمَشْق)، ثم نُقل إلى (المفوضيَّة السعودية بالقاهرة، فلم يزل فيها حتى طلب الإعفاء من العمل، فأُعفي لكبر سنه. وكان ـ رحمه الله ـ من الفضلاء علمًا وأدبًا وديانة. انظر ترجمته في «الأعلام» (٥/ ١٦٢)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٣٧٨- ٣٨٣)، ومجلة الدرعية عدد ١٨، ١٩ جمادى الآخرة، ورمضان ١٤٢٣هـ للدكتور محمد بن سعد الشويعر، فوزان السابق رجل العلم والسياسة.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز بن حمود المشيقح أحد وجهاء بريدة وأعيانها، داهية حصيف، وعاقل فطن، ولد رحمه الله سنة ١٣١٠هـ، طلب العلم على علماء زمانه، وخلف والده الثري الوجيه عبد العزيز المشيقح على الزعامة، وتولّى إمامة مسجد المشيقح المعروف في بريدة. توفي في ١٣٩١/١١/١٤هـ. انظر علماء آل سليم ٣٥٢/٢.

(٣) المزيني من أسر بريدة المعروفة، وهم من مزينة حرب، انتقل الجد الخامس لأسرة المزيني المتحضرة، وهو عبد الله من المدينة إلى حائل ثم الكهفة، ومنها انتشرت في القصيم والرياض والكويت وغيرها. أما انتقال المزيني من أهل بريدة إلى الكويت ففي سنة ١٩٠١م حيث هرب يوسف المزيني خوفًا من بطش عبد العزيز بن رشيد بعد أن نهب أمواله لمساعدته أهل الكويت في معركة الصريف. انظر أنساب الأسر والقبائل في الكويت. د. أحمد المزيني ص٢٣١.

لكنهم طلبوا مقابلة الشيخ ابن حميد وتم لهم ذلك وعلى إثرها تبرعوا بمبلغ مالي كبير في ذلك الوقت، وتم من خلاله شراء سجاد للمكتبة وبعض الحاجيات وبقي مبلغ منها مع ما تم توفيره من المكرمة الملكية.

يقول الشيخ محمد العبودي: أمرني الشيخ ابن حميد أن أذهب إلى مكة، وأشتري بتلك المبالغ المتوافرة كتبًا للمكتبة، فذهبت إلى هناك، والتقيت شيخ الكتبية عبد الفتاح فدى وقد قارنت بين أسعاره وأسعار الآخرين فوجدته أرخصهم سعرًا، وقلت له: يا شيخ عبد الفتاح أريد أن أشتري منك كتبًا لمكتبة خيرية وَقْفِيَّة ليست للبيع أو التجارة، ولكن بشرط أن تكسب مكسبًا ضئيلاً لا تطلب الزيادة عليه فَتَفَهَّمَ الموضوع وضحك، وأعطاني أسعار الكتب المهمة الكبيرة، ومنها (لسان العرب)، و(شرح الإحياء) للسيد مرتضى الزبيدي[1] صاحب شرح القاموس، ومنها (شرح الشمائل) عشرة مجلدات الشمائل النبوية، ومنها (المبسوط) للسرخسي في فقه الحنفية، وكتب كبيرة من الأمهات ثمانية مجلدات وعشرة مجلدات، فاشتريناها منه ومن غيره.

ثم حملناها بسيارة لوري، لأن ذلك الوقت لم يكن هناك سيارات ركوب صغيرة ولا طائرات ولا طرق برية معبدة، وإنما طرق ترابية، وأحضرناها إلى بريدة.

ولقد شعرت بسعادة كبيرة، بل إن شيخي الشيخ عبد الله عندما قدمت له القائمة، وقلت له هذا الذي أمرتموني به، سُر سرورًا عظيمًا إضافة إلى استبشار وفرح الباحثين وفرحهم، فقد كان سرورهم عظيمًا.

---

(١) أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحسيني الزَّبِيديُّ، المعروف بمُرتضى الزَّبِيديِّ (١١٤٥- ١٢٠٥هـ)، علاَّمة باللغة والحديث والرجال والأنساب، ومن كبار المصنفين. أصله من (واسط) في العراق، ومولده بالهند في (بلجرام)، ومنشؤه في (زَبِيد) باليمن، وقد رحل إلى الحجاز، وأقام في مصر. أهم مؤلَّفاته «تاج العروس من جواهر القاموس» وهو أهم كتب اللغة وأجلها، وشرحه لإحياء علوم الدِّين للغزاليّ، وعنوانه «إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدِّين».

إلا أنني أذكر زميلَيَّ وأعدُّهما شقيقَيَّ في المكتبة، وحتى في طلب العلم، وهما الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي -رحمه الله- وكان يساعدنا، وكان طالب علم شبه متفرغ، وكذلك الأستاذ علي بن عبد الله الحصيّن -رحمه الله- كان صديقًا شخصيًّا لي، بل كان أصدق الأصدقاء لي، محبًّا للاطلاع ومعنا دائمًا في المكتبة.

وهذان الشخصان الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي والأستاذ علي بن عبد الله الحصين كانا معي في المكتبة ليسا موظفين لهم راتب، لأنه لا يوجد راتب إلا لي فقط ٤٠ ريالاً في الشهر وكان ذلك في عام ١٣٦٤هـ، وكان مبلغًا كبيرًا.

ثم إن الشيخ عبد الله بن محمد حميد بعد فترة طلب من الملك عبد العزيز- رحمه الله- وقال له: إن لدينا أناسًا من طلبة العلم ليس لهم موارد رزق، وكانت البلاد بعد الحرب العالمية الثانية تعاني الضيق، كما هو الحال في كثير من البلاد في العالم، ونرغب في إمدادهم ببعض المخصصات والرواتب.

فالملك عبد العزيز -رحمه الله- استجاب، وأرسل للشيخ مبلغًا من المال بالريال الفرنسي، فوزعه الشيخ على الإخوان الذين يطلبون العلم، وكان أكثرهم شخصين دفع لهما؛ هما: الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ عبد الله بن رشيد الفرج كانت إعانتهما الشهرية ١٢ ريالاً.

أما أنا فكنت من المتوسطين، ولولا صلتي بالشيخ لكان راتبي أقل، وأعطيت ستة ريالين في الشهر وأذكر أن أحد الإخوة الصغار من طلبة العلم، لسببٍ وإن كان سنة كبيرًا، كان راتبه ريالين في الشهر، وبعد ذلك قطع هذا الراتبَ عنه لسببٍ من الأسباب؛ منها كونه لم يواظب على طلب العلم.

وقد أمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- بأن تستمر المكرمة الملكية للإخوان، وكنت أفرح بالريالات الستة الشهرية أكثر مما أفرح به الآن من مرتب أتقاضاه مع كونه كبيرًا.

ثم يواصل الشيخ محمد العبودي، ويقول في حديثه وذكرياته عن المكتبة: استمر عملي في المكتبة، وازدهرت بحمد الله، وعندما عُيِّنْتُ مدرسًا أول مرة في

مدرسة بريدة طلبت من الشيخ عبد الله بن حميد، وقلت له: إنني لا أستطيع فتح المكتبة والإشراف عليها، ولكم أن تعينوا أي شخص آخر، فقال الشيخ: ابقَ أنت في المكتبة، واختر أحد الأخوان من طلبة العلم ليساعدك، وطلب -رحمه الله- من الشيخ عبد الله البقيشي مساعدتي في فتح المكتبة، وبقي مدة طويلة في ذلك وله جهود في مساعدة الآخرين على البحث.

فمثلاً إذا أراد شخص أن يبحث عن مسألة فقهية فإنه لا بُدَّ أن يكون في المكتبة من يهديه إلى الكتب والمراجع التي فيها هذه المسألة، وهذا من عملنا.

صحيح أننا كنا نعاني بعض المسائل الهامشية، ومع ذلك إنني والأستاذ علي بن عبد الله الحصيّن كنا نحرص على الكتب الأدبية والتاريخية، وكان شيخنا عبد الله بن حميد يشجعنا على ذلك، لأنه يصح أن يقال عنه: إنه أديب متذوق للأدب والأخبار والنوادر، وكان حريصًا على جمع كتب التاريخ والأدب.

ولكن هذه الكتب التاريخية والأدبية لا تروق لبعض الذين يحضرون للمكتبة من طلبة العلم، فكان بعضهم يقول عنها: ما علم لا ينفع، وجهل لا يضر.

ونحن نقول: إن الجهل يضر بلا شك، والعلم ينفع أيضًا، ولكن إذا كان المقصود بذلك أن هذه ليست بها فائدة، فهذا غير صحيح، وكنا في بعض الأحيان نجعلها في دولاب ونغلق عليها لئلا يصلوا إليها فيشوشوا علينا وإلا نحن نعرف أن شيخنا قد ربانا أن نحترم الكتب الدينية والأدبية ونعرف مقدارها.

ثم صار الأستاذ علي الحصيّن فترة يفتحها، ومرة يُعهد إلى شيخنا صالح بن عبد الرحمن السكيتي؛ لأنه كان في ذلك الوقت قاضيًا، وحضر فترة إلى بريدة في إجازة، فأمره الشيخ بأن يفتحها، وكنت لا أزال أحتفظ بمفتاحها معي.

ولكني كنت أول الأمر أتقاضى راتبًا لأنني أواظب عليها، ثم تركته اكتفاءً براتب المدرسة عام ١٣٦٨هـ.

وبعد ذلك سلمت المفتاح للشيخ، واعتذرت نهائيًّا، ثم توالى عليها الإخوان وكان أولهم الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، وربما يكون تاريخها معروفًا بعد ذلك.

ثم يتحدث العبودي عن الأجواء العلمية التي كانت تغشى المكتبة، والطريقة التي كان يتعامل بها الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- مع طلبة العلم في حلقاته، وكيف تم تفعيل دور المكتبة، والقائمين عليها من الباحثين، فيقول: كانت دروس الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- تبدأ من صلاة الفجر إلى حدود الساعة العاشرة تقريبًا ضحًى، والمقصود من ذلك الساعة العاشرة في وقت الربيع؛ أي: في اعتدال الوقت، فكان إذا جرى البحث في مسألة في الدرس، وهذه المسألة تحتاج إلى بحث أو غير واضحة، أو سأل أحد الطلبة سؤالاً لم يكن عند الشيخ ما يجيبه عنه إجابة كاملة، يقول لي عندما كانت المكتبة معي: يا فلان هات الكتاب الفلاني حتى ننظر فيه، فأنا أصعد إلى المكتبة وأترك حلقة الدرس، وأبحث عن المسألة، وأحضرها للشيخ وهو مستمر، فإذا توقع أنني قد عدت قال: يا فلان، هات ما ذكره العالم الفلاني الذي هو يذكر الكتب كأن يقول: هات تفسير ابن كثير إذا كانت المسألة تتعلق بالتفسير، أو تفسير ابن جرير، أو يقول: هات (المغني)، و(الشرح الكبير)؛ إذا كانت مسألة فقهية خلافية، أو يقول: هات المنتهى (منتهى الإيرادات) أو (كشاف القناع)؛ إذا كانت المسألة فقهية مذهبية على المذهب، أو يقول: هات (القاموس) أو (لسان العرب)؛ إذا كانت مسألة لغوية، أو يقول: هات (تهذيب الخلاصة لتهذيب الكمال في أسماء الرجال) الذي هو ليس التهذيب نفسه، وإنما (خلاصة تهذيب الكمال) هو الذي كان بين أيدينا، وكنا نستعمله.

وكذلك كتب الحديث فعندما كنا نقرأ على الشيخ، ويأتي ذكر أحد الأحاديث في الدرس، وقيل: إنه في (صحيح مسلم)؛ فالشيخ يريد أن يتأكد يقول: هات (صحيح مسلم)؛ يقول: نريد أن نبحث عن هذا الحديث، فكنا نحضره، ثم بعد ذلك كان يأمر زميلي الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي عندما

تركت المكتبة أو عندما أكون غائبًا، وكذلك كان في آخر الأمر يأمر الأستاذ علي بن عبد الله الحصيّن بإحضارها؛ أي: إنه كان يستفيد من الرجوع إلى المكتبة حتى في أثناء الدرس.

وكان الدرس المعتمد في طريقته، طريقة متميزة في القصيم، بل ربما يكون في نجد كلها، أما الطريقة المتبعة في الدروس عمومًا، فهي أن أحد طلبة العلم يقرأ ويستمر في القراءة، والشيخ يستمر، ويسمع الآخرين، ثم إذا حصلت مسألة أو لفظة تحتاج إلى الشرح شرحها الشيخ، ولكنهم لا يرجعون إلى الكتب؛ لأن الشيخ يشرح بما يستطيع علمه، لكن الشيخ ابن حميد كان يأمر بالرجوع إلى الكتب حتى لا تبقى هذه المسألة غامضة في أذهان الطلبة، وحتى في ذهنه هو؛ لأنه يقول: إن الرجوع إلى الكتب فيه فائدة كبيرة لأنه يفيدنا ويفيد الطلبة. هذا أيضًا من فوائد المكتبة.

ومن فوائد المكتبة أنها صارت تضم طلبة العلم. نحن نعرف أن الناس وبخاصة في ليالي الشتاء الطويلة ليس عندهم شيء يستطيعون أن يقضوا فيه الوقت الواقع بعد صلاة العشاء إلى وقت النوم لأنه ليس هنالك لا إذاعات ولا تلفازات ولا يستمع الناس إلى شيء ولا في صحف، وكان طلبة العلم يستفيدون ويحضرون إلى المكتبة، فالكبير يفيد الصغير، والصغير يسأل الكبير، والكتب بين أيديهم؛ لأنه ليس فيها مناولات ولا طلبات، وإنما يستطيع كل طالب علم أن يأخذ الكتاب رأسًا ويفتحه، ويعلم ما فيه، لكن بعضهم لا يعرف أين توجد المسألة أو لا يعرف أين الكتاب الذي يبحث المسألة التي يريدها، فنحن يسألنا نحن الموجودين وكما قلت أنا: ويكون معنا في الغالب علي بن عبد الله الحصيّن أو الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي، رحمهما الله.

وهكذا عاش العبودي هذة المرحلة المهمة من عمرة بين ردهات الكتب، وعبق العلم، فصاغت يداه بذرة صالحة ونواة خير ويمن لتلكم المكتبة الأم التي عُدَّت أولَ مكتبة عامة في المملكة العربية السعودية، و التي على إثرها تم ضمها إلى الإدارة العامة للمكتبات في وزارة المعارف سنة ١٣٧٩هـ.

وفي تاريخ ١٤٢٢/٥/٢٩هـ صدرت الموافقة السامية الكريمة على تسمية مكتبة بريدة العامة باسم مكتبة الملك سعود ببريدة، وذلك عقب انتقال المكتبة إلى مبناها الجديد الذي يعد تحفة معمارية جميلة تقديرًا لجهود الملك سعود - رحمة الله - في شراء أرض لها وعمارتها بجوار الجامع أنذاك.

وقد تم افتتاح ذلكم المبنى من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام في ١٤٢٣/٧/١١هـ إبَّان زيارته لمنطقة القصيم بحضور صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم وصاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز ماجد بن عبد العزيز نائب أمير منطقة القصيم وجمع حاشد من الأمراء والعلماء والمسؤولين.

* * *

المبحث الثاني

العبودي معلمًا ومديرًا

لقد كانت الحركة التعليمية في بدايتها في (بُرَيْدَة)، وكانت هنالك همة نحو الإسراع في نشر التعليم، ولزم حينئذ المبادرة بالتوسع في افتتاح المدارس، واستقطاب المعلمين حتى تتم الكفاية اللازمة نحو هذه النقلة المهمة، وكان من نتائج هذا الأمر أن تم اللجوء إلى الطلاَّب أنفسهم، ليتم اختيارهم معلمين في تلك المدارس، خصوصًا مَن ظهرت بوادر نجاحه وقدرته على التدريس.

وبالفعل لم يلبث العبودي طويلاً حتى تم اختياره في ٢٣ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ مدرِّسًا بالمدرسة الفيصلية، على وظيفة تحمل اسم «وكيل معلم»، واستمر فيها فترة وجيزة لا تتجاوز أربعة أشهر، حيث حلَّ في تلك السنة العلاَّمة الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله- على (بُرَيْدَة) مدرِّسًا خلفًا للشيخ عمر بن محمد بن سَلِيْم، الذي توفي في ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ، وقد التحق بحلقات الشيخ ابن حُمَيْد، وصار من أخص طلابه.

وقد طلب الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله- من الشيخ العبودي مرافقته إلى (الرياض)، لبعض المهمات التي يُنتدب إليها، لكنه اعتذر بسبب ارتباطه بالتدريس في المدرسة الفيصلية، إلا أن الشيخ ابن حُمَيْد ألزمه وتمت مخاطبة معتمدية المعارف، ورافق ابن حُمَيْد فيما يشبه الإعارة، وصار على أثرها قيِّمًا لمكتبة (بُرَيْدَة)، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وخلال هذه المدة توثَّقت علاقة الشيخ العبودي بشيخه ابن حُمَيْد، وأصبح أقرب تلاميذه الذين يقرؤون عليه في كل وقت، حتى في أوقات الشيخ الخاصة.

وفي سنة ١٣٦٨هـ تم افتتاح مدرسة أخرى ببُرَيْدَة، فقد تضاعف عدد الطلاَّب خلال مدة وجيزة، ممَّا استدعى النظر في التوسُّع بالتعليم. وكان لهمَّة

رائد التعليم في القصيم الشيخ صالح بن سليمان العُمَري دور عظيم في هذا النجاح السريع الباهر، الذي كانت خطواته تتسارع، فطلب من الشيخ محمد بن مانع فتح مدرسة أخرى، فوافق على ذلك، وقام بفتح المدرسة المنصورية، ورشَّح لها الشيخ محمد العبودي لإدارتها مع عدد من المعلمين النابهين؛ مثل: الأستاذ محمد بن صالح الوهيبي، وبعد أشهر عين فيها الشيخ عبد الكريم الفدا[1]، والأستاذ عبد الله بن سليمان الربدي، وصالح بن إبراهيم بن سيف[2].

تولى الشيخ محمد العبودي إدارة المدرسة فقام بها خير قيام، ليصبح الرجل الثالث من روَّاد التعليم بمنطقة القصيم بعد الشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّلِيْم، والشيخ صالح بن سليمان العُمَري؛ رحمهما الله.

وصارت المدرسة الفيصلية إحدى أبرز المدارس التي خرَّجت عددًا كبيرًا من طلبة العلم، مِمَّنْ كان لهم إسهاماتهم في خدمة وطنهم في موقع المسؤولية[3].

* * *

---

(١) عبد الكريم الفدا من مواليد بريدة سنة ١٣٣٧هـ، قرأ على الشيخ عمر بن سليم، وعبد الله بن حميد- رحمهما الله، تولى التدريس في المدرسة المنصورية ثم مدرسة أبي بكر الصديق، وتولى إمامة مسجد في بريدة يعرف بمسجد ابن فدا نسبة إلى جده الشيخ عبد الله بن فدا. وقد تولى الإمامة سنة ١٣٦٠هـ أي: له ما يزيد على ٦٣ سنة في الإمامة في أطول فترة إمامة معروفة حتى الآن، وهو من خيرة الناس فضلاً وأدبًا وخُلُقًا. انظر مساجد بريدة القديمة ص٣٨٣.

(٢) صالح بن سيف، تربوي ناجح تقلد عدة مناصب تعليمية، آخرها مراقب في المعهد العلمي في بريدة، وعرف بنجاحه فيها.

(٣) انظر: التعليم في القصيم ص١٨٠.

المبحث الثالث

العبودي والمعهد العلمي

لم يكن حلم الملك عبد العزيز -رحمه الله- يقف عند حد كيان سياسي تطوقه حراسات أمنية وعسكرية، ولكن أمنية التوحيد لهذه البلاد ولَمّ شتاتها كانا يدفعان إلى إحلالها موقعها اللائق بها في سُرَّة العالم وقلبه.

لذا فما إن أخذ الملك عبد العزيز يلحظ بناظريه إلى أطراف هذه الجزيرة العربية الممتدة التي دانت له حتى بدأت خطوات البناء ولبنات العمل الجاد تأخذ مواقعها.

والتعليم كان حجر الأساس لأمة تنشد الريادة، وتسعى للسيادة متحملة أعباء الأمانة والمسؤولية لقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، لذلك لم يكن غريبًا أن تتسارع خطواته نحو التعليم، ولما تهدأ بعد طلقات الرصاص وتجاوزات الخصوم.

وشهدت المملكة العربية السعودية انطلاقات التعليم في شتى اتجاهات البلاد مستنفرة إمكانياتها وقدراتها المحدودة آنذاك ومستعينة بأهل السبق في ذلك من الأشقاء والأصدقاء.

وكان هنالك في وسمان هناك استفسار في الوقت ذاته استشعارًا لرسالة هذه البلاد الكبرى نحو هذا الدين ونشره وبيانه، وبذل العلم الصحيح والسنة النقية للعطشى من منتظريها.

وكان ذلك من توفيق الله وتهيئته جهود الشيخ العلاّمة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله-، الذي وقف بصدق وإخلاص في تلك المرحلة الحاسمة المهمة من تاريخ البناء، فاهتم بالتعليم الشرعي في شتى مستوياته وطبقاته، وكانت البلاد آنذاك تقوم بعلمها على حلق المساجد، وبعض الجهود الفردية في التعليم التي انطوت تحت منظومة التعليم النظامي.

ثم كانت فكرة المعاهد العلمية الشرعية التي كانت نواة للتعليم الشرعي النظامي، ثم العالي وقصد منها أن تتضمن تهيئة لطلبة العلم الصغار حتى يتلقوا المبادئ الأولية من العلوم الشرعية واللغوية وما يعرف بعلوم الآلة من أسس نظامية ومرحلية دقيقة.

وكان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- دور في هذه الفكرة وتهيئتها وتطبيقها بعد الموافقة عليها من الملك عبد العزيز -رحمه الله- الذي أيّد وناصر الفكرة وعاضدها، يساعده في ذلك شقيقة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ؛ يقول العبودي: ونعم الرجل هو.

وبالفعل تم افتتاح المعهد العلمي في الرياض سنة ١٣٧٠هـ للهجرة وقام بالإشراف على افتتاحه واختيار المدرسين له سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمه الله، وكانت بداية مبشرة بفتح علمي جديد حين عُنِيَ -رحمه الله- باختيار المدرسين فيه من ذوي العلم المعروفين ورجال القضاء وغيرهم، مما استهوى الطلاب إلى التوارد عليه والدراسة فيه.

وحين رأى سماحته هذا النجاح الباهر للمعهد العلمي في الرياض، وعظيم الإقبال عليه، وسرعة ثماره المباركة في انتشار العلم الشرعي والعناية به، قاده ذلك إلى التوسع في تلكم التجربة التي بان نجاحُها؛ فكان اختيار بريدة لتكون المحطة الثانية للمعاهد العلمية؛ حيث كانت ساحة علمية نشيطة يتولى الزمام فيها سماحة الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- وكان هناك جمع غفير من طلبة العلم الذين سوف يسارعون إلى الالتحاق بالمعهد فور افتتاحه.

وإذا كان ثمة عناية بقرار افتتاح المعهد فإن اختيار مدير له يحمل مواصفات المدير الناجح والشخصية العلمية والقدرة العلمية والمكانة الاجتماعية لا يقل أهمية عنه.

وكان الشيخ محمد العبودي يحظى بقبول تام إضافة إلى همّته الشبابية العالية، فتدريسه في المدرسة الفيصلية، ثم إدارته لثاني مدرسة في بريدة، وهي المنصورية،

ثم علاقته العلمية والخاصة مع الشيخ عبد الله بن حميد كل ذلك جعل منه شخصًا مناسبًا للقيام بهذه المهمة التي تحتاج إلى بناء وقدرات.

وكان لدى الشيخ العبودي أولويات في بدء عمله بالمعهد يرى أنها من أعظم سبل نجاحه يوجزها بما يلي، فيقول: رأينا أنه لا بُدَّ من أن يكون طلبة العلم الذين هم المشايخ الكبار في (بريدة) مدرسين بالمعهد، وهم أربعة في ذلك الوقت: الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، رحمه الله، والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي، رحمه الله، والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي[1]، رحمه الله، والشيخ علي بن إبراهيم المشيقح.

وكذلك أيضًا سماحة شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد مدرسًا غير متفرغ في المعهد بسبب مشاغله العملية والعلمية، فقد كان هدفنا أن ينضم طلبة العلم إلى المعهد، سواء الذين يَدرسون على سماحة الشيخ، أو الذين يَدرسون على الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، وهكذا كان، فأتيت للمشايخ الأربعة بخطابات مفتوحة موقعة من الشيخ محمد، وتحدثت معهم، فاستجاب الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي -رحمه الله- استجابة فورية، وقال: "موافق".

---

(١) الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي (١٣٣١- ١٤١٠هـ)، وُلِدَ في (الشماسية) وتوفي في (بُرَيْدَة). تلقى العلم على عدد من المشايخ، ومنهم: الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلِيْم، وقد لازمه ملازمة تامَّة، والشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبَّادي، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي. وتولى ـ رحمه الله ـ إلى جانب التدريس في المعهد العلمي إمامة مسجد الوزَّان، والتدريس فيه، كما قام بالتدريس في كُلِّيَّة الشريعة بالقصيم في مادة الفقه إلى أن أُحيل إلى التقاعد.
وله عدد من الكتب طُبعت في حياته، ومنها: «عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين»، و«السلسبيل في معرفة الدليل»، وهو حاشية على «زاد المُستقنِع»، و«الهدى والبيان في أسماء القرآن»، و«أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة»، و«يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تُخدعي». انظر «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٢/ ٤٣٠- ٤٣٤)، وترجمه أحمد الحصين في كتاب مطبوع بعنوان «الشيخ صالح البليهي رحمه الله».
والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي وجهوده الدعوية للدكتور محمد الثويني، رسالة دكتوراه غير مطبوعة.

وقد كنت أقول لكل واحد منهم: "يمكنك أن تستخير"؛ لأنني لا أريد أن يقول: لا. أما الشيخ صالح البليهي، فقال: "أنا قد استخرت وجزمت، ولا يمكن أن أتردد في أمرٍ أستطيع معه أن أُدرِّس ما أعرفه من العلم لطلبة العلم في بلدي، هذه هي أُمنية كلِّ طالب علم، ولا يمكن أن أتردد".

أمَّا الإخوة الباقون فقد ترددوا مثل الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، وكما نعلم في ذلك الوقت كان قاضي "الأسياح"، ولم يكن في "بريده" وقد شغله القضاء.

والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي كان قاضي (المذنب)، ولكنه بعد ذلك بشهور التحق بالمعهد، وصار مدرسًا فيه، واستمر حتى تقاعد.

وبالنسبة إلى الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح فقد قال: "إنني أود، ويَسرني أن أكون مدرسًا في المعهد، ولكن أنا الآن عندي مشروعات". فقد كان ينسخ الكتب، وقال: "لا أريد أن يؤثر هذا العمل فيما أقوم به من نسخ الكتب واقتنائها... إلخ".

أما شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد فقد باشر التدريس في المعهد مدة إلى أن استقرَّ الإخوة طلبة العلم في المعهد حسب المتفق عليه، ثم بعد ذلك عاد متفرغًا للقضاء والتدريس في المسجد.

ثم يسرد الشيخ محمد العبودي المعاناة الأولى لافتتاح المعهد والصعوبات التي لاقته في أثناء ذلك، فيقول: لقد كان مكان المعهد واختيار موقعه مشكلة يجب أن تُحل، وكان الناس في ذلك الوقت سواء كانوا مدرسين أو موظفين أو طلابًا يأتون إلى المعهد سيرًا على الأقدام، فلم يكن عند الناس في ذلك الوقت سيارات خاصة، كما هي الحال الآن.

وكما نعلم أن مدينة (بريدة) مدينة ممتدة منذ عهد قديم، فإذا جعلنا المعهد في الشمال؛ فسيكون صعبًا على أهل الجنوب أن يصلوا إليه، والعكس بالعكس، وكنت أريد أن يكون المعهد في موقع صالح للدراسة؛ لا يشغل الطلاب فيه شيء،

فلا يكون بين المساكن، ولا يكون قريبًا من مواقع الضوضاء والإزعاج، وأن يكون له مساحة كافية وكبيرة. وهذا كله لا يتيسر في داخل البلد، إلا إذا فرضنا أننا سنشتري عشرين بيتًا، أو ما شابه ذلك، ثم نهدمها ونهدم ما حولها! وهذا شيء غير ممكن في ذلك الوقت، ولذلك رأيت أن يكون في موقعه الحالي الذي يقع إلى الشرق من مدينة (بريدة) القديمة، ولم يكن هناك مساكن حول أرض المعهد في ذلك الوقت.

في أول الأمر لم نبدأ في هذا المكان، بل تم استئجار بيت لجاسر بن عبد الكريم الجاسر لأقل من سنة، طلبنا من آل مشيقح[1] أن يبنوا بناءً على شكل معهد بالطين؛ ففي ذلك الوقت لايوجد إلا الطين، فبنوا البناء وبقينا فيه أربع سنين. ولكننا في عام ١٣٧٦هـ بدأنا بالبناء بالمسلح على الأرض الحكومية التي حصلت عليها من أمير القصيم آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد وانتقلنا إليه عام ١٣٧٧هـ.

وكانت الأرض التي فيها المعهد الآن خلاء في ذلك الوقت، وكان بعض كبار الجماعة من أهل (بريدة) قد رأوا أنه ينبغي أن تُترك هذه الأرض دون أن يكون عليها أي بناء، لتكون متسعًا لأصحاب المواشي والإبل الذين يبيعون ويشترون فيها؛ لأن مكان البيع والشراء كان الجَرْدَة (جردة بريدة)، وكانت تضيق بالناس، ولكن نحن قلنا لهم: لا يمكن أن يبقى هذا إلى ما لا نهاية، ولا يمكن أن يبقى هذا سوقًا للإبل.

ثم عارضنا بعض الناس (شخص من الأشخاص)، قال: إن لديه إقطاعًا اشتراه من أحد المواطنين يقع في جزء صغير من أرض المعهد، وقد اقتطع المعهد جزءًا من هذا الإقطاع المملوك حسب الدعوى. وفي ظني أن هذا الشخص ليس

---

(١) آل مشيقح أحد أُسر (بُرَيْدَة) الكبرى، برز عدد منهم وعلى رأسهم الثريّ الوجيه المحسن عبد العزيز بن حمود المشيقح، وهو من تلاميذ علماء آل سَلِيم، وكان ذا بِرٍّ وصدقة وإحسان على طلبة العلم، وعُرف بمواقفه المحمودة إبَّان توحيد المملكة العربية السعودية، وكان على صلة وصداقة خاصة مع الملك عبد العزيز، رحمه الله.

لديه حق فقلت له: إذا كان لك حق فيمكن تعويضك، ولكنه لم يرض إلا أن نجلس معه للقضاء ونسمع دعواه، فجلست معه. وكانت هذه أول مرة جلست فيها أو دخلت فيها المحكمة مقاضيًا أو مقاضى (أي مستدعى للقضاء)، وهي المرة الوحيدة التي لم أجلس قبلها ولا بعدها لخصومة، وكانت من أجل تخليص أرض المعهد، والحمد لله المعهد بني في أرضه ولا يزال إلى الآن، وعرف الناس أن هذا موقع جيد، وأنه مناسب.

هـذا بالنسبة إلى الموقع، أما بالنسبة إلى المدرسين بعد ذلك فقد حضر إلينا مدرسون يستحقون الذِّكر منهم: معالي الشيخ الجليل الأستاذ محمد بن عبد الله السبيِّل[1] إمام الحَرَم المكي وعضو هيئة كبار العلماء، وكان مدرسًا، والشيخ علي بن سليمان الضالع[2]-رحمه الله- درَّس عندنا مدة، والشيخ عبد الله بن عبد

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله آل عثمان، الملقَّب السبيِّل (١٣٤٥هـ)، وُلدَ في (البُكَيْرِيَّة)، وتلقى علومه الأوليَّة في كَتاتيب مدينته، ثم شرع في حفظ القرآن الكريم على يد والده، وعلى يد الشيخ عبد الرحمن الكريديس يرحمهما الله، ثم تلقى العلم على المشايخ في بلده؛ مثل: الشيخ محمد المقبل، وأخيه الشيخ عبد العزيز السبيِّل، وتلقى على الشيخ عبد الله بن حُمَيْد حينما كان رئيسًا للمحاكم في القصيم.
عُيِّن في عام ١٣٦٧هـ مدرسًا في أول مدرسة ابتدائية بالبُكَيْرِيَّة، ثم مدرسًا في المعهد العلمي في (بُرَيْدَة) عام ١٣٧٣هـ، وفي عام ١٣٨٥هـ صدر الأمر بتعيينه إمامًا وخطيبًا في المسجد الحَرام، ورئيسًا للمدرسين والمراقبين في رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحَرام، وفي عام ١٣٩٠هـ عُيِّن نائبًا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحَرام (الرئاسة العامة لشوؤن المسجد الحَرام والمسجد النبوي)، وفي عام ١٤١١هـ صدر الأمر السامي بتعيينه رئيسًا للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحَرام والمسجد النبوي، حتى طلب بإحالته إلى التقاعد.
وهو عضو في هيئة كبار العلماء، والمَجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي، وغير ذلك. له تصانيف أكثرها مخطوط، فمن ذلك: «ديوان خُطَب» صدر منه ثلاثة أجزاء، و«رسالة في حَدِّ السرقة في الشريعة»، و«رسالة في الرد على القاديانية»، و«رسالة في حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية»، و«أمالي في الفرائض»، و«فتاوي وأجوبة على بعض المسائل الدينية»، و«ديوان شعر»، و«الأدلة الشرعية في بيان حقِّ الراعي والرعية»، وغير ذلك. انظر «أئمة المسجد الحَرام ومؤذنوه» (ص٤٢- ٤٤).

(٢) الشيخ علي بن سليمان بن علي الضالع التويجري (نحو ١٣٢٩- ١٣٩٧هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). تعلَّمَ مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن عن ظهر قلب على المقرئ الشيخ مبارك بن عبد الله بن مبارك العُمَري، ثم تلقى العلم على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم ولازمه كثيرًا وانتفع به، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبَّادي، والشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد. ودخل المعهد العلمي في (بُرَيْدَة) طالبًا وأخذ الشهادة الثانوية، ثم دخل كُلِّيَّة الشريعة بالقصيم وتخرَّج فيها، ثم عُيِّن مدرسًا في المعهد العلمي في (بُرَيْدَة)، وبقي فيه إلى أن توفي، رحمه الله. انظر «علماء آل سَلَيْم» (٢/ ٣٩٩- ٤٠٠)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٢٠٣- ٢٠٦).

العزيز الخضيري[1] الذي كان تولى القضاء في بعض البلدان بعالية القصيم، ودرَّس عندنا أيضًا، وغير هؤلاء.

كما أنني قد اخترتُ لوظيفة مساعد مدير المعهد الأستاذ عبد الله بن سليمان الربدي[2]، وشغل هذه الوظيفة إلى جانب التدريس.

أما عدد الطلاب في ذلك الوقت فيشير الشيخ العبودي إلى أن المعهد قد شهد إقبالاً رائعًا، وذلك بسبب الثقة الكبيرة التي حظي بها من قبل الأهالي وطلبة العلم وكان لالتحاق المشايخ الذين سبق ذكرهم دور في ترسيخ تلك الثقة وقوة الإقبال عليه.

* * *

---

(١) الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله الخضيري (١٣٣٣- ١٣٩٢هـ)، وُلِدَ في (البُكَيْرِيَّة)، وتوفي في (المدينة المنوَّرَة). حفظ القرآن الكريم وجوَّده، وتعلَّمَ الخط والحساب في كُتَّاب المُربي صالح بن محمد بن عبد العزيز الصَّقْعَبي في (بُرَيْدَة)، ثم تلقى العلم على شيخه محمد ابن مقبل الذي لازمه طويلاً، وتلقى العلم في (الرياض) على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، وعلى آل سَلِيْم في (بُرَيْدَة)، وعلى الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن ابن سَعْدي في (عُنَيْزَة).
وتولّى القضاء بعد تمنُّع في (عَفيف) وما جاورها من البوادي مدَّة سبع سنوات من عام ١٣٦٤هـ إلى عام ١٣٧١هـ، وبعد إلحاحه على إعفائه أُعفي، ومن ثَمَّ صار مدرسًا في المعهد العلمي في (الرياض) لثلاث سنوات، ثم نُقل إلى التدريس في معهد (بُرَيْدَة)، فدرَّس فيه ست سنوات، ثم نُقل إلى التدريس في معهد (المدينة المنوَّرَة) عام ١٣٨٢هـ، واستمرَّ فيه حتى وفاته، رحمه الله. انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٢٨٣- ٢٨٧).

(٢) عبد الله بن سليمان بن حمد الربدي، من أوائل المتعلمين مثقف وطني ووجيه معروف، عمل مساعدًا لمدير المعهد العلمي إبَّان افتتاحه، وهو الآن أحد أعيان (بُرَيْدَة). ينتمي إلى أسرة الربدي الخالدية الشهيرة، ومنها إبراهيم الربدي أغنى أهل نجد في وقته، ولهم مواقف خيرية مشهورة وبِرّ وإحسان.

المبحث الرابع

العبودي والجامعة الإسلامية

تُعَدُّ الجامعةُ الإسلامية إحدى هدايا العلم الكبرى التي منحتها هذه البلاد المباركة إلى أبناء المسلمين في العالم؛ فقد كانت نواة مهمة للتعليم الشرعي الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكانت فكرتها تطمح إلى تقديم هذا المنهج العلمي السلفي النقيِّ إلى عموم المسلمين، على المستوى، وقد حمّل زمام هذه الفكرة المباركة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رحمه الله، فبادر إلى تأييدها والنهوض بفكرتها ودعمها ومساندتها، وعهد الملك سعود إلى سماحة المفتي لاستكمال إجراءات افتتاحها.

يتحدث الشيخ محمد العبودي عن الجامعة وبداياتها وولادتها التي شهد ووقف على لحظاتها الأولى منذ أن تم تعيينه فيها سنة ١٣٨٠هـ، فيقول: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- في ذلك الوقت كان يشغل وظيفة المفتي الأكبر في المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة واختار أشخاصًا للجامعة الإسلامية وأنا اختارني مديرًا للجامعة قبل غيري، لأن الفكرة الأولى أن يكون هناك مدير ونائب رئيس لأن الرئيس؛ هو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمه الله، فاستدعى الشيخ محمد بن علي الحركان[1] الذي صار وزير العدل بعد ذلك،

---

(١) الشيخ محمد بن علي بن محمد الحَرْكان (١٣٣٠- ١٤٠٣هـ)، وُلِدَ في (المدينة المنوَّرَة) وتوفي في (مكّة)، ويرجع أصل أسرته إلى آل الخريجي في منطقة (الخَرْج)، الذين انتقلوا إلى (عُنَيْزَة)، وانتقلوا منها إلى (المدينة). دخل الشيخ في مدارس (المدينة) الأوليَّة، فتعلّمَ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن في صِباه، ثم انتظم في مدرسة دار العلوم الشرعية، كما التحق بحلَق المسجد النبوي الشريف على عدد من مشايخه؛ مثل: الشيخ محمد الطيِّب الأنصاري، وهو أكثر من أخَذ عنه، والشيخ محمد بن علي بن تركي، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن العُمَري. وعمل رحمه الله في التدريس في المسجد النبوي، وفي القضاء لبلدة (العُلا) ومدينة (جدَّة)، ثم عُيِّن وزيرًا للعدل سنة ١٣٩٠هـ، وهو أول وزير للعدل في المملكة، فاستمرَّ في الوزارة إلى سنة ١٣٩٦هـ، ثم نُقل أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. انظر «روضة الناظرين» (٢/ ٣٥٦- ٣٥٩)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٣١٧- ٣٢٥).

وحضر إلى الرياض، وكنت في ذلك الوقت ضيفًا على الخاصة الملكية خاصة الملك سعود، رحمه الله، وأنزلوني في فندق اليمامة قرابة خمسين يومًا، فالشيخ محمد بن علي الحركان جاء من جدة، وبحث الموضوع مع الشيخ محمد بن إبراهيم ومعي أيضًا المفترض أني من أهل الدراية لأني كنت في ذلك الوقت مدير المعهد العلمي في بريدة، وقد مضى على تعييني في المعهد سبع سنوات قبل ان أعين في الجامعة التي لم تكن في ذلك الوقت إلاَّ فكرة، فالمفترض أنني حصلت على خبرة أو شيء من المعرفة بتسيير المعاهد والكليات.

وبعد مدة اعتذر الشيخ محمد الحركان ليس عن إدارتها بل اعتذر عن ترك عمله، لأن هناك ناسًا من أهل جدة كتبوا إلى الملك سعود، لأنه في ذلك الوقت كان قاضيًا في محكمة جدة، وأهل جدة كانوا مرتاحين منه جدًّا، لأن الرجل كان نزيهًا وقويًّا، ولا يبالي، فكتبوا رسائل كثيرة يطلبون من الملك سعود، ومن الشيخ محمد بن إبراهيم أن يبقى قاضيًا، وألاَّ ينتقل من عندهم. فتغلبت هذه النظرة عنده وبقي؛ لأن المسألة كلها راجعة إلى نظر ولي الأمر الملك سعود والمرجع الذي كلفه الملك سعود -رحمه الله- وهو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر، وهو رئيس الجامعة بعد ذلك رأى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أن يكون الشيخ عبد العزيز ابن باز هو نائب الرئيس وفي التشكيل الذي وضعناه أن تكون وظيفتي وظيفة الأمين العام للجامعة، فيكون في الجامعة من الموظفين الموجودين فيها موظفان اثنان رئيسان، نائب الرئيس الشيخ عبد العزيز ابن باز، والأمين العام، وهي وظيفتي أنا في ذلك الوقت ليس في الجامعة من الوظائف الرئيسية سوى هاتين الوظيفتين.

عندما فتحت الجامعة الإسلامية كان عمادها في أول الأمر بعض الطلبة الموجودين في الرياض الذين يدرسون في كليات الرياض، وبعضهم في المدينة، وبعضهم آثر أن يأتي إلى المدينة، ثم نحن أعددنا منحًا لسبعة وثلاثين بلدًا في أول مرحلة ونأتي بالطلاب من هذه المنح.

فلاحظنا أن بعض الذين أُرسلوا من قبل بعض الجمعيات الإسلامية أو من قبل السفارات السعودية أو من قبل الهيئات الإسلامية في الخارج ليسوا على المستوى المطلوب وبعضهم يقدم شهادات لا ندري عن مستواها، وكانت في أذهاننا في ذلك الوقت أن إفريقية هي التي يجب أن يُعْتَنَى بها أكثر من غيرها؛ لأن الاستعمار والمنصرين قد ركزوا في إفريقية ليس من أجل تنصير غير المسلمين أي الوثنيين، بل من أجل صد المسلمين عن الإسلام، ولذلك رأينا أنه لا بُدَّ من أن نركز على إفريقية ولكن لم تكن لدينا معلومات كافية عن إفريقية: لا عن الجمعيات الإسلامية، ولا عن الجهات التي هي أكثر حاجة من غيرها، ولا على الجهات الموثوقة التي ترسل الطلبة، فكانت النتيجة أن صدر الأمر بأن يذهب من الجامعة وفد من ثلاثة أشخاص أكون أنا رئيسه، ومعي اثنان كان الملك فيصل – رحمه الله– الذي كان في ذلك الوقت نائب الملك عندما سافرنا إلى إفريقية، وكان الملك سعود موجودًا في سنة ١٣٨٤هـ، وعندما عدنا كان الملك فيصل قد أصبح ملكًا في عام ١٣٨٤هـ، لكن لما ذهبنا إلى إفريقية أعطانا الملك فيصل بعض النقود لتوزيعها على الجهات الإسلامية العاملة، يَعْنِي أصحاب المدارس والجمعيات الذين يقومون بعمل دعوة إسلامية خاصة. أعطانا إياها بدون جدول، أذكر أنه –رحمه الله– عندما ذهبت لأودعه قلت له: يا جلالة الملك، البلاد التي سنذهب إليها ليس فيها سفارات سعودية؛ لأن آخر سفارة في الصومال، وليس بعدها شيء، ونحن محتاجون إلى توجيهاتكم، فقال لي: في كلمة جامعة عجيبة، وقال: راقب الله في أقوالك وأفعالك تنجح، الحقيقة أنني حينما تأملت هذا الكلام وجدت أنه لا مزيد عليه؛ لأن الذي يراقب الله في أقواله وأفعاله سينجح ليس معنى هذا أنه سينجح في الحصول على الأجر فقط بل ينجح في الحصول على الأجر وينجح عند الناس.

ذهبنا إلى هناك وفوجئنا بأن المعلومات التي عندنا عن الإخوة المسلمين، وعن جمعياتهم، وعن مساجدهم، وعن طلبة العلم عندهم، وعن الظروف المحيطة بالدعوة فيها ظروف مشجعة وهي قليلة، وفيها ظروف مؤسفة، وهي كثيرة

والمعلومات التي عندنا نكاد نقول: إنها تساوي صفرًا، ولذلك قيدت جميع ما رأيته، وكان هذا نواة أول كتبي في الرحلات، وقد أصدرته، ولم أكن أظن أنه سيكون كتابًا، ولكن لما اجتمع عندي، وأشار عَلَيَّ بعض الإخوة أن أصدره، وقد أصدرته بعنوان: "في إفريقية الخضراء مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين"، وقد استقبل هذا الكتاب استقبالاً حافلاً شَجَّعَني استقبال القُرَّاء له ليس في بلادنا فقط، ولكن في البلدان الأخرى. أذكر أنه ترجم منه مقادير كبيرة إلى اللغة التركية ترجمها الأستاذ صالح أوزجان، ونشرها في مجلة الهلال التي كانت تصدر في تركيا، وترجم في الهند إلى عدة لغات، وقررت الأكاديمية العسكرية العربية في القاهرة تدريسه على الطلاب.

وعندما قلت للأستاذ اللواء في ذلك الوقت محمود شيت خطاب، وكان من المدرسين فيها، وهو عراقيًّا قلت له: ماذا رأيتم في الكتاب وأنا لا أرى أنه يستحق أن يقرر؟ وقال: نحن جلسنا، وقلنا: لا بُدَّ من أن يدرس الطلبة أحوال إخوانهم المسلمين، ولكن لا بُدَّ أن نقرر عليهم كتابًا كتبه مسلم، ولم نجد إلا كتابك فقررناه، قلت: على كل حال لا أظن أنه يصل إلى هذا المستوى الذي أنتم أحللتموه فيه.

عندما رجعنا من إفريقية كتبت تقريرًا رفعناه إلى الملك عن طريق الجامعة وسماحة الوالد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- ومنه إلى الملك فيصل؛ لأن الملك فيصل؛ في ذلك الوقت قد أصبح ملكًا، وكان فيه مقترحات من بينها إرسال خمسين داعية عينت أماكنهم في ذلك الوقت ومبالغ من المال، وكذلك تخصيص منح لأبناء المسلمين، من الأقطار التي زرناها؛ فكانت النتيجة أن وافق الملك فيصل -رحمه الله- على جميع هذه المقترحات، واعتمد خمسين وظيفة داعية، لا تزال موجودة من ذلك الوقت، ولله الحمد، وتوسعت، وكانت نواة لوظائف الدعاة التي اتسعت بعد ذلك، واستقبلنا في الجامعة الإسلامية الطلبة من تلك الأقطار.

المبحث الخامس

العبودي والأمانة العامة للدعوة الإسلامية

عُنِيَتْ قيادةُ المملكة العربية السعودية بالهم الإسلامي منذ نشأتها، وكانت هذه البلاد ولا زالت محطَّ أنظار المسلمين ومقصدهم؛ لما تحمله من مكانة دينية خاصة في نفوسهم؛ حيث تتجه إليها أنظارهم كل يوم خمس مرات في صلواتهم، وكان للقوة والمكانة الاقتصادية للمملكة العربية السعودية أثر آخر في احتلال مكانة أخرى مضافة إلى مكانتها الدينية.

ولم تغفل القيادة الهم الإسلامي الكبير الذي تحمله نحو قضايا المسلمين ومعاناتهم وهمومهم في شتى الأصقاع، وكان من اللازم وضع الإستراتيجيات الضرورية للعمل الإسلامي بشقيه المادي والدعوي، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء الهيئة العليا للدعوة الإسلامية برئاسة سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز لِتُعْنَى بهذا الجانب المهم، فترسم السياسات، وترعى المساعدات وَفْقَ منهج راسخ نقي، وعهد بالأمانة العامة فيها إلى الشيخ محمد العبودي الذي كان على دراية كبرى بالعمل الإسلامي منذ رحلاته المبكرة إلى القارة الإفريقية التي تحتضن أكثر الدول الإسلامية وأشدها حاجة إلى الدعم المعنوي والمادي، مع ما يتمتع به الشيخ العبودي من حس دعوي، وجانب تعليمي، وقدرة على سبر أحوال المسلمين، ومعرفة احتياجاتهم، وكان تعيين الشيخ في سنة ١٣٩٤هـ.

وبقيت الهيئة العليا في أعمالها ومنهجها المرسوم حتى تم تشكيل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي يرأسه أيضًا صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز.

* * *

المبحث السادس

العبودي ورابطة العالم الإسلامي

أنشئت رابطة العالم الإسلامي في آخر عام ١٣٨١هـ، وكانت نشأتها عندما نادى عدد من قادة الأمة الإسلامية وعلمائها لتشكيل منظمة تجمع جهود المسلمين بهدف تحقيق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والدفاع عن المسلمين وقضاياهم في أنحاء العالم؛ فانطلقت إشراقات الدعوة الإسلامية حتى عَمَّت العالم بنورها، من مكة المكرمة مَقَرِّ هذه المنظمة الفَتِيَّة التي تعاهدتها بالدعم والتأييد قيادة المملكة العربية السعودية مشكورة، وذلك دأبها دائمًا في الاهتمام بالإسلام والمسلمين وقضاياهم.

ومثل أي شأن في بدايته ينمو صغيرًا ثم يكبر، بدأت الرابطة بعدد محدود من الموظفين لا يَزيد عن عشرين موظفًا، وعدد من الإدارات لا يتجاوز أربع إدارات، وما زالت تنمو وتتسع حتى أصبحت - بفضل الله - الآن أكبرَ منظمة إسلامية شعبية في العالم، وأَضْحَتْ مَحَطَّ أنظار المسلمين والهيئات الإسلامية في كل مكان، يطلبون منها الدعم والتوجيه ويستفيدون من خبراتها وكفاءتها.

وأصبحت الرابطة الآن تضم أكثر من أربعين إدارة رئيسة وفرعية، وصار لها مكاتب بالخارج موزعة على قارات العالم السِّتِّ. وما من بلد إسلامي إلا ولها فيه نشاط، وما من أقلية إسلامية أو فئة إلا وتجد منها التعاون على البر والتقوى، وبلغ إنفاق الرابطة في سنواتها الماضية أكثر من سبعمئة مليون دولار في دعم المؤسسات الإسلامية، ومساعدة المسلمين في ميدان الثقافة الإسلامية، وأشرفت على عشرات المراكز الإسلامية، وأسهمت في إنشاء آلاف المساجد في العالم وامتد نشاطها إلى مختلف أنحاء المعمورة.

كما أن الرابطة تعين الدعاة، وترسلهم إلى المسلمين المحتاجين إليهم في أنحاء العالم.

وتتمتع الرابطة ـــ ولله الحمد ـــ بسمعة عالمية ممتازة؛ فقد حازَتْ على لقب سفير السلام من منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٨٧م، وتتمثل بصفة مراقب من الدرجة الأولى في جميع المنظمات الدولية المنبثقة عن منظمة الأمم المتحدة.

ويزور بشكل متكرر مسؤولون من الرابطة جميع أنحاء المعمورة للقاء إخوانهم من المسلمين، والاطلاع على مشروعاتهم الإسلامية، ودراسة أوضاعها عن كثب، وتقديم ما يمكن من مساعدات لهم.

وللرابطة مجلس تأسيسي يضم ممثلين عن أغلب الشعوب والجماعات الإسلامية في العالم.

أما الأمانة العامة ـــ وهي الجهاز التنفيذي لسياسة الرابطة وأهدافا ـــ فإنها تتألف من عدة قطاعات وإدارات رئيسة تغطي جميع أوجه النشاط للرابطة.

أما الناحية الإعلامية فإن الإدارة العامة للإعلام والثقافة في الرابطة تصدر مطبوعات باللغة العربية والإنجليزية أسبوعية وشهرية وربع سنوية عَدَا الإصدارات الخاصة في المناسبات، وتتضمن هذه المطبوعات مقالات إعلامية مركزة للدعوة إلى الله، والدفاع عن قضايا المسلمين، والتعريف بمختلف الفئات الإسلامية وبآمالهم وآلامهم، وكشف المخططات التي تستهدف المسلمين، وتصدر تلك المطبوعات من دار للطباعة مجهزة بأحدث الوسائل والأجهزة التقنية لمواكبة التزايد الكبير في طباعة الدوريات والكتب والنشرات الصادرة عن الرابطة بمختلف اللغات.

كما تقوم إدارة الثقافة ـــ مركز توزيع الكتب ـــ وإدارة شؤون القرآن الكريم بشحن عدد كبير من الكتب والمصاحف إلى أنحاء المعمورة كافة مما رفع ميزانية تلك التكاليف إلى مبالغ كثيرة تغطي الرابطة جزءًا منها، والجزء الباقي مما يتبرع به أهل الخير.

وتقوم إدارة المؤتمرات بتنظيم المؤتمرات الإسلامية وعقدها داخل المملكة وخارجها للدفاع عن قضايا المسلمين، وخاصة الأقليات المسلمة فضلاً عن المؤتمر السنوي للمجلس التأسيسي للرابطة، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد المنبثق من الرابطة حيث يجتمع نخبة من العلماء وقادة الفكر لمناقشة أوضاع المسلمين، ووضع خطة العمل السنوية للرابطة.

ويتولى قطاع التعليم رعاية المشروعات التي تعمل على تكوين جيل من أبناء المسلمين مسلح بالعلم الشرعي والعلوم الحديثة، وتتولى رعاية مدارس ومعاهد وجامعات، وتساهم في مساعدة مراكز الدراسات الإسلامية في الجامعات، كما ترعى الموهوبين من أبناء الأمة، فتقدم لهم المنح الدراسية في شتى فروع المعرفة[1].

ويتبع قطاع المساجد معهد لتخريج الأئمة والدعاة، هو معهد إعداد الأئمة والدعاة، تمنح فيه درجات علمية عالية لتسليح الداعية بسلاح العلم والمعرفة كي يدعو إلى الله على بصيرة، كما تقوم الرابطة بتنظيم عدة دورات في مختلف أنحاء العالم لتدريب الأئمة والدعاة والمدرسين.

ولا يمكن أن ينسى أحد جهود قطاع الإغاثة الإسلامية الذي تشرف عليه هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي تتبع الرابطة، والتي تنهض فتسرع في كل ملمة لإغاثة المحتاجين من أبناء المسلمين، فتقوم بنجدتهم بالمال والغذاء والكساء.

ولا تترك الرابطة أي فرصة للدفاع عن المسلمين وشرح قضاياهم أو مساعدتهم إلا واهتبلتها، ديدنها في ذلك العمل الدؤوب دون كلل لخدمة الأمة المسلمة العظيمة وكانت في كل خطوة تسجل موقفها المشرف الشجاع بصراحة ووضوح.

---

(١) انظر العالم الإسلامي والرابطة — للعبودي.

يقول العبودي عن انتقاله إلى الرابطة: "عُيِّنْتُ في الرابطة في اليوم الذي توفي فيه الشيخ محمد الحركان، رحمه الله، وقد توفي في اليوم التاسع من شهر رمضان عام ١٤٠٣هـ.

كان الشيخ -رحمه الله- مريضًا في المستشفى، ولم يكن في الرابطة في ذلك الوقت مَن يشغل وظيفةَ الأمين العام والأمينَ العام المساعد، فَوَرَدَ الأمر السامي الكريم برقيًا من الملك فهد بن عبد العزيز- أيده الله وحفظه- عن طريق صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي كان ولا يزال هو رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، وهو الآن رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وكان عملي آنذاك قبل الرابطة في وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية وأمين الهيئة العليا، والهيئة العليا رئيسها سمو الأمير سلطان. فأخبرني سمو الأمير سلطان بأن خادم الحرمين الشريفين أمر بأن أذهب إلى الرابطة أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد، ثم توليت وظيفة الأمين العام بالنيابة في الرابطة في عام ١٤٠٣هـ، أما الآن فلا أزال أشغل وظيفة الأمين العام المساعد للرابطة فقد تم ذلك في ١٤٠٣/٩/٩هـ، ويؤكد العبودي أن فترة عمله بالرابطة كانت أحد الأسباب الرئيسة لتعدد وشمول رحلاته إلى أنحاء العالم، والتعرف عن قرب إلى أوضاع المسلمين في شتى الدول.

وقد يخفى على البعض أن الشيخ محمد العبودي قد اعتذر عن تسلُّم الأمانة العامة للرابطة عدة مرات، بل إنه في عام ١٤١٤هـ وبعد انتقال معالي د. عبد الله عمر نصيف[1] إلى مجلس الشورى نائبًا للرئيس، وقبل تعيين د. أحمد محمد علي[2] في الرابطة أمر خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - أن يُعلن في المجلس

---

(١) د. عبد الله بن عمر نصيف من مواليد جدة ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، يحمل دكتوراه في الجيولوجيا من جامعة ليدز في المملكة المتحدة، تولى إدارة جامعة الملك عبد العزيز ثم أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي من ١٤٠٣ حتى ١٤١٣هـ، اختير نائبًا لرئيس مجلس الشورى فور تشكيله حتى ١٤٢٢هـ، له عدد من المؤلفات والبحوث العلمية والثقافية.

(٢) د. أحمد محمد علي- مواليد المدينة المنورة ١٣٥٢هـ، حصل على بكالوريوس التجارة والحقوق من جامعة القاهرة، ثم الماجستير والدكتوراه من أمريكا، عُيِّنَ نائبًا لمدير جامعة الملك عبد العزيز، وكيلاً

التأسيسي، والذي يتم فيه انتخاب الأمين العام بأن الشيخ محمد العبودي قد اعتذر عن قبول منصب الأمين العام، وقد أعلن ذلك في المجلس سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله- رئيس المجلس التأسيسي آنذاك والشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي[1] وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد آنذاك، كما أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بترقية فضيلة الشيخ محمد العبودي إلى المرتبة الممتازة.

أما عن سبب الاعتذار عن تولي الأمانة العامة، فيرجعه الشيخ محمد إلى رغبته في زيارة أماكن المسلمين في العالم؛ ليتعرف على أوضاعهم، وهذا لا يتيسَّر إذا أصبحتُ أمينًا عامًّا حَسْبَمَا يقول الشيخ نظرًا لما يتطلبه منصب الأمين العام من التواجد الدائم وعدم التجوال.

إضافة إلى المشاركة الدعوية التي يقوم بها خلال تلك الجولات، وترسيخ مفهوم الإسلام بصورته النقية الناصحة الصحيحة في وسطيته واعتداله وتسامحه.

وتلخص الرابطة أهدافها فيما يأتي":

١- أداء فريضة الله في تبليغ دعوة الإسلام.

٢- شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وتعاليمها ودحض الشبهات عنها.

٣- مجاهدة المؤتمرات الخطيرة التي يريد بها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخلاقهم.

لوزارة المعارف، ثم رئيسًا للبنك الإسلامي للتنمية، ثم أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي، ثم رئيسًا للبنك مرة ثانية، له عدد من الأبحاث الاقتصادية المنشورة.

(١) د. عبد الله بن عبد المحسن التركي- مواليد عرقة ١٣٥٩هـ، حصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة الأزهر، عمل عميدًا لكلية العلوم الاجتماعية، ثم وزيرًا للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ثم أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي ولا يزال عشرات الكتب والأبحاث المطبوعة، شارك في عشرات المؤتمرات والملتقيات.

٤- النظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشكلاتهم.

ولقد أتاح المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة في الرابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٨١هـ الفرصة لقيادات العالم الإسلامي وعلمائه ومفكريه للنظر في التحديات التي تواجه المسلمين، والتفكير في سبل إزالة العقبات والعوائق التي تعترض التضامن الإسلامي، فكان أن أصدر المؤتمر توصيته بإنشاء هيئة إسلامية عالمية شعبية (غير حكومية) سُمِّيَتْ فيما بعد برابطة العالم الإسلامي تمثل الشعوب الإسلامية في أنحاء الأرض كافَّة، في إطار من التعاون المثمر البَنَّاء، تحقيقًا لقوله تعالى: **﴿وتعاونوا على البرِّ والتقوى﴾** (المائدة: ٢). وقوله تعالى: **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص﴾** (الصف:٤). وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا»(١) وَشَبَّكَ بين أصابعه.

ومنذ ذلك الوقت والمملكة تقوم بجهد كبير في تهيئة الظروف والأوضاع، التي تمكن الرابطة من مباشرة مَهَامِّهَا، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها، ولمناشطها في الداخل والخارج، حتى أصبح لها جهد ملموس في مجال نشر الدعوة الإسلامية، والدفاع عن قضايا المسلمين، وتلمس شؤونهم وشجونهم، واحتياجاتهم، ودعم الأقليات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

وتقوم المملكة العربية السعودية بدعم رابطة العالم الإسلامي بما يقارب ٩٠٪ من ميزانيتها، إضافة إلى التبرعات والمساعدات التي يقدمها المجتمع السعودي لتعزيز نشاط الرابطة.

---

(١) تخريج الحديث: بخاري صلاة:٨٨- أدب:٣٦. مسلم بر٦٥. مسند أحمد: ٤/١٠٤-٤٠٥-٤٠٩.

وقد أولى خادم الحرمين الشريفين عناية خاصة بالرابطة؛ لإيمانه بأثرها في تعزيز التضامن الإسلامي، فخصص لها دعمًا سنويًّا قدره (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مئة مليون ريال لدعم جهودها في مجال الدعوة الإسلامية. بالإضافة إلى (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) عشرين مليون ريال أخرى لدعم صندوق المجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي يخصص ميزانيته لإعمار بيوت الله. كما أمر بتخصيص مقر دائم "للأمانة العامة للرابطة" في مكة المكرمة تكلف بناؤه ما يزيد على (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مئة مليون ريال، وتدعم المملكة العربية السعودية مناشط الرابطة في طباعة الكتب الإسلامية وترجمتها إلى عدد من لغات العالم.

ووقفت المملكة مساندة للرابطة في تحقيق أهم أهدافها المتمثلة في دعم الأقليات، والجاليات المسلمة في العالم عقديًا، واقتصاديًا، وثقافيًا، وسياسيًا، للحصول على حقوقها المشروعة.

كما تقوم المملكة بدعم جميع الأجهزة، والمكاتب، والمؤسسات التابعة للرابطة، وتوفر لها كل الإمكانات التي تساعدها على القيام بأعمالها.

ومكّنَ هذا الدعم الرابطة من أداء واجبها في تبليغ الدعوة الإسلامية، وشرح مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وإبعاد الشبهات عن الإسلام والتصدي للتيارات، والعقائد، والمذاهب الهدامة، والدفاع بكل قوة ومثابرة عن قضايا الأقليات المسلمة، وفي تقوية أواصر علاقاتها، ودعمها للمنظمات، والمؤسسات الإسلامية المختلفة، ونشر التعليم الإسلامي، وتأسيس المدارس والمعاهد والمراكز الإسلامية، وتشجيع الدعاة، وتعزيز الدعوة الإسلامية ودعمها. ومن أقوال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في بيان أهمية الرابطة قوله ـــ حفظه الله ـــ: «ولا شك أن رابطة العالم الإسلامي التي تضم في مجالسها نخبة من علماء، ومفكري العالم الإسلامي، الذين عرفوا بعملهم الجاد، وإخلاصهم لله عز وجل سيقومون بدراسة وبحث كل ما يشغل المسلمين من مشكلات، وما يهدد كيانهم الإسلامي من مخاطر، ويضعون بفكرهم الثاقب ما يعزز تمسك

المسلمين بدينهم، ويقوي تضامنهم، ويوطد قواهم، ويحل مشاكلهم لا سيما في هذا العصر الذي يضاعف المسؤولية عليهم، ويقتضي منهم مضاعفة الجهد، والدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة»[1].

* * *

---

(١) العالم الإسلامي والرابطة للعبودي.

الفصل الرابع

العبودي عميد الرحّالة

يخلق الله للحروب رجالًا لا يهابون كثرة الأخطار

المبحث الأول : أولى الرحلات

المبحث الثاني : كتبه في الرحلات

المبحث الثالث: العبودي في عيون الباحثين

المبحث الرابع : العبودي الرحالة المتحدث

وبرنامج "المسلمون في العالم مشاهد ورحلات"

المبحث الخامس : لقاء خاص تمت إذاعته في إذاعة القرآن الكريم

المبحث الأول

أولى الرحلات

لم يكن العلاّمة العبودي يدرك وهو يقدم موافقته على السفر إلى جولة إفريقية في مهمة رسمية للجامعة الإسلامية في الثمانينات الهجرية أن تلك الرحلة ستكون انطلاقته الأولى نحو جولاته التي ستقوده إلى بقاع الأرض قاطبة، و لم يكن يدور بِخَلَدِه أن تكون تلكم الرحلة مفتاحه إلى العالمية، فيما كتب عن الرحلات، لتمتد قدماه إلى مواقع مغمورة، وأخرى خطيرة موبوءة، لكنه باحث عن الحقيقة يبغي الهدف، ثم تراه يحلق فوق الأرض آلاف الساعات التي أمضاها قطعًا لمسافات ولهثًا وركضًا وراء فائدة أو معلومات.

كانت رحلته تلك بمترلة الإذن الأول لتطوافه الشهير، ويقترن اسمه بالرحلات وأعلامها ورموزها الأوائل بدءًا من ابن بطوطة وابن جبير وابن فضلان وهارون بن يحيى وغيرهم.

إذا كانت رحلات الأوائل ومن خلفهم كانت متباينة الأهداف، مختلفة المقاصد إلا أنها اتفقت على العناية بتدوين الرحلة، وضبط أحداثها، وبيان مشاهداتها إلا أن العلاّمة العبودي استطاع تقديم منهجية جديدة في تدوين الرحلة معتمدًا على هدف الرحلة الرئيس وهو تفقد أحوال المسلمين في البلد المزور والمرور على المشاهدات العامة والخاصة كافة.

كما أن الملكات الأدبية وروح البحث والفضول العلمي الذي يتمتع به العلاّمة العبودي جعلته يغوص في أعماق الرحلة، وينبش تفاصيلها مع روحه الفكاهية المرحة، ووصفه الجميل لبعض المشاهد، كما أنه لا يكتفي بالنقل من غير مناقشة، ففي أحيان كثيرة لا يقنع بالجواب الذي جمعه عن مشهد أو موقع أو مسمى، فيتقدم للتمحيص والتحقيق مستعينًا بخلفياته التاريخية والفكرية الأخرى.

ومن هنا تعين على كل باحث في أدب الرحلة أن يكون له وقفة مهمة مع العبودي ومنهجيته، وقد عُنِيَ كثير من الدارسين بحسه الإسلامي، وذوقه الأدبي الذي أضفى على كتبه نكهة ومذاقًا جعلها لا تمل.

أما عن أولى رحلاته التي كانت سنة ١٣٨٤هـ منطلقة نحو إفريقية، فيشير العبودي إلى أنه عندما فُتحت الجامعة الإسلامية كان عمادها في أول الأمر بعض الطلبة الموجودين في (الرياض) الذين يَدْرسون في كُلِّيَّات (الرياض)، وبعضهم من أهل (المدينة)، وبعضهم آثر أن يأتي إلى (المدينة)، ثم نحن أعددنا منحًا لسبعة وثلاثين بلدًا في أول مرحلة نأتي بالطلاَّب من هذه البلاد.

فلاحظنا أن بعض الذين أُرسلوا من قِبَل الجمعيات الإسلامية، أو من قِبَل السفارات السعودية، أو من قِبَل الهيئات الإسلامية في الخارج، ليسوا على المستوى المطلوب، وبعضهم يُقدِّم شهادات لا ندري عن مستواها.

وكان في أذهاننا ــ في ذلك الوقت ــ أن إفريقية هي التي يجب أن يُعتنى بها أكثر من غيرها؛ لأن الاستعمار والمُنصِّرين (وهم يسيرون في رِكابه كما نعلم) قد ركَّزوا في إفريقية؛ وذلك ليس من أجل تنصير غير المسلمين من الوثنيين، وإنما أيضًا من أجل صَدِّ المسلمين عن دينهم؛ ولذلك رأينا أنه لا بُدَّ من أن نركز في إفريقية، ولكن الذي فَتَّ في العَضد أنه ليست لدينا معلومات كافية عن إفريقية، لا عن الجمعيات الإسلامية، ولا عن الجهات التي هي أكثر حاجة من غيرها، ولا عن الجهات الموثوقة التي تُرسِل الطلبة. فكانت النتيجة أن صدر الأمر بأن يذهب من الجامعة وَفْد من ثلاثة أشخاص، أكون أنا رئيسه ومعي اثنان اختارهم، وأعطاني الملك فيصل ــ رحمه الله ــ الذي كان هو نائب الملك، وكان الملك سعود موجودًا في سنة ١٣٨٤هـ، وعندما عُدنا كان الملك فيصل قد أصبح ملكًا في شعبان عام ١٣٨٤هـ.

أعطانا الملك فيصل لَمَّا ذهبنا إلى إفريقية بعض النقود لتوزيعها على الجهات الإسلامية العاملة، يعني: أصحاب المدارس، والجمعيات، والذين يقومون بعمل الدعوة خاصة أئمة المساجد، أعطانا إيَّاها من دون جدول لتوزيعها. وأذكر أنه – رحمه الله– عندما ذهبت لأودعه ــ وأنا قابلته مرتين قبل رحلاتي، وفي المرَّة الثانية ــ قلت له : «يا جلالة الملك، البلاد التي سنذهب إليها ليس فيها سفارات سعودية؛ لأن آخر سفارة في الصومال، وليس بعدها شيء، ونحن محتاجون إلى توجيهاتكم».

فقال لي كلمة جامعة عجيبة قال: «يا أخي، أنا أقول لك جملة واحدة لا أزيد عليها: راقب الله في أفعالك وأقوالك؛ تنجح».

الحقيقة أنني عندما تأملت هذا الكلام وجدت أنه لا مزيد عليه؛ لأن الذي يراقب الله سبحانه وتعالى في أقواله وأفعاله سينجح، وليس معنى هذا أنه سينجح في الحصول على الأجر فقط، وإنما يحصل على الأجر وينجح عند الناس.

ذهبنا إلى هناك، وفوجئنا بأن المعلومات التي عندنا عن الإخوة المسلمين، وعن جمعياتهم، وعن مساجدهم، وعن طلبة العلم عندهم، وعن الظروف المحيطة بالدعوة فيها ظروف مشجِّعة (وهي قليلة)، وفيها ظروف مؤسفة (وهي كثيرة). والمعلومات التي عندنا نكاد نقول: إنها تساوي صفرًا، ولذلك قيَّدت جميع ما رأيته، وكان هذا نواة كتبي في الرحلات، وقد أصدرته، ولم أكن أظن أنه سيكون كتابًا، ولكن لَمَّا اجتمع عندي، وأشار عليَّ بعض الإخوة أن أصدره، وقد أصدرته بعنوان «في أفريقية الخضراء: مشاهدات، وانطباعات، وأحاديث عن الإسلام والمسلمين»، وقد استُقبِل هذا الكتاب استقبالاً حافلاً شجعني، واستقبال القراء لــه ليس في بلادنا فقط، ولكن في البلدان الأخرى. وأذكر أنه تُرجم منه مقادير كبيرة إلى اللغة التركية، ترجمها الأستاذ صالح أوزجان ونشرها في تركيا، وتُرجم في الهند إلى عدة لغات، وقرّرت الأكاديمية العسكرية العربية تدريسه للطلاَّب.

المبحث الثاني

أ- كتبه في الرحلات

١ - كتاب: إطلالة على موريتانيا:

يتناول تسمية موريتانيا واستقلالها وسكانها واقتصادها وموقعها، وجولة في الريف السنغالي، وزيارة إلى جامع العاصمة، وتفقد مكتب رابطة العالم الإسلامي، وزيارة الجمعية الثقافية الإسلامية، ثم زيارة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ومن داكار إلى نواكشوط حتى مغادرة موريتانيا.

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢ - كتاب: رحلات في أمريكا الجنوبية (غيانا وسورينام) مشاهدات وأحاديث عن المسلمين:

يتناول في هذا الكتاب جمهورية غيانا، وموقعها من القارة الأمريكية والمسلمين بها، ثم زيارة مدينة جورج تاون عاصمة جمهورية غيانا والعرب في جورج تاون، ثم زيارة جامع كوين تاون، والإسلام في أمريكا الجنوبية، ثم إلى سورينام وأحوال العرب والمسلمين بها حتى البرازيل.

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣ - كتاب: حديث قيرغيزستان (دراسة ومشاهدات ميدانية):

يتناول الكتاب التعريف بجمهورية قيرغيزستان وعدد المسلمين بها، والنشاط الإسلامي بها، ومشاهداته من قازاقستان إلى قيرغيزستان، وجولة في مدينة أوش، وزيارة إلى جامع الإمام البخاري حتى مغادرة قيرغيزستان إلى طشقند.

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

- دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت لبنان.

٤ ـ كتاب: في بلاد المسلمين المنسيين (بخارى وما وراء النهر):

يتناول تقديمًا للأستاذ بابكر درويش مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في أديس أبابا، ومغادرة الأردن (عمان) إلى موسكو، وزيارة الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان، وزيارة معهد الإمام البخاري، وحضور عقد النكاح الشرعي بين منطقة أهل بخارى، والإسلام والمسلمين في جمهوريات تركستان الغربية.

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥ ـ كتاب: رحلات الشمال – مواطن إسلامية ضائعة (مشاهد في مولدوفا وأرمينيا):

يتناول الكتاب مولدوفا أو مولدافيا وعدد السكان بها، وزيارة مقر مبنى لجنة القوميات في كتشنيف مع بعض ممثلي المسلمين، ثم زيارة مسجد الكلية الطبية، ثم إلى أرمينيا والتعرف إلى سكانها واقتصادها، وتاريخ الحكم الإسلامي في أرمينيا، ثم زيارة المسجد الأزرق في يريفان.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٦ ـ كتاب: يوميات آسيا الوسطى:

يتناول جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية سابقًا، موقعها ومساحتها ومعنى (أوزبكستان)، والقيام بجولات على المساجد، والصلاة في مسجد تلاشيخ، ثم زيارة معهد الإمام البخاري، ثم زيارة خوارزم من طشقند إلى أوركنج، ثم زيارة جمهورية تركمانستان، ثم إلى مدينة الإمام البخاري، ثم زيارة جمهورية تاجيكستان، ثم إلى وادي فرغانة، ثم زيارة مسجد ذي النورين وجامع الإمام أبي حنيفة، ثم العودة إلى طشقند.

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٧ - كتاب: ذكريات من يوغسلافيا (رحلة ودراسات في شؤون المسلمين):

يتناول الأوضاع السائدة في يوغسلافيا ومناطق المسلمين وعددهم فيها، ثم يتناول المؤسسات الإسلامية والوضع الإسلامي في يوغسلافيا المعاصرة ثم قضية كوسوفا، كما يتكلم عن المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك، ثم زيارة جامع بلغراد والآثار الإسلامية، ثم جامع خسروبيك، ثم جولة في ريف سراييفو.

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٨ - كتاب: سياحة في كشمير (وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم):

يتناول موقع كشمير وسكانها ودخول الإسلام إليها، كما يتناول السياحة من دلهي إلى سرنقر، وكيف دخل الإسلام إلى الهند، وجولة في ضواحي سرنقر وزيارة المسجد الكبير فيها، ثم زيارة مقر الجماعة الإسلامية في كشمير وجامع بهلقام وأثر الهنادك في المسلمين.

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٩ - كتاب: الرحلات الهندية — في جنوب الهند (رحلات في ولايات: تامل نادو وكارناتك واندرا براديش):

يتناول زيارة مدينة بومبي والتعرف إلى أحوال المسلمين، والتحدث عن الموت والحياة في الهند، وجولة في مِدراس، والمسلمين في تامل نادو، كما يتناول اعتناق الدين الإسلامي في ولاية تامل نادو والعراقيل في طريق اعتناق الإسلام، وزيارة مسجد نانا باغ، ثم زيارة الجامعة العثمانية.

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٠- كتاب: في غرب البرازيل:

يتناول زيارة السفارة السعودية في البرازيل، ومدينة كويابا، وكذلك جامع كويابا والتعرف إلى المسلمين في كويابا، وزيارة مقبرة المسلمين، ومقر المركز

الإسلامي في مدينة كامبو قراندي، والتعرف إلى أحوال المسلمين في كامبو قراندي، ثم القيام بجولة في بلدة دورادس وفي جامعها، والتعرف إلى المسلمين في دورادس.

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١١- كتاب: بلاد الشركس (الإديغي) — اجتياز القوقاز:

يتناول دخول الشركس في الإسلام من سيمفربول إلى سوتشي وزيارة دار الفتوى وبعض القرى التي لا يوجد فيها مساجد، والتحدث عن رمز الضيافة الشركسية.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

١٢- كتاب: في شرق البرازيل (الرحلات البرازيلية):

يتناول في هذا الكتاب سبب الرحلة إلى شرق البرازيل، وهو التعرف إلى المزيد من البلاد البرازيلية والحضور أيضًا إلى البرازيل من أجل عقد مؤتمر إسلامي في مدينة برازيليا عاصمة البلاد، والبحث في أمور المسلمين في القارة الأمريكية الجنوبية.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

١٣- كتاب: كنت في ألبانيا (رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية):

يتناول في هذا الكتاب جمهورية ألبانيا وموقعها على الساحل الغربي من شبه جزيرة البلقان المطل على مدخل البحر الأدرياتيكي الذي يفصلها عن إيطاليا، وعاصمتها تيرانا، والتحدث عن الوضع الإسلامي في ألبانيا، ودخول الإسلام إلى ألبانيا، والتعرف إلى أحوال الإسلام والمسلمين في ألبانيا المعاصرة.

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٤- كتاب: داخل أسوار الصين (رحلة وحديث في شؤون المسلمين) — الجزء الأول والثاني:

يتناول الحديث عن المسلمين في مقاطعة نن تشا، وعن عاداتهم وتقاليدهم ودخول المسلمين المنطقة، كما قمنا بلقاء رئيس الحكومة والمسؤولين المسلمين وجولة على المساجد، والتعرف إلى عدد المسلمين في قرية تاي تسي المسلمة، وعن عدد المساجد في هذا الريف، وكذلك زيارة مسجد ياتشنغ في مدينة تونغ شين.

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م -مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.

١٥- كتاب: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية أو بقية البقية من حديث إفريقية:

يتناول في هذا الكتاب زيارة جمهورية القابون من لومي إلى ليبرفيل، ثم زيارة مكتب رابطة العالم الإسلامي ومسجد أكبي بلين في ليبرفيل، ثم إلى الكنغو والتعرف إلى الأحوال الاقتصادية بها، وزيارة الجمعيات الإسلامية العاملة بالبلاد، ثم رابطة الشباب المسلم، ثم تقرير مفصل عن المسلمين في مدينة بوينت نوار، ثم إلى زائير من برازافيل إلى كنشاسا وزيارة مسجد الحق فيها.

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - مطبعة النرجس - الرياض.

١٦- كتاب: في إندونيسيا — أكبر بلاد المسلمين:

يتناول التعريف بإندونيسيا والأحوال المناخية والدعوة الإسلامية فيها وأنواع التنظيمات، مثل: منظمة المحمدية، ومنظمة نهضة العلماء، والمجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية، وجولات في الجزر الإندونيسية، ثم تقرير عن الدعوة الإسلامية.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م – مطبعة النرجس - الرياض.

١٧- كتاب: مع المسلمين البولنديين (رحلة وحديث عن الإسلام):

يتناول التعريف بجمهورية بولندا الشعبية، ثم تاريخ دخول الإسلام إليها، ومناطق المسلمين وعددهم في بولندا، كما يتحدث عن أوضاع المسلمين في بولندا، ثم جولة في مدينة بياوستوك ذات الطابع الإسلامي وزيارة مسجدها.

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م -مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٨- كتاب: بين الأرغواي والبارغواي:

يتناول موقع الأورغواي، ثم من البرازيل إلى الأرغواي، وجولات في حدائقها ومطاعمها، ثم إلى بوليفيا، ويتحدث عن العرب والمسلمين في بوليفيا، ثم الذهاب إلىمقر الممثلية الفلسطينية، ثم إلى بارغواي من لاباز إلى أسينسون وجولة في مدينة أسينسون.

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م -مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٩- كتاب: بلاد التتار والبلغار:

يتناول جمهورية تتارستان وموقعها وسهولها، يتناول فيها أيضًا التتار - مدينة سراي، وزيارة حي قراواي، ومسجد نور الإسلام، وكذلك المدرسة الإسلامية ومسجد رمضان ومسجد نور الله، وعن المشاهدات البلغارية من قازان إلى مدينة بلغار، ثم صور الشجعان المسلمين.

السنة الثامنة عشرة - العدد ١٨٨ عام ١٤٢٠هـ - طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

٢٠- كتاب: من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (الرحلات القوقازية):

يتناول هذا الكتاب جمهورية قبرداي بلغار وأصل السكان، ثم بلاد القرتشاي شركس، وزيارة مدينة شركسك، ثم معهد الإمام أبي حنيفة، ثم زيارة مسجد دورجبا، وأحوال المسلمين في أديغا حبل، ثم مشاهدة مسجد قوش حبل،

ثم مسجد القدوس في قرية أوج كوكن.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٢١- كتاب: نظرة في وسط إفريقية (رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين):

يتناول من أديس أبابا إلى دوالا، ثم من نيروبي إلى دوالا، ثم إلى المسجد العتيق، ثم إلى جمهورية إفريقية الوسطى من دوالا، إلى بانقي - والوجود العربي في بانقي، وزيارة الجامع الكبير والصلاة فيه، ثم مسجد التقوى، ومسجد النور ومدرسة فلاح الإسلام، ثم مواصلة الاجتماع بالإخوة المسلمين، ثم ذكريات تشاد وملاحظات على الوضع الإسلامي في جمهورية إفريقية الوسطى.

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م -مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٢٢- كتاب: على قمم جبال الإنديز (رحلة إلى بيرو والإكوادور):

يتحدث الكتاب عن بيرو بلاد الحضارة القديمة وموقع بيرو في القارة الأمريكية الجنوبية، ثم جولة في مدينة ليما، ثم البحث عن الجمعية الإسلامية والعرب والمسلمين في بيرو، ثم أعجب مدينة في العالم، وصولاً إلى بلاد الإكوادور وسط العالم وموقعها من قارة أمريكا الجنوبية.

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م- مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٢٣- كتاب: جولة في جزائر البحر الزنجي (أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي — رحلات إلى موريشيوس وريئيون وجزر القمر وزنجبار):

يتناول جزائر البحر الجنوبي أو إلى بلاد السندباد، والتحدث عن موقعها، ثم زيارة الحي الإسلامي في بورت لويس، وكذلك المركز الإسلامي، ثم دار الرعاية الإسلامية، وعن العربية تنتشر في موريشيوس والتحدث أيضًا عن الإسلام والمسلمين في موريشيوس ودخول الإسلام إلى جزر القمر.

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض.

٢٤- كتاب: الشمال الشرقي من الهند (من الرحلات الهندية – رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين):

يتناول ولاية بيهار وسبب الرحلة إليها، من دلهي إلى بتنه وجولة بها، ثم زيارة مدرسة إصلاح المسلمين، ثم كلية الملية للمسلمين في بلدة دربنقها، والمساجد في بنارس، ثم مقر جمعية أهل الحديث، وكلمة عن الديانة البوذية، وأسباب أكلهم الفلفل.

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - مطبعة النرجس - الرياض.

٢٥- كتاب: مشاهدات في تايلند:

يتناول تايلند وموقعها، والإسلام والمسلمين في تايلند، والوجود الإسلامي في تايلند، وأصل المسلمين في تايلند، والتعليم الإسلامي في تايلند، وسياسة الحكومة التايلندية تجاه المسلمين، وعدد المساجد في تايلند، وجهود الرابطة في دعم العمل الإسلامي ومساعدة المسلمين في تايلند، ثم من سنغافورة إلى بانكوك وجولة فيها، وزيارة المسجد الملكي، ومسجد دار الإحسان، ومسجد أنصار السنة المحمدية، ومسجد هارون.

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - مطابع النرجس - الرياض.

٢٦- كتاب: رحلات في أمريكا الوسطى (مشاهدات في المكسيك وكولومبيا وبنما وكوستاريكا):

يتناول القدوم إلى ميامي ثم السفر إلى المكسيك إلى مدينة مكسيكو، ولا يعرفون عن العرب شيئًا، ثم جولة في مدينة مكسيكو، والتمثيل العربي الإسلامي، المسلمين في كولومبيا ونشاط المسلمين في ميكاو، والجمعية الإسلامية وحاجات المسلمين في بنما، ثم أشياء عن كوستاريكا.

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض.

٢٧- كتاب: بورما (الخبَر والعيان):

يتناول أوضاع الخبر وموقعها وسكانها وأعمال السكان فيها، ودخول المسلمين البروماويين في الانقسامات العرقية، وما هي جبهة تحرير مسلمي كاوتولي، وقضية أركان والتعريف بها وبموقعها، والعمليات المسلحة المنظمة ضد المسلمين، الإسلام والمسلمون في بورما، ودخول الإسلام في بورما، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ثم عن العيان، وجمعية مسلمي بورما، ومن جامع تشوليا إلى مسجد درقا إلى الجامع البنغالي حتى الجامعة الإسلامية.

الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - فسح وزارة الإعلام - الرياض.

٢٨- كتاب: نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان (جولات في أقصى جنوب المحيط الهادئ):

يتناول مغادرة أستراليا، من سيدني إلى كرايست تشيرتش وهايد بارك في مدينة كرايست تشيرتش، والصلاة في المسجد الجديد، ثم الذهاب إلى المركز الإسلامي، وواجب المسلم في بلاد المهجر، ثم إلى مملكة تونغا، واللقاء بزعيم المسلمين، ثم إلى جزر ساموا وموقعها من تونغا تابو إلى آبيا، ثم إلى سموا الأمريكية ثم إلى جزائر كوك، والإمام رضوان لوبيس.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٢٩- كتاب: نظرة إلى الفلبين (بين زيارتين: رسمية وخاصة):

يتناول زيارة خاصة للفلبين، من لوس أنجلوس .إلى هونولولو، وزيارة مسجد المركز الإسلامي والمسجد الذهبي، وزيارة رسمية إلى الفلبين، في مطار مانيلا، ومأدبة السفير السعودي ومقابلة رئيس الجمهورية، ومركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية، ثم إلى المركز الإسلامي، وقضية المسلمين في جنوب الفلبين.

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - مطبعة النرجس - الرياض.

٣٠- كتاب: في نيبال بلاد الجبال (رحلة وحديث في شؤون المسلمين):

يتناول موقع نيبال من داكا إلى كتمندو، وجبال الهملايا، إلى الجامع النيبالي والجامع الكشميري، ثم السوق العراقي، ومع العاملين في الجامعات الإسلامية، ثم إلى المكتبة الإسلامية ودخول الإسلام في نيبال، وعدد المسلمين وحالتهم الدينية والاقتصادية والسياسية، واقتراحات لمساعدة مسلمي نيبال.

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٣١- كتاب: تائه في تاهيتي:

يتناول تاهيتي وتسميتها وتاريخها، وأرض الحليب والعسل والمعتقدات، ثم جولة في جزيرة بابيتي ودعاة الإسلام، وجولة في جزيرة موريا، ومنطقة القهوة العربية.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٣٢- كتاب: رحلات في جمهوريات الموز — هندوراس ونيكاراغوا وكوستاريكا (جولة وأحاديث في أحوال العرب والمسلمين):

يتناول هندوراس من سان سلفادور إلى تيقوسي قالبا، والبحث عن المسلمين، اللقاء بالإخوة المسلمين، والمركز الإسلامي الثقافي، والنصب الذي أهداه إلى الفلسطينيين، والمسلمين والعرب في هندوراس، ثم إلى نيكاراغوا من تيقوسي قالبا إلى ماناقوا، ثم الاجتماع بالمسلمين وإنشاء الجمعية، والعمل على بناء المسجد، ثم إلى جمهورية كوستاريكا والتعرف إلى أحوال المسلمين في كوستاريكا ثم إلى البرازيل.

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٣٣- كتاب: من أنغولا إلى الرأس الأخضر (رحلة وحديث عن الإسلام):

يتناول موقع أنغولا والمسلمين وعددهم فيها، واحتياج المسلمين وماذا عن الدعاة، مكتب رابطة العالم الإسلامي، والمراسم الإسلامية في الاستقبال، ثم زيارة مسجد الفتح، مع إمام المسلمين، ومتى أسلم الإمام، والجهل المطبق بالإسلام، والذهاب إلى جزر الرأس الأخضر، والتعرف إلى موقعها وسكانها والمسلمين في الرأس الأخضر، وجولة في جزيرة سانت ياغو.

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٣٤- كتاب: غرينادا وسانتا لوسيا ودومنيكا:

يتناول المسلمين في غرينادا، ومن باربادوس إلى غرينادا، إلى المركز الإسلامي، وأول من أسلم من أهل البلاد، ثم من غرينادا إلى سانتا لوسيا والمسلمين في سانتا لوسيا، ثم إلى جزيرة دومنيكا، والمسلمين في دومنيكا، والعرب في مطعم الكريول.

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - مطبعة العلا - الرياض.

٣٥- كتاب: المستفاد من السفر إلى تشاد:

يتناول تشاد والموقع الجغرافي والمساحة والتزايد السكاني بها، والإسلام في تشاد وتاريخ انتشار الحضارة الإسلامية وطبيعة انتشار الحضارة الإسلامية حول بحيرة تشاد، ثم إلى جامع الملك فيصل ومستوصف مركز الملك فيصل، ومعهد القرآن الكريم وأرض جامعة الملك فيصل، ثم اللقاء بالدعاة إلى الله وجولة في مدارس جامعة الملك فيصل.

الطبعة الأولى - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٣٦- كتاب: مقال في بلاد البنغال:

يتناول المرور بالهند من كولومبو إلى مدراس، ثم من مدراس إلى كلكتا، ثم إلى بنجلاديش، وخلفية تاريخية، ومن كلكتا إلى داكا وجولة بها، مع رئيس جمعية المساجد، ثم في بعثة المساجد، ولكن أين المسلمون، ثم العودة إلى كوكس بازار، ثم إلى شيتا كونج، ثم العودة إلى داكا.

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٣٧- كتاب: الرحلات الهندية — راجستان بلاد الملوك (زيارة وحديث عن المسلمين):

يتناول الحديث عن ولاية راجستان ثم راجبوتانة، من ولاية كجرات إلى ولاية راجستان، ومن أحمد آباد إلى جيفور، ومن جدفور إلى جيفور إلى مسجد أجميري، ثم جولة في مدينة جيفور، ثم الذهاب إلى جامع الجوهري، ومشكلة الغداء، ثم إلى جامعة الهداية، ثم إلى قسم التحفيظ، وقرية سروى، والمسجد الحكومي الوحيد، والنشاط المعادي للمسلمين، ثم المنظمات الهندوسية المناهضة للمسلمين.

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٣٨- كتاب: مدغشقر (بلاد المسلمين الضائعين):

يتناول نظرة عاجلة إلى خريطة مدغشقر وحديث عن تسميتها ولغتهم، وعن الإسلام والمسلمين بها، وفي مسجد الجمعة، ثم جولة في مدينة تاناناريف، ثم في جامع القمريين، مع المسؤولين عن الدعوة الإسلامية ونماذج إسلامية، وجولة أخرى في توليار، ثم الحديث عن العرب والمسلمين في فورديفان، ومع وفد المسلمين في ماجنقا، واقتراحات حول إعادة أهالي مدغشقر إلى الإسلام.

١٤٠١هـ - ١٩٨١م - الإصدارات السنوية (٥) - النادي الأدبي - توزيع مكتبة دار العلوم - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٣٩- كتاب: على أرض القهوة البرازيلية (جولة في المنطقة الجنوبية الغربية من البرازيل وحديث عن أوضاع المسلمين):

يتناول ولاية بارانا، ومن سان باولو إلى كورتيبا، وزيارة جامع كورتيبا، ومقر الجمعية الإسلامية، وتقريرًا عن الجمعية الخيرية العربية الإسلامية في براناقوا، والمسجد من معالم المدينة، ثم إلى مدينة مارنغا وجلسة مع زعماء المسلمين في لوندرينا، والمسلمين في لوندرينا، ثم جولة على مسجد بونتا قروسا، ثم في جامع فوز دو قواسو.

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٤٠- كتاب: عن بلاد التكرور (سطور من المنظور والمأثور):

يتناول جمهورية مالي وذكر ضيافتهم، وإنشاد الشعراء للسلطان، وأول مسجد في باماكو، ثم قبر الإمام، ثم إلى مسجد السلفيين ومالي بلاد الممالك الإسلامية القديمة، ثم مسجد سيدي يحيى والمدارس الإسلامية في باماكو، وعن والإسلام في مالي، والاتحاد العام لمسلمي مالي.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مطبعة النرجس - الرياض.

٤١- كتاب: إطلالة على أستراليا (وحديث عن المسلمين):

يتناول الطريق إلى أستراليا، ومن ولينقتون إلى سيدني، ومقتل أنور السادات في التلفزة الأسترالية، والصحف العربية في أستراليا، ومسجد الملك فيصل أكبر مسجد في أستراليا، ثم من سيدني إلى ملبورن، في جامعة ملبورن، ومدرسة الأمير فهد الإسلامية، ثم الاتحاد الأسترالي للمنظمات الإسلامية.

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

٤٢- كتاب: زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية:

يتناول لمحة إلى تاريخ بروناي وموقعها ومساحتها والنواحي الاجتماعية ونظام الحكم فيها، ودخول الإسلام إلى بروناي، والعناية بالمساجد في بروناي، وبروناي والنفط، وبروناي وسنغافورة، وافتتاح المجلس المحلي للمساجد، وجولة في ضواحي المدينة، ومركز الدعوة الإسلامية.

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض.

٤٣- كتاب: من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري (رحلة وحديث في أمور المسلمين):

يتناول غينيا بيساو من دول إفريقية الغربية: اللغات، والأديان والمعتقدات، ونبذة تاريخية، ومستقبل الدعوة في غينيا بساو، ثم جولة في مدينة بيساو، ثم جولة على جوامع بيساو (مسجد بيلو، مسجد حمد الله، مسجد بايرو أزودا)، ثم المدارس والجوامع في بافتي، ثم موقع غينيا كونكري ودخول الإسلام في غينيا.

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٤٤- كتاب: رحلات في جنوب روسيا: إقليما سمارا وأستراخان (مشاهدات وأحاديث عن المسلمين):

يتناول إقليم سمارا ودار الفتوى، ثم بيت المفتي، وحديث المسلمين في الإقليم، ثم إلى المسجد العظيم، مخبأ ستالين، ومن سمارا إلى أستراخان، ومسجد كلنجي والمسلمين في كلنجي، وعدد المساجد في أستراخان، ثم مخاطبة المسلمين وجولة على مساجد أستراخان.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٥- كتاب: العودة إلى الصين — الرحلات الصينية (مشاهدات وأحاديث في أحوال المسلمين):

يتناول من كراتشي إلى الصين، ومقر الجمعية الإسلامية الصينية، ثم حفلة الجمعية الإسلامية، وزيارة المسجد الكبير في تيانجين وأقدم مسجد في تيانجين، وهدية الرابطة للجمعية الإسلامية، ومن بكين إلى شنغهاي ومطعم المسلمين، ثم أحوال المسلمين الصينيين في العهد الجمهوري والعهد الاشتراكي، ونشر الإسلام في الصين.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩م - مطبعة النرجس - الرياض.

٤٦- كتاب: كنت في بلغاريا (رحلة وحديث عن أحوال المسلمين):

يتناول تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين في بلغاريا ومناطق تجمعات المسلمين بها، ومن بودابست إلى صوفيا مع مفتي بلغاريا، ثم المعهد الإسلامي وجامع صوفيا، ثم جولة في أنحاء بلغاريا وصوفيا، والمسلمين في تارانوفا، ثم إلى مسجد حاج محمد ودار الجماعة الإسلامية والمسلمين في كوارنا.

الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ - ١٩٩٣م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٤٧- كتاب: رحلة إلى جزر مالديف (إحدى عجائب الدنيا):

يتناول جولة في مالي، وجولة أخرى في العاصمة، ومع خريجي جامعات السعودية، وفي جامع مالي الكبير، ثم جولة في جزيرة هورا، والتعريف بأحوال مالديف وتسميتها وطبيعة البلاد والتنظيم السياسي فيها، ثم الإسلام في مالديف ودخول الإسلام إلى مالديف، وابن بطوطة ومالديف، وما يحتاج إليه المالديفيون من إخوانهم المسلمين.

الطبعة الأولى ١٤٠١هـــ -١٩٨١م -دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض.

٤٨- كتاب: قصة سفر في نيجيريا:

يتناول ما يتعلق بنيجيريا: تسميتها، وسكانها، وأصل السكان والأيبو واللغة، والإسلام في نيجيريا، والتنصير في نيجيريا، ومن أكرا إلى لاجوس، وجولة في لاجوس، وإلى الجامع الكبير، واللبنانيين في نيجيريا، ثم إلى مركز التعليم الإسلامي، ومركز التعليم العربي الإسلامي، وكذلك التعليم العربي في نيجيريا بين الأمس واليوم، وبلاد اليوريا وأصل قبائل اليوريا، ثم جولة في مدينة إبادن والغرض من إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية.

الجزء الأول والثاني- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م -مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٤٩- كتاب: بقية الحديث عن إفريقية:

يتناول من نيامي إلى واغادوغو، والاجتماع بأعضاء الجمعية الإسلامية، ثم الجامع الكبير، وجولة في مدينة واغادوغو، ثم زيارة الجمعية الإسلامية ثم مسجد فيصل، والتنصير في فولتا العليا، واحتياجات الدعوة في فولتا العليا، والتعليم الإسلامي، ومن باماكو إلى أبيجان، وحديثًا عن الإسلام والمسلمين في ساحل العاج، ومسجد السنغاليين والمسجد الجامع ومسجد الفلانيين وإلى جامع لومي، ومستقبل الإسلام في توقو، ثم إلى جمهورية بنين الشعبية ودخول الإسلام إليها.

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٥٠- كتاب: زيارات للمسلمين (في بلاد الروس والباشقرد) — ذكريات من الاتحاد السوفيتي:

يتناول مسلمي الاتحاد السوفيتي في عهد القياصرة والشيوعيين، ثم اليقظة الإسلامية في الاتحاد السوفياتي، والتعريف بـ باشقرد، موقعها ومساحتها ومناخها وتضاريسها وعدد سكانها، إلى بلاد الشفق والغسق، ثم جولة في مدينة أوفا، وإلى جامع أوفا، الإسلام والمسلمون داخل روسيا الاتحادية، جمهورية

الشيشان والأنجوش والتعريف بها، ثم بلاد الروس، وإلى جامع لينين غراد ووفد الرابطة في الساحة الحمراء في موسكو، وإلى جامع موسكو، ثم تصريح للإذاعة العربية في موسكو.

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م - مطبعة النرجس - الرياض.

٥١- إلى أقصى الجنوب الإفريقي (جولة وحديث حول الإسلام):

يتناول في هذا الكتاب من نيروبي إلى جوهانسبرغ، وإلغاء العنصرية في المحلات العامة، ثم إلى ناميبيا وعن الإسلام والحركة الإسلامية في ناميبيا، ثم إلى المركز الإسلامي والصلاة على الأعشاب، ثم من جوهانسبرغ إلى مسيرو وكلمة عن المسلمين في ليسوتو والإسلام والمسلمين في مسيرو، ثم زيارة مسجد بونابوتي، ومن جوهانسبرغ إلى مزيني، والمركز الإسلامي في مزيني، ثم زيارة مسجد السلام، ومسجد سانقوتين.

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - مطبعة النرجس - الرياض.

٥٢- بلغاريا ومقدونيا (جولة وحديث في شؤون المسلمين):

يتناول من إسطنبول إلى بلغاريا، ثم إلى مدينة خاصكوفو، والجامع المعتدى عليه والمسلمون في خاصكوفو، ثم إلى مدينة قرزلي، ثم إلى مسجد قرزلي، ثم المسلمين في سموليان، ثم المعهد الإسلامي العالي وجامع رأس الحمَّام، ثم إلى مقدونيا ورئاسة الاتحاد الإسلامي المقدوني، ومدرسة عيسى بيك الإسلامية، وجولة في مدينة إسكوبيا، وطباعة الكتب الإسلامية بالألبانية.

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - مطابع العلا - الرياض.

٥٣- بلاد العربية الضائعة "جورجيا":

يتناول جورجيا، وعن مؤرخينا القدماء، ومن موسكو إلى تفليس، ثم جولة بها وعلى جامع تفليس، ثم إلى جمهورية أجاريا، ثم زيارة مسجد شارنالي، ومسجد خلوا شاووري، وجولة في مدينة باطومي، ثم إلى بلاد القِرِم وجولة بها،

ثم زيارة مسجد قاضي محلة والجمعيات الإسلامية، ومسجد كوتلر أو فكاك الأسير. مطبعة العلا - الرياض.

٥٤- رحلة هونغ كونغ وماكاو:

يتناول هذا الكتاب المسلمين في هونغ كونغ والمؤسسات الإسلامية، ومن مانيلا إلى هونغ كونغ، والصلاة في جامع كولون، ومسجد عمار، ومطعم المسلمين الصينيين، وجولة في المركز الإسلامي، ثم إلى أول مسجد في هونغ كونغ، ثم السفر إلى ماكاو، وإلى مسجد ماكاو والمسلمين في ماكاو، والتعريف بالجمعية الإسلامية الخيرية في ماكاو.

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مطبعة النرجس - الرياض.

٥٥- مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية (جولة وحديث في شؤون الإسلام):

يتناول أستراليا ومساحتها، وطبيعتها، وسكانها، والمسلمين في أستراليا، والمسلمين في الولايات الأسترالية، وولاية فكتوريا ووالمسلمين بها، والمجلس الإسلامي لولاية كويترلند والمسلمين في ولاية نيوساوث ويلز، ثم إلى شمال أستراليا والمسلمون في داروين، ثم إلى مدينة ملبورن والاجتماع بالمسلمين وفي مسجد عمر بن الخطاب.

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - مطبعة النرجس - الرياض.

٥٦- ذكريات من خلف الستار العقدي (سياحة في شرق أوروبا وحديث في أحوال المسلمين):

يتناول هذا الكتاب بلاد المجر ودخول الإسلام إلى المجر، وتاريخ المجر الحديث، وجولة سياحية في بودابست، ثم البحث عن أشلاء مسجد، ثم كيف نبدأ بالعمل الإسلامي، ثم إلى جمهورية رومانيا الاشتراكية، وإلى جامع بوخارست، وجولة في محافظة كونستانتا ومسجد مرفت لرباسرايي، ومسجد وادي داش لور، وجولة على مساجد كونستانتا.

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مطبعة النرجس التجارية - الرياض.

٥٧- بالي جزيرة الأحلام:

يتناول التعريف ببالي وبالي الإندونيسية، ومن سنغافورة إلى جاكرتا، وإندونيسيا قبل الإسلام وبعده، ثم جامع التقوى والإسلام والمسلمين في بالي وفي جزيرة بالي، ثم لمحة عن بالي، ثم الوضع الراهن للمسلمين وعلاقتهم بالهنادكة، والنشاطات الإسلامية وأبرز هيئاتها، والمشكلات والعراقيل التي يواجهها المسلمون.

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مطبعة النرجس التجارية - الرياض.

٥٨- بلاد البلطيق (رحلة وحديث عن المسلمين):

يتناول الطريق إلى بلاد البلطيق والمسلمين في لتوانيا، وفي مدينة كوناس والمسجد الأبيض وحديث في المسجد، وحديثًا عن المسلمين في كوناس، والمدرسة الإسلامية، ويصلون جمعة واحدة في الشهر، ثم إلى لاتفيا، والمركز التتاري الإسلامي ومثالاً من أخت مسلمة، ثم عن المسلمين في إستونيا.

٥٩- مشاهدات في بلاد العنصريين (رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين):

يتناول هذا الكتاب أنا والرحلة إلى جنوب إفريقية، ومن نيروبي إلى جوهانسبرغ، ثم في جامع الحميدية، ومساكن البيض ومساكن الملونين، ثم الاختلاط في الدنيا لا في الدين، والمسلمين هم الذين يذبحون لغيرهم، وكذلك يتناول الزنا القانوني، وغير القانوني، وجولة في مدينة دربن، ومسجد الجمعة في دربن، ثم مقبرة المسلمين الأوائل والمتحف الإسلامي، ويتناول الوضع التجاري والاقتصادي للمسلمين.

مطبوعات نادي القصيم الأدبي -بريدة- مطابع الفرزدق التجارية- الرياض.

٦٠- إلى أقصى الجنوب الأمريكي (رحلة إلى الأرجنتين وتشيلي):

يتناول في هذا الكتاب جولة في مدينة بوينس آيرس، ثم الذهاب إلى المركز الإسلامي والمدرسة العربية، وكذلك المسيحيين يتعلمون الفاتحة، وأيضًا الذهاب إلى الجمعية الإسلامية اليبرودية، ثم يتكلم في هذا الكتاب عن الإسلام والمسلمون في الأرجنتين، وعن الجمعيات الإسلامية والتحديات التي يواجهها المسلمون، وأيضًا يتناول تشيلي والمسلمين والعرب في تشيلي.

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٦١- العودة إلى ما وراء النهر (رحلة إلى آسيا الوسطى وحديث عن شؤون المسلمين):

يتناول السفر إلى ما وراء النهر: جمهورية أوزبكستان والنشاط الإسلامي فيها، ومعهد الإمام البخاري ومسجد مزرعة اللوز، ثم إلى جمهورية تركمانستان ومن هم التركمان والنشاط الإسلامي فيها، ثم الذهاب إلى مسجد أبي بكر الصديق، ومن خراسان إلى ما وراء النهر، ثم إلى مسجد شهاب الدين خوجة، وكذلك يتناول الكلمات العربية في اللغة الأوزبكية.

مطابع المسموعة - الرياض.

٦٢- جمهورية أذربيجان (زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي):

يتناول في هذا الكتاب من سمرقند إلى باكو، ثم إلى جامع تازه بير، وفي مقر الإدارة الدينية، ثم الذهاب إلى مسجد كالاكند، وكذلك تاريخ أذربيجان الإسلامي والغزو الروسي لها، والوضع الإسلامي في أذربيجان.

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٦٣- أيام في فيتنام:

يتكلم هذا الكتاب عن فيتنام: اقتصادها ولغتها وتاريخها، ثم يتكلم عن المسلمين بها، والمسلمين من الفيتناميين الأصلاء، والمسلمين من أهل الهند، وأيضًا

عن المساجد والمدارس الإسلامية في فيتنام الجنوبية، ثم إلى هانوي أيضًا، وإلى بلدة سالم وجمعية المسجد، ثم إلى جامع هانوي.

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٤- إلمامة بجنوب الفلبين (لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية ومشاهدات أخرى):

يتناول في هذا الكتاب الفلبين بصفة عامة وتقريرًا موجزًا عن أوضاع المسلمين والأعمال الإسلامية في منطقة مورو في جنوب الفلبين، والسفر إلى كوتاباتو والعمال الفلبينيين في المملكة، ثم مقابلة قائد المسلمين، والصلاة بالمجاهدين.

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - مطبعة النرجس - الرياض.

٦٥- بلاد الداغستان (زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي):

يتناول في هذا الكتاب معلومات عن داغستان وسكانها ولغاتها وانتشار اللغة العربية ودخول الإسلام فيها، الإسلام والمسلمين في داغستان، وأول مسجد في الاتحاد السوفيتي، والسنة والشيعة، ومسجد محج قلعة، والتوصيات الخاصة بالعمل الإسلامي في الاتحاد السوفيتي .

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

٦٦- المسلمون في لاوس وكمبوديا (رحلة مشاهدات ميدانية):

يتكلم هذا الكتاب عن المسلمين وتنشيط العمل الإسلامي، والمسلمين الكمبوديين في لاوس، وأيضًا دخول الإسلام إلى كمبوديا واقتراحات سريعة لدعم العمل الإسلامي في كمبوديا، زيارة جامع فنوم بنه والمدرسة الإسلامية ومسجد كيلو سبعة، ومسجد نور الإحسان، ثم إلى مسجد النور المقيم.

ذو القعدة ١٤١٦هـ - العدد ١٦٧ - السنة الرابعة عشرة - طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

٦٧- غايتي من السفر إلى هايتي (رحلة وحديث عن الإسلام):

يتكلم هذا الكتاب عن جمهورية هايتي - موقعها، اقتصادها، سكانها، ثم عن الإسلام والمسلمين فيها، وأيضًا عن مسجد هايتي، وجولة واسعة في مدينة (بورت أو برنس)، وجلسة طيبة مع أعضاء الجمعية الإسلامية، وثم ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي.

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مطبعة النرجس - الرياض.

٦٨- القلم وما أوتي في جيبوتي:

يتناول المؤلف في هذا الكتاب أحوال جيبوتي وتاريخ جيبوتي وسكانها، كما يتناول الحالة الاقتصادية وما تتمتع به من اقتصاد نامٍ، يعتمد على التجارة والخدمات التجارية، وأيضًا القيام بجولة في مدينة جيبوتي، ولقاء الوفد مع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، كذلك مشاهدة مقبرة الحنبلي، وزيارة مسجد الأمير سلمان، وحي العرب حتى جامع حَمُودي.

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - مطبعة النرجس - الرياض.

٦٩- مال الشمال: النرويج وفنلندا (غير مطبوع).

٧٠- من كوبنهاجن إلى كييف مرورًا بباريس (غير مطبوع).

٧١- خلال أوكرانيا بحثًا عن المسلمين (غير مطبوع).

٧٢- العودة إلى داغستان (غير مطبوع).

٧٣- على أعتاب الهملايا (غير مطبوع).

٧٤- بلاد الهند والسند: باكستان (غير مطبوع).

٧٥- وسط الهند (غير مطبوع).

٧٦- رحلات في بلاد الملايو (غير مطبوع).

٧٧- في أحناء إندونيسيا (غير مطبوع).

٧٨- الحل والرحيل في بلاد البرازيل (غير مطبوع).

٧٩- العودة إلى البرازيل (غير مطبوع).

٨٠- رحلة الجنوب (غير مطبوع).

٨١- فنزويلا وترينداد (غير مطبوع).

٨٢- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية (غير مطبوع).

٨٣- في وسط الصين (غير مطبوع).

٨٤- دومنيكا وقوادي لوب وأنتيقوا (غير مطبوع).

٨٥- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق (غير مطبوع).

٨٦- رحلة الشمال (غير مطبوع).

٨٧- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين (غير مطبوع).

٨٨- من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (غير مطبوع).

٨٩- في شمال الهند (غير مطبوع).

٩٠- في أقصى شرق الهند (غير مطبوع).

٩١- الشمال الغربي في الهند (غير مطبوع).

٩٢- في مهد الترك: تركستان الشرقية (غير مطبوع).

٩٣- جمهورية قازاقستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية (غير مطبوع).

٩٤- وسط البرازيل (غير مطبوع).

٩٥- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.

٩٦- شمال البرازيل (غير مطبوع).

٩٧- رحلات فنزويلية (غير مطبوع).

٩٨- تلبية النداء لزيارة كندا (غير مطبوع).

٩٩- المارتنيك وبربادوس (غير مطبوع).

١٠٠- بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان (غير مطبوع).

١٠١- كرواتيا وسلوفينيا (غير مطبوع).

١٠٢- في شمال أستراليا (غير مطبوع).

١٠٣- في شرق أستراليا (غير مطبوع).

١٠٤- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة (غير مطبوع).

١٠٥- بلاد المكسيك وقواتيمالا (غير مطبوع).

١٠٦- التشريق بعد التغريب في بحر الكاريب (غير مطبوع).

١٠٧- إلى الشرق الأقصى الروسي (غير مطبوع).

١٠٨- غرب سيبيريا (غير مطبوع).

١٠٩- أستراليا وجنوب المحيط الهادئ (غير مطبوع).

١١٠- في جنوب أستراليا (غير مطبوع).

١١١- في غرب أستراليا (غير مطبوع).

١١٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام (غير مطبوع).

١١٣- السفر والأوبة من كوبة (غير مطبوع).

١١٤- جمهوريات القبائل الروسية (غير مطبوع).

١١٥- مقال في السفر إلى منطقة الأورال (غير مطبوع).

١١٦- شرق سيبيريا (غير مطبوع).

ب - كتبه في غير الرحلات

١١٧- حِكَم العوام (الحكمة من أفواه العامة)

يتناول الحكم العامية، والحكم المستوحاة من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف، ومن الحكم التي تحث على إصلاح النية والإخلاص في العمل، وفي الشكوى من الناس، وفي الحث على شراء المتاع الطيب.

١١٨- المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية)

يتناول الأوضاع الداخلية: لمحات تاريخية، والحالة الأمنية، ومؤسسات الدولة والقضاء، والمساكن، والشورى، والصحة، ونظرة الملك عبد العزيز إلى التعليم إلى آخره، ثم يتناول المجال الخارجي سواء كانت سياسة التضامن الإسلامي، أو الهيئات والمؤسسات الإسلامية والمساجد، وأثر اهتمام المملكة بالمساجد وقضية فلسطين، والاهتمام بالقضايا الإسلامية.

- مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

١١٩- سوانح أدبية.

يتناول في هذا الكتيب قصة نجدية (صفقة لم تتم)، كذلك عندما يريد القلم أن يكتب، الراحة والعمل، وشبيه الشيء منجذب إليه، ونزهة في عاصفة، ودع عنك الكتابة.

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٢٠- حكايات تحكى.

يتناول بعض الحكايات مثل البحث عن الثروة، واليسر بعد العسر، واللطف الخفي، وأيضًا تحدث عن سبيكة الذهب، و(القلبان الظامئان)، والروح

المعذبة، والمصارحة وموقف إنساني نادر، والتي ملّت النعيم والمطعم الذي يسيل له اللعاب، وحمد الصياد وبشائر النور.

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - إصدارات القصيم الأدبي ببريدة.

١٢١- المقامات الصحراوية (رواية أبي ناصر النجدي عن أبي زيد الخيالي)

يتناول هنا براءة الاستحقاق للمؤلف والمقامة الصحراوية، والمقامة الحظية، والمقامة الرطبانية، والمقامة الأعرابية، والمقامة النملية، والمقامة الجنية، والمقامة البصلية، والمقامة السفرية.

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - مطابع التقنية للأوفست - الرياض.

١٢٢- أخبار أبي العيناء اليمامي

يتناول في هذا الكتاب اسم أبي العيناء، ونسبه، وكنيته، وموطنه، ومولده، ووفاته، وأثر العمى في نفسه، كما وصفه، وصفات أبي العيناء البدنية، وشيوخه، وتلاميذه، ومنزلته عند أهل الحديث، وبلاغة أبي العيناء، وسرعة بديهته، وفكاهته، وشِعْره، ورسائله، و(أبو العيناء والمرأة).

طبع ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض.

١٢٣- مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز (بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية):

في هذا الكتاب يتناول حالة الأمن، والحرب والقتال، والأمراض والأوبئة، والتعب والمشقة، وجور الحكام وعسفهم، والجراد، والأعشاب المأكولة، والسفر والانتقال، والخرافات، والخوف والفزع، والنواحي الاجتماعية، والفلاحة والزرع.

١٢٤- صور ثقيلة

يتناول في هذا الكتاب مجموعة من الصور منها مجموعة المواهب، والحجر، مفترش الناس، والشريك المخاصم، والضيف المضيف، والمضحك المبكي، والشغال، والثقيل اللئيم، وثقيل حتى في الصلاة، والواعظ الثقيل، والعاصفة، والكسول، والمغتصب، والموسوس، والجيفة.

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض.

١٢٥- رابطة العالم الإسلامي (إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين)

يتناول في هذا الكتاب البلاد السعودية قبل مئة عام، ونظرها إلى المسلمين في الخارج، ثم جهود المملكة لتحقيق التضامن الإسلامي، وزيارة أول وفد من المملكة إلى بعض الدول الإفريقية في عام ١٣٨٤هـ، والأقليات المسلمة، وجهود المملكة في نشر الدعوة الإسلامية من خلال الرابطة، والتأييد السياسي لقضايا المسلمين.

- مطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

١٢٦- الدعاة إلى الله (شرف مهمتهم وطرق دعمهم)

محاضرة ألقيت ضمن برنامج المحاضرات التوجيهية لموظفي رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وهو أسئلة وأجوبة.

رابطة العالم الإسلامي - الأمانة العامة - مكة المكرمة عام ١٤١٩هـ.

١٢٧- العالم الإسلامي والرابطة

يتناول هذا الكتيب نبذة من السيرة الذاتية لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وإنشاء رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م.

والدورة التدريبية الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

١٢٨- نفحات من السكينة القرآنية:

يتناول هذا الكتاب بعض آيات من القرآن الكريم، والاعتصام بالصبر والطمأنينة في الغربة، والابتلاء والامتحان، ولا خوف من الفقر، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولا يكشف الضر إلا الله، والإيمان بقضاء الله وقدره، والله كافي المؤمنين، كذلك الاقتصاص من الباغي، والمال والبنين، والموت، ولا عنصرية في الإسلام، وهل يعود النصر للمسلمين؟

مطابع الرجوي - القاهرة - عابدين - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م.

١٢٩- معجم الألفاظ العامية (المعجم الكبير ٢٢ مجلداً) (غير مطبوع).

١٣٠- تكملة المعجم اللغوي في جزيرة العرب أو معجم ما ليس في المعجم (ست مجلدات) (غير مطبوع).

١٣١- الكناية والمجاز في اللغة العامية (غير مطبوع).

١٣٢- المقامات البلدانية (غير مطبوع).

١٣٣- وجهة نظر (غير مطبوع).

١٣٤- كلمات دخيلة في لغتنا الدارجة (مجلدان) (غير مطبوع).

١٣٥- الصيد والقنص في المأثورات الشعبية (غير مطبوع).

١٣٦- ستون عامًا في الوظيفة الحكومية (غير مطبوع).

١٣٧- أخبار حمد الصقعبي (غير مطبوع).

١٣٨- ديوان غير شاعر (غير مطبوع).

١٣٩- ديوان غير شاعر (غير مطبوع).

١٤٠- فالح ومنيرة (قصة) (غير مطبوع).

١٤١- أخبار مطوع اللسيب (غير مطبوع).

١٤٢- الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة (٦ مجلدات) (غير مطبوع).

١٤٣- الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة (اثنا عشر مجلداً).

١٤٤- المطوع في باريس (قصة) (غير مطبوع).

١٤٥- باقة من رياض الصالحين (مجموعة الأحاديث التي ينبغي أن تقدم للمسلمين وغيرهم. وتترجم للغات الأخرى) (غير مطبوع).

١٤٦- مع الناس (غير مطبوع).

١٤٧- ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي (غير مطبوع).

١٤٨- يوميات نجدي (٣ أجزاء).

١٤٩- المستغرب (قصة طويلة) (غير مطبوع).

١٥٠- موضوعات الأمثال العامية (غير مطبوع).

١٥١- ألفاظ الفروسية والحرب في المأثور الشعبي (غير مطبوع).

١٥٢- أخبار الملا ابن سيف (غير مطبوع).

١٥٣- أخبار قني (غير مطبوع).

١٥٤- أخبار علي +المقبل وابنه سليمان (غير مطبوع).

١٥٥- غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الفصيحة (غير مطبوع).

١٥٦- معجم أسر القصيم (غير مطبوع).

١٥٧- المستدين (قصة) (غير مطبوع).

١٥٨- أدب الرحلات (غير مطبوع).

١٥٩- الحوار في الإسلام (غير مطبوع).

١٦٠- يوميات موظف بعد الستين سنة من العمل (غير مطبوع).

١٦١- هكذا أوحى إليّ الناس (غير مطبوع).

١٦٢- شعراء من القصيم (غير مطبوع).

١٦٣- شعراء العامية في بريدة (غير مطبوع).

١٦٤- غرائب الألفاظ النجدية (غير مطبوع).

١٦٥- سوانح بوارح (غير مطبوع).

١٦٦- معانٍ لا يتصورها الأبناء (غير مطبوع).

١٦٧- صور من الحياة في بريدة قبل (٧٣ سنة) (غير مطبوع).

١٦٨- أخبار محمد الريدي (غير مطبوع).

١٦٩- شعراء العامية في القصيم (غير مطبوع).

* * *

المبحث الثالث

العبودي في عيون الباحثين

١- محمود سليمان رداوي

"الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر"

٢- عبد الله حامد

"أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية"

٣- محمد المجذوب

"علماء ومفكرون عرفتهم"

ليس غريبًا أن يحظى العلاّمة العبودي وكتبه المتنوعة بالبحث والدراسة من قبل عددٍ من الباحثين والمهتمين سواء في الجوانب الدعوية أو الأدبية أو التاريخية.

لذا فقد تناول عدد من الدراسات كتب العبودي وخصوصًا الرحلات التي استحق الزعامة فيها والريادة.

فذلكم العدد والكم الهائل من الكتب عن رحلاته التي تجاوزت مئة وثلاثين كتابًا مطبوعًا جديرة بالدراسة مستحقة للبحث والنقد.

وقلّ أن يكتب أحد عن أدب الرحلة في العالم العربي خصوصًا والمملكة العربية السعودية خصوصًا إلا وأتى على ذكر العبودي ورحلاته التي اصطبغت بالصفة الإسلامية لغالبية مضمونها مع ما تحويه من معلومات حول تلك البلدان ومشاهدات وانطباعات سياحية وتاريخية وجغرافية، وهي بحد ذاتها تعدّ إضافة مهمة في ذلك إلى أدب الرحلة.

وقد اقتصرت في هذا الفصل على بعض الدراسات المتخصصة التي تناولت العبودي رحّالة وأديبًا متخصصًا في أدب الرحلة.

وهي في مجملها تعدّ من أهم الدراسات الأدبية في هذا الجانب.

* * *

الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر (*)

الرحلات الإسلامية السعودية.. ومحمد ناصر العبودي

أولاً: في إفريقية الخضراء:

ألّف العبودي عشرات الكتب في الرحلات الإسلامية[1]، وسنمر على بعضها، وكان أبرزها كتابه (في إفريقية الخضراء)، وهو مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام، ولا سيما أن في المملكة العربية السعودية جمعيات إسلامية، وعلى رأسها: (الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة) التي كان العبودي أمينًا عامًّا لها، ومن مهامها التعرف إلى أحوال المسلمين وتفقد أوضاعهم الدينية والاجتماعية والتعليمية وغيرها من شؤون، ومن ثَمَّ الكتابة عنها وحل مشكلات المسلمين في سائر بقاع المعمورة، ومساعدهم، وإن الوقوف على المشكلات ومحاولة حلها على نحو ما، هما غاية الرحلات الإسلامية السعودية التي عبر عنها كل من: محمد ناصر العبودي، ومحمد محمود الصراف، ومحمد المجذوب، وأحمد

(*) المؤلف: محمود سليمان الرداوي:
ولد بمدينة "دير الزور" السورية عام ١٩٣٥م، وتلقى التعليم بها. - حصل على أهلية التعليم الريفي من مدينة "يبرود" التابعة لمنطقة القَلَمُون السورية. ثم حصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق. - بدأ كتابة القصة في وقت مبكر، نشر بعضها في الدوريات السورية. - عُين معلمًا ريفيًّا في بعض مدن وقرى محافظة "الفرات" دير الزور. - أصبح مدرسًا، فموجهًا، فمفوّض فتوة، في مدينة دير الزور. ثم شارك في عملية التعريب في الجزائر بعد استقلالها، وأصبح رئيسًا للبعثة السورية. - استقال من وزارة التربية والتعليم، وانصرف إلى الكتابة والتأليف، وحاول إنشاء دار للنشر، وكانت محاولة لم يكتب لها التوفيق. - تعاقد مع وزارة المعارف السعودية مدرسًا لمادة اللغة العربية منذ عام ١٣٩٧هـ ثم مستشارًا إعلاميًّا وثقافيًّا فيها... ثم عودة إلى التدريس وما زال إلى اليوم. - من الكتب التي طبعت له: تلاحم العروبة والإسلام في الكتابات العربية المعاصرة. - إسلام شاعر. - نشيد الفطرة. - الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية. - الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية. - الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر. - دراسات في القصة السعودية والخليج العربي. - ابن خميس وآثاره الأدبية. - عبد الله بلخير شاعر الأصالة وتلاحم العربية والإسلامية.

(١) للعبودي كتب كثيرة في غير الرحلات؛ لأن مكانته الأدبية والثقافية لا تقل عن مكانته الدينية..

محمد جمال[1] وغيرهم، وذلك من خلال مواقع أعمالهم الرسمية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

لقد رأى مجلس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. إيفاد بعثة تحت رئاسة الأمين العام للجامعة وهو العبودي كما ذكرنا، تسافر إلى بعض الأقطار الإفريقية المحتاجة للتعليم الإسلامي، وتطلع على أحوال المسلمين هناك، ثم تأتي بتقارير وافية عما شاهدته. ومن هنا جاءت حصيلة كتاب العبودي هذا، وذلك من خلال رحلتين قام بهما لم يفصل بينهما إلا أقل من سنتين. ضمَّن كل واحدة معلومات وملاحظات عن الأوضاع الإسلامية، وأحوال المسلمين.

أشار العبودي بداية أن كتابته، أو مذكراته، لم يكتبها لتكون تأليفًا، ولهذا فإن ما جاء في الكتاب لا يصل بطبيعته ــ كما يقول ــ إلى درجة الدراسة والبحث العميقين.

وجاءت الرحلة على أثر أمر الملك فيصل بأن تصطحب البعثة معها مبالغ من المال تدفع باسم الجامعة في المدينة المنورة إلى المؤسسات والمدارس والهيئات الإسلامية في البلاد التي تزورها البعثة، على ألا يعلن عن ذلك، وأن يكون عمل البعثة مقتصرًا على النشاط الإسلامي، وألا تقحم نفسها في نشاط سياسي قد يؤثر في أداء مهمتها الإسلامية، لذلك لم يلتق العبودي وجهًا لوجه برؤساء شخصيات البلاد.

أما رحلات الصواف إلى الديار الإسلامية، فقد نشرها في المنهل أولاً. ثم بعدها مباشرة سكنت في كتاب، وذلك عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م[2] ــ فقد

---

(١) له كتاب (خطوات على طريق الدعوة)، وقد أدرجه الدكتور حسن باجودة تحت أدب الرحلات الإسلامية، في مقال له ضمن كتاب عن (أحمد محمد جمال) الذي ألفه مجموعة من الأدباء ونشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة (دعوة الحق) – العدد ١٤٤.

(٢) نشرها المنهل كرحلة من رحلات السفارة في المجلد ٣٦، ص٩٥٥، عام ١٣٩٥هـ، ثم دار القرآن الكريم- بيروت - ط١ــ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م بعنوان: (رحلاتي إلى الديار الإسلامية).

جاءت حين أصبح الصواف رسول الملك فيصل إلى كثير من رؤساء الدول الإسلامية والعربية في إفريقية وآسيا، حاملاً تعليماته وآراءه ورسائله إليهم، وليشارك أيضًا في حملة نشر مبدأ التضامن الإسلامي حيث كان، ومما يقوله الصواف عن فحوى رحلاته:

"كانت خطاباتي ومحاضراتي وتصريحاتي كلها ـــ بفضل الله ـــ تدور حول هدف واحد هو (إسلامنا الحبيب)، وشرح مبادئه الإنسانية، وأحكامه السماوية، ومثله العليا، ومبادئه السامية، والدعوة إليه والترغيب فيه، ودعوته إلى الوحدة والتوحيد، وأنه دين الله الخالد الذي لا يُقبل من البشر سواه (إن الدين عند الله الإسلام) وغيرها من الموضوعات التي تهم إخواننا الإفريقيين كالعدالة الاجتماعية، والمساواة في الإسلام والتسامح وإلغاء التمييز العنصري، والأخوة الإسلامية وشؤون المرأة وسبق الإسلام إلى كل جديد مفيد، مما يهم المجتمعات البشرية، وأن الإسلام دين الإنسانية الشامل الكامل، وشرح قضية فلسطين، وبأن حقنا الواضح فيها، وباطل اليهود المجرمين المعتدين الفاضح".

وكانت رحلة العبودي حصيلة بعثة الجامعة الإسلامية التي رسمت رئاستها عمل هذه البعثة ـــ التي كانت برئاسة العبودي وعضوية كل من عمر محمد فلالي وأبي بكر جابر بن موسى ـــ وحددتها بسبع عشرة نقطة؛ منها: الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم، وإلقاء المحاضرات، وتنظيم جداول إحصائية للسكان المسلمين في كل قطر، وتقدير حاجة كل بلد إلى المساعدات، وتوزيع المصاحف والكتب والمطبوعات الإسلامية، وتقدير المنح الدراسية التي يحتاج إليها كل بلد في الجامعة الإسلامية.

على أن هذه الموضوعات لم تكن هي المحاور الأساسية التي يكتب فيها العبودي، وإن كان يشير إليها، ولكن الذي يستهويه ويستدرجه للكتابة هو الرؤى الذاتية، والانطباع الشخصي، بحيث يمكن لرحلاته أن تدرج مع الرحلات العامة رغم أن أهدافها إسلامية، ومسارها إسلامي، وروح العبودي فيها هو روح

المسلم الداعية، ولهذا سنطوف معه برحلاته كواحد من أعلام الرحلات السعودية البارزين، ولكننا لن نخرج عن دائرة اهتماماته الإسلامية، مما سنقف عند غيرها في رحلات أخرى.

بدأت الرحلة الأولى بمغادرة مطار الخرطوم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٣٨٤هـ، الموافق لليوم الرابع من شهر أغسطس عام ١٩٦٤م.

أما الثانية فكانت بعد أن رفعوا إلى رئاسة الجامعة الإسلامية تقاريرهم، قاموا بتنفيذ صرف الأموال، وقد أسند للعبودي العمل على التنفيذ خلال السفر إلى عدد من الأقطار الإفريقية المحتاجة إلى التعليم الإسلامي، والاتصال بالجمعيات الإسلامية، وتعيين أماكن المدرسين والمرشدين، وتقديم المنح الدراسية، واختار العبودي معه رئيس المحاسبة في الجامعة.

وقد بدأت هذه الرحلة يوم السبت الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ الموافق لليوم الحادي والعشرين من أغسطس عام ١٩٦٦م.

ويركز العبودي من جديد، وبداية في أنه لم يضف إلى مذكراته اليومية أي شيء مما يمكن إضافته من المصادر المكتوبة التي تحدثت عن تلك البلاد؛ لأنها معروفة للباحثين، ولم يرد الاطلاع عليها، وليس من اللائق أن يأخذ المرء ما ذكره غيره وينسبه إلى نفسه ... كما أنه لم يحذف من مذكراته ـ ساعة أراد طباعتها ـ إلا ما كان منها شخصيًا محضًا، أو متصلاً بالحديث عن بعض الشخصيات الإسلامية والمقابلات التي تمت مع المسؤولين المسلمين مما لا يحسن نشره، أو لا فائدة منه في ذكره، وهذا يدل على أن العبودي يدرك أن حشو الرحلات بحقائق ومعلومات واردة في مصادرها الخاصة لا يخدم الكتابة الرحلية، ومع كل ذلك فإن رحلاته ـ ورحلات غيره كرحلات الصواف مثلاً ـ لا تخلو من عرض تلك الحقائق أو المعلومات الموثقة. أو ربما نجد فارقًا نسبيًا بين معلومات الرحّالين السعوديين في كلامهم عن الموضع الواحد.

أورد العبودي عددًا من الجمعيات والمؤسسات والهيئات والمدارس الإسلامية التي صرف لها إعانات مالية، وقد بلغت أكثر من ثلاثمئة وعشرين مؤسسة، ثم ذكر المنح الدراسية في الجامعة الإسلامية لجميع البلدان التي زارها، كما ذكر أيضًا ما أرسلته دار الإفتاء من المدرسين والمرشدين إلى الأقطار الإفريقية.

وقد يبدو أن ذكر هذه المعلومات خروج عما كنا قررناه بما لا يتفق وصميم كتابات العبودي الرحلية، وقد فطن هو إلى هذا الذكر الصريح، لذلك وجدناه يؤكد أن ما ورد في كتابه هذا ليس تقريرًا عما تم إنجازه في تلك الرحلتين، فذلك مكانه في الأوراق والملفات الرسمية، ولكنه حديث الرحلة ذاتها، أو هو الحديث على هامش المهمة الرسمية، وليس عن المهمة نفسها، ولكن ماذا يريد من البلدان التي مرَّ ومكث فيها؟ فنراه في "جمهورية السودان"، يكتب عنها يوم دخلها الثلاثاء المصادف (١٣٨٤/٣/٢٦هـ-١٩٦٤/٨/٤م)، وقد كان يتوقع أن يكون جو (بورسودان) أشد حرارة مما أحسّه، حسَب معلوماته القديمة، التي كان قد قرأها في كتب الرحالين القدامى أمثال: ابن جبير، وابن بطوطة، التي ذكرت أن موانئ الشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر أشد البلاد التي زاروها حرًّا، ومما يلفت انتباهه واهتمامه أمور يقع عليها أي إنسان أمام بلدان غريبة وجديدة، مثل سحنة الناس وألوانهم. فنرى العبودي يجري مقارنة في ألوان العباد التي يعرفها، وكذلك صورة البلاد الطبيعية وصورة مدنها، وما يرافق ذلك من فنادق ومطاعم وجوامع.

وإذا عاش مع العباد واحتك بهم، فإنه سيقع على ما وجده لديهم من خرافات، وبخاصة البدع في التقرب من قبور المشايخ أو الأولياء الصالحين، وذبح الذبائح عندها. أما إن اتصل بالقائمين بأعمال السفارة السعودية، وعلى رأسهم السفير، فإن حديثه معهم يدور حول وضع المسلمين في السودان، وما يمكن أن يؤدي إلى الإسلام، والثقافة العربية تكون المملكة العربية السعودية جسرًا بين العرب والإفريقيين ص٥٨.

ولهذا كان المركز الإسلامي الإفريقي هو ما يمكن أن يتعامل معه العبودي- ويحاور من خلاله- لمعرفة أحوال المسلمين في جنوب السودان التي تعتبر المشكلة الدينية قائمة وجوهرية في الخلافات، لأن ثمة ثقافتين مختلفتين في جانبيها الديني والتاريخي، ومن هنا فقد طالعنا العبودي ببعض اقتراحاته التي يقدمها لمشكلة الجنوب السوداني، وكأنه يقرأ المستقبل حين يقول:

"ونرى أن مسألة الوضع في جنوب السودان داخل الحظيرة الإسلامية يحتاج إلى تعضيد من المسلمين خارج السودان، مثلما تساعد الهيئات العالمية الأقلية السودانية المسيحية في الجنوب" ص٦٢.

أما دخول العبودي إلى إريتريا فكان يوم الأحد (١٣٨٤/٤/٨هـ- ١٩٦٤/٨/١٦م)؛ ولأن للعبودي اهتمامات عربية في اللغة والتراث، فضلاً عن الجوهر أو اللب الديني، فإن له وقفات كثيرة لا تخلو من دقة التحليل وَسَعَة الأفق في المعالجة والرؤية؛ وإن كان بعضها لا يخرج عن اهتمامات أنصاف المثقفين مثل قضية اللغة العربية التي ظلت موضع تفكيره وكتابته، فيقول عنها في تلك البلاد: "أول ما يعجب له السائح العربي الذي يصل إلى (أسمرة)(١) أن جميع الناس فيها بدون استثناء مسلميهم ومسيحييهم يتكلمون العربية أو شيئًا منها، حتى تشعر عندما تكلمهم أنك في بلد عربي.

على أنهم يتكلمون أيضًا لغتهم المحلية، وهي التجرينية، ونصف كلماتها تقريبًا عربية، وهي غير (الأمهرية) اللغة الرسمية للدولة، التي لا يحسن التكلم بها إلا أقل القليل من الموظفين" ص٥٦.

---

(١) ممن كتب من الرحّالين السعوديين عن أسمرة محمد عمر توفيق في كتابه: (من ذكريات مسافر) كما رأينا وقد طبع عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ومما قاله عنها منذ أكثر من عشرين عامًا: "واليوم لا أدري ما صار أمرها إليه بعد الصراع المرير الذي نشب وما زال فيها وحواليها، وبين الطغاة وطلاب التحرير من قبضتهم، وإن كنت أتوقع أنها صارت إلى خراب أو ما يشبه الخراب، فكيف ينشر عنها ما لا يمت إلى حاضرها إلا بأضعف الأسباب؟".

وزار مدنًا أخرى غير (أسمرة) مثل مدينة (كرن)، التي يجد فيها شبهًا "بالأسواق القديمة في المملكة قبل أكثر من ثلاثين سنة، والتي لا يعرفها الجيل الجديد في بلادنا الآن" ص٩٩. ومدينة (غرادات)، وكان الإسلام والمسلمون فيها هو الصورة التي تمثل سائر المناطق الإريترية، حيث تتجلى الأعمال في سبيل الدعوة الإسلامية بكل وضوح، من حيث المنابع والهدف والأسلوب، فيحس المرء أن ثمة صدقًا وإخلاصًا واندفاعًا للقضية الإسلامية، ولا سيما حين تعترض تلك الأعمال مواجهات معادية للإسلام، ولكن يظل العمل الإسلامي يضاهي العمل المسيحي الذي يتبناه المبشرون وغيرهم. لذلك كان العبودي من حين إلى آخر، يورد جملة أعمالهم وملاحظاته أو مقترحاته كأن يخصصوا كميات من المصاحف، والأجزاء القرآنية الكريمة، والكتب الإسلامية لتلك المؤسسات على طريق الهدية من الجامعة الإسلامية.

ويبدو أن اتصالات العبودي الواسعة في إريتريا كانت تتم خُفْيَة في كثير من الأحيان وبطرق غير واضحة، ومن هنا وجد أن الحكومة الإريترية تشدد على المسلمين فيها، ويشارك التنفيذ بعض اليهود الإثيوبيين، والمستشارين الإسرائيليين، ولقد فصّل في مظاهر تلك السياسة، وعلى ضوء تلك المظاهر اقترح العبودي أن تتبنى إحدى الحكومات إنشاء ملجأ لأطفال المسلمين، وما يلزمهم من مدرسين، ومعاضدة المعاهد والكتاتيب الإسلامية الموجودة الآن معاضدة مالية، وزيادة المنح الدراسية المخصصة للطلبة الإريتريين في الجامعة الإسلامية وغيرها من المدارس الدينية في المملكة وغيرها من البلاد الإسلامية.

ويستمر العبودي في هذه الرحلة، التي تعدّ أبرز رحلاته الإسلامية سائحًا عبر البلدان الإفريقية، مسجلاً يوميات مذكراته المتتابعة، فنراه قد وصل إلى: بلاد الحبشة (١٣٨٤/٤/١٩هـ ـــ ١٩٦٤/٨/٢٧م)، والعاصمة (أديس أبابا)، حيث لفت نظره (شلالات سبت)، مساقط للمياه من جبال عري (أديس أبابا)، وسط حديقة تابعة للإمبراطور (هيلا سيلاسي)، وقبائل الفالا، ثم أرض البحيرات، والذئاب والضباع في ضواحي العاصمة، ومدرسة الفتح الإسلامية، وسوق

العرب، والجامع الأنوار، ومدينة (داردوا)، واللغة العربية هي السائدة فيها، وفي مقبرة المسلمين يبحث عن اشتقاقها اللغوي حسب تسميتها عند السودانيين بـــ (مجنة)، "ولعلها من الجنة تفاؤلاً، أو لأنها تجن الموتى، أي تسترهم عن العيون" ص١٥٩.

وحين يقف أو يمر العبودي بسوق (القات) يبدي عجبه من وجود مثل هذا السوق. ولا يدع مشهده دون تسجيل انطباعه وحسّه الإنساني، فيكتب:

"كنت أرثي بعض المساكين الذين تبدو عليهم مظاهر البؤس والشقاء، وقد افترشوا أرض الشوارع، وأخذوا يمضغون قشور القات وعيدانه الدقيقة" ص١٦٠. ومن الصور الاجتماعية البائسة الفقيرة الأخرى التي لفتت انتباه العبودي تجمعات من شباب وشيوخ عاجزين، وقادرين ... يقفون عند باب المطعم، ثم يغافلون خدمه ويسرعون إلى بقايا الموائد التي يتركها أصحابها، فيلتهمونها التهامًا، أو ينهبونها ويأكلونها خارج المطعم.

أما خلال جولاته على المدارس الإسلامية، فيتعرف إلى عدة مدارس، مثل: مدرسة مكارم الأخلاق التي تضم مئتي مسلم عربي، ومدرسة الفلاح الإسلامية التي تضم ثلاثمئة وخمسين طالبًا وطالبة، وكان مما أسرّه أنه وجد جميع الدروس تلقى فيها باللغة العربية.

ويقف العبودي طويلاً عند مدينة (هرر) التي كانت عاصمة إسلامية، وكان جميع أهلها مسلمين، وإن كانوا يتكلمون الهررية ومعها عربية ضعيفة، ولا يدع هذه التسمية دون ذكر أصلها اللغوي الذي يرجع إلى "أرض الخير". كما كان الفندق الذي أقاموا فيه، قد ولد فيه الإمبراطور هيلا سيلاسي، لأن أباه كان واليًا على هرر. ولا يترك المشاهد المؤلمة ـــ كعادته دومًا ـــ دون أن يوردها في يومياته كمشهد المعتوهين الذين فقدوا قواهم العقلية أو فقدوا بعضها والمجذومين الذين أتلف الجذام جزءًا أو أجزاءً من أيديهم أو أرجلهم.

"وقد تبعنا بعضهم، وأخذ بعضهم عند رؤيتنا يصيح ويهتز، ليستجدي القليل، لأنه لا يستطيع أن يتبعنا، وقد افترش معظمهم الأرض، وبعضهم اخضرت شفتاه من أكل القات. أما منظر الفقر وانحطاط المستوى الصحي وخاصة الأطفال فشيء لم أشاهد مثله في أي مكان في الحبشة أو غيرها" ص١٧٢.

ولقد كانت تشف لنا نفس العبودي بين حين وآخر عن مثل وطنية أو قومية أو دينية ... وهو حيال أعداء العرب والمسلمين، فقد طلب مرة من خادم الفندق أن يشتري له (بسكويتًا) لتقزز نفسه من قذارة مطعمهم، ولا وجود للنظافة إلا في مطعم إيطالي، فلم يدخله لأنه كان يشتمل على (بار). وحين أحضر له (البسكويت) رأى مكتوبًا عليه عبارة (صنع في إسرائيل). فنراه يقول: "وتلك أول مرة أرى فيها شيئًا من منتجات اليهود، فعافت نفسي حتى ذلك البسكويت" ص١٧٥.

ولا يقحم العبودي نفسه في الآراء الإسلامية الصريحة السافرة كي لا يلبس ثوب الواعظ المرشد، وإنما كان يمضي في رحلته بتلقائية محببة، وروح طيبة؛ ولكنه لا يتورع عن ذكر حقائقه الإسلامية، إن وجد لذلك ضرورة.

ولهذا فقد كانت أفكاره الإسلامية تجيء في موضعها المناسب من السياق فحين كان يتكلم عن مدينة (هرر) ومآسيها وبؤسها ويقارن بين ماضيها، سلطة إسلامية عظيمة، وحاضرها المؤلم، يقول: "إلا أن النوم الطويل الذي ران على بلاد المسلمين، والخرافات التي دخلت في دينهم وغزت أفكارهم، قد مهدا لضعفهم.. وبالتالي لاستيلاء أعدائهم عليهم" ص١٧٥.

ومن المشاهد التي كانت تؤلم العبودي مشهد السجناء الذين معظمهم من المتهمين بالاشتراك في الثورة ضد الحكومة الحبشية، إذ كان "يظهر عليهم علامات البؤس والشقاء، ويصحبهم جنود مدججون بالسلاح، وهم يرسفون في القيود" ص١٧٧.

وتنتهي كتابته عن الحبشة، بعد أن سجل لنا كعادته عدد المسلمين فيها، والاقتراحات والمساجد والنشاط المعادي للإسلام وحالة المسلمين المادية التعسة.

في كينيا،كان السفر إلى (نيروبي) يوم الجمعة المصادف (٥/٥/١٣٨٤هـ- ١١/٩/١٩٦٤م). وكان نزولهم في فندق (طارون) في الحي الأوروبي، ويملكه رجل إسماعيلي، ومما استرعى انتباهه، وهم في جولة في الحي الأوروبي، منظر طائفة السيخ من الهنود "وقد تركوا لِحاهم تغطي معظم وجوههم، ويجعل الواحد منهم لحيته ضفيرتين يقرنهما بشعر رأسه، مارًّا بها على عارضيه" ص٢٠٥.

ومع أن المساجد صوًى شاخصة في أفق الرحالين المسلمين، وينشدونها في رحلاتهم للكتابة عنها، فإن العبودي يصل إلى المسجد الجامع بشكل عفوي، ليصفه لنا بهذه الصورة: "ضخم البناء غاية في الجمال والذوق الرفيع، قبابه مبنية على الطراز المغولي الجميل، يحيط به أفنية واسعة نظيفة لا تكاد تجد فيها قذاة من قذى العين لو بحثت عنها. وفيه أماكن للوضوء غاية في النظافة، كما أن فيها قسمًا للنساء".

ويذكر العبودي دائمًا من تعرَّف إليهم، أو منذ ذُكروا له من العرب والمسلمين، فيورد أسماءهم وجنسياتهم واللقاء بهم في تلك البلاد فيصبح هدفه من الرحلة الالتقاء بأولئك الإخوة والتعرف إلى أحوالهم، وأحوال بلادهم، ومشاكلهم وهمومهم وأمور كثيرة عنهم.

ذكر العبودي أن ثمة ثلاثمائة جمعية إسلامية، ويبدو أنها جمعيات بالاسم فقط. "لأن القوم هنا يؤسسون الجمعيات الإسلامية على أساس عنصري قومي، فهناك الجمعيات الإسلامية الهندية والعربية والإفريقية، مثل مساجدهم فكانت لمختلف طوائفهم: للسنة والشيعة والإسماعيلية".

لقد أغرق العبودي في تصوير حالات العباد، في وصف ملامحهم وصورهم الخَلْقية وألوانهم، وقد يبدو للبعضهم أن في ذلك التمييز العنصري حسَب اللون

والجنس. ومن هنا نراه قد نوّه بتعاليم الدين الإسلامي التي تنص "على أن الناس من نسل رجل واحد، وأنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح، ونحن في بلادنا نطبق هذه السياسة المبنية على التعاليم الإسلامية، التي لا تلقي بالاً للون أو الأصل أو الجنس، كما قال الله تعالى (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)" ص١٢١. إذن فالعبودي يصف هيئات الناس الخارجية للعلم والإيضاح، ووصف ملامح الناس وصفًا مجردًا عما قد يشعر فيه الوصف من مدح أو ذم، أو حسن أو قبح.

حين يلجأ العبودي إلى أسلوب المقارنة أو الموازنة بين وضعين مختلفين يقع عليهما في مشاهداته، فإنه يستخلص النتائج الوخيمة. لقد تعرض مثلاً لوصف الأحياء الغنية الآهلة بالسكان الأوروبيين والهنود، وما ينعمون به من ثراء وترف، ثم قارنها بالأحياء الفقيرة من الوطنيين الإفريقيين، وما يعانونه من بؤس وحرمان وفقر. لهذا فقد يصل بنا من خلال ذلك الوصف إلى تعقيب أو نتائج سياسية من تلك المفارقات بين العباد وأحوال عيشهم ... فيقول مستشرفًا المستقبل: "إذا استمرت حال المرفهين على ما هي عليه، فلا بد أن تحدث لهم نكبة من الوطنيين الإفريقيين الذين يرون ترف الأجانب وبذخهم من خيرات بلادهم، وهم محرومون منها" ص٢١٥.

وقد نوّه فعلاً بما وقع لتلك البلاد لولا حكمة زعيمها ورئيسها (جومو كينياتا).

ولا يفوت العبودي ذكر أسماء القبائل الإفريقية التي يمر بها عبر المدن والمناطق وهي من اهتماماته التراثية في مجتمعاته العربية. ففي مسيره إلى (كيسومو) وقف بنا عند أسماء المناطق القبلية التي مرّ بها، مثل قبيلة (الكيكوبو) التي هي أكبر القبائل الإفريقية في كينيا، والتي ينتسب إليها الزعيم (جومو كينياتا). ومنها كان رجال (الماوماو) الذين أقلقوا الحكم البريطاني. كما يذكر مناطق الغابات، وما يشاهدونه من زراف وحشي. أو مناطق أخرى جديدة أصبحت مزارع قمح،

كانت غابات ثم استصلحها الأوروبيون، أما في وقوفه عند شواطئ (بحيرة فيكتوريا) فكان العبودي جغرافيًّا جيولوجيًّا في وصفه حين يقول: "ولا غرو فإننا الآن ندخل منطقة الانكسار الأرضي العظيم، وهو منخفض أرضي يبدأ من الغور في فلسطين، وينتهي في روديسية، مارًّا بالبحر الأحمر" ص٢١٨، ثم وصف البواخر التي تمخر البحيرة "ولا تقل عن بواخر الخطوط السعودية".

أورد المعاملة الطيبة للمسلمين العرب التي يلقونها من الحكومة الكينية، كما رواها "فضيلة قاضي المسلمين في مقاطعة (نيانزا)، واسمه (الشيخ أحمد عمر الأهول). وهو من العرب ذي الجنسية الكينية، وإنه لا توجد إلا جمعية إسلامية واحدة.

ومما يزعج العبودي رؤيته الأديان الأخرى وهي تلقى مساعدات من أربابهم أكثر مما يلقى المسلمون، ومما يخيفه انصراف بعض المسلمين عن دينهم، إما بالإغراء بالوظائف والمناصب، وإما بالجهل، وهي الحقيقة المرة؛ لأنها حالة عامة، تشمل المسلمين في شرق إفريقية ووسطها.

ويشير العبودي إلى صنيع المستعمر الإنجليزي لكينيا، وبخاصة في مجال تجميل البلاد كمدينة (كيسومو) بالأشجار والزهور والنظافة، ويؤكد ـــ رغم صنيع المستعمر الإنجليزي بحق الشعب العربي في فلسطين ـــ أن الإنجليز "عملوا لكينيا ما لا يستطيع أهلها أن يعملوه بعشرات السنين". وقد يبدو لنا هذا الكلام يناقض ما كان قرره قبل قليل مما يلحق بالمستعمر الإنجليزي من نكبات، من قِبَلِ الإفريقيين الوطنيين. وقال:

"وقد صادف جلوسنا هناك انفضاض الجلسة الأولى للاجتماع الفرعي، الذي عقدته منظمة الوحدة الإفريقية، لبحث مسألة الكونغو، وقد ترأس الاجتماع الزعيم (جومو كينياتا)، رئيس الوزراء، وقد شاهدناه خارجًا من الاجتماع على سيارة (مرسيدس) ٢٢٠) وكانت منشة، من تلك التي تستعمل في طرد الذباب ونحوه، في يده" ص٢٤٣.

وكثيرًا ما تقود العبودي مرئياته السيئة إلى الخيال والتصور، ليعيد لنا بعض الأمور الحسنة عن بلاده المملكة العربية السعودية، ففقدان الأمن، وانتشار الرعب والخوف يستدرجه إلى نعمة الأمان والأمن التي تنعم بها بلاده، فمرة مثلاً رأى في أحد بنوك كينيا حراسة مشددة على أحد الضباط الإنجليز وجنوده، وهم يحملون نقود الموظفين بمناسبة انتهاء الشهر.

وإذا كان العبودي يذكر وطنه وبلده من خلال المواقف السلبية والمناظر المؤذية، فإنه كذلك يتذكرهما في المواقف الإيجابية السامية، فكثرة المؤذنين، وارتفاع أصواتهم خلال الليل الساكن، وكثرة المنبهين لصلاة الفجر، ونداء الأصوات العالية: الصلاة ... الصلاة! يجعل كل ذلك نتساءل: هل نحن في نجد؟!" ص٢٥٣.

وكان ما يورده عنهم هو معلومات عامة عما يقوله أولئك المسؤولون له. منها مثلاً ما قاله قاضي القضاة في كينيا (محمد قاسم المزرعي):

"إن رئيس الجمهورية عاقل، ولا يكره المسلمين، وإن نسبة الوظائف المعطاة للمسلمين أقل من النسبة العادية ...". ولكننا نستطيع أن نقول: إن العبودي وإن كان لا يقف في رحلاته عند الجوهر الديني لدى الأقوام المسلمة، ولا يقف إلا على الإطار العام للإسلام، غير أننا لا نعدم في كتاباته بعض الملامح الإسلامية الجوهرية، ولا سيما في زياراته لبعض المدارس. كقوله وهو في جولة في مدراس ماليندي: "وقد أعجبنا كثيرًا بإقبال الأهالي على دراسة العلوم الإسلامية، وإن كان ذلك بطريقة بدائية وهي طريقة التلقين ... ولكنها على أية حال تشد الناشئة هنا إلى أصلهم الإسلامي، وتحبب إليهم اللغة العربية، ولولا هذه المدارس والكتاتيب لعدمت الصلة بينهم وبين الثقافة الإسلامية" ص٣٠٠.

لذلك سنجد أن الصواف، بعد العبودي بخمس سنوات، يقع على التغير الذي لامس نمط التدريس والأساتذة والشيوخ والمدارس التي سيزورها.

وكأن آثار جهود المملكة العربية السعودية للقضية الإسلامية ـــ التي يمثلها العبودي في رحلاته ومهماته الرسمية على نحو ما ـــ سيجنيها الصواف هو الآخر من مهماته ا لرسمية.

وتبقى مقولتنا عن العبودي، في رحلاته الإسلامية، لا تتغير ... وهي أنه ـــ فيما يبدو لنا ـــ لم يجعل الهدف من كتاباته الرحلية هو الوقوف على المبادئ الإسلامية في أماكن رحلاته ومدى تفهم الآخرين لتلك المبادئ والعمل لها ... فربما كانت تلك الأفكار لها مجالها الآخر غير هذه الكتابات الرحلية، لأن كل ما كان يهمه هو ذكر المظاهر والمواقف والمرئيات العامة التي يترك للقارئ حرية التصور والتأويل.

مثلاً: حين يُدعون لزيارة المدرسة الإسلامية الكبرى في (مميروي) لم تكن انطباعاته عن تلك المدرسة سوى بنائها الخارجي، وما تلقته من تبرعات سعودية وكويتية، ومواد الدراسة فيها ـــ من لغة ودين ـــ ومستواها، وشيء آخر عن لباسها الإسلامي، والأمر نفسه يسلكه كأي كاتب رحلي معاصر في التعبير عن حسّه التاريخي واللغوي والذاتي؛ وهو يتعامل مع المرئيات والمعلومات الذاتية واللغوية. لدرجة أننا نجده يعترف بأنه لا يعرف أصل تسمية بعض المدن الأثرية التي وقف عندها. ولكنه يعرف تاريخها، ويحسن وصف آثارها من منظور معاصر، فمدينة (فيدي) الأثرية، جعلها الإنجليز منطقة محرمة؛ لأنهم هم الذين اكتشفوها وسمحوا للزائرين والدارسين فقط مشاهدتها لقاء رسم زهيد. وهي مدينة عربية معظم آثارها من القرن الثامن الهجري. مما قاله عنها: "فيها مقبرة عليها بعض الكتابات ... منها كتابات عربية واضحة على قبر رجل توفى عام ٨٠٢هـــ. وهي لا تختلف عن الخطوط المألوفة في البلاد العربية كمصر والشام في ذلك الوقت. أما مبانيها فهي من الحجارة التي ألصقت بمادة تشبه الجبس. وأجمل ما فيها، ما بقي من محراب المسجد الجامع؛ وإحدى بواباته الرئيسة، وبقايا مسجد صغير آخر، والخزانة في قصر السلطان، وعدة آبار مطوية بالحجارة مستديرة تذكرك بالآبار الموجودة في نجد والحجاز، لولا أنها أحكم صنعة، وأتقن

عملاً وفيها بقايا أوانٍ خزفية كثيرة، وزجاج من ذلك العهد، وكل ما وجد فيها يدل على مظاهر حضارة عربية زاهرة كانت موجودة هنا، ويقال: إن البرتغاليين هم الذين خربوها عندما تغلبوا على أهلها من العرب في القرن العاشر الهجري" ص٢٩٨.

ومهما يكن من أمر، فإن العبودي في هذا الكتاب، وبخاصة وهو في كينيا، لا يبرح دواعي هذه الرحلة الدينية في (إفريقية الخضراء)، وأهدافها في تصوير حالة المسلمين.

لذلك نراه، وهو في آخر جولته في كينيا، يجمل رؤيته عن المسلمين فيها، فيقف في كلامه ــ وما زال في نيروبي عاصمة البلاد ــ عند الأمور أو المحاور التالية ملخصًا إياها: زعماء المسلمين وعلماؤهم من العرب والإفريقيين والهنود، وتاريخ دخول الإسلام إلى كينيا منذ عشرة قرون، والجمعيات الإسلامية وعددها ونشاطها. ووضع المسلمين المادي والاجتماعي، وطبقات المجتمع الأربع، وهم حسَب الرقي والغنى: الأوروبيون والهنود والعرب، فالإفريقيون ويبدو أن ثمة تحسسًا من الإفريقيين تجاه العرب ... وهو أشبه بالتحامل عليهم، والمثال التالي يوضح ذلك: إن جماعة من زعماء المسلمين الإفريقيين في (ممباسا) ذهبوا لمقابلة الزعيم (جوموكينيانا)، وطلبوا منه أن يولي عليهم قضاة من غير العرب الذين يتولون القضاء منذ دخول الإسلام لتلك البلاد. ويرى العبودي أن سبب ذلك يرجع إلى أن العرب كانوا سادة، ولا يلتزمون بتعاليم الإسلام في الإخاء. ولهذا يتوقع أن تزول تلك الظاهرة؛ لأنها نتيجة جماح القومية الإفريقية المتأججة في صدور الإفريقيين جميعًا في تلك البلاد في هذه الأوقات وبخاصة بعد أن حصلوا على الاستقلال ص٣٢٥.

وكان من المحاور الأخرى التي وقف عندها العبودي، وهي مما يرددها من حين إلى آخر، هو النشاط المعادي للإسلام في كينيا، كالتبشير المسيحي، والاستعمار الإنجليزي، والنشاط الصهيوني، وجماعات غير إسلامية تتستر

بالإسلام كالقاديانية، والإسماعيلية، كما أنه يردد مثل هذه الأقوال عن رؤية حيال الدعوة الإسلامية في تلك البلاد:

"يصح القول بكل أسف أن الدعوة الإسلامية في ساحل كينيا يشملها ركود في الوقت الحاضر على الرغم من الحرية المطلقة للداعي الإسلامي، وعلى الرغم من أن حكومة كينيا لا تقف موقفًا معاديًا للمسلمين" ص٢٣٢.

في الصومال:

كان دخول العبودي وصحبه إلى الصومال، وعاصمتها (مقديشو) يوم السبت المصادف (١٣/٥/١٣٨٤هـ - ١٩/٩/١٩٦٤م)، ذكر أصل اسم (مقديشو) أو (مقدشاه) أي: دار السلطة، أو دار الملك، وذكر الحفاوة التي استقبلوا بها. ولا يستغرب تلك المعاملة، لأن "الصومال بلد مسلم، مخلص لإسلامه، ولا يوجد بين أهله الأصليين من هو غير مسلم" ص٣٤٩. كما ذكر أن اللغة العربية في الصومال هي اللغة التي يتكلم بها الصوماليون قبل الاستعمار ... ثم بالإيطالية والعربية حتى الآن. وثمة لغة صومالية محلية.

ذكر العبودي شيئًا عن المرأة في الصومال، وأثر الإسلام الواضح في حياتها وشخصيتها. ووقف عند مهمته في اختيار الطلبة للدراسة في الجامعة الإسلامية ... وعند نشاط أعضاء بعثة دار الإفتاء في الرياض إلى الصومال.

وعند دار الآثار القديمة ... وصف ما يضمه المتحف الوطني من ملابس وأدوات وأسلحة عربية، ومخطوطات ووثائق باللغة العربية، وعدة مصاحف عربية، وكانت كل المخطوطات حديثة، وأقدمها لا يرقى إلى أكثر من مائتي عام.

ومن وقفاته التي يجدر بنا أن نقفها معه، ونروي إحداها، هي أنه قام بجولة حول مقديشو، فرأى راعي غنم صوماليًّا في السادسة عشرة من عمره يحمل خشبة كبيرة يزيد طولها على المتر، عرف منه أنها لوح يحفظ فيه القرآن الكريم. فأثار المشهد في نفسه مشاعر الزهو والاعتزاز، فقال معبرًا عن مشهده: "ولقد هزني مرأى هذه الصورة، وتجسم لي فيها رأي العين ما كنت قد سمعته وقرأته

سابقًا من صور أولئك الذين حفظوا القرآن الكريم على مر العصور في هذه البلاد البدوية النائية بتلك الوسيلة" ص٣٩٤.

وكان الاتجاه إلى أوغندا، ومن نيروبي إلى كمبالا، يوم الإثنين ١٣٨٤/٥/٢٩هـ المصادف ١٩٦٤/١٠/٥م. ويصف تلك المدينة، ويقارنها بنيروبي قائلاً:

"مدينة جميلة، نظيفة، معظم بيوتها من الإسمنت المسلح والحجارة، ولا ترى الأكواخ إلا خارجها، وهي تمتاز عن نيروبي بكثافة أشجارها، وسموقها في الجو" ص٤١٧.

ومما يلفت انتباهه المظاهر العمرانية العامة، والإسلامية، والاجتماعية، ومما يلفت النظر قلة المطاعم والمقاهي والحانات، واحتشام النساء، وأدب الأهالي الجم في المعاملة، وإن لم يصل إلى أدب الأحباش. ومن مشاهده وانطباعاته الخاطفة عن الإسلام والمسلمين، يأتي على أثر تقديم مؤذن جامع (نكسيرو) في مدينة (كمبالا) للمصلين شخصين أسلما الآن: "إنه لَمشهدٌ جعلني أَشُدُّ على أيديهما، وأتأثر بالغ التأثُّر" ص٤٢٣، وإذا كان العبودي ـــ كما عهدناه ـــ لا يولي أهمية لدوره في الدعوة الإسلامية، من باب التواضع، فإن الموقف يستوجب منه أحيانًا الإشادة بدوره الإسلامي المؤثر؛ كأنه يقول خلال مقابلته للأمير: (بدر بن نوح) أمير المسلمين في أوغندا: وقد رددت عليه بكلمة جاء فيها أننا الآن لا نشعر إلا أننا في بلادنا فعلاً ... فالمسجد هو المسجد، بيت الله في كل مكان، والإخوان هم الإخوان "وشعار لا إله إلا الله، المكتوب فوق هذا المحراب، هو الشعار نفسه المرسوم على علم المملكة العربية السعودية. ثم تكلمت عن متانة الصلة العربية التي تربط بين المسلمين، وضربت له أمثلة من سيرة الصحابة والسلف الصالح. فَاغْرَوْرَقَتْ عيناه بالدموع، وأخذ يمسحها بمنديله" ص٤٢٤.

ويبدو أن أمور المسلمين أخذت تستحوذ على مجمل كتاباته الرحلية، لذلك وجدناه يشيد ببعض المبشرين بالإسلام في تلك البلاد، ويذكر أعمالهم الخيرة.

مثل الشيخ (شعيب إسحاق)، الذي "أوقف أرضه لله، وبنى فيها ثلاث بنايات، إحداها مسجد جامع، والثانية مدرسة إسلامية، والثالثة أماكن للنوم. وأطلق على المدرسة: (مدرسة الدين والتهذيب الإسلامي) وإنها لَقِمَّة الأعمال المجيدة المحببة لله" ص٤٢٦.

وكان العبودي، وهو يكتب عن الإسلام في أوغندا، يورد جميع الأماكن التي زارها ... وهي: (مساكا، زبامنكا، كبيحي، كبيهي، لوكالو، جنجا...)، كما يورد عددًا كبيرًا من زعماء المسلمين وعلمائهم ورؤساء الجمعيات الإسلامية ممن اتصل بهم وحاورهم. وكذلك فيما تفقده من المدارس والكتاتيب الإسلامية في أماكن متعددة من أوغندا. ولا ينسى، كدأبه الدائم الذي رافقنا في رحلاته وكتاباته، ذكر عدد المسلمين في أوغندا، ونشاط الدعوة الإسلامية، وحالة المسلمين المادية... والاقتراحات.

وكان الوصول إلى مملكة بورندي يوم الأربعاء ١٣٨٤/٦/٨هـ ــ ١٩٦٤/١٠/١٤م. وقد كتب العبودي عن هذه المملكة في الموضوعات نفسها التي يكتبها وهو حيال أي بلد يزوره. فقال عن المسلمين فيها: "تعتبر مدينة يوز مبورا العاصمة أكبر نقطة تجمع للمسلمين".

لقد ذكر العبودي تاريخ وصوله إلى كل من البلدان التالية في نهاية مطاف رحلته في إفريقية الخضراء وهي أنه وصل إلى روديسا الشمالية (زامبيا) يوم السبت (١٣٨٤/٦/١٨هـ ــ ١٩٦٤/١٠/٢٤م.

وإلى تنجنيقا في ١٣٨٤/٦/٢٥هـ ــ ١٩٦٤/١٠/٣١م.

وإلى تنــــزانيا مرة أخرى في ١٣٨٦/٨/١٦هـ ــ ١٩٦٦/١١/٢٩م.

أورد العبودي، وهو يتكلم عن اللغة السواحلية، بعض الكلمات العربية في ثماني صفحات من خلال جدول يتضمن العربية والسواحلية، بحروف لاتينية، والنطق السواحلي. ثم وقف عند مسجد هراري، ومسجد هايفل، وأحياء الإفريقيين، وجد جمال الضاحية، ومع ذلك فلا يرى الإفريقيين يشعرون

بالسعادة؛ لأنهم يعيشون في سجن كبير، ومرد ذلك لأنهم يعيشون وحدهم من دون أن يسمح لأحد بأن يختلط معهم في السكن، وأنهم أينما اتجهوا في روديسا "يُجابهون بالاحتقار وعدم الاحترام" ص٦٨٥. وهذا التمييز يُلاحظ حتى في القبور، لذلك فلا يتوانى العبودي في التعبير عن تعاطفه الإنساني مع هذه الشعوب.

ومن وقفاته الأخرى التي أوردها، فقد كانت عن: صلاة التراويح في سالسبوري، والعرب في روديسا، ومصنع النسيج، ومتحف بالسبوري... فضلاً عن استماعه إلى (ذكريات عجوز إنجليزية) ذات دلالات سياسية وعنصرية ودينية عن المنطقة. ولا يفوتنا الاستماع منه كعادته عن المسلمين في روديسا، واقتراحاته.

وأخذت رحلة العبودي توشك على الانتهاء، وهو يخط كلماته عن إفريقية الخضراء، أو وهو يحط (على أرض جنوب إفريقية)، في رحلته الثانية أو سفره إلى جوهانسبرغ التي وصلها يوم السبت ١٣٨٦/٩/٤هـ ــ ١٩٦٦/١٢/١٧م. إذ لم يحس بالغربة فيها، وهو يصف لنا معالم تلك المدينة. ثم سفره إلى (كنشاسا)، وكان خروجه أو السفر إلى الكونغو بعد صلاة الفجر مباشرة إلى كنشاسا (اليوبولدفيل) سابقًا.

وكان كلامه عن انتشار الإسلام في الكونغو. كما أن الزيارة لم تقتصر إلا على العاصمة فقط "نظرًا لضيق الوقت، واتساع أقاليم الكونغو، وتفرق المسلمين، وتشديد الحكومة. بحظر السفر إلى المقاطعات المتفرقة إلا بعد إذن خاص منها" ص٧٥٥.

ويختم العبودي هذه الرحلة الإسلامية العريضة في إفريقية ــ وهو يتحدث عن الشؤون الإسلامية بالاقتراحات السبع الآتية:

أولاً : إيجاد دائرة الاتصال بمسلمي إفريقية.

ثانيًا : تعيين ملحق في كل سفارة إسلامية في إفريقية.

ثالثـــًا : إنشاء صندوق إسلامي عالمي لتمويل الدعوة الإسلامية.

رابعـــًا: الإكثار من المنح في الجامعات والكليات والمدارس الإسلامية.

خامسًا: المساعدة على إنشاء ملاجئ ودور للأيتام في البلاد الإفريقية.

سادسًا: اختيار المدرسين من مختلف البلاد الإسلامية.

ســـابعًا: العمل على كثرة طبع الكتب الإسلامية مترجمة إلى اللغات الإقليمية والعالمية.

ثانيًا: رحلة إلى سيلان(*):

ورحلة العبودي إلى سيلان هي إحدى هذه الرحلات ذات الاتجاه الديني... التي كان فيها بمُهمة دينية رسمية خارج المملكة كي يتعرف إلى أحوال المسلمين، ويتحسس مشكلاتهم وقضاياهم، وإن لم يصرح عن تلك المهمة، ولكننا نعرف أنه في يوم الخمس ١٣٩٨/١٢/٣٠هـ كان في كراتشي من يومين، وعليه أن يسافر بالطائرة إلى جزيرة سيلان ليحط في عاصمتها (كولمبو) في اليوم التالي الساعة الواحدة ظهرًا، ولتستمر الرحلة خمسة أيام أو ستة، زار وتعرف خلالها في الكثير من الدور والمعاهد والمساجد والشخصيات الإسلامية في كل من كولمبو وماكولا وبيرويلا، وكندي، وبوتالم، ومادامافا، وتشيلو، وكان بضيافة وزير النقل السيلاني محمد حنيفة محمد الذي احتفى به وسهل تنقله عبر المدن والمناطق. ويظهر على رحالتنا أن اهتمامه "هو الحصول على أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت، وأن أشاهد كل ما يمكن مشاهدته مما يهم المسلم، ومما يهم السائح الأجنبي". وفعلاً توزعت مشاهداته بين المعالم الإسلامية، والمعالم الأثرية والاجتماعية... وإن كانت تلك الأخيرة يمر عليها، ويلامسها ملامسة سطحية وعابرة، خلاف مشاهداته وانطباعاته وملاحظاته الوافرة عن الشؤون الدينية من مساجد وصلاة ومصلين وخطب... وكان لا يعدم إظهار مشاعره

(*) الناشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وعواطفه الإسلامية بروح نقية مستحبة في لقاءاته وخطبه ونصائحه؛ وفي استماعه لأحاديث المسؤولين عن أوضاعهم وسياستهم.

وقد وقف بنا العبودي عند أسماء الأعلام ــ أشخاصًا وبلدانًا ــ وشرح معناها أو ما يقابلها في اللغة العربية، وكذلك عند بعض العادات والتقاليد العابرة من لباس وزواج وطبخ وخرافات، وحرق الموتى واحتفالات وزينة وغيرها، بالإضافة إلى ما شاهده في كل من حديقة الحيوان، والمتحف الوطني من تمثال بوذا، ومعروضات من خشب النارجيل، وألبسة المرأة السيلانية، وحيتان وأسماك محنطة، وأسلحة قديمة، وأطباق ودوارق فخارية وخشبية وغيرها.

إن رحلة العبودي في سيلان ــ بأيامه الخمسة ــ تذكرنا برحلة خمسة أيام في ماليزيا للأستاذ عبد العزيز الرفاعي، وتكاد تتماثل الاهتمامات والمشاهدات، إلا أنهما يختلفان في طريقة السرد وفن التعبير؛ كان رحالة ماليزيا لا تعوزه رشاقة الأسلوب، وخفة الروح، والتقاط المواقف المرحة، ورصد المفارقات الطريفة الساخرة... وكان الأستاذ الرفاعي يكتب بروح الأديب الفنان... بينما كان الأستاذ العبودي يكتب بعين المسلم، وقلب المصلح.

ومما يجدر بكاتب الرحلات التقيد به هو أن يطعم مرئياته وحقائقه بشيء من ذاتيته، أن يضفي عليهما شيئًا من روحه وحرارته وفنه.

إن عمل الرحالة في كتابته، كعمل أي مبدع حيال التعبير عن تجربته أو معاناته.

ثالثًا: مشاهدات في بلاد العنصريين رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين(*):

إن العبودي في رحلته هذه، يفرق بين المشاهدات أو المرئيات، والانطباعات أو التصورات، بين العمل الحسي المدرك بالرؤية أو البصر، والعمل

(*) الناشر: نادي القصيم الأدبي ــ بريدة ــ ط١ ــ دون تاريخ.

الوجداني المدرك بالفكر والمشاعر. وهذا ما أوضحه في مطلع رحلته عن الأوروبيين العنصريين الذين يسودون جنوب إفريقية من خلال إحساسهم بالتفوق الحضاري. لذلك ستكون رحلته تجسيدًا لتلك العقدة الأوروبية، عبر مشاهداته، بينما الكلام عن مضمون العنصرية الفكرية والسياسية سوف لا يكون موضع انطباعاته إلا المامًا. "ونظرًا إلى أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، وإعطاء فكرة عن تصورات هؤلاء الأوروبيين العنصريين يتطلب الاطلاع على ما يجرونه ويعملونه في بلادهم، فإنني سوف أؤجل ذلك إلى ما بعد مشاهداتي في هذه الرحلة". ومع كل ذلك فستظل انطباعاته الفكرية مقتصرة على شؤون المسلمين في إفريقية، وأوضاعهم الدينية والاجتماعية والعلمية. ومن هنا نبه العبودي على صيغة عنوان كتابه بقوله: "ولذلك نبهت على ذلك في طُرَّة الكتاب فألحقت في عنوانه: (رحلة وحديث في أوضاع المسلمين). بينما ستكون مواقفه حيال القضايا العنصرية والسيطرة الأوروبية ـــ كما قلنا ـــ عابرة، سنقف عند بعضها في حينه.

وإن هذه الرحلة، تضيف إلى اهتمامات العبودي الرحلية، عبر أماكن المسلمين في العالم، آفاقًا جديدة، تكمل إنجازاته في مجال أدب الرحلات، سواء أكانت من منطلق موضع مسؤوليته في (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)، أم من منطلق إشباع هواياته الرحلية في العالم.

على أن معظم دوافعه للرحلات كانت تلبية لدعوات إسلامية من خارج المملكة، مثل هذه الرحلة التي استجاب فيها لدعوة الأمين العام لاتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقية لحضور مؤتمرهم العام، والاجتماع الإسلامي السنوي الذي سيعقد في (جوهانسبرج) ابتداءً من ١٥ شعبان ١٤٠٠هـــ.

ولذلك فقد استغرقت هذه الرحلة أحد عشر يومًا. وإن مثل هذه الرحلات الرسمية، يظل أصحابها مقيدين في مشاهداتهم وتحركاتهم، حسَب برامج مرسومة لهم.

وإذا تصورنا أن العبودي قد تابع مجريات أيامه الأحد عشر خلال رحلة استغرقت كتابتها نحو أربعمائة وخمسين صفحة، ومن دون تحليلات أو وقفات فكرية ودينية وسياسية... عرفنا مدى ما أقحم في الكتاب من أمور ومشاهدات وإضافات هامشية، كان لها ألا تجد مكانها في هذا الوصف الرحلي.

ويبدو أن العبودي كان يكتب مشاهداته في حينها، مما يجعل تلك الكتابة تنأى عن التألق الفني والأدبي، وتدنو من الأسلوب الصحفي اليومي. وقد أشار إلى تلك الكتابة اليومية الآنية مرتين في كتابه: "إن بعض إخواني حضروا إلَيَّ في الفندق، فلم أسترح و لم أكتب" ص٥٣، "وجلست مع الجالسين أكتب في هذه الأوراق، وكان بجانبي اثنان من البيض صديقان كانا يتحدثان معًا طوال الرحلة، فقال لي أحدهما يريد بذلك أن يفتح الحديث: إنني أعجب من كثرة ما كتبته" ص٢٢٩.

على أن مما يكسب هذا الكتاب فائدته وقيمته هو تجنب المؤلف أسلوب الواعظ، كما عودنا في بعض كتب رحلاته الأخرى؛ إذ كان يتحاشى الدخول إلى أعماق قارئه عن طريق ذلك الأسلوب الذي يكاد يخلو منه الكتاب إلا نادرًا فيما يقتضيه الحوار بينه وبين مضيفيه.

فعلى الرغم من كثرة التفاصيل والزيادات المفرطة التي لا تتفق مع كتابة أدب الرحلات، إلا أن روح المؤلف العفوية والصدق، وتعبيره عن نفسه ورغباته وطبيعته، وما يحب وما يكره، وعن انطباعاته لمرئياته... كل ذلك أضفى على الكتاب جوًّا شائقًا.

لقد استطـــاع العبودي أن يُعبر عن محوري كتابه: العنصرية الأوروبية، وأوضاع المسلمين في جنوب إفريقية ــ بأسلوب التلميح، والإشارة الخاطفة، والمشاهدة المدعمة بأقوال الآخرين في حواره معهم. بينما كانت إضافاته، وزيـــاداته وحشوه متأنية عن التكرار والنقل السريع غير المصفي لكل شيء.فلو تأنى واختار الأفضل،واعتنى بأسلوبه وتعبيره لجاءت رحلته بشكل أجود وأحسن.

ولكنه برع في إعطاء صورة كاملة للطلبة المسلمين وأحوالهم الاجتماعية والدينية والعلمية والصحية والمادية من خلال الوقوف على مساجدهم وصلاهم، وتلاواتهم، ومأكلهم، وملبسهم، ومدى تفقههم في الدين. كما أنه أجاد في نقل صورة التمييز العنصري السائد في تلك البلاد، الذي يمارسه الأوروبيون البيض بشكل علني... إذ نقل لنا لوحات كثيرة منه في السكن، والمطاعم، والمستشفيات، والجامعات، والمقابر، والمسابح، ووسائط النقل، ومعابد النصارى، والعلاقات العاطفية، وأخبار القتل والجرائم في الصحف وغيرها. كما وفق في دعابته أحيانًا حين يقف عند بعض المفارقات معلقًا في الحوار بينه وبين إخوانه المضيفين حول العنصرية والملونين كقوله مثلاً: "يمكنكم أن تصبغوا البناء باللون الذي تريده الحكومة" ص٥٢. أو قوله مداعبًا إخوته المرافقين: "هل للأعشاب ألوان أيضًا؟ أجابوا ضاحكين: نعم، لأنهم يزرعون في مناطق البيض أعشابًا خاصة تصبر على البرد والجفاف، بخلاف الموجودة في مناطق غير البيض، فهي أعشاب طبيعية غير مزروعة، تزدهر في فصل الأمطار، وتجف وتيبس في هذا الفصل" ص٩٩.

وقد يتألق أحيانًا حين يوظف المشهد المرئي في صورة إنسانية موفقة تدين العنصريين، كأن يقول في وصف رأس الرجاء الصالح: "أما هيئة هذا الرأس، فإنها رأس حجري داخل في مياه البحر، له أنف أفطس قصير كأنوف الإفريقيين، ولماذا لا يكون الأمر كذلك وهو إفريقي أصلاً وفرعًا، رغم أنوف البيض المتعصبين الذين يزهون على الإفريقيين بطول أنوفهم"؟ ص٣٠٠.

أو يقول معلقًا على ملتقى المحيطين: "ولكن في هذه البلاد بالذات التي يتعانق فيها المحيطان، لا يتعانق بنو الإنسان، ولا تمتزج فيها الألوان، فلكل لون من ألوان بني الإنسان مرتبة عندهم وشأن يميزانه عن بقية الألوان. ألا ما أكثر طغيانك أيها الإنسان، وبخاصة إذا استغنيت فاستكبرت: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) "سورة العلق، الآيتان ٦-٧" ص٢٩٩.

وقد يستغل حواره مع جيرانه في الرحلة فيستدرجهم في شؤون سياسية تجسد قضية المستقبل السياسي لتلك البلاد. ولا يغفل دور دعاة النصرانية، واستغلالهم الدين في غزوهم الاقتصادي والسياسي، وكان أحيانًا يعطي رأيه الديني أو نصائحه، وقد يأخذ بها إخوانه المسلمون، أو يؤيدونه فيها.

كما كان يعير أهمية للمشاهد الغريبة المثيرة، مثل: (حديقة الحيَّات)، و(الفتاة التي تعيش مع الحيَّات)، أو مشاهد طيران الرجال بالأجنحة، أو متحف جنوب إفريقية، ورجال (البوشمن)، أو وصف الملونين وبخاصة النساء، ويقارن بينهن في المظهر والجمال. أو الوقوف عند قبائل (الزولو)، أو يجري مقارنات لغوية بين بعض الألفاظ التي تقتضيها المناسبة، أو قد تجره المقارنة إلى نساء بلاده كقوله: "ومن أهم ما لفت نظري منظر كان يوجد في بلادنا وافتقدناه الآن، وهو منظر النساء اللاتي يحملن حزم الحطب على رؤوسهن وهن يسرعن به إلى بيوتهن" ص١١٦.

كما كان لا يخفي إعجابه أو تذمره من شركات الطيران في معاملتها وخدمتها لركابها، وإظهار اهتمام الآخرين به، لكونه ــ فيما يبدو لهم ــ ليس من الملونين؛ وإنما من البيض؛ في المطاعم والفنادق والأسواق.

وكان ضيق الوقت، ومخطط رحلته، وكثرة مشاغله... تنعكس أحيانًا على جو رحلته وحريته وانطلاقه وسلوكه؛ كأن يقول عن (غلام حسين). الأمين العام للاتحاد: "ثم أرانا بيانات أيضًا عن الشيوعية التي هي العدو الأول للإسلام كما يراها. وقد كان يتكلم كلامًا مفيدًا بشكل حماسي متواصل، إلا أن ضيق الوقت منعني من الإنصات إلى كل ما يقوله"، مع أن كلامه مفيد وفي محله. ولذلك أسرعت مع عدد من الإخوان المرافقين إلى الفندق لِنَنْقُدَهُ بقية الحساب، حتى لا يُحتسب عليّ هذه الليلة التي سأغادر الفندق فيها" ص٢٠٧.

ولقد كان العبودي خفيف الظل في هذه الرحلة، غيورًا على إسلامه من غير ادِّعاء أو افتعال، إنسانًا طبيعيًّا، متمرسًا بمجريات السفر والرحيل، عارفًا أهدافه من تلك الرحلات.

رابعًا: جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي(*)

كان إبحار العبودي، في هذه الرحلة، في المحيط الهادي... حيث جزره الكثيرة. وقد استقر به إبحاره في كل من جزر "فيجي" و"نيو هبريدذ" "ونيو كلدونيا" و"سلمون". وقبل أن نقف عند أهم الأمور في رحلة العبودي علينا أن نذكر سائر الجزر والمدن والمواضع التي مر بها بداية ونهاية.

كانت رحلته إلى "جزر فيجي" يوم الأحد ١٤٠١/١١/٢٩هـ ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٨١م. انطلق من "لوس أنجلوس" إلى "هونولولو"، ومنها إلى "نادي"، ومن تلك البلدة إلى "سوفا" العاصمة. ولم تستغرق هذه الرحلة غير خمسة أيام؛ لأنه في يوم الجمعة يسافر إلى "أوكلاند" في نيوزيلاندا. حيث تبدأ رحلة ثانية، وقد أوردها مع رحلته إلى جزيرة "تسمانيا" في كتابه إطلالة على نهاية العام الجنوبي. ولأن رحلات العبودي، من أجل تفقد ودراسة أحوال المسلمين، كانت كثيرة ومتواصلة، فقد عاد ثانية إلى جزر فيجي بعد سنة ونصف تقريبًا؛ وذلك يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣/٣/٣م، ومر بالأماكن السابقة نفسها، ولم تدم رحلته غير يومين، إذ يرحل في يوم السبت ٢٠ جمادى الأولى إلى "نيو كلدونيا" من "نادي" إلى "نوميا" العاصمة حيث يمكث فيها يومين أيضًا، ليرحل إلى "نيوهبريدز" أو "وانا واتو" يوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ، ويصل العاصمة "بورت فيلا" ليمكث فيها يومًا واحدًا.. فيرحل إلى جزر سلمون" يوم الثلاثاء ١٤٠٣/٥/٢٣هـ، وذلك من جزيرة "سانتو" في "وانا واتو" إلى "هونيارا" ويقيم فيها يومين، ليرحل في ٥/٢٥ إلى عاصمة أستراليا "بدزبن"، ويبدو أن له حديثًا عن أستراليا نجده في كتابه "رحلات مع القارة الأسترالية".

(*) لم يرد اسم الناشر والمكان ــ ط١ ــ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ويظل العبودي محافظًا على منهجه الرحلي الذي يقوم على وصف المحسوس والمرئي ثم المستغرب منها خلال رحلاته، فضلاً عن الوقوف على أمور المسلمين في جمعياتهم ومدارسهم ومساجدهم ومشكلاتهم. ليجمع في رحلاته بين العنصر السياحي الذي يقوم على ذكر المعلومات عن الأماكن والبيئة من زوايا جغرافية وتاريخية... وبين العنصر الديني الملتزم بالأصالة، والمواقف والرؤى الإسلامية. وإن كان العنصر الأول هو الغالب وبخاصة حين تستحيل كتاباته في كثير منها إلى أمور ومجريات عادية تمر بالمسافر، ويعرفها في المطارات والفنادق والمطاعم ومُصَرِّفِي شؤونها.

ولذلك كان يصف العبودي في هذه الرحلة شخصه بين مجموعة من السياح ومعهم دليل السياحة التي تشرح لهم المعالم والأماكن التي يمرون بها أو يقفون حيالها. على أن العبودي كان يفصح ويبوح ببعض مشاعره الخاصة وأخباره الذاتية من حين إلى آخر، ليقترب في كتابته من أدب السيرة الذاتية، سواء فيما ينتابه من مشاعر وأحاسيس، أو ما يمارسه من أعمال وأقوال... أو ما يقع له من قصص وأهوال. فقد كان من عاداته أن يشعر بالبهجة عند وصوله إلى مكان جديد في هذا العالم لم يره من قبل... وقد يجعل شعوره مثل شعور أي غريب يصل ذلك المكان حيث يأسره الكلام الجميل والمنظر الحسن من الآخرين والأخريات.

وقد يُشيع في وصفه جوًّا من المرح وخفة الروح والمزاج. كما قد ترقُّ مشاعره إزاء المرئيات، فيبدو أديبًا يستحثه الشعرُ. فحين ناحت "قُمْرِيَّة" ذَكَّرَتْه بغربته: "عندما سمعت ضحى هذا اليوم صوت قمرية على شجرة تردد البكاء لا يختلف عن صوت القماري في بلادنا تذكرت قول الشاعر في ص١٩:

وقـــد شاقني نـــوح قمـــرية ... طـــروب العشـــيّ هتوف الضحى

مطوقـــة كـــسيت زينـــــة ... بدعـــوة نـــوح لهـــا إذ وعـــى

فلـــم أر باكيـــة مثلهـــا ... تبكّـــي ودمعتهـــا لا تـــرى

ويعود إلى ذكرها مرة ثانية، بعد سنة ونصف، في رحلته الأخرى بعد أن داهم تلك الديار هول من الإعصار، وحطم كل شيء وحتى الأشجار.. "ولا أدري ما فعل الله بتلك القمرية الثكلى، وحق لها إن سلمت من الإعصار أن تنوح على شجرها كما كانت تنوح على شجنه" ص٩٣.

لا يغفل العبودي المطاعم الإسلامية، فيسأل عنها ليأكل فيها، ويعجب المسؤول، ويقدر السائل: "يا أخي إن المسلم الذي يسأل عن مطاعم المسلمين يستحق الإجلال" ص٣٨.

وقد يصوغ تعبيرًا بليغًا بديعًا تقتضيه المناسبة والمشهد: "جاءت الصينية (المرأة) بصينية (صحن فيه رز)" ص٣٨. ويفيض بمعلومات عن المساجد والمدارس، والمساعدات، ومصاريفها. ولا ينسى أن يقف عند التمييز العنصري، وينفي وجود النزاعات الأخرى بين الديانات والطوائف بين أهل البلاد (الفيجيين) والهنود المهاجرين، وكذلك يبقى ذلك النزاع من بين المسلمين والهنودكيين، ويذكر الميزة أو العلامة التي تميز المسلمين من غيرهم، وهي لباس "الطاقية" على الرأس، أو في اللحى الهندية. وكذلك ما يميز الفيجيين الأصليين من صفات ظاهرة كالشعور الضخمة المنفوشة الجعدة الكثيفة. وتناهى له خبرٌ من المسلمين هناك بأن مالكًا سعوديًّا ثريًّا، هو عدنان خاشقجي، وشركاؤه السعوديون لهم مطار ومنطقة واسعة، وفي العاصمة "سوفا". وذكر العبودي شيئًا عن البعثات التبشيرية وجماعات أخرى ودعواها، وتفاؤله من انتصار الإسلام عليها.

وإذا كانت كتابات العبودي الرحلية ومعلوماته وأخباره ولا سيما في شأن أحوال المسلمين، مما كان يحملها عنهم تستوجب توضيحًا وعلاجًا وحَلاًّ وعدهم بها، فإنه لم يوضحها في هوامشه، ويعرِّف القارئ بمصير تلك الأمور بعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية، والتي أوفدته وكلفته ووكلت إليه أمر قضايا المسلمين في سائر أنحاء العالم.

خامساً: في غرب البرازيل(*)

حان لنا أن نقول: إنه قد وصلت كتب الأستاذ "محمد بن ناصر العبودي" في الرحلات إلى نحو ثمانين كتابًا، بين مطبوع ومخطوط. وكانت كلها مشاهدات وانطباعات عن تلك الرحلات في أرجاء العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، يتفقد من خلالها أحوال المسلمين في تلك الديار التي يزورها ويرحل إليها، حين أصبح الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.

وكتاب (في غرب البرازيل) أحد تلك الكتب الرحلية، الذي يذكر فيه، كعادته في المقدمات، سبب الرحلة وهدفها. وهو أنه بعد أن قام بجولة في البرازيل قبل ثلاث سنوات وترتب عليها أن أقامت رابطة العالم الإسلامي مؤتمرًا إسلاميًّا لقارة أمريكا الجنوبية... وبعد أن مضت فترة من الزمن على تقويم العمل الإسلامي في تلك البلاد، احتاج الأمر إلى إلقاء نظرة جديدة على أوضاع المسلمين هناك واقتراح السبل الكفيلة لمساعدتهم على ضوء هذه الأمور المستجدة، إضافة إلى معرفة العوامل التي طرأت على العمل الإسلامي في أنحاء العالم، وفي البرازيل بصفة خاصة، مع تقديم المساعدات للمشروعات الإسلامية فيها.

وكان تاريخ الرحلة يوم الثلاثاء ١٤٠٨/٥/١٦هـ ــ ١٩٨٨/١/٥م، واتبع فيها ما يكتبه، المذكرات اليومية... وهي طريقته المعهودة في كتابة الرحلات. وكان يسود مرئياته وانطباعاته الآنية في سير الرحلة، بحيث يصف المطارات وطائراتها، والإقلاع والمضيفات داخل الطائرة، ومناظره الأرضية وهو في الجو، والهبوط، واستقباله، وذهابه للفندق بسيارات مستقبليه، ومشاهدات الطريق، ثم جولات في بعض الأمكنة والمعالم، ووقوفًا عند الأماكن التي جاء من أجلها، وبخاصة المساجد، والمسلمين، وأحوالهم، وذكر لأسماء بعض المسؤولين عنهم. ثم عودته من حيث انطلق، أو رحلات أخرى لأماكن جديدة... وهكذا. وقد دوَّن لنا الكثير من تلك المشاهدات. ولهذا فقد ذكر لنا في هذه الرحلة

(*) الناشر: مطابع الفرزدق التجارية ــ الرياض ــ ط١ ــ ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

البرازيلية أبرز الشخصيات الرسمية السعودية والإسلامية التي التقاها منذ رحيله من برازيليا إلى كويابا حين وصف لنا مدينة كويابا من الجو، ثم من الأرض. وقد استقبله "خالد حمد حيمور" رئيس الجمعية الإسلامية في تلك المدينة، و"حسن شوشر" عضو الجمعية وإمام المسجد، وكلاهما من لبنان ويعملان في التجارة، وقد وضَّحا وفسَّرا له بعض الظواهر الجغرافية والمناظر المرئية وتسمياتها اللغوية مثل: كثافة الأعشاب والأشجار فيها، فهي عاصمة ولاية "ماتوقروسو" ماتو: عشب، وقارسو: كثيف؛ في اللغة البرتغالية، وقد سموها بهذا الاسم لكثرة أعشابها وكثافة نباتها وشمول ذلك لطاقة أرجائها". وقد وقف عند مثل هذه التسميات كثيرًا في رحلاته.

ولأن المساجد بيوت الله فقد كانت غاية رحيله، ومقصد مشاهداته. ولهذا وقف بنا عند جامع كويابا... فوصف وذكر بعض مظاهره وأخباره: مئذنته وساحته وأعمدته وقبته. وقرأ علينا لوحة تضمنت تاريخ بنائه وتأسيسه، ٢٠ صفر ١٣٩٢هـ، ومَن شَيَّدَه... ثم ذكر مشاهدات ذات قيمة محلية وسياحية ودينية، مما تلفت انتباه الزائر المسلم، وهي اهتمام البلدية البرازيلية بذلك المسجد، حين توظفه في مصالحها السياحية؛ إذ قامت ببعض الإصلاحات وتحسين المنطقة حول المسجد، وزادت البلدية على ذلك بأن جعلت المسجد معلمًا سياحيًّا من معالم المدينة فطبعت صورته على بطاقات بريدية، ووضعت زياراته ضمن زيارة المناطق السياحية المهمة في المدينة، وكتب عنه في الكتاب الذي أصدرته في معرفة المدينة، وذكرت أنه للمسلمين وأن الجالية اللبنانية هي التي قامت على بنائه، وذكرت البلدية عنوانه".

وذكر لنا عدد المسلمين في "كويابا" ٦٠٠ نسمة، بينهم ستون عضوًا عاملاً يدفع الواحد اشتراكًا قدره "خمسة دولارات" ويتراوح عدد المصلين يوم الجمعة ما بين "٣٠ إلى ٤٠ مصليًّا". وكان تاريخ هجرة المسلمين إليها عام ١٩٤٨م، بينما كان المسيحيون قبل ذلك التاريخ أكثر عددًا من المسلمين. وقد توقفت الهجرة لأحوال البلاد الاقتصادية المتردية.

وحين يتجول في شوارعها وضواحيها، يصف مشاهداته بدقة، كما لا تفوته أوضاع البلدة الزراعية والتجارية والصناعية، ومعالمها البارزة واللافتة للنظر. وبخاصة ما يهم المسلمين كمقبرتهم، ومن كلامه عنها قوله: "ومن المضحك المبكي هنا أن سعر القبر يكون محددًا بمدة معينة يتم الاتفاق عليها بين شركة الدفن التي تملك المقبرة، وبين ورثة الميت. فإذا كان القبر لمدة سنتين مثلاً فإن الشركة تبعد الميت بل قد تطرده من المقبرة بعد انتهاء ا لسنتين، وتلقي بعظامه في مكان مخصص لذلك، أما إذا أراد ورثة الميت أن يبقى في قبره فترة أخرى فإن عليهم أن يدفعوا إيجارًا إضافيًا عن تلك المدة. قال الأخ خالد حيمور: لذلك سعينا في شراء مقبرة خاصة للمسلمين حتى لا يتعرضوا للنبش والإبعاد من القبر... فيمكننا حسَب أنظمة البلدية أن ندفن الميت حيثما نراه وأن يبقى في قبره إلى ما شاء الله ما دمنا قد حصلنا على رخصة مسبقة بذلك من البلدية، ونحن نملك أرض المقبرة".

ووقف عند جامعة "ماتو قروسيو" ثم انتقل إلى قلب المدينة التجاري. وقد يجري مقارنة كعادته بين النساء ولباسهن وأحوالهن في بعض المدن، ليستخلص رؤية تلك الانطباعات، كما أنه قد يعرض بعض السلبيات والمساوئ التي يراها... مما يؤثر في سمعة الدولة البرازيلية السياحية وفي أهلها ونظافتهم، وتنعكس هذه المظاهر على سلوك السكان في متاجرهم ومحلات أعمالهم.

وقد يذكر المطاعم التي يرتادها وأنواع المشروبات والمأكولات فيها. كما يتعرض لحالة الطقس، والأمطار، والرطوبة والحرارة المرتفعة خلافًا لطقس الولايات المتحدة الذي وصلت فيه البرودة إلى درجة (٥٩) تحت الصفر، يقول: (سبحان الذي يفعل ما يشاء). ولكنه يفسر ذلك تفسيرًا علميًّا أو جغرافيًّا. ويقف عند الكلمات التي ألقاها في المسجد على إخوانه المسلمين، ومضمونها، والنقاش الذي دار بينهم حول أمور الدين. وقد تبرع لهم بمئات بل بآلاف الدولارات.

ويصنع الصنيع نفسه في المدن الثلاث البرازيلية الأخرى التي قصدها ورحل إليها، وهي "كامبو قراندي" و"دورادس"، و"فاطمة دوسول"، ليعود إلى حيث بدأ الانطلاق إلى مدينة "برازيليا".

سادساً: على قمم جبال الإنديز(*)

يجول بنا العبودي كعادته حول العالم بحثًا عن المسلمين؛ ليتفقد أحوالهم المعيشية والدينية والاجتماعية والتعليمية... وليكتب عنها، ومن ثم يحقق لهم شيئًا مما تقوى عليه (رابطة العالم الإسلامي) بصفته الأمين العام المساعد لهذه الرابطة.

ويأتي كتابه (على قمم جبال الإنديز) حلقة في تلك السلسلة الرحلية. فيطلعنا على بعض بلدان أمريكا اللاتينية، وخصوصًا دولتي "بيرو" و"الإكوادور" وهما واقعتان في جبال الإنديز، أعظم الجبال الممتدة في القارة الأمريكية الجنوبية.

وقد اتبع العبودي الأسلوب نفسه في كتاباته الرحلية المعهودة؛ من خلال تتابع المذكرات اليومية، ووصف الأجناس البشرية: دمهم، ملامحهم، وتفاصيل عن أحوالهم مع مقارنتها بغيرها من الأجناس الأخرى المعروفة، ويمنح القارئ بعض أوجه الخلاف أو التشابه. ويصف النساء بوجه خاص والأنوار والمظاهر الطبيعية: أنهار، جبال، أمطار، فصول السنة، كما يصف الحيوانات، وبخاصة (اللاما) مما يشبه الأغنام. ويقف عند المطارات، والفنادق، والمطاعم، والأسواق، والمأكولات والمشروبات، والفواكه والخضراوات وغيرها.

كما يقف عند القصور والبيوت والشوارع والحدائق، والمظاهر السكنية والمعمارية الأخرى، وقد يعرج على أخبار ومعلومات تاريخية وجغرافية وأثرية ولغوية. ويقوده هذا دومًا إلى ما له صلة بالمعالم العربية والإسلامية.

وتستحيل انطباعاته ورؤاه أحيانًا إلى مواقف أصلية في العروبة والإسلام، والانتماء إليهما وأمجادهما الضائعة (ص٣٧، ص٤٥). وقد يتكلم بالسياسة التي

(*) الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م (١٨٣ص).

تفرضها ظروف الحديث أو المناسبة مع من يصادفهم ويتحدث إليهم (ص٥٣، ٥٤)، ويحاول إقناعهم. كما يتكلم عن العرب والمسلمين في (البيرو) ونشاطهم التجاري (وأكثرهم من المسيحيين، والقلة من المسلمين)، ومجموعهم (١٢ ألف نسمة). وقد ينقل مشاعر العرب والمسلمين هناك (ص٥٦) ويعلق عليها. إذ كان له انطباع عنهم هناك (ص٥٧). ولا يغفل عن الرؤية الدينية وهو حيال المشاهد أو الآثار أو الأفكار التي تعرض عليه وله من التعليقات ما يمكن أن تصلح عظة للسائحين من بني وطنه (ص٤٧).

وإن وصف شيئًا لافتًا، فيه طرافة وغرابة، فإنه يعلق عليه كعادته ويمنح قارئه بعض رؤاه وأفكاره المثلى. وجمع الكتاب بعض الصور الطبيعية؛ فضلاً عن رفاق الرحلة (المؤلف والرائد عبد الله العريفي).

سابعًا: نظرة في وسط إفريقية:

رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين(١)

يضيف العبودي إلى كتبه الرحلية كتابنا هذا عن وسط إفريقية، الزاخر بالنظرات والمشاهدات والأحاديث عن البلدان والأماكن التي مرَّ بها، وعن أحوال المسلمين الذين كانوا هدفه من هذه الرحلة وفي سائر رحلاته الكثيرة. وهي أحوال تتفاوت بين السلب والإيجاب، وبين الحسن والسوء. وكانت أبرز الاهتمامات تتجه إلى أماكن عبادة المسلمين في المساجد، ودور تعلم اللغة العربية وغيرها في المدارس.

ولقد قامت رحلات العبودي على السرد والوصف والانطباع فهو يسرد ويحكي مشاهداته، وإجراءات شؤون رحلية في السفر من مطارات وتأشيرات وحدود وجمارك وفنادق ومطاعم وغيرها، فضلاً عما يصف فيه من انطباعات حول مرئياته ووقعها على نفسه، ورؤيته حيالها.

---

(١) الناشر: مطابع الفرزدق التجارية.

وكانت الإجراءات الرحلية اليومية العادية والمألوفة تغطي مساحة كبيرة من اهتمامات العبودي في سفره، على حين كانت الانطباعات والرؤية أقل بكثير من تلك الشؤون المرئية والسردية. وكنا نتمنى لو أكثر من تلك الرؤى؛ لأنها مثار اهتمام القارئ الذي يبحث عنها في كتب الرحلات، خصوصًا أن العبودي ممن يتمتعون بشخصية فكرية ودينية وإنسانية وحضارية واضحة وأسلوب سهل، ومواقف وانطباعات منفتحة، تلقى قبولاً وتجاوبًا من مختلف طبقات القراء.

ومن انطباعاته الإنسانية قوله مثلاً حين قدمت المضيفات الحبشيات لركاب الدرجة الأولى ضيافة ممتازة بدأت بالمقبلات الفاخرة التي فيها (الكافيار): "وعندما قدموه إِلَيَّ لم أكد أستسيغه، إذ كيف أقبل (الكافيار) من بلد يموت فيه بعض الناس جوعًا، ولا يجدون كسرة من خبز أو حتى لقمة من (دويف)".

ومن رؤاه الدينية التي يستنكر فيها المشاهد المؤذية للأخلاق والشرف والدين مثل كثرة البغايا في الكاميرون "وهذه وصمة عار في جبين هذه البلاد الإفريقية".

فإذا كانت أعرافهم أو أديانهم أو لنقل أحكامهم في قوانينهم التي ورثوها عن مستعمريهم الفرنسيين لا تمنع من ذلك فليكن في حدود أو في قيود أو داخل سدود، كما تفعل أكثر البلدان التي لا تعرف ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم".

ثامنًا: بلاد الداغستان:

يتابع العبودي ـــ الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي ـــ طباعة كتبه في الرحلات الإسلامية، التي بلغت ثلاثين كتابًا بهذه المطبوعة (بلاد الداغستان). وسيعقبها كتب رحلية أخرى ما زالت مخطوطة، ومقدارها ستون كتابًا، كما جاء في ظهر هذا الكتاب.

ويقدم لنا العبودي الطريقة التي اتبعها في رحلاته الإسلامية... مثل: سبب زيارة تلك البلاد، ظروفها، زمنها... ثم معلومات تاريخية وجغرافية ودينية واجتماعية وأدبية ولغوية... تندرج في سياق الرحلة... في حركاته، وتنقله، ووقوفه، وانطباعاته حول مرئياته التي يحاول أن يصفها بحذافيرها.

وها هو ذا العبودي بداية يبيِّن، كما قلنا، سبب زيارة بلاد الداغستان... ولم يكن السبب غير تلبية لدعوة وردت لرابطة العالم الإسلامي من "الإدارات الدينية الأربع لمسلمي الاتحاد السوفيتي". ومن تلك الإدارات "ما دون القفقاس ومقرها داغستان".

وقد كانت كتابات هذه الرحلة قبل حدوث الانقلاب الجذري الذي جرى في الاتحاد السوفيتي. فأبقاها هي، من باب الأمانة التاريخية.

وكأن العبودي يستشف خواطر قارئيه الذين يتوقون إلى المزيد من المعارف عن الإسلام في دنيا المشرق الأقصى... وبخاصة في البدايات التاريخية من انتشاره. لذلك خصَّ بلاد الداغستان بمعلومات بلغت نحو عشرين صفحة، أعدها له أحد أعضاء الوفد، وهو (رحمة الله بن عناية الله)، المختص بشؤون المسلمين في أوروبا. واشتملت على معلومات تاريخية، وجغرافية، وسكانية، ولغوية، وإسلامية... فكانت تمهيدًا لمرافقة رئيس الوفد كاتب "يوميات الزيارة"، التي بدأت يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤٠٦هـ الموافق ٢٣ إبريل (نيسان) ١٩٨٦م.

واستطاع العبودي أن يلامس ـــ بما قدمه من معلومات ومشاهد ـــ الأحاسيس الوجدانية والدينية لقارئه... لذلك جاءت هذه الكتابة الرحلية موفقة؛ لأنه حقق ما ينشده القارئ المعاصر من أدب الرحلات الإسلامية، وإن كانت رحلات رسمية، ومقيدة حركاتها وأهدافها ومقاصدها الإعلامية والإسلامية.

فمن المعلومات التي وجدناها في هذه المرحلة... على الرغم من تعدد اللهجات الكثيرة في داغستان، التي تحول دون الانسجام الثقافي والاجتماعي بين الشعوب الداغستانية، أن الإسلام استطاع أن يوطد فيما بينهم الوحدة الدينية...

والصلات الأخوية، فقد "جمع كلمتهم فعلاً إذ غدت العربية اللغة الأدبية المشتركة لهذه القوميات ذات اللغات المتباينة، وكان الأدباء والعلماء يستخدمون اللغة العربية في كتاباتهم ورسائلهم". ويبدو أن ثمة إحصائية، في عام ١٩٢٦م، بينت أن معرفة الداغستانيين للعربية (أكثر من لغتهم الأصلية).

وكان تاريخ دخول الإسلام إلى داغستان عام ٢٢هـ/٦٤٣م، وذلك بعد فتح إيران تمّ عبور (سراقة بن عمر) أذربيجان؛ فمقتله في (دربند) التي أطلق عليها العرب بـ (باب الأبواب)، والتي فتحها (عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي).

ويبلغ عدد المسلمين في داغستان نحو (٨٥./.) من جملة السكان البالغ عددهم (١,٧٩٢,٠٠٠) نسمة. وكان الإمام المجاهد (محمد شامل القمري الأفاري) أبرز قادة الثورة الإسلامية ضد الحكم القيصري الروسي منذ عام ١٨٣٤م، التي استغرقت حتى وفاته في المدينة المنورة عام ١٨٧١م. و(محج قلعة) عاصمة جمهورية داغستان. وكانت قبل مئة وخمسين عامًا لا يبلغ سكانها ثلاثة آلاف نسمة معظمهم من الجيش، حتى أصبحوا اليوم ثلاثمئة وخمسين ألفًا. وتنسب إلى رجل اسمه (محمد علي) أحد ثوار المسلمين على قيصر روسيا، وينطقون اسمه محرفًا (محج)، ولهذا كان اسم المدينة (قلعة محمد)، والعامة تطلق عليها (محج كالاة).

ويطلق العرب على مدينة (دربند): باب الأبواب، وذلك لمناعة الدخول منه وصعوبته، والترجمة الحرفية لها هو: الباب المغلق؛ ومعناها الفقهي ـــ كما يقول العبودي ـــ الباب الذي يستحيل الدخول منه عَنْوَة. ويصف لنا شعوره وهو يُقْبل على باب الأبواب، ويجري مفارقة مثيرة لدخول المسلمين الفاتحين لها، ثم دخوله هو بقوله: "وتبادر إلى ذهني الزهو مع الباب المغلق ـــ حسب الترجمة الحرفية لاسمها القديم الذي لا تزال تعرف به، والذي لا تزال ذكرى المعركة، بل الملحمة التي خاضها المسلمون فيه حية تؤثر، ولكنني عدت إلى التفكير في الأمر فاحتقرت نفسي واحتقرت صحبي أيضًا، وأرجو أن يعذروني في ذلك ـــ لأنهم

إذا قارنوا دخولنا الآن (دربند) بدخول أسلافنا العرب الفاتحين لها عرفوا الفرق بين الدخولين".

وإن العبودي لَمُحِقٌ في تصوير حالته الشعورية المتقلبة بين الزهو والاحتقار، وهو حيال ذينك الدخولين. ولهذا وجدناه يسقط حالته على سائر أحوال المسلمين المعاصرة، وكأنه يضيف مشاعر متدنية أخرى عن ضآلة "أقدارنا نحن المسلمين في هذه العهود التي صيّرناها سوداء مظلمة بسبب تقاعسنا عن الجهاد، وركوننا إلى الدَّعَة والرفاهة، وتضييعنا لأمر الله تعالى في العمل للدنيا والآخرة". وإن مثل هذه الأحاسيس لترافقه أينما سار، وأينما وقف، ويعبر عنها بذلك الشعور، وبتلك المفارقة.

على أن العبودي لا يحرمنا من رؤيته الصائبة، وقد يتألق فيها، حين يسترجع معنا روعة الإسلام والمسلمين، في بدايات امتدادهم العظيم عبر العالم الغربي والشرقي... وهم يحملون أرواحهم بأكفهم رخيصة في سبيل تحقيق رسالتهم الإسلامية. ولذلك تظل أيام الفتوح مع (باب الأبواب) متوهجة في وجدانه وفكره، خصوصًا حين يستخلص لنا جوهر الفتح، الفتح الإسلامي في تلك الديار الشرقية النائية المنيعة الشاهقة، إذ يقول: "ولكن الإسلام فَتْحُهُ فَتْح قلوبٍ لا فَتْحَ حروب؛ لأن فتوحات الحروب تزول بزوال الفاتحين، وأما هذا البابُ الذي كان مغلقًا على غير المسلمين، فإن المسلمين فتحوه، ولم يبالوا لفتحه بالألوف الذين استشهدوا منهم في سبيل إعلاء كلمة الله، ورفع راية التوحيد على هذه البلاد المنيعة في جبال القفج (القفقاس)".

ولذلك نرى العبودي يدعو العرب إلى زيارة تلك الأماكن للاتعاظ والاقتداء بالأسلاف في الجهاد في سبيل الله وركوب الصعاب والتضحية.

ولَكَمْ يفتخر بِمَرْأى مقبرة الشهداء الأبطال الذين كانوا أول من قدموا أنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله. وإنه ليمنحنا عن الشهداء فكرًا صائبًا، وردًّا حاسمًا لم يغيِّروا المعنى ويزيفوا الشهداء: "وهم الشهداء حقًّا وصدقًا، وليسوا بمن

يسميهم بعض الساسة المحدثين الملحدين بالشهداء لكونهم دافعوا عن مبادئ من مبدأ الأحزاب أو ناصروا زعيمًا من الزعماء".

ومع أن هذه الرحلة العبودية، كسابقاتها تعج بالمعلومات المرئية العابرة، فإن الحس الديني يغلب عليها، ولا سيما في تصوير مشاعره حيال المسلمين الذين يلتقيهم في المنازل أو في المساجد، ويتبادل ويتناول معهم الكلمات والوجبات حتى في زياراته لبعض الأماكن الرسمية والحكومية. يقول مثلاً عن استقبال نائبة رئيس الوزراء في الجمهورية (حفيظة بنت محمد عبد الله): "وبعد السلام المقتضب قالت: أرجو ألا يزعجكم أن تكون التي استقبلتكم امرأة. فقلت لها: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (النساء شقائق الرجال) و(خذوا نصف دينكم من عائشة)".

وكذلك في وقوفه عند (حجر من جزيرة العرب). فقد ذكروا له أن أحدهم حمله معه واسمه (مسلمة بن عبد الملك) قائد الحملة الأولى إلى بلاد داغستان، كي يجعله شاهدًا لقبره إذا مات فيها. وقد استنكر العبودي ذلك، واستغربت الدليلة استنكاره، ولكنه يسوغ موقفه بكيف يتعلق الأسلاف بتلك القشور؟ وإن حاول في النهاية أن يخفف من استنكاره.

على أن ذلك لا يخفف من استغرابنا لموقفه الذي لا يتفق مع الإحساس الفني الصادر الذي يمكن أن يوظف في عمل روائي فَذّ.

ومهما يكن من أمر فإننا في خاتمة الكلام عن رحلات محمد بن ناصر العبودي نقول: نخرج من رحلات العبودي جميعها، ما وقفنا عندها وما لم نقف، بالقول: ولكم ستسجل له من حسنات في سجل أعماله، لقيامه بهذه الرحلات الإسلامية، التي زار فيها بلدانًا ومدنًا وأماكن إسلامية لا تُعَدُّ ولا تحصى!! في دنيا الله الواسعة... كي يتفقد المسلمين، ويتعرف ويتلمس قضاياهم وأحوالهم، ويحاورهم، ويخفف عنهم أثقال همومهم ومشكلاتهم... ويساعدهم قَدْرَ الطاقة أو المسؤولية التي وكلتها إليه حكومته.

" أدب الرحلة

في المملكة العربية السعودية"(*)

محمد العبودي

أحد أكثر الرحالة العرب غزارة ـــ فيما أعلم ـــ أَلَّفَ هذا النتاج الضخم في أدب الرحلة، لم يسبقه أحد، أو يلحق به.

وقد أتاح له عمله في رابطة العالم الإسلامي هذا التجوال الذي شمل أنحاء الكرة الأرضية تقريبًا، بَيْدَ أن ذلك أوقعه في مأزق الرسمية التي حدَّتْ بدورها حريته بما تفرضه من جولات رسمية؛ ولذلك لم يحظ بما حظي به غيره من الرحالين في التجوال، والانتقائية في تحديد المعالم والأماكن المزورة، كما أن ذلك حرمه أيضًا من الوقت الذي يمكنه من الكتابة الفنية، ولذلك يلحظ القارئ لكتبه الرحلية غلبة اللغة التقريرية الجافة، مع أنه ـــ فيما أحسب ـــ قادر على أن يبدع ويكتب وصفًا أدبيًا متميزًا، يظهر ذلك من خلال بعض النصوص التي تظهر لدى الرجل ثقافة واسعة، وتذوقًا أدبيًا راقيًا، وعمقًا، لغويًا، كما سيأتي.

(*) **المؤلف عبد الله أحمد حامد آل حمادي.**

- مواليد عام ١٣٨٨هـ، قرية الوغل، بلاد آل عاصمي، ربيعة ورفيدة عسير. – بكالوريوس كلية اللغة العربية جامعة الإمام فرع الجنوب سابقًا، جيد جدًّا. – ماجستير في الأدب الحديث من جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، ممتاز. – عمل مراسلاً إذاعيًا لإذاعة الرياض في أثناء دراسته الجامعية من مدينة أبها الأعوام ١٤٠٨-١٤٠٩-١٤١٠هـ. – عمل مذيعًا متعاونًا مع إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٢هـ. – عمل معلمًا في متوسطة نجد بالرياض. – عُيِّنَ معيدًا في كلية المعلمين في أبها. – قسم اللغة العربية، كما عمل محاضرًا بالقسم ذاته. – عمل محررًا ثقافيًا في صفحات الأدب والثقافة في جريدة الجزيرة عبر مكتبيها في مكة المكرمة وأبها. – أسهم في إنشاء المركز الإعلامي في كلية المعلمين بأبها وأشرف عليه الأعوام ١٤١٢هـ، ١٤١٣هـ، ١٤١٧هـ، ١٤١٨هـ. – يعمل الآن ضمن لجنة الطباعة والنشر في نادي أبها الأدبي. – اختير عضوًا في عدد من اللجان الثقافية في منطقة عسير. – يعمل حاليًا في إعداد أطروحته للدكتوراه من جامعة أم القرى كلية اللغة العربية في الأدب الحديث. – له الآن مشاركات صحفية وإذاعية وتلفازية.

وبدءًا فإن العبودي يصنف كتبه ضمن أدب الرحلة ذي الاتجاه الديني، وهو محقٌّ في ذلك؛ فأهداف رحلاته أهداف دينية، تهدف إلى دراسة أوضاع الأقليات المسلمة، واحتياجاتها، وهو عمل ضخم، وجهد مبارك، زاد من قيمته، وأعلى من شأنه هذا التسجيل الواقعي المفصل لأحوال الأقليات المسلمة، مما يعد خطوة رائعة، تسجل للعبودي في عصر نحن في أَمَسِّ الحاجة إلى مثل هذه الدراسات المهمة في سبيل وضع "إستراتيجيات" ناجحة للتعامل الإيجابي مع قضايا هذه الأقليات من جهة، ومعرفة ظروفها السياسية والفكرية التي تحيط بها من جهة أخرى.

ولما كان الغرض الديني هو الهدف من هذه الرحلات، فقد لاءم الرحالة كتاباته مع هذا الغرض، وظهر الحس الإسلامي مسيطرًا على كتاباته، حتى إن الكاتب ليخاطر بنفسه أحيانًا من أجل الوصول إلى المسلمين مهما كلّف الأمر، كما فعل حين زار منطقة شمال شرق بولندا القريبة من حدود الاتحاد السوفيتي، على الرغم من قربه من المفاعل النووي السوفيتي تشرنوبل[1]. وهو في أثناء رحلاته يحمل الهم الإسلامي؛ ولذلك فكثيرًا ما تستوقفه حال بعض المسلمين، وما وصلت إليه قلة ذات اليد عند بعضهم مثلاً، وينحى باللائمة على إخوانهم المسلمين المنوط بهم مساعداتهم، ومد يد العون لهم، فبعد زيارته لإحدى مدارس وسط إفريقية يقول: "والمهم هنا أن أذكر أنني شعرت بحزن عظيم، بل بحياء مزعجٍ من الله تعالى، ومن هؤلاء المسلمين؛ لأن المدرسة مبنية من الطين بشكل رَثّ، بل مزرٍ، وإن كان ذلك ليس بالنسبة إليهم؛ لأن هذه هي طاقتهم واستطاعتهم و(لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها) وإنما هو لنا نحن إخوانهم القادرين في البلدان الإسلامية[2].

(١) "مع المسلمين البولنديين" ص٧.

(٢) "نظرة في وسط أفريقية، رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين" ص٨٨.

بل إن العبودي لينقل أحيانًا صورًا محزنة لبعض المواقف التي تمر به في هذا الميدان، فأثناء زيارته للمعهد الإسلامي في "صوفيا" يلحظ أن غداء الطلاب خبز قراح ــ وقد حاولوا ستر طعامهم لئلا يراه الوفد عند وصوله ــ فيقول: "لكنني كشفته لغرض أردته، وقلت للمفتي وهم يسمعون: "إنني لم أرَ لحمًا في طعام الطلاب، ولذلك أرجوهم أن يقبلوا دعوتي لهم على أكلة لحم تشبعهم، ثم أعطيته وهم يرونني مئة دولار أمريكي ليشتري بها لحمًا لهم، وهذا مبلغ مُجْزٍ في هذه البلاد[1] وقد تكون مرارة المشاهد، ودلالاتها كافية العبودي من إضفاء المسحات العاطفية الفنية عليها، وقد تكون المقارنة فقط هي ما يمنح المشهد تأثيره وصدقه، فالعبودي في كثير من الأحيان يورد مقارنات مهمة وذكية ومؤلمة، تخدم الهدف الذي قام بهذه الرحلات من أجله، فحين يذكر له أن بعض المسلمين في الصين لا يجدون كفايتهم من الطعام، ومع ذلك يتبرعون للمساجد يقول: "وتذكرت ما نحن فيه من النعم، كما تذكرت أقوامًا من بني قومنا العرب في ديارنا وفي خارج ديارنا، عندهم فضول من ا لمال لا يدرون كيف يصرفونه"[2].

وهذه المقارنات كما يظهر توضح إلى حد بعيد صورة حال المسلمين في بعض البلدان، ولذا فإن العبودي يعمد إليها أيضًا حتى ولو كان هو طرفًا فيها، فبعد انتهائه من إحدى الولائم التي دُعي إليها في كشمير يقول: "وانتهت هذه المائدة (الكشميرية) وخجلت من نفسي، عندما قارنتها بمائدة صنعت في بيتي لعدد مماثل من الأشخاص، أكثرهم غرباء، بينهم إخوة مسلمون غرباء من "نيوزيلندا"، واثنان من السودان، وذلك قبل ثلاثة أيام فقط من قدومي إلى "كشمير" إذ عرفت من ذلك أننا لا نقدر ولا ندبر، بل إننا نبذر لا سيما حينما ذكرت أن (أم ناصر) زوجتي- حفظها الله- جاءت تشكو إليَّ من كونها لم تستطع أن تجد من يقبل بقية من اللحم والطعام، لم تجد آكلاً"[3]. ومن هنا فلم

---

(١) "كنت في بلغاريا، رحلة وحديث عن أحوال المسلمين" ص٣٦.

(٢) "داخل أسوار الصين" الجزء الأول ص٢٧٦.

(٣) "سياحة في كشمير، حديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم" ص١٢٣.

يكن العبودي يحفل كثيرًا باستثمار هذه الحوادث والمفارقات فنيًا، ربما لاستغنائها عن ذلك، وربما لعدم وجود الوقت الكافي لذلك أيضًا.

وإلى جانب ذلك فقد تنوعت رؤى العبودي لتنطلق إلى قضايا الإنسانية التي لا تتعارض مع الرؤية الإسلامية، فهو مثلاً ينعى الإنسانية المهدورة حقوقها والمسلوبة إرادها حين يرى أحد الصبية المشردين يلاعب كلبًا هزيلاً في مدغشقر ومع الاثنين خبزة يتقاسمانها يقول: "وكانت بَغِيًّا شابة، أو لنقل فتاة مشردة عليها مظاهر البغي واقفة، فأسرعت لتشارك الاثنين في تبادل العواطف، وأخذا يضحكان، ويتنادران، وكان الطفل يضرب مواضع من جسمها يمازحها فلا تبالي"[1].

وحين انتظرتْ إحدى الحافلات الذاهبة للمطار في غرب إفريقية رجلاً أبيض تأخر كثيرًا، ثم تركته ليأخذ سيارة أجرة إلى المطار، ويسمعه العبودي يخاصم الموظفين بغلظة وخشونة ويقول لهم: أنتم تعاملون الناس كالحيوانات، أنتم لا نظام عندكم، فيعلق العبودي قائلاً: "وقد نسي أن قومه هم الذين كانوا يعاملون الناس معاملة الحيوانات، وأنه إذا كان من الأقوال اللاتينية من البرتغال مثلاً كما يدل عليه مظهره فإن سجلهم لا يشرفه، وأن الإفريقيين الذين لم نر منهم إلا المعاملة الحسنة والصبر عليه وأمثاله هم أحسن معاملة له ولغيره مما توحي به روح الانتقام أو حتى معاملة المسيئين بالمثل"[2].

على أن قضية "المرأة" كانت ولا زالت من القضايا التي شغل بها بعض الرحالين السعوديين، وتوقفوا أمامها، وهم في ذلك يذكّرون الباحث بالشعراء القدماء ووقوفهم على الأطلال مع اختلاف الزمن والمناسبة، ولا يقتصر الحديث عن المرأة الحديث فقط عن خروجها وعملها مثلاً، بل يتجاوز ذلك إلى الحديث عن جمالها وأنوثتها وخصائصها، إذ يفلسف العبودي النظر للنساء، فيقول: "في

(١) "مدغشقر، بلاد المسلمين الضائعين" ص٤٩.
(٢) "شهر في غرب إفريقية، مشاهدات وأحاديث عن المسلمين" ص١٨٨.

البلاد الأوروبية التي تطلق للمرأة حريتها في الدخول والخروج والتجول والعمل في أكثر بلدان العالم لا بد للسائح أن يطلق هو عينيه في حالة النساء فيها، ذلك بأنه يفعل ذلك من كونه ذكرًا يرى أنثى في الشارع، وإن تكن الرؤية من هذا الاعتبار مختلفة، فليس كل ذكر يريد أنثى"[1].

ولقائل أن يتحدث عن النظرة الأولى التي تتكرر كثيرًا في هذه البلاد مما يعطي انطباعًا وتصورًا عن المرأة وربما كانت نظرة العبودي إلى الصقلبيات من هذا القبيل حين يقول عنهن: "والغريب في الأمر أنه إلى جمال التقاطيع في وجوههن، والنضارة أو اللون الوردي الذي يميل إلى اللون الذهبي في سحنهن، إن لم يكن ذلك اللون الذهبي منعكسًا على وجوههن من شعورهن التي هي جميلة، بل رائعة الجمال، كوجوههن، فإن قاماتهن مديدة، وقوامهن يميل إلى الرشاقة في الأغلب الأعم من حالهن"[2] وليس بعيدًا عن ذلك قوله عن المرأة الفرنسية: "وما رأيت في كثرة ما جلت عليه من أنحاء العالم مثل المرأة الفرنسية في رقتها إذا استلطفت رجلاً، وفي صنعتها في وجهها إذا جملته، ومن إتقانها لعملها إذا أحبته"[3].

وأحسب أن هذا التعميم لا يمثل قاعدة مطردة، بقدر ما يعكس رؤية الرحالة الذي كان واعيًا حين حددها بقوله "ما رأيتُ".

ولا يتردد العبودي عن إبداء رأيه، وبيان إعجابه بالمرأة أين كانت، وعلى ندرة تلك الوقفات إلا أن العبودي يمنحها أسلوبًا جميلاً لا يطرد وأسلوب التقارير السريعة التي يكتبها، فهو يقول عن إحدى العاملات في أحد فنادق "مدغشقر": "وهي فتاة رشيقة الجسم، خفيفة الحركة، حتى كان بعضهم يطلق عليها اسم (الفراشة) لأنها كالفراشة الإفريقية السوداء، وهي تفضل الملابس التي فيها بياض، فيزيد شبهها بتلك الفراشة، وهي أيضًا تشبهها في خفة حركتها حتى إذا ما رأيتها

---

(١) "رحلات في أمريكا الوسطى" ص٨٤.

(٢) "مع المسلمين البولنديين" ص٩٦.

(٣) "شهر في غرب إفريقية، مشاهدات وأحاديث عن المسلمين" ص١٢.

تسير في جناحين من خفة روحها، وخفة وزنها خُيِّلَ إليك أنها تطير، ولا تسير، وأنها لا تمس الأرض بشيء"(١).

وإذا كانت "الفراشة" مشبهًا به من خيال غير العبودي، فإن إحداهن تأسره إلى أن يقول عنها حين يعبئ أوراق أحد فنادق "البنغال": "فلما بدأت بذلك رأتني إحداهن، فجاءت تبتسم وتنظر فيما أكتبه، وتريني أشياء قد ألفتها، ومرت عليَّ كثيرًا في كثير من الفنادق، ولكن وجهها في هذه المدينة وبين وجوه نسائها كالواحة الخضراء وسط الصحراء، فلم أكره أن ترشدني إلى ما لا أحتاج إلى الإرشاد إليه"(٢).

على أن العبودي في حديثه عن المرأة هو وأغلب الرحالين السعوديين كان حديثًا بريئًا لا يخدش الحياء، وهم في ذلك لا يتعدون عن الشعراء الحالمين الذين يأسرهم الجمال، ويستهويهم الوجه الحسن.

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن أسلوب العبودي وإن كان يهبط إلى التقريرية، فإنه يرتقي أحيانًا، إذ لا يخلو عمله من نصوص وصور فنية أحسن في إخراجها، فهو يفيد مثلاً من القرآن الكريم أحيانًا مما يمنح النص جمالاً وإشراقًا إذ يقول عن رحلته "لألبانيا": "وكان معنا وفد كبير في كل الزيارات لأقطار أوروبا الشرقية، ما عدا الرحلة الألبانية هذه؛ لأنها رحلة أنشأناها إنشاءً إلى ألبانيا من بلادنا"(٣).

ويقول وهو في طريقه إلى أذربيجان: "ثم ارتفعت الطائرة، وران على المنظر غيم تظاهر معه ضباب"(٤).

---

(١) "مدغشقر، بلاد المسلمين الضائعين" ص٢١٠.

(٢) "مقال في بلاد البنغال" ص٢٦.

(٣) "كنت في ألبانيا، رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية" ص٦.

(٤) "جمهورية أذربيجان" ص١٠.

كما تظهر هذه الثقافة في جانب الشعر، حين يقدم العبودي بعض النصوص حول بعض المناسبات، ويستطيع أن يمنح من ثرائه الشعري بيتًا أو أبياتًا مناسبة، تأتي منسجمة تمامًا مع السياق، بعيدًا عن التكلف والتعالم، فحين يقدم له ولمرافقيه حجر في "الداغستان" حمل من جزيرة العرب يقول: "ويصح أن يكون العنوان" جالب التمر إلى خيبر" كما قال حسان بن ثابت، رضي الله عنه:

وإنا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرًا إلى أهل خيبرا[1]

والعبودي يظهر من خلال كلمات بسيطة، واستطرادات قصيرة، عميقًا في ثرائه الأدبي يقول حين يتحدث عن الخنــزير وقبحه: "قال حماد عجرد الشاعر يهجو الجاحظ:

لو مسخ الخنــزير مسخًا ثانيًا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

وليس المقصود بإيراد البيت الاستدلال على قبح الجاحظ أو عدمه، فذلك أمر غير مهم، والبيت لا يعطي دلالة واضحة على ذلك، إلا إذا كان صادرًا من رجل صادق اللهجة، موزون الكلمة، بعيد عن الكذب، وحماد عجرد خلاف ذلك[2].

وتأتي إفادته من الشعر دومًا لتؤكد قدرته على التميز لو منح الوقت الكافي، فحين يرى بلدة "ساي" في "النيجر" يقول: "كان أول ما سمعته من الأخ الشيخ عمر جالو هو ما أردت أن أقوله، وسبقني إليه وهو الأسف الشديد على هذه الأراضي الزراعية غير البعيدة من ضفاف نهر النيل "النيجر" ولكنها قفراء مغبرة، تشكو العطش وهي بجوار النهر، فكأنها العيس التي ذكرها الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الشفاء، وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول"[3]

---

(١) "بلاد الداغستان" ص١١٨.
(٢) "رحلات في أمريكا الوسطى" ص٨٦.
(٣) "أيام في النيجر" ص١٥٧.

وفيما يتعلق بثقافته الواسعة ينجح العبودي أحيانًا قليلة في تلوين سرده، ببعض الاستطرادات المهمة، من حيثُ تنويعُها للأسلوب، وتقديمها مادة علمية قصيرة مركزة، بحيث يقدم المعلومة في ثوب أدبي لتقدم فائدة ومتعة في الوقت ذاته يقول مثلاً عن "بيونس أيرس": "أفعل التفضيل في هذه المدينة كثيرة و(أفعل) هو الوزن الذي يأتي عليه لفظ أكثر وأقل وأصغر وأكبر... إلخ. ومن ذلك أعرض شارع في العالم وهو موجود في هذه المدينة، واسمه (شارع نيوفي دى خولي) أي شارع التاسع من يوليو"[1].

ويقول في مكان آخر: "وقد تجد فتاة ذات شعر سبط، أي ليس جعدًا أو معقدًا"[2].

وأحسب أن هذه الالتفاتات السريعة والخاطفة وما شابهها كان لها دورها الفاعل أحيانًا في تلوين الأسلوب السردي عند العبودي، على أنه كان أحيانًا يقدم صورًا سريعة، لكنها تدل على حس فني، ومهارة في الاختيار والعرض وفي الرصد والإيصال، بَيْدَ أنها تتسم بطابع السرعة، فهو يقول حينما هبطت طائرته في إحدى جزائر جنوب المحيط الهادي: "نزلت الطائرة في مطار صغير نسبيًّا، تحف به تلال جبلية خُضْر فتضايقه، ولكنها لا تأخذ بخناقه"[3].

ويرتفع الأسلوب لديه أحيانًا، ليقول عن أحد احتفالات المسلمين في روسيا: "ولم يكدر هذا الاحتفال الجميل إلا كون الجو غائمًا، والمطر يسقط رذاذًا، وكأنما هو ينفث رقيته على هذه الأرض المسلمة لئلا تصيبها العين، لأنها حصلت أول مرة منذ ٧٣ سنة، على شيء من حريتها في أمر دينها لم تحصل عليه من قبل"[4].

(١) "إلى أقصى الجنوب الأمريكي، رحلة في الأرجنتين وتشيلي" ص٤٢.
(٢) "رحلات في أمريكا الوسطى" ص١٤٤.
(٣) "جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي، مشاهدات وبيان الأحوال المسلمين" ص٢٢٠.
(٤) "الرحلة الروسية، مشاهدات في جمهورية روسيا الاتحادية وأحاديث في شؤون المسلمين" ص١٠٢.

وهي لفتة فنية ذكية تدل على خصوبة العبودي الفنية التي لم تتح لها الظروف الزمانية والرسمية من تقديم إمكاناتها، وطاقاتها وأنت موافق ــ فيما أحسب ــ على ذلك حينما تقرأ مقطوعة العبودي التي عنون لها بقوله: "الحقيبة التي دفنتها في بوغتا" إذ يقول: "بعض الأشياء كبعض الأشخاص، تكون عزيزة على المرء أثيره عنده حتى يحزن لفراقها، وإن كان يجد عنها عوضًا فبعض الناس يكون كأبي الطيب المتنبي الذي قال:

خلقت ألوفًا، لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيًا

ومن ذلك حقيبة كانت قد صاحبتني في أسفار عدة، ودارت معي حول العالم في رحلة قبل هذه عرجت فيها معي على قارة "أستراليا" وبعض جزر المحيط الهادي الجنوبي "بنيوزيلندا" وفيجي، ولقد أصابوها بكسر ظننت أنه قد يجبر، وذلك عندما ألقوا عليها ــ فيما يظهر ــ شيئًا ثقيلاً حادًّا كبعض الحقائب الحديدية خلال السفر بين "كاراكاس" و"ريودي جانيرو" فعزمت على أن أستمر في اصطحابها رغم الكسر، وألا أهجرها في العسر بعد أن صحبتها في اليسر، غير أن إخوانًا لهم من الحمالين ما بين مدينتي "كيتو" في "الأكوادور" و"بوغوتا" قد أصابوها بكسر فوق ذلك الكسر، فكان قاصمة الظهر، وخفت على أغراضي أن تتبدد، فاخترت الطريق الأوحد، وهو استبدالها لا عن ملالة[1] بأخرى من صنع هذه البلاد من جلد من جلود أبقارها، وودعت الأولى الوفية بكلمات من الرثاء حين دفنتها فأحسنت لها موضع الدفن، إذ منحتها فتاة تعمل في مكتب الاستقبال في الفندق الذي أسكن فيه، وذلك أن تلك الفتاة كانت تجامل بالعبارة، وقد تشير إذا أحسنت الإشارة، فقلت: لا أكون كمن ترك راحلته إذا أعيت للكلاب، وإنما قلت لتلك الفتاة الكعاب: خذيها مباركًا لك فيها، على عيب في أحد نواحيها، فهذا خير من أن أرميها في الشارع مما قد يجعلها محلاًّ للتنازع"[2].

(١) الصحيح والمشهور من قواعد اللغة أن يقول "استبدل بها أخرى... إلخ".

(٢) "رحلات في أمريكا الوسطى" ص١٢٥.

وأحسب أن في هذه النصوص تأكيدًا على قدرة العبودي على العرض الأدبي والتميز فيه لو وجد وقتًا كافيًا، ولا يعني ذلك أنني أبحث عن مسوِّغات لهذا الرحالة، بقدر ما هو الحرص على بيان الحقيقة، وفي الوقت ذاته فإني أشيد بدورها الاستطلاعي الموثق الذي قامت به، والذي اختصر زمنًا وجهدًا، وجدير بالباحثين في العمل الإسلامي أن يُوَلُّوا وُجُوهَهم قِبَلَ هذه الرحلات؛ إذ إنها ستعطيهم بلا شك كثيرًا مما يحتاجون إليه، ويتطلعون.

* * *

"علماء ومفكرون عرفتهم"(*)

الشيخ محمد بن ناصر العبودي

إن الحديث عن الشيخ محمد بن ناصر العبودي ـــ مثل ترجمتي للإمام الجليل الشيخ عبد العزيز ابن باز ـــ إنما هو حديث القلب عن ذكريات شغلت من حياتي السنين الطوال، وتركت بصماتها عميقة في كياني كله، ذلك أن وجودي في الجامعة الإسلامية، الذي استمر عشرين عامًا متصلة، لم يكن وجود مدرس عادي يقوم بواجبه في تدريس المواد التي تسند إليه مدى العام، فإذا انتهى بدأ عامًا جديد حتى يقضي الله بانتهاء عقده، فيغادر الجامعة والمدينة لِيُشغل عنهما بأعمال جديدة في وطن آخر... كلا فذلك لا يمثل إلا وجهًا واحدًا محدودًا من حياتي خلال هذه السنين العشرين، وقد انقضت بسبب السن فغادرت الجامعة مدرسًا، ولكني لم أغادر المدينة مقيمًا، فحياتي لم تزل متصلة في هذا الجو العابق بالذكريات على تعدد مصادرها وأنواعها، فذكريات الماضي العظيم الذي استنشق شذاه المحيي في كل نفحة نسيم ومن كل ذرة رمل تحرك في مشاعري الأطياف السعيدة فتجدد صلتي بذلك الماضي، فتعمل في أعماقي عمل الشحنة الكهربائية تجدد الطاقة المدَّخرة لتستأنف فاعليتها من جديد.

(*) المؤلف: محمد المجذوب

- ولد عام ١٩٠٧م بمدينة طرطوس إحدى محافظتي الساحل السوري في بيت متدين يعمل في التجارة وله صلة بعلوم الدين والعربية. – تلقى دراسته الأولية في الكُتّاب ثم في مدارس الدولة العثمانية ثم على الشيوخ ومن ثَمَّ مضى في طلب المزيد من العلم والثقافة معتمدًا بعد الله على جهده الشخصي. – بدأ حبه للمطالعة منذ طفولته، إذ كان يستأجر الكتب ليقرأها على ضوء السراج وفي مهب الرياح اللاسعة، وأهله نيام واستمرت المطالعة دأبه إلى يومنا هذا. – توفي والده وهو في الخامسة عشرة فتحمل عبء الأسرة وحده وفي السادسة عشرة تم زواجه وبدأ الإنجاب حتى أصبح له اليوم قرابة الستين من أبناء وأحفاد وقد اضطر لقضاء شبابه كله في الكدح بمختلف الأعمال للنهوض بمسؤولياته نحو إخوته وأبنائه. – شارك في نضال وطنه ضد الفرنسيين، وعانى من أجل ذلك غير قليل من السجن والاضطهاد. – في مطلع عهد الاستقلال ١٩٣٦م بدأ عمله في سلك التعليم وما زال يتدرج خلال مراحله حتى التحق بخدمة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مدرسًا من عام ١٣٨٣هـ حتى العام ١٤٠٣هـ. – عام ١٩٤٨م نال الجائزة الأولى من جامعة الدول العربية على نشيده الذي اختير من مئة نشيد.

ثم ذكريات أخرى متصلة بتلك الوشائج تربط بين الماضي والحاضر، هي ذكريات الجامعة الإسلامية التي تعددت أعمالي فيها، فمن التدريس إلى القبول والتسجيل، إلى دراسة المناهج والمعادلات، إلى تأليف البرامج والمقررات إلى الإعداد لبعض المؤتمرات... وذلك غير الإشراف الاجتماعي الذي ألقي على عاتقي على مدى ثمانية عشر شهرًا دون مساعد سوى بعض المراقبين من أشباه العامة، يشغلونني ليلاً ونهارًا بأخبار المشاكسين والمتهاونين بحقوق الصلاة من الطلاب، حتى أسلموني بذلك إلى مرض لم أخلص منه إلا بجراحة كبيرة... ولكن هذه المهام المضنية حفلت بالكثير من الجمال والراحة النفسية؛ لأنها كانت تربطني بكبار المسؤولين في الجامعة، فلا تكاد الصلة بيني وبينهم تنقطع يومًا واحدًا... ثم زادت هذه الصلة قوة بمشاركتي في مجلس الجامعة الأسبوعي التي استمرت عددًا من السنوات فجعلت منا أسرة واحدة نتداول الآراء في كل ما يتصل بمصالح الجامعة، ونتدارس المشكلات الطارئة حتى في أثناء العشاء المشترك الذي تقرر أن نتناوله في هذه الاجتماعات..

إنها صحبة سنين ليس من السهل زوال آثارها، وبخاصة من مثل نفسي التي كأن المتنبي لم يرد سواها بقوله:

خُلقتُ ألوفًا... لو رجعت إلى الصِّبا لفارقت شيبي موجَعَ القلب باكيا

كثير من ذكرياتي هذه تقترن بشخص الشيخ محمد ناصر العبودي، الذي كان يجمع بين الأمانة العامة للجامعة ووكالتها ونيابة الرئاسة للشيخ عبد العزيز ابن باز، كلما اضطرته المسؤولية للغياب عن الجامعة... ولم تكن صحبتي إياه طوال إحدى عشرة سنة على أتم الصفاء، ولكنها كانت متسعة للخلاف والوفاق، حتى إذا فهم كل منا صاحبه أخذت سبيلها الآمن في غمرة سعيدة من الاحترام والتقدير، وبخاصة أني كنت أكتشف كل حين من مواهبه جديدًا يزيد من انسجامنا وتفاهمنا... فأنا إذ أكتب ترجمته الآن سأحاول أن أجرد قلمي من موحيات الحب الذي أكنه لهذا الصديق، فلا أتجاوز حدود الواقع، الذي آليت أن

ألزم به نفسي في كل ما أكتبه من تراجم العلماء والمفكرين على امتداد العالم الإسلامي.

إنه محمد بن ناصر العبودي، ولد في شوال من عام ١٣٤٥هـ في مدينة بريدة، وهي إحدى حواضر القصيم.

وفي بريدة تلقى دراسته حتى نال الشهادة الثانوية سنة ١٣٧٧هـ من معهد بريدة العلمي عن طريق الانتساب، ومن ثَمَّ أقبل على الدراسة المكثفة في علوم الشريعة الإسلامية والديانات السماوية، ثم اللغة العربية وآدابها على أيدي العلماء من أهل البلاد الذين يعدُّون حججًا في اختصاصهم..

ومن أساتذته الذين تلقى عنهم هذه الدراسات المغفور له العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، الذي تولى رئاسة الشؤون الدينية في المسجد الحرام، ثم رئاسة المجلس الأعلى للقضاء، إلى جانب عضويته في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

ثم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم، فالعلامة الكبير الشيخ عبد العزيز ابن باز، رئيس الجامعة الإسلامية السابق، ثم رئيس مجلس الدعوة والإرشاد والإفتاء، ورئيس هيئة كبار العلماء في المملكة، ويعد من أساتذته العلامة الشهير شيخ علماء المملكة ومفتيها ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رحم الله موتاهم وبارك في حياة الأحياء منهم.

أما الأعمال التي مارسها في المملكة فهي:

١- قوامة المكتبة العامة في مدينة بريدة مدة سنة، وكانت تدعى من قبلُ مكتبة المسجد الجامع.

٢- تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لمدة سنتين في المدرسة السعودية الرسمية في بريدة.

٣- إدارة المدرسة المنصورية الرسمية في بريدة كذلك مدة خمس سنوات.

٤- إدارة المعهد العلمي الثانوي في بريدة مدى ثماني سنوات.

٥- الأمانة العامة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم وكالتها، مع النيابة عن رئيسها في أثناء غيابه؛ وذلك منذ قيام الجامعة في عام ١٣٨١هـ حتى انتقاله عنها في عام ١٣٩٤هـ.

٦- الأمانة العامة للدعوة الإسلامية، وكذلك الأمانة العامة للهيئة العليا للدعوة من عام ١٣٩٤هـ حتى عام ١٤٠٣هـ بالرياض.

٧- وأخيرًا منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي وقد تولاه منذ عام ١٤٠٤هـ.

وعندما نعيد النظر في هذا الجدول من أعمال الشيخ العبودي نشعر أن من المتعذر إغفال آثار كل منها في تكوينه الفكري وخبراته التي نواجهها في ما أنتجه حتى الآن من مواقف ومطبوعات.

فالقيام على المكتبة العامة مَطْلَعَ حياته قد منحه فرصة صالحة للاتصال بالكتب وتعرف العقول التي أملتها، والموضوعات التي احتوتها، والأذواق التي صاغت عباراتها... ولم يكن مثل ذلك الاتصال بالأمر الميسور في تلك الأيام، فلا عجب أن تزوده هذه الفرصة بالحوافز التي تدفعه إلى إدمان المطالعة ثم إلى الإنتاج الأدبي، الذي بدأ نشره في مجلة المنهل، ثم الاتصال الشخصي بطائفة من كبار الأدباء، كالمرحوم الشيخ عبد القدوس الأنصاري، والشاعر اللغوي الكبير المرحوم الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي، والمحقق الشهير الأستاذ حمد الجاسر، والشيخ صالح بن عبد العزيز ابن عثيمين.

وكان من آثار هذه المرحلة إقدامه على التأليف مبكرًا، فأنجز عدة كتب في موضوع الأدب الشعبي وبيان علاقته بالأدب الفني وباللغة الفصحى.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى عمله في التدريس، فقد كان لزامًا عليه أن يضاعف عنايته بتثقيف نفسه فيضاعف من اتصاله بالكتب، وبخاصة في نطاق المواد التي عهد بها إليه من العربية والعلوم الإسلامية.

وفي إدارته المدرسية أتيح له أن يضيف إلى مطالعاته في المؤلفات ألوانًا من المعرفة لأخلاق الناس ومسالكهم المختلفة، وهي معرفة لا تغني عنها الكتب، ولا يمكن تغذيتها إلا من خلال الواقع المتحرك.

ومن هنا، من خلال هذه الخبرات الحية والتجارب المكثفة، والاستعداد النفسي والنشاط الدؤوب، كان مترجمنا مؤهلاً للقيام بمهامه في كنف الجامعة الإسلامية.

ولقد كانت نقلة الشيخ من بريدة إلى المدينة قفزة عالية وضعته في صميم العالم الإسلامي كله، إذ أصبحت الجامعة من يومها الأول ملاذًا لطلبة العلوم الإسلامية، يفدون إليها من أربعة أنحاء المعمورة، ولكل فريق منهم عاداته وطرائقه في الحياة، وسلوكه الذي يجعله نوعًا متميزًا. وكان على مسؤولي الجامعة ومدرسيها أن يحسنوا التعامل مع كل هؤلاء وأولئك في حكمة وصبر لا يتوافران إلا لأولي العزم.

يضاف إلى ذلك كله ظروف المدينة التي جعلها الله مأزر الإيمان، فهي ملتقى المسلمين في مواسم الحج والزيارة، والجامعة ملتقى النخبة من هؤلاء المسلمين يقصدون إليها للتعارف، وللتزود بالمطبوعات الإسلامية، ولاستطلاع الواقع المتميز لذلك المركز الذي يتطلع إليه العالم الإسلامي من شتى الأنحاء. فها هنا فرصة نادرة المثيل لا بد أن تترك أثرها عميقًا في طبيعة الرجل الذي من طبيعة عمله الاحتكاك بكل زائر للجامعة من رجالات الإسلام.

وكان على هؤلاء المسؤولين والمدرسين أن ينهضوا بكل هذه الأعباء في وقت لم تكن الجامعة قد جاوزت بعد طور التكوين الأولي، فهم يواجهون كل يوم مسؤولية جديدة وعبئًا لا عهد لهم بمثله، ولكن الذي أعانهم على تحقيق مهامهم هو إخلاص المسؤولين لتبعاتهم، وتعاونهم الشامل الرائع لإنجاح مهماتهم.

ولقد قدر لي الله جلت حكمته أن أدرك عمق هذا الدور فأشارك في أعبائه التي كثيرًا ما تسهرني الليالي لصياغة منهج، أو تعديل مقرر، أو المشاركة مع

زملاء في عمل كُلفنا به... وما كان أسعدنا في هذا الجهاد الذي جمعنا كالأسرة المنسجمة في كنف الشيخ عبد العزيز ابن باز، الذي كان للجميع بمترلة الولي الحميم، بل الوالد الكريم الرحيم.

والحق لقد أثبت الشيخ العبودي في هذه المرحلة كفاية جديرة بالتقدير؛ إذ كان يوجه مسؤولياته بعزم لا يعرف الكلل، ولا تزيده أعباء العمل المتنامي أبدًا إلا مزيدًا من الحنكة وجديدًا من الحذق والخبرة.

وكان على الجامعة أن توثق صلاقما الحديثة بأنحاء العالم الإسلامي، فبعثت بالوفود إلى هنا وهناك، وكان للشيخ نصيب كبير من هذه الرحلات لأنه كان الوحيد في أسرة الجامعة الذي يحسن الإنجليزية، إلى جانب مرانته الملموسة وقدرته على إحسان التفاهم مع العلماء وكبار المسؤولين، الذين سيواجههم في هذه الرحلات... وتتابعت رحلاته وتعددت مواطنها، وآتت ثمراقما الطيبة صلات وطيدة مع وجوه البلاد التي زارها، ما لبثت أن استحالت إلى صداقات كان لها ولا يزال أثرها الصالح في مسيرة الجامعة حتى الآن.

على أن هذه التحركات لم تقف عند تلك الحدود وحدها، فقد كان من ثمراقما أيضًا عدد من المؤلفات قدمت للراغبين في المعرفة عطاء ثريًا من المعلومات الصادقة عن واقع المسلمين في تلك المناطق كما شاهده على الطبيعة... وفي هذه المؤلفات لم يقتصر على سرد المشاهد، بل أتحف القارئ خلالها بدراسات تحليلية لمشكلات تلك الشعوب بقلم يسيل حنانًا وغيرة، ولا يكتفي بالدراسة والتحليل بل يُرْدِفُها بالعلاج الذي لا تختلف معه على وجوبه وضرورته.

ولقد كان من لوازم عمله في الجامعة ثم في رحاب الدعوة بالرياض، ثم في رابطة العالم الإسلامي، مواصلة ذلك التَّطْوَاف في أقطار الأرض مستطلعًا أحوال المسلمين ودارسًا أوضاعهم وحاجاقم، فهو من ذلك أبدًا بين حل وارتحال، لا يثوب من سفر إلا ليستأنف سفرًا آخر... أضف إلى ذلك انتدابه من قبل هذه المؤسسات الثلاث لحضور المؤتمرات والندوات العالمية التي تعقد في مختلف القارات والدول لدراسة الشؤون الإسلامية.

فمن مؤتمر الإعلام الإسلامي في جاكرتا ــ إندونيسيا ــ إلى المؤتمر الإسلامي الأول في سان باولو ــ البرازيل ــ إلى المؤتمر الإسلامي في دول البحر الكاريبي ــ ترينداد ــ إلى مؤتمر التعليم الإسلامي لعموم الهند ــ حيدر آباد ــ ثم مؤتمر التربية والتعليم بالهند ــ بنارس ــ فمؤتمر جامعة عمر آباد الإسلامية بالهند أيضًا... إلى مؤتمرات اتحاد الطلبة المسلمين في أنديانا بولس ــ أمريكا ــ إلى مؤتمر الطلبة المسلمين في بريطانيا، إلى المؤتمر الشعبي الإسلامي في بغداد... إلى عدد من المؤتمرات الأخرى في جوهانسبرج وكوالا لامبور وموريشيوس وتونس والسنغال ولاهور، ولكناو، والتي كان من أواخرها حضوره مهرجان دولة بروناي الإسلامية بمناسبة استقلالها الحديث.

والذين يعرفون الشيخ العبودي عن كثب لا بد أنهم يتوقعون من وراء هذه الجولات المردود الذي يتناسب مع مواهبه الفطرية ونشاطه الفكري وملاحظاته التي لا تنقصها الدقة ولا العمق، هذا فضلاً عن المردود الآخر الذي ستتركه هذه المناسبات في ذاتية هذا الجوال الحساس، فتوسع محيط معرفته، وتعمق رؤيته في شؤون أمته.

كثيرون الذين يجوبون أرجاء العالم في سياحات تكاد تكون متصلة... ولكن لا يعودون من سياحاتهم بغير النصب وإضاعة المال، مقابل بعض المتع العابرة، التي يستشعرونها في أثناء تغير المشاهد.

وكثيرون الذين يشهدون المؤتمرات الإسلامية هناك وهنالك، ويشاركون في مناقشاتها ومآدبها، حتى إذا انقضت انفضوا إلى قواعدهم دون محصول ولا مردود.

أما مترجمنا فهو من القلة التي تجد في هذه المناسبات فرصها المنشودة لخدمة الدعوة ولتقويم الأحداث المشاهدة، ثم تصويرها في كتب قيمة تشدد من روابط الأخوة بين المسلمين، وتحفز ذوي القدرة إلى التفكير في قضاياهم والبحث عن أفضل الوسائل لتحسين مستوياتهم.

ومن هنا كان نظري إلى تنقلاته الكثيرة على أنها مناسبات للعطـــاء النافع إن شاء الله.

وإني لأكتب هذه السطر، وأنا في حاجة إلى استيضاحه عن بعض المعلومات، فأسأل به مقر الرابطة هاتفيًّا فيأتيني الجواب بأنه مسافر، وقد كنت أعلم بسفره إلى الصين الشيوعية مندوبًا من قبل الرابطة، ثم قيل لي: إنه عاد من رحلته تلك، والظاهر أنه ما كاد يستقر به المقام حتى استأنف السير، فهو أبدًا في رحلة بعد أخرى لمصلحة المسلمين، ولإمداد القارئ المسلم بما يُعْوِزُه من علم بأحوال إخوانه المجهولين.

*　　*　　*

المبحث الرابع

العبودي الرحالة المتحدث وبرنامج

"المسلمون في العالم مشاهد ورحلات"[(١)]

عندما شرعت في برنامجي المبثوث عبر إذاعة القرآن الكريم والمسمى "في موكب الدعوة" كانت الغاية منه تسليط الضوء على سير العلماء والدعاة والمصلحين وحياتهم وتجاربهم وتقديمهم نماذج حيَّة حاضرة جديرة أن تحتذى، خليقة أن تقتفى[(٢)].

وحين هممت برفع طلب لقاء إلى شيخنا محمد العبودي كنت أدرك حينذاك تجاذب المشاغل وتداعي الهموم لديه بين أعمال رسمية وأخرى شخصية علمية، وكنت أدرك أيضًا أن الحديث معه حلو طريٌّ لا يمكن حدُّه ولا يسعني إيقافه، فعرضت الطلب بين يديه ليكون ضيفًا على البرنامج فوافق بعد إلحاح، كعادته، لأنه ليس مشغوفًا بالإعلام، كما علمت منه.

وحين أنهيت الحلقات الأربع التي لم تكن لأحد سواه لأن غالب ضيوفنا يراوحون بين حلقتين وثلاث إلا أنني وجدت تلكم الحلقات الأربع لم تقطع ولو مشوارًا بسيطًا من سنيِّ حياته الحافلة المباركة بالعطاء.

وكانت في ثنايا اللقاء إطلالة على شغف العلاّمة الأول، وهو الرحلات وعلمت يقينًا أن امرأً أمضى ما يناهز الأربعين عامًا في التَّطْوَاف والترحال والجولات محال استغراق ذلك في سويعات قلائل، ثم فوجئت بسيل هائل من الاتصالات والطلبات أن يمتد اللقاء مع العلاّمة العبودي في حلقات أُخر، بَيْدَ أن

---

(١) برنامج المسلمون في العالم مشاهد ورحلات أحد البرامج الإذاعية المقدمة في إذاعة القرآن الكريم وهو من تقديم المؤلف وضيف اللقاء معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

(٢) انظر كتابنا في موكب الدعوة، جـ١، ص .

ذلك من خلال البرنامج المشار إليه آنفًا متعذر؛ لأنه منوع يهدف إلى استضافة أكبر قدر ممكن من أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين، فتجاذب الحديث بيني وبين مدير إذاعة القرآن الكريم آنذاك الأخ الفاضل: محمد بن عبد الرحمن الصفّار، الذي تفاعل مع فكرة برنامج خاص، بل وسعى إلى تحقيقها والإعانة على ظهورها وشجعني على طرح الفكرة على الشيخ العبودي.

فتوجهت إليه وعرضت عليه الفكرة، فحاول التخلص من إلحاحي عليه بحججه المشروعة المتمثلة بمشاغله والتزاماته العلمية والعملية، إلا أنني حاولت إبراز المحامد والمصالح والفوائد المجنيَّة من هذا البرنامج التي تتلخص في الآتي:

أولاً : النجاح الكبير الذي حققته إذاعة القرآن الكريم من خلال برامجها المتميزة التي صارت عالمية، وليست محلية فحَسْب، فالرسائل المتوالية والاتصالات المتلاحقة بالمسؤولين فيها أظهرت بجلاء بركتها وعظم نفعها.

وأحسب أن برنامجًا عن أحوال المسلمين وأوضاعهم في العالم يقدمه الشيخ العبودي سيكون فتحًا آخر من فتوحها.

ثانيًا : ما يتمتع به العلاّمة العبودي من ملكة أدبية، وذاكرة قويَّة نادرة، وفصاحة وبيان وحسن سرد وإيضاح جعلني أبهر به في حديثه وضرورة تقديمه متحدثًا بليغًا عن هذا الأمر المهم فضلاً عن مؤلفاته وبحوثه الشاهدة التي تبرزه علمًا من أعلام هذه البلاد في علوم شتى.

ثالثًا : مقدرة الشيخ العلمية ومكانته العملية تجعلان منه متحدثًا معايشًا للحدث مدركًا للواقع يستطيع تقديم أدق التفاصيل عن تلكم الأوضاع للمسلمين في العالم.

رابعًا: الحسنات الكبرى لهذه البلاد المباركة المتمثلة في رابطة العالم الإسلامي ومناشطها الخيرية العالمية مع قرينالها من روافد البر والخير التي تثبت بجلاء ما قامت به بلادنا وقادها من رعاية وخدمة للمسلمين الذين نعموا بدعمها وذاقوا تأييدها وبركتها حتى أعلن العلاّمة العبودي بقوله لا أعلم

بلدًا أو موقعًا للمسلمين في الأرض لم تصله مساعدة أو منحة أو إعانة من المملكة العربية السعودية.

خامسًا: إحياء صلة الوحدة والأخوة الإسلامية عبر هذا البرنامج الذي سوف يسلط الضوء على إخوة لنا في أماكن نائية وبقاع بعيدة امتدت إليهم يد الخير والبر فأشعرتهم بروح الإسلام، وأخوة الدين، ورابطة العقيدة التي تربط هذه الأمة المحمدية الراشدة.

وبالفعل ما أن تم الاتفاق مع العلاّمة العبودي، وشرعنا في تسجيل بعض تلك الحلقات وإذاعتها حتى انهمر سيل من الاتصالات تثني وتبارك وتحمد هذه الخطوة السديدة مشيدة بحسن طرح الشيخ وجميل بيانه.

حتى تم ترشيحه {أي البرنامج} مؤخرًا ضمن البرامج المؤهلة للتداول مع دول مجلس التعاون الخليجي.

وأحتفظ بعدد هائل من رسائل الإخوة والأخوات الذين تفاعلوا بشكل كبير وعظيم مع حلقاته.

وتلقينا عروضًا كثيرة ليتم تحوير البرنامج إلى مرئي ومشاهد إلا أن الشيخ اعتذر بسبب ظروفه العلمية والعملية التي تحول بينه وبين التسجيل التلفازي الذي سوف يقتطع وقتًا طويلاً منه.

إلا أنه — ولله الحمد - استطاع هذا البرنامج أن يضيف ويكتشف موهبة ومقدرة أخرى من مواهب مكتنـــزة لدى الشيخ العبودي، وهو المتحدث بعد أن عرفوه كاتبًا في الرحلات في عدد لم تعرف الإنسانية نظيرًا له ليقدم قفزًا آخر يتمثل في عدد من الأحاديث الإذاعية عن رحلاته لم يسبق إليه، فقد ناهزت الحلقات حتى كتابة هذه الأسطر مئة وستين حلقة.

وهكذا حاولت إيضاح فكرة هذا البرنامج الحافل الناضج الذي تسارع عدد من الكتّاب والصحفيين والأدباء إلى الإشادة به عبر مقالاتٍ متعددة وكتاباتٍ متفرقة.

المبحث الخامس

لقاء خاص

تمت إذاعته في إذاعة القرآن الكريم[1].

فضيلة الشيخ محمد لكل شيء بداية. فأين كانت بدايتكم ولادةً ونشأةً وتعليماً؟

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين. أولاً أشكركم على حسن ظنكم، وعلى هذه الأوصاف التي لا شك أن مبعثها حسن الظن منكم، وإلا فإنني أعتقد أنني دون ما ذكرتم، فشكر الله لكم حسن ظنكم، وغفر لنا ولكم ما نعلمه من نقص في نفوسنا.

بالنسبة إلى الولادة فقد كانت في الثلاثين من شهر ربيع الآخر ١٣٤٥هـ، وذلك في مدينة (بُرَيْدَة) التي نشأتُ فيها. وكانت (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت هي أكبر مدينة في المنطقة، ذكرها بذلك جميع المؤرخين الذين أرخوا للبلدان وللحوادث في ذلك الوقت، ومنهم الأستاذ حافظ وَهْبَة في كتاب «جزيرة العرب في القرن العشرين»[2]، وغيره ممّن ذكروا أن عدد سكّان مدينة (بُرَيْدَة) في نهاية

---

(١) كان من أبرز محطات حياتي المهمة تقديمي لبرنامجي الشهير "في موكب الدعوة" الذي من خلاله تم استضافة أكثر من مائة وعشرين شخصية علميه ودعوية، وكان ضمن تلكم الكوكبة المباركة من رجال العلم والإفتاء والدعوة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، والذي قدمت بين يديه فكرة البرنامج فوافق،و أجريت لقاء معه امتد إلى حلقات كثيرة قادتنا في النهاية إلى فكرة برنامج آخر وهو "المسلمون في العالم مشاهد ورحلات" ونظرًا لدقة مضامين ذلكم اللقاء وغزارته العلمية ارتأيت تفريغ تلكم المادة ونشرها كما هي ليطلع القارئ على دقائق مهمة من حياة العلامة العبودي، وسيرته، وإسهاماته.

(٢) هو حافظ وَهْبَة (١٣٠٧- ١٣٨٧هـ)، مصري الأصل والمولد والمنشأ ووفاته في (روما). كتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود في ذي الحجَّة ١٣٤١هـ، فأعجبه خطّه ودعاه إلى (الرياض)، وتقدَّم عنده إلى أن عيَّنه وزيرًا مفوَّضًا بلندن، ثم سفيرًا إلى أن أُحيل إلى التقاعد. وهو من مؤرِّخي الدولة السعودية، وله من الكتب: «جزيرة العرب في القرن العشرين»، و«خمسون عامًا في جزيرة العرب». وقد ترجم لنفسه في صدر كتابه «خمسون عامًا» (ص١- ٢١)، وترجمه الزِّرِكْلِيُّ في «الأعلام» (٢/ ١٦٠). وانظر الكلام على إحصاء سكّان (بُرَيْدَة) في كتاب «جزيرة العرب في القرن العشرين» (ص٦١)، وانظر باقي كلام المؤرخين في «معجم بلاد القصيم» (٢/ ٥٦٥).

العَقد السادس من القرن الرابع عشر كان ثلاثين ألفًا، وأمَّا سكّان مدينة (الرياض) فكان عددهم ــ حسَب ما ذكروه ــ خمسة وعشرين ألفًا.

فكانت مدينة (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت مركزًا من المراكز التجارية، وبخاصة في تجارة الإبل حيث يتجه الناس إليها من جميع أنحاء الجزيرة؛ ليشتروا ويبيعوا في الإبل. وكانت أيضًا مركزًا علميًّا، فقد قيَّض الله لها أسرة آل سَلَيْم، وهي أسرة علمية معروفة، وكثيرًا ما رأينا طلبة العلم يأتون إلى (بُرَيْدَة)، ويسكنون في غرف في المساجد الكبيرة المشهورة، ويقيمون الشهور الطوال يَدْرسون، ويتلقون العلم فيها على المشايخ من آل سَلَيْم وتلاميذهم.

نشأتُ في هذه المدينة، ولكن لو تحدثنا عن المدينة ذاتها في ذلك الوقت؛ لعجب كثير من أبنائنا، الذين يعيشون الآن في (بُرَيْدَة) ذاتها من أن تكون على ما نَصفه في ذلك الوقت. فلم يكن في (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت بلدية، وإنما كان فيها من يُسَمَّوْنَ «الجماعة»، وذلك بأن يُعيِّن القاضي بالاتفاق مع الأمير جماعة في كل حي من الأحياء، أو في كل منطقة من المناطق، مثل جماعة الشمال، وهكذا. وتتكوَّن الجماعة من اثنين يُطلَق عليهما مُسمّى النُّظراء (النَّظَرا) ــ بلسان العامة ــ الواحد منهم «ناظر» من النظر ينظر في الأمور التي وُكِل إليه النظر فيها، ومن ذلك أنه إذا أراد بعض الناس أن يَبني بيتًا في شارع لم تُبن فيه بيوت من قبل، فلا بُدَّ من أن يقف (النَّظَرا) عليه، وأن يرسموا لــه الشارع.

وقد سمعت الشيخ عمر ابن سَلَيْم ــ رحمه الله ــ يقول لهم يوصيهم: «لا بُدَّ أن يكون الشارع ثماني أذرع فما فوق؛ لأنه لا بُدَّ أن يلتقي فيه حِملان من الحَطب». ففي ذلك الوقت، وهذا من الأشياء التي لا يعرفها الشباب الناشئ الآن، كان الناس يوقدون بالحَطب، ولا يعرفون الغاز بطبيعة الحال، والحَطب يُجلب إلى المدينة من خارجها على الإبل، فالشيخ يقول: «إذا التقى جمل عليه حِمل حَطب وجمل آخر عليه حِمل حَطب؛ فيجب أن يكون الشارع فيه متسع لهما لكي يَمُرَّا». وهذا بطبيعة الحال من الاجتهاد.

وليس في (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت مرافق أخرى أبدًا، ولا حتى المدارس، فلم يكن فيها غير الكَتاتيب، وأول مدرسة حكومية فُتحت في (بُرَيْدَة) كان في وقت قريب، وذلك عام ١٣٥٦هـ. ففي ذلك الوقت ــ كما قلت ــ كان يوجد كَتاتيب، والكَتاتيب فيها مدرسون أقوياء، ولكن لا يُحصِّل عليهم إلا المثابر القوي من الطلاّب الصابر على تأديب الأستاذ، وهذا أمر معروف.

- ما أشهر تلك الكَتاتيب؟

- **أشهرها:** كُتَّاب الشيخ محمد بن عبد العزيز الصَّقْعَبيّ[(١)]، وكُتَّاب الشيخ عبد العزيز بن صالح الفَرَج[(٢)]، والكُتَّاب الذي دخلته أنا وعمري خمس سنوات، وهو كُتَّاب الشيخ سليمان بن عبد الله العُمَري كان بجانب بيتنا، فأدخلني والدي وأنا صغير؛ لأنه جار لنا ولا يحتاج إلى من يوصلني إلى المدرسة.

---

(١) الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الصَّقْعَبي (نحو ١٢٧٤- ١٣٢٦هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). تعلّم القراءة والكتابة وأجادهما إجادة تامَّة، وله خط جيد كتبَ به عدة مصاحف وكتبَ به بعض كتب العلم، وكان الناس يعتمدون عليه في كتابة العقود والوثائق والوصايا وغيرها. وقد لازم الشيخين محمد بن عبد الله بن حمد بن سَلَيْم، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز بن سَلَيْم، حتى أدرك وعُدّ من العلماء. وعُيِّن إمامًا في مسجد (عودة الرديني) وصلى فيه أكثر من عشرين سنة، وخلفه عليه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم. أنشأ الشيخ كُتّابًا عُرف باسمه (كُتّاب الصَّقْعَبي) يعلّم فيه القرآن والخط، وازدهر هذا الكُتّاب أكثر على يد ابنه الشيخ صالح بن محمد بن عبد العزيز الصَّقْعَبي (ت١٣٥٨هـ) الذي خَلَفَ والده في الكُتّاب لأكثر من عشرين عامًا، وانتفع به الآلاف ومن أشهرهم علاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر، رحم الله الجميع. انظر «علماء آل سَلَيْم» (٢/ ٤٥٦ و٢٧٢).

(٢) المقرئ الشيخ عبد العزيز بن صالح الفَرَج (١٣٢٠- ١٣٩١هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). تعلّم القراءة والكتابة وأجاد الخط إجادة تامَّة، وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العَبّادي، رحمهم الله. وكان عليه سمت العلماء ووقار الصُّلحاء، وقد أقرأ القرآن الكريم، ودرَّس الخط والحساب لما قد يصل إلى ألف طالب، وانقطع ــ رحمه الله ــ للتعليم في مدرسته الخاصة قرابة ثلاثين سنة، ثم عمل في التعليم الحكومي في مدرسة العزيزية بعد ضمِّ كُتَّابه إليها، واستمر على ذلك إلى أن تقاعد بناءً على طلبه. انظر «علماء آل سَلَيْم» (٢/ ٣١٣)، و«التعليم في القصيم» (ص٤٤، ١٥٧، ١٩٠).

هذه الكَتاتيب، ولا أدري الجيل الجديد يتصورها أم لا، ولا بأس من أن نذكر شيئًا من طبيعتها وطريقة التدريس فيها؛ فالكُتَّاب يَعتمد على المطوَّع الذي هو الأستاذ، وهو فريد فلا يوجد عدة أساتذة، وإنما يساعده كبار الطلبة الذين يَعهد إليهم بأن يُدرِّسوا صغار الطلبة وأن يلاحظوهم، وحتى إذا غاب لأمر من الأمور فإنه يَكِل العناية بالطلبة إلى كبارهم، وبطبيعة الحال الطلبة لا يَنصاعون إلى طالب منهم ولو كان كبيرًا؛ لذلك يكثر لغطهم وضوضاؤهم والفوضى... ولكن في ذلك الوقت هذه الأمور تعدُّ بديهيَّات، ولا يَعتقد الناس أنه يوجد أحسن منها.

- وهل تلمذتم لأحد من المشايخ أيضًا إلى جانب الكَتاتيب؟

- **نعم**، قلتُ: إن أول كُتَّاب دخلته، والناس لا يُسَمّونه كُتَّابًا، بل يُسَمّونه مدرسة، ولكن أنا سَمَّيْتُه كُتَّابًا؛ لأن هذه هي التسمية الصحيحة. فالمدرسة التي دخلتها هي مدرسة سليمان بن عبد الله العُمَري، رحمه الله، وكنت صغيرًا، وكان ذلك في عام ١٣٥١هـ، وأذكر أنه بعد دخولنا بشهرين أو ثلاثة توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن سَلِيْم قاضي (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت، فكانت وفاته فاجعة واضطرب الناس، وأُخرِجنا: أُعطينا إجازة حتى يتمكن الناس من الصلاة عليه، ليس الأطفال، ولكن المدرس وغيره من الكبار.

وفي عام ١٣٥٦هـ فُتحت مدرسة (كُتَّاب) متميِّز في (بُرَيْدَة) فتحها الشيخ محمد بن صالح الوهيبي، وأتى بطريقة جديدة قيل: إنه أتى بها من (الزُّبَيْر) التي تعلَّم بها. وقيل: من العراق أي: من (البَصْرَة). فهذا الشيخ كانت طريقته جميلة جدًّا وجديدة جدًّا، وأذكر أن من بين الأشياء التي كان يقولها لنا: «باء يمين» مثل: بسم الله؛ يعني الباء التي تأتي من جهة اليمين. وهناك باء ثانية تسمّى «باء يسار» مثل: الباء في آخر كلمة باب، و«باء وسط» مثل: الباء الأولى في كلمة الباب... وهكذا يعلمنا أشياء لم نكن نعرفها من قبلُ؛ لأننا كنَّا نقرأ من

قبلُ: ألف باء تاء ثاء... إلخ. ونحن لا نفهم لا الباء ولا التاء ولا الثاء، نقرأ: ألف باء تاء ثاء، وكنَّا نظن باء تاء حرف واحد. أمَّا الشيخ محمد بن صالح الوهيبي ـــ رحمه الله ـــ فقد جاء بطريقة جديدة، فالتحقنا به أنا وأخي سليمان الذي يَصغرني بأربع سنوات، وتولى القضاء مدة سبع سنوات في محكمة (بُرَيْدَة)، ثم بعد ذلك بسنتين أو ثلاث انتقل إلى التدريس.

وبعد مدرسة الوهيبي ذهبنا إلى المدرسة الحكومية في عام ١٣٥٧هـ التي فُتحت في ذلك الوقت، وعُيِّن لإدارتها أول ما فُتحت الأستاذ موسى عَطَّار، وهو من أهل (مكَّة) رجل قوي الشخصية، ولكن لم يكن الناس مؤهلين لتقبل المدرسة، فقد كان كثير من الناس لا يفهمون الدخول في المدرسة، وما هي عائدته... حتى إنه كان يُعطي الطلاَّب مجموعة من المقررات الدراسية مثل: المطالعة، ومقرر التوحيد، ومقرر الفقه... ويُعطيهم دفاتر، ومع ذلك لم يفهم كثير من الناس هذه المدرسة، والهدف منها[1]. ولذلك تَعيَّن بدلاً منه أستاذنا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سَلَيْم، رحمه الله، وعليه درسنا وأكملنا الدراسة الابتدائية.

ثم بدأنا الدراسة في المساجد على المشايخ، وكان أول شيخ قرأت عليه هو شيخنا صالح بن إبراهيم بن كريديس، وهو من العلماء الأفاضل المتبحرين، ولو كان يوجد وظائف قضاء كثيرة في ذلك الوقت؛ لكان على رأس إحدى تلك الوظائف. قرأت عليه حتى توفي في عام ١٣٥٩هـ، وقد لقيت من تشجيعه ما حفزني على المواصلة، وكنت في ذلك الوقت في الرابعة عشرة من عمري، وأذكر أن والدي ـــ رحمه الله ـــ سأله قال له: ما رأيك بمحمد في القراءة عليك؟ فأجاب: والله محمد يفيدنا. بطبيعة الحال أنا لا أفيده، ولكنني كنت أقرأ عليه من كتاب؛ فهو إنما يعبر عن تواضعه.

---

(١) وبمثل هذا قال الشيخ صالح بن سليمان بن محمد العُمَري في كتابه «التعليم في القصيم» (ص١٦٦). وزيادة في البيان أذكر أن افتتاح المدارس النظامية والانتقال عن نظام الكَتاتيب كان مرفوضًا لدى العامة؛ تخوفًا من التغيير الحضاري المفاجئ، بل وجَرَت مكاتبات من الأهالي للملك عبد العزيز بهذا الخصوص. انظر في ذلك «التعليم في القصيم» (ص ١٨٧ـــ ١٨٨).

ثم بعد ذلك قرأت على عدد من المشايخ منهم: الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي رحمه الله، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ عمر ابن سَلِيْم في آخر أيامه، ثم كانت القراءة التي عدَدتها فتحًا من الله سبحانه وتعالى على شيخنا الجليل العلاَّمة الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، وقد حضر إلى (بُرَيْدَة) في عام ١٣٦٣هـ.

فأعجبنا منه طريقته في التدريس، فقد كان هنالك الطريقة التي كان يعرفها طلبة العلم ويُسمّونها «الإمرار». والإمرار أن يُمَرّ الكتاب أي: أن يستمر، ويبدأ الإمرار بكلمة (سَم)، وينتهي بكلمة (بَرَكَة). وكلمة (بَرَكَة) يقولها الشيخ إذا استمر طالب العلم يقرأ عليه وأراد أن يوقفه قال لـه: «بَرَكَة» أي قف. هذه تسمّى «طريقة الإمرار»، وكانت هي الشائعة في التعليم عند المشايخ، ليس كلهم هكذا، ولكن هذا هو الأكثر. فلمَّا حضر شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، رحمه الله، ونحن نعرف أنه عندما توفي كان رئيس المجلس الأعلى للقضاء، فحضر أول الأمر مدرسًا وليس قاضيًا، واستمر ثلاثة أشهر ونَيِّفًا (يمكن اثني عشر يومًا)، ثم ذهب إلى (الرياض) وعاد مرَّة ثانية قاضيًا ومدرسًا.

فعندما حضر أعجبتنا منه طريقته في التدريس التي تأخذ في الحسبان مع الإمرار المناقشة، فكان إذا قرأ القارئ عليه توقف، وقال لـه: ما تقول في كذا؟ فإن لم يَفْهَم قال للذين معه في الحلقة: ما تقولون في كذا؟ فإن لم يفهموا شرح لهم الشيخ. وإذا احتاج الأمر إلى شيء من المراجعة قال: يا فلان، وكثيرًا ما يقصدني أنا؛ لأنه هو عيَّنني أمينًا لمكتبة جامع (بُرَيْدَة)، ولم نكن نعرف في ذلك الوقت اصطلاح «أمين»، وإنما كان يسمّى قَيِّم مكتبة جامع (بُرَيْدَة). وهذه أول وظيفة علمية لي توظفت فيها قَيِّمًا لمكتبة جامع (بُرَيْدَة)، وكان راتبها أربعين ريالاً في ذلك الوقت، آخر عام ١٣٦٣هـ، ولها قيمة؛ لقِلَّة الرواتب في البلد، وقِلَّة النقود في أيدي الناس.

وكان الشيخ عبد الله بن حُمَيْد قد حصل من الملك عبد العزيز ـــ رحمهما الله وجزاهما معًا خيرًا عنَّا وعن طلبة العلم ـــ على مقرَّرات لمساعدة طلبة العلم، وهي مقرَّرات شهرية، وكان ينالني منها اثنا عشر ريالاً. هذه المقرَّرات أكبر مَن يأخذ منها يأخذ ثمانية عشر ريالاً، وهما اثنان، والبقيَّة ينـــزلون حَسَب درجة سنهم، وحَسَب درجة تحصيلهم، وحَسَب إقبالهم وتفرغهم للطلب، حتى تصل هذه المكافأة نزولاً إلى ريالين في الشهر، والريالان في ذلك الوقت كان يحسب لهما حساب. فكان الشيخ عبد الله بن حُمَيْد يُعطيني من هذا المبلغ الذي أمرَ به الملك عبد العزيز اثني عشر ريالاً، وإلى جانب ذلك كنت أحصل على أربعين ريالاً راتب المكتبة.

فكان الشيخ في أثناء الدرس يطلب مني أن أُحضر لـــه المرجع الذي يتعلّق به الدرس، فمثلاً: إذا كان موضوع البحث مسألة لغوية نطلب كتب اللغة، وإذا كان مسألة فقهية أو حديثًا نطلب كتبه... إلخ. فكنا نأتي بالمرجع إلى حلقة الدرس، وهذا شيء جديد، فنقرأ ماذا قال العلماء، ويراجع فيها الطلبة ويناقشهم.

وكان عنده طريقة عجيبة في حَضِّ الطلاَّب، فهو ـــ على سبيل المثال ـــ يطرح المسألة أمام الأيمن في الصف، أو الأوسط إذا كان الكبير هو الذي في وسط الحلقة، فيطرح عليه المسألة، ويقول: ما رأيك في كذا؟ فإذا لم يفهمها قال: أنت الذي بجواره ما رأيك في كذا؟ من دون أن يُعنِّف الأول، ولكن في الواقع هذا معناه: أنك أنت المسؤول الأول لم تعرف. ولذلك صار الطلاَّب يَحرِصون ويُحضِّرون دروسهم.

ـ لكن المكتبة كانت ثريَّة بالكتب فعلاً؟

- هذه المكتبة حديثها طويل، ولا أدري هذا المقام يتسع للحديث المفصَّل فيها أم لا، ولكن أساس هذه المكتبة أن الشيخ عمر بن سَلَيْم ـــ رحمه الله ـــ كان قد بنى مبناها، وقصده من ذلك أنه توجد كتب موقوفة على طلبة العلم، وعلى القاضي في (بُرَيْدَة)، ولكن ليس لها مقر. فاعتاد الناس في

السابق أن يضعها القاضي عنده في بيته، فيستفيد منها مَن يستطيع الوصول إليها من طلبة العلم، ولا يستفيد الآخرون! فرأى الشيخ عمر بن سَلَيْم ــ رحمه الله ــ عندما أمر الملك عبد العزيز بهدم جامع (بُرَيْدَة) المبني بالطين؛ لإصابته بعيب خيفَ أن يسقط منه؛ وذلك عام ١٣٥٩هـ، وإعادة بنائه بالطين أيضًا. وكان أستاده ــ بالدال[1] أي: مُعلِّم البناء ــ هو أستاد الطين المشهور علي بن محمد حامد، رحمه الله. فبنى الشيخ عمر بن سَلَيْم مبنى المكتبة، على نيَّة أن تكون هذه الكتب الموقوفة على طلبة العلم أو على القاضي موجودة في هذا المكان؛ حتى يَنتفع بها كل شخص من دون أن يحتاج إلى طلبها، أو سؤال القاضي.

ونحن نعلَم أن من أعمال البرِّ أن يُسَبِّل الواحد كتابًا أو أكثر، وأذكر أن مرأة من آل جاسر ــ وهم أهل ثراء من أهل (بُرَيْدَة) ــ سَبَّلَتْ كتاب «عِدة الصابرين» لابن القَيِّم[2] على طلبة العلم، وسجلَّت هذا في وصيتها.

- ما مرادها من التسبيل؟

- **مرادها** من التسبيل أن يكون وَقْفًا، يعني سبيل لا يُباع ولا يُشترى.

- الكتاب مطبوع؟

الكتاب مطبوع طبعة قديمة، ولكن فيها بعض الكتب مخطوطة وبعضها مطبوعة. فيقول: «فلان وَقَّف وسَبَّل وحَبَّس هذا الكتاب على طلبة العلم ينتفعون

---

(١) و(أستاد) أصلها فارسي، وهو بالفارسية الحديثة (أستاد): ومعناه المعلِّم والماهر بصنعته. انظر «المُعرَّب» (ص١٢٥).

(٢) الشيخ الإمام أبو عبد الله شمس الدِّين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدِّمَشْقيُّ الحَنْبَليُّ، المعروف بابن قَيِّم الجَوزيَّة (٦٩١- ٧٥١هـ)، مولده ووفاته في (دِمَشْق)، تلميذ لشيخ الإسلام ابن تَيميَّة، وهو الذي هَذَّبَ كتبه ونشرَ علمه، وقد سُجن مع شيخه في قَلْعَة (دِمَشْق)، وأُهين وعُذِّب بسببه، وطيفَ به على جَمَل مضروبًا بالعصى، وأُطْلِقَ بعد موت ابن تَيميَّة، وهو من المكثرين من التأليف مثل شيخه. وقد كانت كتبه وكتب شيخه من أكثر الكتب التي يقفها (يُسَبِّلها) أهل نجد؛ لشهرتها وعناية طلبة العلم بها، وسلامة ما فيها من عقائد، وأيضًا لموافقتها مذهب أهل نجد (المذهب الحَنْبَليّ).

به». طبعًا لا بُدَّ لــه من مقرٍّ، وفي ذلك الوقت لا يوجد مقرٌّ، إنما يلتقون عند القاضي، أو عند أحد طلبة العلم... فبنى الشيخ عمر بن سَلَيْم هذه المكتبة، ولكنه توفي ــ رحمه الله ــ قبل أن تُفتح، وكانت وفاته في شهر ذي الحجَّة سنة ١٣٦٢هــ.

فشيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد هو الذي سعى إلى أن تُنفَّذ هذه الفكرة الجيدة، وطلب من الناس الذين عندهم كتب من أهل (بُرَيْدَة) وهم مشهورون، وبعضهم عنده كتب أوقاف أن يودعوها في المكتبة. فأول من استجاب إلى هذا الطلب أسرة العَجاجي[1]، وكان عندهم كتب كثيرة، وهي كثيرة باصطلاحنا في ذلك الوقت، وربما في هذا الوقت أي طالب علم عنده أكثر منها، لكن في ذلك الوقت كانت لها أهمية كبيرة؛ لأنه لا توجد مكتبات عامة. فأحضر الشيخ علي بن عبد العزيز العَجاجي، وابن أخيه الموجود عبد الله بن محمد العَجاجي[2]ــ متّع الله به ــ مكتبة كانت للشيخ محمد بن عبد العزيز العَجاجي كانت موقوفة أساسًا، أو تبرعا هما بها.

---

(١) آل العَجاجي أحد أُسر (بُرَيْدَة) المعروفة، يقول الشيخ عبد الله البَسّام: «آل عَجــاجي الكــثيري ثم اللامي نسبة إلى قبيلة (آل كثير)، المتفرعة من قبيلة (بني لام) الطائية القحطانية.
وكانت أسرة آل العَجاجي تقيم في بلدة (حُرَيْملاء) عاصمة بُلدان المحمل، وكانوا يقاسون من شدَّة الفقر، فاتفق أخوان من هذه الأسرة أن يذهب أَحدهما إلى (الأحســاء)، وأن يــذهب الآخــر إلى (بُرَيْدَة)، فمَن وجدَ منهما الخير أخبر أخاه ليأتي إليه، فصادف أن كُلاًّ منهما صلحت حاله في البلد الذي ذهب إليه، فبقي كل منهما في بلده، فأهل (بُرَيْدَة) هم أبناء عمّ الذين في (الأحساء)». انظــر «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٧٤- ٧٦). وقد برز منهم الشيخ محمد بن عبد العزيــز بــن سليمان العَجاجي، وأخوه علي، وهما من أبرز تلاميذ الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بــن سَــلَيْم رحمهم الله.

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز العَجاجي، وُلِدَ في (بُرَيْدَة) عام ١٣٣٥هــ. تربى طفلاً في أحضــان والده ولَمّا بلغ التاسعة من عمره سنة ١٣٤٤هــ توفي والده، وقد غرس والده فيه حبّ العلم، فقرأ في كُتّاب ابن فَــرَج وكُتّاب الصَّقْعَبي، وواصل التحصيل العلمي على يد شيوخ والده وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله بن سَلَيْم، ولازمه وقرأ عليه، ولَمّا كبر رافقــه في أســفاره. وعمل بنشاط في التجارة مع العُقَيْلات. انظر «رجال في الذاكرة» (٤/ ١٤٢- ١٤٣). توفي رحمــه الله سنة ١٤٢١هــ ببريدة ودفن بها مأسوفًا على فقده.

ثم مكتبة الرَّوَّاف، كان هناك مكتبة ثمينة عند آل رَوَّاف فيها مخطوطات، وهي تختص بالشيخ عبد الله بن أحمد بن رَوَّاف، وقد أحضرها ابناه الشيخ سليمان الرَّوَّاف الذي توفي ـــ رحمه الله ـــ قبل خمس سنوات أو ست، وأخوه الشيخ محمد.

وأحضر آل مشـــيقح مكتبة حافلة جدًّا كانت عندهم للشيخ فوزان السابق، أول مُعْتَمَد للمملكة العربية السعودية في مصر، ولم يكن اسمه في ذلك الوقت سفيرًا ولا وزيرًا، وإنما كان اسمه مُعْتَمَد المملكة النجدية قبل إنشاء المملكة العربية السعودية، ثم صار بعد ذلك مُعْتَمَد المملكة ثم سفيرًا. فكان لـــه مكتبة عند آل مشيقح فاتصلوا به وقالوا: إننا نرى أن تودع في مكتبة (بُرَيْدَة) العامة، وبالفعل وافق.

ثم آل مشيقح أيضًا أهدوا من عندهم مجموعة من الكتب. ثم صرنا نجمع من طلبة العلم ومن الذين عندهم كتب، وكان شيخنا ـــ رحمه الله ـــ يشجعهم على ذلك.

وأذكر أن أسرة المزيني وهم من أهل (بُرَيْدَة) المهاجرين إلى الكويت، وكان عندهم مال ومرّ أحدهم في طريقه إلى الحج ببُرَيْدَة، فأخبره الشيخ عبد الله عن حاجة المكتبة إلى الكتب، فتبرَّع بمبلغ من المال يُعدُّ كبيرًا في ذلك الوقت، وهو أكثر من ثلاثة آلاف ريال، كما تبرَّع بفَرْش المكتبة.

وقد أمرني الشيخ عبد الله بن حُمَيْد بأن أذهب إلى (مكَّة المكرَّمة) وأشتري كتبًا بهذه الثلاثة آلاف، فذهبت واشتريت كتبًا في غاية النفاسة والرخص، وأذكر من ذلك أنني اشتريت «لسان العرب»[1] بثمانية عشر ريالاً، واشتريت «شرح إحياء علوم الدِّين» لمرتضى الزَّبيديِّ صاحب «تاج العروس» باثني عشر ريالاً،

---

(١) «لسان العرب» لابن مَنْظور (ت٧١١هـ) من أوسع معجمات اللغة العربية وأعظمها، جمعه ابـــن مَنْظور من: «الصّحاح» للجَوْهَري، وحاشيته لابن بَرِّي، و«تهذيب اللغة» للأَزْهَـــري، و«المحكـــم والمحيط الأعظم» لابن سيده، ونهاية ابن الأثير.

وهو عشرة مجلّدات، وجئنا بمراجع ضخمة تكاد تكون حِمل سيارة أو ما أشبه ذلك، ثم بدأ الناس يهدون كتبهم حتى أصبحت مكتبة.

- تتذكر عدد هذه الكتب الموجودة في المكتبة عندما كنت قَيِّمًا عليها؟

أول ما بدأت لم تكن الكتب كثيرة، ولم نكن نَعُدُّ الكتب في ذلك الوقت؛ لأننا كنَّا نُعوِّل على ما في الكتب، وكنَّا نحرص على أن نقرأها، ولكن كنَّا نَعدُّ الدواليب (خزائن الكتب)، فكان فيها سبع خزائن مملوءة.

- وهل كانت هذه الكتب تتداول بين طلبة العلم في المسجد وغيره؟

- لا، لم نكن نقبل أو نرضى بنظام الإعارة كما هو معروف؛ لأن الإعارة معناها أن يُعرَّض الكتاب للذهاب والتلف بقصدٍ أو بغير قصد، وكما تعلم أن الكتاب كثير الآفات، ولذلك يقول الشاعر:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب ... فإن للكتب آفات تُفرِّقها
الماء يُغرقها والنار تُحرقها ... والفأرُ يَخرقها واللِّصُّ يَسرقها

أربع آفات، فلم نكن نسمح بنظام الإعارة، وإنما كنَّا نسمح لأي واحد أن يأتي ويطالع ما يشاء من الكتب.

- أعرف أنه كانت لكم علاقة خاصة مع الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد وقد لا يعرف بعض الناس كثيراً من حياة هذا الرجل العلاّمة البارز - رحمه الله - وشخصيته. هل لكم أن تحدثونا بشيء عن حياة الشيخ عبد الله ؟

- كما تفضلتم، فقد كان شيخنا ـــ رحمه الله ـــ يؤثرني بكثير من الأمور الطيبة مثل الكتب، وكان يُطلعني على كتبه، وكان يصطحبني إذا سافر إلى (الرياض) لمقابلة الملك عبد العزيز، فقد كان يأخذ معه واحدًا أو اثنين من طلبة العلم، وكنت في أكثر الأحيان أنا الذي أذهب معه.

وآخر الجهات التي ذهبنا إليها مع الشيخ هي في عام ١٣٧٢هـ، فقد صدر أمر الملك عبد العزيز سنة ١٣٧١هـ أن يذهب الشيخ عبد الله بن محمد

بن حُمَيْد إلى ما كانوا يُسمّونه في ذلك الوقت (الحجاز)؛ لإنهاء القضايا القديمة في محاكم الحجاز. فإن كثيرًا من أعيان الحجاز اتصلوا بالملك عبد العزيز في ذلك الوقت، وقالوا: إن المحاكم فيها قضايا بعضها لها عشرون سنة، وبعضها ثماني عشرة سنة ولا ينبغي هذا، فطلب الملك عبد العزيز من الشيخ عبد الله بن حُمَيْد الذي كان قاضي (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت، ويُعدّ رئيس محاكم القصيم، وإن لم تكن هذه وظيفته رسميًّا... طلب منه أن يذهب لإنهاء هذه القضايا، كما أمر الملك عبد العزيز أن يأخذ معه ثلاثة من طلبة العلم يساعدونه، يختارهم من الطلبة الموجودين عنده، فاختار ثلاثة كان أحدهم الشيخ عبد الله بن سليمان بن حُمَيْد[1] الذي كان آنذاك رئيس محاكم منطقة (جازان)، وإنما كان قد جاء لقضاء الإجازة كعادته في (بُرَيْدَة) مسقط رأسه، والثاني الشيخ علي بن عبد العزيز العَجاجي ــ رحمه الله ــ صديقنا وأخونا، والثالث أنا.

وبقينا في (مكّة المكرّمة) سبعة أشهر وزيادة، كلها في نظر القضايا. كما ذهبنا إلى (الطائف) ثم إلى (جدَّة)، ومن (جدَّة) وصلني من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ــ رحمه الله ــ بأن الملك سعودًا أمر بفتح معهد في (بُرَيْدَة)، وكان هو المعهد الثاني في المنطقة، فلم يكن يوجد في ذلك الوقت معهد إلا في (الرياض)، وأنه رأى أن أكون مديرًا لهذا المعهد؛ فلم أُكمل معهم المهمة إلى (المدينة المنوَّرة)، وكانت المهمة في ذلك الوقت قد استغرقت أكثر من تسعة أشهر، فعدت إلى (الرياض) حيث فتحنا المعهد العلمي في (بُرَيْدَة) في عام ١٣٧٣هـ.

(١) الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن حُمَيْد (١٣٢٠- ١٤٠٤هـ)، مولده ووفاته في (بُرَيْدَة). قرأ القرآن الكريم في أحد كَتاتيب (بُرَيْدَة)، ثم أخذ يتلقى العلم على والده وعلى علماء آل سَليْم وغيرهم. وتولى ــ رحمه الله ــ القضاء سبعًا وثلاثين سنة في تهامة والقصيم في كل من: (برك الغماد)، و(أبها وملحقاتها)، و(القنفذة)، و(جازان وملحقاتها)، و(الفوّارة)، و(الأسياح)، و(البُكَيْرِيَّة) وبقي في قضائها حتى أُحيل إلى التقاعد سنة ١٣٨٣هـ. وله مشاركات في التأليف ببضع رسائل دعوية. انظر ترجمته في «علماء آل سَلَيْم» (٢/ ٣٤٣).

وكان شيخنا ــ رحمه الله ــ محبًّا للمعلومات عامة؛ لذلك كان يحب أي كتاب في أي فن من الفنون يكون موجودًا في المكتبة، ويقرأ الكثير من الكتب ويعرف محتوياتها.

- واشتهر الشيخ عبد الله بن حُمَيْد عند كثير من الناس بفطنته وذكائه. هل لكم أن تحدثونا عن هذه الصفة التي اشتهر بها؟

- رحم الله شيخنا عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، وجزاه عنَّا وعن طلبة العلم خيرًا. لقد كان- رحمه الله - كما أسلفت ــ لــه طريقة خاصة في إفهام الطلبة وفي نفعهم، ومن ذلك أنه كان يأمر بإحضار المراجع العلمية إلى حلقة الدرس، وهذا شيء جديد، كما قلت.

والنواحي الأخرى من شخصيته خارج نطاق الدرس كثيرة، وتستحق الحديث والبحث. وبهذا الصدد أقول ما قلته سابقًا: إننا أمَّة لا تُسجِّل أخبار البارزين منها مع الأسف الشديد! فالمفترض أن رجلاً مثل سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد ــ رحمه الله ــ اشتهر بعلمه، وبعدله في القضاء، وبواسع ذكائه ومعرفته أن يُسجَّل له تسجيل حاضر ، أي في حياته وفي زمن الأحداث التي عاصرها وحدثت على عهده في القضاء. ولكن ذلك لم يحدث، فلم يُسجَّل فيما بلغني وفيما وصل إليه علمي.

وكان لشيخنا ــ رحمه الله ــ مواقف مشهورة معروفة في تبيان الحق وفضح المبطلين، فكان إذا ذَكَرَ لــه شخص شيئًا غير صحيح لا يُسارع فيفاجئه ويقول: إن ذلك غير صحيح؛ لأنه إذا قال هذا القول، فإن هذا الرجل سيبحث عن مخرج يُسوِّغ به كلامه غير الصحيح. وإنما كان شيخنا ــ رحمه الله ــ يستطرد مع هذا الشخص، كأن يقول لــه: في سنة كذا عندما وقع الحدث أين كنت؟ وما هو التاريخ؟ ومَن الذين كانوا معك؟.. إلخ من هذه الأشياء، ثم تكون النتيجة أن يتبيَّن لسماحة الشيخ ما إذا كان هذا الرجل مُحقًّا، أو مبطلاً، أو غير مبالٍ ببيان الحقيقة. هذا فيما يتعلق بما تفضلتم بذكره من أخبار الشيخ في فطنته.

والحقيقة أنه ينبغي لنا أن نُسجِّل كل هذا في كتاب، وقد فعلت بعض الشيء، وإن لم يكتمل، ولدَيَّ نيَّة، إن شاء الله، في كتابة ذلك، وقد كتبت بعضه وأسميته «الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد كما عرفته: سيرة وحديث في أحواله وفي قضاياه».

- هل الكتاب جاهز للطبع؟

- الكتاب ليس جاهزًا للطبع، ولكن نسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسّر إنجازه، وأن يكون جاهزًا، وبخاصة أن الجيل الجديد من طلبة العلم لا يعرفون سماحة الشيخ معرفة جيدة، على الرغم من أنه لم يَمْضِ على وفاته ـــ رحمه الله ـــ كثير وقت؛ ولذلك وجب على الذين يعرفونه أن يوضحوا للآخرين ما يعرفونه عنه.

لقد كان لفضيلة الشيخ ـــ رحمه الله ـــ سياسة دقيقة في الأمور المتعلقة بالقضاء، وكان من سياساته أنه لا يُسارِع إلى تصديق ما يقوله المرء، أو يأخذه حتى ولو كان الرجل مشهورًا بالصدق؛ فهو يناقشه ويقرر ما يقول معه، حتى يتبيَّن له عن يقين أن ما قاله صحيح.

ثم إن من مزاياه ـــ رحمه الله ـــ أنه هو أول من طلب أن يكون لطلبة العلم ـــ كما ذكرت سابقًا ـــ مقرر شهري من المساعدة. صحيح أن تلك المساعدة لم تكن كبيرة في ذلك الوقت، ولكن كان لها مقام عظيم، كما تقدَّم.

- وإن كانت فكرة الوفاء التي قدمتموها مع شيخكم وشيخ الجميع سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد مبادرة كريمة وطيبة فهي لا تستغرب من الأوفياء أمثالكم.

- فضيلة الشيخ: كان المعهد العلمي المحطة الثانية من حياتكم العملية... فكيف تسلمتم المعهد؟ وكيف كانت الأوضاع العلمية واستقبال الناس له؟ وكيف كانت بدايتكم في ذلك المعهد؟

- قلتم أو سألتم عن كيفية تسلمي المعهد. والحقيقة أنا لم أتسلَّم المعهد تسلُّمًا؛ لأنني أول شخص عُيِّن فيه، وإن كان لا بُدَّ من استعمال كلمة

تَسلُّم؛ فقد تسلَّمت فكرته، ثم سعيت لدى شيخنا العلاَّمة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـــ رحمه الله وجزاه عنَّا خيرًا ـــ لتوفير كل ما يلزم لهذا المعهد من ميزانية، ومن أساتذة أَكْفَاء.

ومن ذلك رأينا أنه لا بُدَّ من أن يكون كبار طلبة العلم في (بُرَيْدَة) مدرسين في المعهد، وهم أربعة في ذلك الوقت: الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، رحمه الله، والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي، رحمه الله، والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، رحمه الله، والشيخ علي بن إبراهيم المشيقح، متّع الله به ووفّقه. وكذلك أيضًا يكون سماحة شيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد مدرسًا غير متفرِّغ في المعهد. فقد كان هدفنا أن ينضمَّ طلبة العلم إلى المعهد، سواء الذين يَدرسون على سماحة الشيخ، أو الذين يَدرسون على الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، وهكذا كان.

فأتيت لهم بكتب مفتوحة موقعة من الشيخ محمد بن إبراهيم، وتحدثت معهم، فاستجاب الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ـــ رحمه الله ـــ استجابة فورية وقال: «موافق».

وقد كنت أقول لكل واحد منهم: «يمكنك أن تستخير»؛ لأنني لا أريد أن يقول: «لا». فقال: «أنا قد استخرت وجزمت، ولا يمكن أن أتردد في أمرٍ أستطيع معه أن أُدرِّس ما أعرفه من العلم لطلبة العلم في بلدي، هذه هي أُمنية كلِّ طالب علم، ولا يمكن أن أتردد».

أمَّا الإخوة الباقون فقد ترددوا مثل الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، وكما نعلم في ذلك الوقت كان قاضي (الأسياح)، ولم يكن في (بُرَيْدَة).

والشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي كان قاضي (المِذْنَب)، ولكنه بعد ذلك بشهور التحق بالمعهد، وصار مدرسًا فيه، واستمر حتى تقاعد.

أمَّا الشيخ صالح بن أحمد الخريصي فقد شغله القضاء.

وبالنسبة إلى الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح فقد قال: «إنني أود، ويَسرُّني أن أكون مدرسًا في المعهد، ولكن أنا الآن عندي مشروعات». فقد كان ينسخ الكتب، وقال: «لا أريد أن يؤثِّر هذا العمل في ما أقوم به من نسخ الكتب واقتنائها... إلخ».

أمَّا شيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد فقد باشر التدريس في المعهد مدَّة إلى أن استقرَّ الإخوة طلبة العلم في المعهد، حسب المتفق عليه، ثم بعد ذلك رجع إلى عمله متفرغًا للقضاء والتدريس في المسجد.

- إذن درَّس الشيخ عبد الله في المعهد.

- نعم، الشيخ عبد الله بن حُمَيْد درَّس مدَّة من الوقت، وكان يحضر في الأسبوع مرّتين أو ثلاث مرَّات ويدرِّس، وقد كان معظم طلبة القسم الثانوي من طلاَّبه، كانوا يَدرسون، وجاء ليطمئنهم ويطمئنوا عن طريق فعله، بأن مَن يكون في المعهد لا يكون بعيدًا عن الشيخ عبد الله ولا عن المشايخ، إلى أن عرف الناس المعهد والمقصود من فائدته.

بالنسبة إلى فتح المعهد، فقد قابلتنا مشكلة مكان المعهد عندما حضرت لفتحه. كان الناس في ذلك الوقت سواء أكانوا مدرسين أم موظفين أم طلاَّبًا يأتون إلى المعهد سيرًا على الأقدام، فلم يكن عند الناس في ذلك الوقت سيارات خاصة، كما هي الحال الآن.

وكما نعلم أن مدينة (بُرَيْدَة) مدينة ممتدة منذ عهد قديم، فإذا جعلنا المعهد في الشمال؛ سيكون صعبًا على أهل الجنوب أن يَصِلوا إليه، والعكس بالعكس. وكنت أريد أن يكون المعهد في موقع صالح للدراسة؛ لا يشغل الطلاَّب فيه شيء، فلا يكون بين المساكن، ولا يكون قريبًا من مواقع الضوضاء والإزعاج، وأن يكون له مساحة كافية كبيرة. وهذا كله لا يتيسَّر في داخل البلد، إلا إذا فرضنا أننا سنشتري عشرين بيتًا، أو ما أشبه ذلك، ثم نهدمها ونهدم ما حولها! وهذا شيء غير ممكن في ذلك الوقت، ولذلك رأيت أن يكون في موقعه الحالي الذي

يقع إلى الشرق من مدينة (بُرَيْدَة) القديمة، و لم يكن هناك مساكن حول المعهد في ذلك الوقت.

- إذن أنتم الذين اخترتم الموقع الموجود.

- نعم، وكذلك نحن الذين شغَّلناه؛ لأنني في ذلك الوقت كنت مدير المعهد المسؤول، نحن الذين اخترناه، ونحن الذين انتفعنا به.

أول الأمر لم نبدأ في هذا المكان، ولكن أخذنا الأرض وهيأناها وبدأنا بعد فترة، ولكن في أثناء ذلك طلبنا من آل مشيقح أن يبنوا بناءً على شكل معهد بالطين؛ ففي ذلك الوقت لا يوجد إلا الطين، فبنوا البناء وبقينا فيه ثلاث سنين. ولكننا في عام ١٣٧٦هـ بدأنا بالبناء بالمُسلَّح، وانتقلنا إليه عام ١٣٧٧هـ.

وكانت الأرض التي فيها المعهد الآن خلاءً في ذلك الوقت، وكان بعض كبار الجماعة من أهل (بُرَيْدَة) قد رَأَوْا أنه ينبغي أن تُترَك هذه الأرض دون أن يكون عليها أي بناء، لتكون متسعًا لأصحاب المواشي والإبل الذين يبيعون فيها ويشترون؛ لأن مكان البيع والشراء كان الجَرْدَة (جَرْدَة بُرَيْدَة)، وكانت تضيق بالناس. ولكن نحن قلنا لهم: لا يمكن أن يبقى هذا إلى ما لا نهاية، ولا يمكن أن يبقى هذا سوقًا للإبل، والله أعلم كيف تكون تجارة الإبل في ذلك الوقت.

ثم عارضنا بعض الناس (شخص من الأشخاص)، وقال: إن لديه إقطاعًا اشتراه من أحدهم، وهو مقتطع أو جزء صغير من أرض المعهد. وفي ظني أن هذا الشخص ليس له حق فقلت له: إذا كان لك حق فيمكن تعويضك. ولكنه لم يرضَ إلا أن نجلس معه للقضاء ونسمع دعواه، فجلست معه. وكانت هذه أول مرَّة جلست فيها أو دخلت فيها المحكمة مقاضيًا أو مقاضى (أي مستدعى للقضاء)، وهي المرَّة الوحيدة لم أجلس قبلها ولا بعدها، وكانت من أجل تخليص أرض المعهد، والحمد لله، المعهد لا يزال في أرضه إلى الآن، وعَرَفَ الناس أن هذا موقع جيد، وأنه مناسب.

هذا بالنسبة إلى الموقع، وبالنسبة إلى المدرسين بعد ذلك فقد حضر إلينا مدرسون يستحقون الذِّكر منهم: الشيخ الجليل الأستاذ محمد بن عبد الله السبيِّــل إمام الحَرَم كان مدرسًا، والشيخ علي بن سليمان الضالع ــ رحمه الله ــ درَّس عندنا مدَّة، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري الذي كان قد تولّى القضاء في بعض البلدان بعالية القصيم درَّس عندنا أيضًا، وغير هؤلاء. وكنت اخترتُ لوظيفة مساعد مدير المعهد الأستاذ عبد الله بن سليمان الربدي، وشغل هذه الوظيفة إلى جانب التدريس المخفف.

- كم كان عدد الطلاّب؟

- كان عدد الطلاَّب مئتين وثلاثين طالبًا في ذلك الوقت، وكان عندنا قسم تمهيدي أيضًا، وليس ثانويًا فقط.

ننتقل إلى جانب آخر مهم من جوانب حياتكم العلمية، وهو الجامعة الإسلامية. كيف كانت بداية الالتحاق بهذه الجامعة؟

إن عملي في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) كان تمهيدًا لعملي في الرابطة، وما اتخذته حياتي مِمَّا قدره الله سبحانه وتعالى لي بعد ذلك.

فقد أمر الملك سعود ــ رحمه الله ــ بأن تُفتتح بالمدينة المنوَّرة جامعة إسلامية، وعَهِدَ إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ــ رحمه الله ــ فتحَ هذه الجامعة، واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك؛ لأنها جامعة علمية إسلامية، ولا بُدَّ أن يُتخذ لها جميع ما ينبغي من الإجراءات.

كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ــ رحمه الله ــ يشغل في ذلك الوقت وظيفة المفتي الأكبر في المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة، واختار أشخاصًا للجامعة الإسلامية، واختارني ــ في أول الأمر ــ مديرًا للجامعة؛ لأن الفكرة الأولى أن يكون هناك مدير ونائب رئيس؛ لأن الرئيس هو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمه الله.

فاستدعى الشيخ محمد بن علي الحَرْكان الذي صار بعد ذلك أول وزير للعدل، فحضر إلى الرياض، وكنت في ذلك الوقت ضيفًا على الخاصة الملَكية (خاصة الملك سعود رحمه الله) وأنزلوني في فندق اليمامة قرابة خمسين يومًا. فجاء الشيخ محمد بن علي الحَرْكان من (جدَّة) فبحث الشيخ محمد بن إبراهيم الموضوع معه، ومعي أيضًا من الناحية الإدارية؛ لأنني كنت في ذلك الوقت مدير المعهد العلمي في (بُرَيْدَة)، وقد مضى على تعييني في المعهد سبع سنوات، فالمفترض أنني حصلت على خبرة أو شيء من المعرفة بتسيير المعاهد والكُلِّيَّات.

وبعد مدَّة اعتذر الشيخ محمد الحَرْكان.

- اعتذر الشيخ محمد الحَرْكان عن إدارتها أو ماذا؟

- اعتذر ليس عن إدارتها، اعتذر عن ترك عمله في قضاء (جدَّة)؛ لأن أُناسًا من أهل (جدَّة) كتبوا إلى الملك سعود رسائل كثيرة يطلبون من الملك سعود، ومن الشيخ محمد بن إبراهيم أن يبقى قاضيًا، وألاَّ ينتقل من عندهم. وأهل (جدَّة) كانوا مرتاحين منه جدًّا؛ لأن الرجل كان نزيهًا وقويًّا ولا يبالي.

فتغلَّبت هذه النظرة عنده وبقي؛ لأن المسألة كلها راجعة إلى نظر ولي الأمر الملك سعود، والمرجع الذي كلَّفه الملك سعود ـــ رحمه الله ـــ وهو سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر، وهو رئيس الجامعة. بعد ذلك رأى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أن يكون الشيخ عبد العزيز ابن باز هو نائب الرئيس، وفي التشكيل الذي وضعناه أن تكون وظيفتي وظيفة الأمين العام للجامعة، فيكون في الجامعة من الموظفين الموجودين فيها موظفان اثنان رئيسان، نائب الرئيس الشيخ عبد العزيز ابن باز. والأمين العام، وهي وظيفتي أنا، وفي ذلك الوقت ليس في الجامعة إلا هاتان الوظيفتان.

عندما فُتحت الجامعة الإسلامية كان عمادها في أول الأمر بعض الطلبة الموجودين في (الرياض) الذين يَدْرسون في كُلِّيَّات (الرياض)، وبعضهم من أهل (المدينة)، وبعضهم آثر أن يأتي إلى (المدينة)، ثم نحن أعددنا منحًا لسبعة وثلاثين بلدًا في أول مرحلة نأتي بالطلاَّب من هذه البلاد.

فلاحظنا أن بعض الذين أُرسلوا من قِبَل الجمعيات الإسلامية، أو من قِبَل السفارات السعودية، أو من قِبَل الهيئات الإسلامية في الخارج، ليسوا على المستوى المطلوب، وبعضهم يُقدِّم شهادات لا ندري عن مستواها.

وكان في أذهاننا ــ في ذلك الوقت ــ أن إفريقية هي التي يجب أن يُعتنى بها أكثر من غيرها؛ لأن الاستعمار والمُنصِّرين (وهم يسيرون في رِكابه كما نعلم) قد ركّزوا في إفريقية؛ وذلك ليس من أجل تنصير غير المسلمين من الوثنيين، وإنما أيضًا من أجل صَدّ المسلمين؛ ولذلك رأينا أنه لا بُدَّ من أن نركز في إفريقية، ولكن الذي فَتَّ في العَضد أنه ليست لدينا معلومات كافية عن إفريقية، لا عن الجمعيات الإسلامية، ولا عن الجهات التي هي أكثر حاجة من غيرها، ولا عن الجهات الموثوقة التي تُرسِل الطلبة. فكانت النتيجة أن صدر الأمر بأن يذهب من الجامعة وَفْد من ثلاثة أشخاص، وأكون أنا رئيسه و واخترت معي اثنين، وأعطاني الملك فيصل ــ رحمه الله ــ الذي كان هو نائب الملك، وكان الملك سعود موجودًا في سنة ١٣٨٤هـ، وعندما عُدنا كان الملك فيصل قد أصبح ملكًا في شعبان عام ١٣٨٤هـ ــ أعطاني الملك فيصل لَمَّا ذهبنا إلى إفريقية بعض النقود لتوزيعها على الجهات الإسلامية العاملة، يعني: أصحاب المدارس، والجمعيات، والذين يقومون بعمل الدعوة خاصة أئمة المساجد.

أعطانا إيَّاها من دون جدول لتوزيعها. وأذكر أنه رحمه الله عندما ذهبت لأودعه ــ وأنا قابلته مرات في حياتي، وفي الرحلة الثانية ــ قلت له : «يا جلالة الملك، البلاد التي سنذهب إليها ليس فيها سفارات سعودية؛ لأن آخر سفارة سعودية في الصومال، وليس بعدها شيء، ونحن محتاجون إلى توجيهاتكم».

فقال لي كلمة جامعة عجيبة قال: «يا أخي، أنا أقول لك جملة واحدة لا أزيد عليها: راقب الله في أفعالك وأقوالك؛ تنجح».

الحقيقة أنني عندما تأملت هذا الكلام وجدت أنه لا مزيد عليه؛ لأن الذي يراقب الله سبحانه وتعالى في أقواله وأفعاله سينجح، وليس معنى هذا أنه سينجح في الحصول على الأجر فقط، وإنما يحصل على الأجر وينجح عند الناس.

ذهبنا إلى إفريقية، وفوجئنا بأن المعلومات التي عندنا عن الإخوة المسلمين، وعن جمعياتهم، وعن مساجدهم، وعن طلبة العلم عندهم، وعن الظروف المحيطة بالدعوة فيها ظروف مشجِّعة (وهي قليلة)، وفيها ظروف مؤسفة (وهي كثيرة). والمعلومات التي عندنا نكاد نقول: إنها تساوي صفرًا، ولذلك قيَّدت جميع ما رأيته، وكان هذا نواة كتبي في الرحلات، وقد أصدرته ولم أكن أول الأمر أظن أنه سيكون كتابًا، ولكن لَمَّا اجتمع عندي، وأشار عليَّ بعض الإخوة أن أصدره، وقد أصدرته بعنوان «في إفريقية الخضراء: مشاهدات، وانطباعات، وأحاديث عن الإسلام والمسلمين»، وقد استُقبِل هذا الكتاب استقبالاً حافلاً شجعني استقبال القراء لـه ليس في بلادنا فقط، ولكن في البلدان الأخرى. وأذكر أنه تُرجم منه مقادير كبيرة إلى اللغة التركية، ترجمها الأستاذ صالح أوزجان ونشرها في تركيا، وتُرجم في الهند إلى عدة لغات، وقرّرت الأكاديمية العسكرية العربية تدريسه للطلاّب.

وعندما قلت للأستاذ اللّواء ـــ في ذلك الوقت ـــ محمود شيت خَطّاب[1]، وكان من المدرسين العراقيين في الأكاديمية: «ماذا رأيتم في هذا الكتاب؟ إنني لا أرى أنه يستحق أن يقرَّر».

قال: «والله نحن جلسنا، وقلنا: لا بُدَّ من أن يَدْرس الطلبة أحوال إخوانهم المسلمين، ولكن لا بُدَّ أن نُقرِّر عليهم كتابًا كتبه مسلم، ولم نجد كتابًا كتبه رجل مسلم إلا كتابك فقرَّرناه».

قلت: «على كل حال نسأل الله أن يَنفع به، ولكنني لا أظن أنه يصل إلى هذا المستوى الذي أنتم أحللتموه فيه».

عندما رجعنا من إفريقية كتبت تقريرًا رفعناه إلى الملك عن طريق الجامعة، أولاً إلى سماحة الوالد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رحمه الله، ومنه إلى الملك فيصل؛ لأن الملك فيصلاً في ذلك الوقت كان قد أصبح ملكًا، وكان في التقرير مقترحات من بينها: إرسال خمسين داعية، وعيَّنت أماكنهم في ذلك الوقت، ومبالغ من المال، وكذلك تخصيص منح لهذه الأقطار التي زرناها. فكانت النتيجة أن وافق الملك فيصل ـــ رحمه الله ـــ على جميع هذه المقترحات، واعتمد خمسين وظيفة داعية لا تزال موجودة منذ ذلك الوقت، ولله الحمد، وتوسَّعت، وكانت نواة للدعاة، وكذلك استقبلنا في الجامعة الإسلامية الطلبة من تلك الأقطار.

---

(١) اللّواء الرُّكن محمود شيت خَطّاب (١٣٣٧- ١٤١٩هـ)، مولده في (الموصل) بشمال العراق ووفاته في (بَغداد). عسكري من الطراز الأول جديَّة وانضباطًا، ومؤرِّخ عسكري، وصاحب ديانة وخُلق. وحياته ـــ رحمه الله ـــ حافلة بالأحداث، وقد شارك في عدد من الوزارات في عهد المُشير عبد السلام عارف. ولــه بحوث ومؤلَّفات جليلة، تدل على فضله، تصل في مجموعها إلى أربعمئة كتاب وبحث. وقد كان عضوًا في مجامع اللغة في بغداد والقاهرة ودمَشق والأردن، إضافة إلى عضوية مجمَع البحوث الإسلامية في الأَزْهَر، وعضوًا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وقد ترجمه الأستاذ عبد الله محمود بكتاب بعنوان «اللّواء الرُّكن محمود شيت خَطّاب: المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه».

- فضيلة الشيخ: ننتقل إلى موقع مهم من المواقع الرئيسة التي تحملتم مسؤوليتها وعبئها، ألا وهو رابطة العالم الإسلامي، وقيامكم بالأمانة المساعدة منذ فترة طويلة: كيف كانت بداية عملكم بالرابطة؟

- بالنسبة إلى رابطة العالم الإسلامي هي: منظمة شعبية إسلامية عالمية بمعنى أنها ليست إدارة حكومية رسمية؛ ولذلك فالموظفون الموجودون في الرابطة ليسوا كالموظفين المسجلين في ديوان الخدمة المدنية. وقد أنشأت المملكة العربية السعودية رابطة العالم الإسلامي بهذه الصفة، استكمالاً لجهود قادتها في العمل على نفع الإخوة المسلمين، والتعاون معهم على البرّ والتقوى. فهي — إلى جانب العمل الرسمي الحكومي السعودي الذي تمثله الإدارات الرسمية الحكومية — منظمة شعبية إسلامية عالمية، تقوم بالاتصال بالجمعيات الإسلامية غير الحكومية، وإن كانت أحيانًا تتصل بالجهات الحكومية إذا ما اقتضى الأمر ذلك، وإذا ما اقتضت مصلحة الإخوة المسلمين في شؤون دينهم ذلك.

فالحكومة السعودية - وفّقها الله - أنشأت رابطة العالم الإسلامي، وخصَّصت لها ميزانية بمنـزلة المنحة التي تساعدها على خدمة المسلمين؛ لأن رابطة العالم الإسلامي تعمل على مستوى العالم، وميدان عملها بكل دقة هو أي مكان يوجد فيه مسلم على وجه الأرض، والمسلمون الآن — ولله الحمد — يوجدون في جميع مناطق العالم.

وليس المراد من ذلك أن يوجدوا في كل قرية، وإنما في كل منطقة، وأمَّا الدول فلا أعلم أن هناك دولة ليس فيها مسلمون، ولكن يختلف وجود المسلمين كثرةً وقلّةً ونوعًا ومقدارًا في بلد عن الآخر، وهذا أمر طبيعي.

فرابطة العالم الإسلامي تعمل على مستوى العالم، فلا بُدَّ لهذا العمل من أدوات، ومن أهم الأدوات لذلك هو الإمكان المادي المالي، وقد وفّرت الحكومة السعودية للرابطة ذلك عن طريق منحها ميزانية، هي منحة، وليست مبلغًا رسميًا

تمنحها للرابطة، والرابطة تستعمل هذه المنحة السعودية الكريمة التي تُدفع إليها في كل عام، وتقسِّمها على فصول حسَب حاجة العمل في الرابطة، وكلها تصبُّ في العمل على التعاون مع الإخوة المسلمين على البِرّ والتقوى، أي على ما يحقق التضامن الإسلامي، أو يسعى إلى التأثير في تحقيق ذلك التضامن الإسلامي المنشود.

فهنالك مجالات لعمل رابطة العالم الإسلامي، مجالات كثيرة منها: المساعدة على بناء المساجد، وإقامة المدارس، ومساعدة الجمعيات الإسلامية في تسيير أمورها وشؤونها الإدارية، وشؤونها المتعلّقة بالدعوة إلى الله، والمتعلّقة برفع مستوى المسلمين، وذلك كله على مستوى العالم، كما قلت.

إننا كنّا نقول قبل عشر سنين على وجه التقريب: إن جميع أنحاء العالم فيه مسلمون. ونقول: إن المسلمين لهم مؤسسات إلا في جهة واحدة وهي جهة جنوب المحيط الهادي. وقد عرفنا من واقع زيارتي أنا لتلك المِنطقة، ومن واقع التقارير والزيارات التي قام بها مسؤولون عن الرابطة، أو متعاونون معها أنه لا توجد جمعيات إسلامية أو مؤسسات رسمية للإخوة المسلمين (والمقصود بالمؤسسات الرسمية ليس المؤسسات الحكومية، وإنما المقصود الجمعيات المسجلة رسميًّا في الدولة) لا توجد مثل هذه المؤسسات في بلاد من جُزر جنوب المحيط الهادي البعيدة مثل: جزيرة (تونقا)، وجُزر (نيوكلادونيا)، وجُزر سليمان (تسمّى بالإنجليزية Solomon island's) الواقعة في أقصى المحيط الهادي. ولكن الذي يَسُرُّ الآن أن ذلك الاستثناء قد انتهى، ومحي و لم يَعُد له وجود، فجميع هذه البلدان قد أنشئت فيها جمعيات إسلامية، وقد اعترفت حكوماتها بالدين الإسلامي رسميًّا عن طريق الاعتراف بهذه الجمعيات الإسلامية، وذلك على الرغم من بُعدها عن الحواضر الإسلامية، ومن ذلك رابطة العالم الإسلامي في (مكّة المكرّمة).

لو أردنا أن نَذكر البُعد ونقيسه بمقياس مادي يعرفه الجميع، لقلنا: إن المرء إذا كان في تلك الجُزر، ونخص منها مثلاً (فيجي)، و(فيجي) هذه فيها مسلمون كُثر، وفيها أربعة وخمسون مسجدًا، وفيها خمس عشرة مدرسة إسلامية؛ والمراد بالإسلامية هنا أنها تتضمن المنهج الحكومي، وتتضمن إلى جانب ذلك مواد إسلامية، وليس المراد بذلك أنها كالكَتاتيب الإسلامية.

فجُزر (فيجي) هذه إذا أراد المرء أن يسافر منها إلى (مكّة المكرَّمة)، سأله المسؤولون في شركات الطيران: أتريد أن تذهب إلى (مكّة المكرَّمة) عن طريق الشرق أم عن طريق الغرب؟ فالأمر سيَّان، بمعنى أن الأُجرة واحدة سواء اتَّجه إلى (مكّة المكرَّمة) عن طريق الشرق، وطريق الشرق هذا معناه أن يذهب إلى اليابان والفلبين، أو يذهب إلى الفلبين رأسًا، ونادرًا ما تكون هنالك طائرات إلى الفلبين من (فيجي)، وإنما تكون بواسطة بعض البلدان، ثم من اليابان يأتي من جهة الشرق إلى (مكّة المكرَّمة)، كما هو معروف، أو أن يختار أن يذهب إلى جهة الغرب، فيذهب من (فيجي) إلى (لوس أنجلوس) في غرب الولايات المتحدة، وغالبًا ما تكون الرحلة التي تتجه من (فيجي) وعاصمتها اسمها (سوفا)، ولكن المطار الدولي في مدينة (نادي)، غالبًا ما تتجه الطائرات التي تذهب إلى الغرب من (نادي) التي هي في (فيجي) إلى جُزر (هاواي) وعاصمتها (هونولولو) ـــ كما هو معروف ـــ فتنزل الطائرة في (هونولولو) ومنها تسافر إلى (لوس أنجلوس) أو إلى (سان فرانسيسكو) في غرب الولايات المتحدة، ثم من (لوس أنجلوس) تذهب هذه الطائرات إلى (نيويورك) إلى شرق الولايات المتحدة أو (واشنطن)، أو أن تذهب من (لوس أنجلوس) إلى أوروبا، ثم إلى المملكة إلى (مكّة المكرَّمة)، فالمراد من ذلك أنها في نهاية البُعد.

- إذن هي ـ فضيلة الشيخ ـ في أقصى الكرة الأرضية.

• بالنسبة إلى بلادنا نعم؛ لِمَا ذكرته من أن الأُجرة تتساوى سواء اتَّجه الإنسان إلى (مكّة المكرَّمة) من جهة الشرق أم الغرب.

ولكن هناك دليل آخر على البُعد إذا احتاج الأمر إلى دليل، وهو أن فَرْق التوقيت بيننا وبينهم إحدى عشرة ساعة؛ فإذا طلعت الشمس عندهم يكون بقي على شروقها عندنا إحدى عشرة ساعة، وإذا غربت عندنا يكون بقي على شروقها عندهم ثلاث عشرة ساعة. وهذا نهاية البُعد، ليس المراد بذلك أن نقول: إنها نهاية الكرة الأرضية من كل وجه إطلاقًا، لا ولكن بالنسبة إلى بلادنا.

لقد دخل الإسلام (فيجي) قديمًا، ولكن الجُزر الأخرى التي حولها لم تكن فيها جمعيات إسلامية مسجلة معروفة إلا منذ سنوات قليلة، فهذه ـ ولله الحمد ـ أصبح فيها وجود رسمي للمسلمين عن طريق هذه الجمعيات، وأصبحت الأخبار تترى إلى الرابطة عن دخول أعداد من أهل البلاد الأُصلاء في الدين الإسلامي، ومن أهم ذلك أن مَن أسلم منهم ومَن أسس جمعية إسلامية، كتب إلى الرابطة يطلب منها أن تساعده على موضوع إيجاد مُصلّى، فهم أحيانًا يستأجرون مكانًا يصلّون فيه، وأحيانًا يكون عندهم طموح في بناء مسجد، ولكن غالبًا ما يكون عندهم قصور في النفقة على بناء المسجد أول وهلة، ثم يطلبون من الرابطة أن ترسل إليهم إمامًا وكتبًا، وبطبيعة الحال الرابطة تعمل ما تستطيع في هذا الأمر.

- كم استمرت ـ معالي الشيخ ـ مدة عملكم في الرابطة؟

- أنا عُيِّنت في الرابطة في اليوم الذي توفي فيه الشيخ محمد الحَرْكان، رحمه الله، وقد توفي في اليوم التاسع من شهر رمضان عام ١٤٠٣هـ.

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ مريضًا في المستشفى، ولم يكن في الرابطة في ذلك الوقت مَن يَشغل وظيفة الأمين العام المساعد، فبوفاته ـ رحمه الله ـ خلَت وظيفة الأمين العام، ووظيفة الأمين العام المساعد. فورد الأمر السامي الكريم من الملك فهد بن عبد العزيز، أيّده الله وحفظه، عن طريق صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الذي كان ـ ولا يزال ـ هو رئيس الهيئة العُليا للدعوة الإسلامية، وهو الآن رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. وكان

عملي آنذاك قبل الرابطة في وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية، وأمين الهيئة العُليا، والهيئة العُليا رئيسها سمو الأمير سلطان. فأخبرني سمو الأمير سلطان أن خادم الحرمين الشريفين أمر بأن أذهب إلى الرابطة، وأن أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد، ثم توليت وظيفة الأمين العام بالنيابة في الرابطة، هذا في عام ١٤٠٣هـ، واستمر عملي في الرابطة حتى الآن أي مدَّة ست عشرة سنة.

- معالي الشيخ: إن من أبرز ما تميزتم به في الرابطة تتبعكم لأحوال المسلمين وشؤونهم. وذلك ما استلزم سفركم المتواصل والدائم للاطّلاع على أحوال المسلمين. هل كانت بداية هذه الجولات مع بداية عملكم في الرابطة؟ أم كان لكم سابقة في الرحلات والجولات للاطّلاع على أحوال المسلمين في أنحاء العالم قبل ذلك؟

- أولاً أحب أن أُمهِّد للأمر بأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمرًا هيأ أسبابه، فأنا هيأ الله لي أن يكون عملي في مجال واحد، حتى قَبل الرابطة، وكنت في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، وهي ــ كما نعلم ــ متخصصة في تعليم أبناء المسلمين من خارج المملكة العربية السعودية، عن طريق تقديم منح دراسية للمسلمين هناك، وتقديمُ المنح الدراسية يقتضي الحصول على معلومات عن المسلمين في بلادهم؛ وذلك من أجل تقويم الشهادات التي يحملها الطلبة الذين يأتون منها، ومن أجل معرفة الجهات الموثوق بها التي تُصْدِر تلك الشهادات.

ثم بعد ذلك انتقل عملي من الجامعة الإسلامية إلى الأمانة العامة للدعوة الإسلامية، وهي إدارة رسمية حكومية، ومهمتها في المجال نفسه، أي: التعاون مع الإخوة المسلمين في الخارج.

ثم في الرابطة كذلك، وإجابة عما سألتموه أقول: إن الذهاب والسفر إلى البلاد البعيدة، والاتصال بالإخوة المسلمين كان من ضمن عملي، بل كان ميدان عملي قبل أن يُنقل عملي إلى الرابطة؛ ولذلك كتبت عدة كتب قبل الانتقال إلى الرابطة في هذا الموضوع.

- معالي الشيخ: أعتقد أنك انفردت بهذا الكم الهائل من الرحلات. وما يقع فيها من أحداث. وتدوين المشاهدات في أحوال المسلمين. ولا أعتقد أن أحدًا يشاركم في هذا الأمر حتى الآن. كيف كانت فكرة تدوين هذه الرحلات؟

• شكرًا على حسن ظنكم، وما تضمنه سؤالكم عن موضوع الرحلات، والمقصود بذلك كتب الرحلات، أي: الكتب المؤلَّفة في الرحلات. في الواقع أنا لم أنفرد بنوع الرحلات؛ لأن فنَّ الرحلات ــ كما نعلم ــ فنٌّ موجود في الأدب العالمي، وليس العربي وحده، وكان في العربية أكثر من اللغات الأخرى، قَبل أن يتكاسل العرب، ويتركوا كثيرًا من فنون العلم والبحث لغيرهم مع الأسف الشديد، إمَّا كَسلاً وإمَّا تكاسلاً وإمَّا عجزًا، فكانت اللغة العربية هي أحفل اللُّغات العالمية إلى ما قَبل سبعمئة أو ستمئة سنة بكتب الرحلات، وهي موجودة ومدونة.

وقد كان مَن سبقونا يعوِّلون في معرفة كثير من أخبار البلدان البعيدة (أي الخارجة عن مواطن الحضارة الإسلامية، أو الحضارة الإنسانية) على كتب الرحَّالين العرب أمثال ابن بطوطة[1]، وابن جُبير[2]؛ لأنهم ذكروا فيها ما لم يذكره غيرهم.

ومِن ذلك أن الهند التي قضى فيها ابن بطوطة عدة سنين، لا توجد معلومات عنها ــ في تلك الفترة ــ غير المعلومات التي ذكرها، فتلك المعلومات

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطَّنجي، المعروف بابن بطوطة (٧٠٣- ٧٧٩هـ)، وُلِدَ في (طَنْجَة) وتوفي في (مرَّاكش). وتلقبه جمعية كمبردج بأمير الرحَّالين المسلمين. ورحلته «تُحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» من أشهر الرحلات، وقد استغرقت رحلته سبعًا وعشرين سنة، وقد طُبعت كثيرًا، وتُرجمت إلى عدد من اللغات العالمية، وحققها عبد الهادي التازي في خمس مجلَّدات على ثلاثين نسخة خَطيَّة، وهو تحقيق ونشر مترف. وانظر «الأعلام» (٦/ ٢٣٥- ٢٣٦)، وقد أُلِّف في ترجمته والتعريف برحلته الكثير من الكتب والدراسات.

(٢) محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكناني الأندلسي (٥٤٠- ٦١٤هـ)، وُلِدَ في (بَلَنْسِيَّة) وتوفي في (الإسكندرية). زار المشرق ثلاث مرَّات: إحداها سنة ٥٧٨- ٥٨١هـ، وهي التي أَلَّف فيها رحلته. ومن كتبه: «نَظم الجُمان في التشكي من إخوان الزمان» وهو ديوان شعره، و«نتيجة وَجْد الجَوانح في تأبين القَرن الصالح» وهو مجموع ما رثى به زوجته (أم المجد). انظر «الأعلام» (٥/ ٣١٩- ٣٢٠).

لا توجد في مصدر آخر عن الهند. كذلك معلوماته عن (مالديف)، وكذلك معلوماته عن شمال الأرض. حتى إن بعضهم اتهمه، وأظن أنه السَّخاويّ، وقال: «إن الرجل كذّاب؛ لأنه ذكر أمرين يصعب تصديقهما عقلاً: أولهما أنه ذَكَرَ أن المرأة من كُفّار الهنود [كانوا يُسمّون الهَنادك في ذلك الوقت كُفّار الهنود؛ لأن الدين الهندوكي ليس دينًا واحدًا، والهَنادك ليسوا على دين واحد، وإنما كانوا يُسمُّونهم كُفّار الهنود؛ لأن لهم مذاهب كُفريَّة متعددة]. قال: إن ابن بطوطة يقول: إن المرأة من نساء الكُفّار إذا مات زوجها أحرقوه في النار [وهذه عادة لهم، فكل من مات أحرقوا جثته بالنار]. قال: ولكن الزوجة يحرقونها حَيَّة مع زوجها، وتدخل النار طائعة مختارة. وأن ابن بطوطة ذكرَ: أنه شاهد ذلك، وشاهد أنها تُغَنِّي، وأنها تدخل إلى النار تتظاهر بالشجاعة وبعدم المُبالاة بإحراقها بالنار. قال: وهذا أمر مخالف للعقل! وقال: الشيء الثاني الذي يؤخذ على ابن بطوطة ممَّا يخالف العقل أيضًا أنه ذكرَ: أن في بلاد البُلغار [المقصود بذلك ليس جمهورية بُلغاريا الموجودة في البَلقان، بل المقصود بلاد البُلغار القديمة الموجودة في أعالي نهر (الفولفا)، وهي الآن تقع أَمْيَل إلى جهة الشمال من موسكو، يعني تقع إلى الشرق من موسكو مع مَيْل إلى الشمال، أي إلى القرب من القطب الشمالي أو المنطقة المتجمدة الشمالية] قال: إن الناس لا يعرفون ركوب الدواب؛ لأن الدواب لا تستطيع أن تسير في تلك البلاد، وإنما يركبون عربات على الثلج تجرها الكلاب» هكذا قال ابن بطوطة. وقال: وهذا غير صحيح. ثم ثبت الآن علميًّا أن كل ما ذكره ابن بطوطة في هذا الأمر صحيح. وصحيح أن لـــه أوهامًا أخرى، ولكن هذه الأوهام لا تُعدُّ شيئًا بالنسبة إلى حسناته، وإلى المعلومات التي ذكرها. وقديمًا قيل: «كفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبه».

فالذي أستطيع أن أقول: إنني انفردت به حتى الآن ـــ ولا أريد من ذلك فخرًا أو ذكرًا؛ لأن ذلك لا يستحق، وإنما لبيان الواقع ـــ هو أن عدد الرحلات التي كتبتها حتى الآن، وقد بلغت مئة وواحدًا وأربعين كتابًا، لم أرَ مَن سبقني إليها ممن كتبوا في اللغة العربية منذ أن بدأت الكتابة بالعربية إلى الآن، ونحن

نعرف أن العدد موضوع مادي، بمعنى أن خمسة أكثر من ثلاثة، وأربعين أقل من خمسين، وهذا أمر مادي معروف. وأمَّا بالنسبة إلى الكيف فهذا حكمه للقراء، وهذا هو الجواب عما ذكرتموه.

- معالي الشيخ: بما أنكم ذكرتم اللغة العربية قبل قليل، هل كانت اللغة عائقًا لكم في رحلاتكم الكثيرة ؟

- اللغة، إذا أُريد الاحتكاك بعامة الناس فهي ـــ بلا شك ـــ عائق، ولكننا نتلافى ذلك عن طريق الاتصال بأئمة المساجد، وبرؤساء الجمعيات الإسلامية، وكلهم يعرف العربية. كما أنني أعرف شيئًا من اللغة الإنجليزية، وهي لغة عالمية، وإن كانت لا تُغْني في كل مكان في الأرض، ولكن يستطيع الإنسان أن يجد من يُكلِّمه بالإنجليزية في المَواطِن التي يحتاج إليها مثل: الطائرات، والفنادق، والبنوك، وغيرها... والباقي يكون عن طريق مترجمين.

- معالي الشيخ: ذكرتَ قبل قليل أن عدد ما كتبت من الرحلات بلغ مئة وواحداً وأربعين كتاباً. فهل هذه الكتب كلها مطبوعة؟

- لم يُطبع منها إلا تسعة وخمسون كتابًا، ومعظم البقية إن لم تكن كلها جاهزة للطبع، ولكن الطبع، كما تعلمون، يحتاج إلى استعداد. فهناك مثلاً: التصحيح (تصحيح تجارب الطبع)، وكذلك الخَزن، وكذلك التسويق بالنسبة إلى الناشرين. فهذا الأخير عائق في بعض الأحيان عن الإكثار من النشر، وأمَّا البقية فلا عائق فيها.

وبهذه المناسبة أحب أن أُنوِّه بما تقدمه وزارة الإعلام لهذه الكتب، كتبي وأمثالها من المؤلَّفات السعودية، وذلك لكونها تشتري في كثير من الأحيان مقدارًا من النسخ من هذه الكتب بالسعر المحدد (أي: من دون عُمولة)، وهذا يكون في صالح المؤلِّف. وأود أن أوضح ذلك: إذا كان الكتاب يُكلِّف أربعة ريالات، يعني

أنفقت على النسخة الواحدة أربع ريالات، فإنك إذا أردت ألاّ تخسر فلا بُدَّ من أن تجعل سعره عشر ريالات؛ لأن الموزِّع يأخذ ما بين ٤٥ % و٥٠ % ، ثم يذهب جزء من الكتاب بين هدايا ونسخ ضائعة، ولا يبقى للمؤلِّف إلا نحو ٤,٥ % . فإذا اشترت وزارة الإعلام نسخًا من هذا الكتاب بالسعر المحدد، وهو عشر ريالات، فإن المؤلِّف يوفِّر لنفسه ما كان يتقاضاه الموزِّع لهذا الكتاب.

- لنا عودةٌ أخرى - فضيلة الشيخ - إلى موضوع الرحلات. ولكنني أحب أن أعرِّج على موضوع آخر. وهو أن الكتابة في الرحلات جانب من جوانب متعددةٍ من نشاطكم الثقافي والعلمي. ومن تلك الجوانب الكتابة في التاريخ والجغرافيا والمواقع التي أعتقد أنها أخذت حيِّزًا وافرًا من جهودكم. و«معجم بلاد القصيم» أعتقد أنه شاهد على ما ذكرت. كيف تقوِّمون مثل هذا التوجُّه. والحاجة إليه لخدمة تاريخ هذه البلاد وتراثها ومواقعها؟

- أعتقد أن كتابًا مثل كتابي «معجم بلاد القصيم»، والكتب المشابهة له عن مناطق أخرى في المملكة هي كتب مهمة، ليس ذلك لكوني أحد المؤلِّفين في هذا المجال، وإنما لكوننا بحاجة ماسَّة إلى أمور متعددة من هذا التأليف، وأذكر من ذلك أمرين:

الأمر الأول: هو تحقيق الأماكن التي وردت في الكتب القديمة، والأشعار، والأحاديث النبوية. ففي حديث صحيح: أن الرسول ﷺ أرسل سَرِيَّة إلى (قَطَن)(١). و(قَطَن) هذا جبل معروف الآن، ولا يزال اسمه لم يتغير، وهو يقع في عالية القصيم. وورد (قَطَن) في أشعار كثيرة، يقول الشاعر:

ليس لعَبْسٍ جَبَلٌ غَيْرَ قَطَنْ (٢)

---

(١) بعث الرسول ﷺ بعد غزوة أُحد سَرِيَّة إلى (قَطَن)، وعَقَدَ لواءها لأبي سَلَمَة بن عبد الأسد رضي الله عنه.

(٢) بيت من الرجز وقبله: أين انتهى يا ابنَ الصُّمَيْعاء السَّنَنْ
و(قَطَن) تنطقه العامة (قِطَن) بكسر القاف، وهو جبل أحمر شديد الحُمرة، ويقع في غرب القصيم على بعد نحو ١٧٠كم من (بُرَيْدَة)، يراه المسافر من القصيم إلى المدينة المنوَّرة على يمينه قبل أن يصل

وهنالك أشياء كثيرة مثلاً: (بُطَاح) الذي وقعت فيه الواقعة المشهورة، وقيل: إن المسلمين قتلوا فيه مالك بن نُوَيْرَة، ورثاه أخوه مُتَمِّم بن نُوَيْرَة، وأنهم قتلوه ومن معه بعدما أعلنوا إسلامهم! بطبيعة الحال هذا غير صحيح، ولكن وردَ اسم (البُطَاح)، و(البُطَاح) لا يزال على اسمه القديم، وهو موجود في منطقة (الرَّسّ)[1].

وهنالك أماكن كثيرة من مَواضِع الحِمى التي حَماها الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ أبو بكر وعمر، وفي خلافة عثمان ﷺ بلغ عدد إبل الصدقة التي في الحِمى ثمانين ألفًا.

ولا بُدَّ من التعريج على هذا بكلمة توضحه، وهو أن الخليفة ـــ خصوصًا في عهد الفتوحات ـــ يحتاج إلى جيش، والجيش يحتاج إلى من يحمله، والذي يحمل الجيش في ذلك الوقت من الحيوان هو البعير؛ لذلك كان يأخذ إبل الصدقة، يعني إبل الزكاة التي هي من أموال المسلمين إلى جانب ما يبتاعه هو، أي أن يشتري من بيت المال نَعَمًا (والنَّعَم هي الإبل)، ثم يرسلها إلى مَراتِع جيدة؛ لكي تنمو وتتزايد من أجل أن يحمل عليها جيوش المسلمين إلى الغزو والفتح في سبيل الله.

فلم يجد الصحابة في ذلك الوقت موضعًا أحسن مرتعًا، وقال العلماء الأوائل: إنه مغبوط بالسَّيْل، أي قلَّما يُخْلِفه المطر إلا (حِمى ضَرِيَّة)، و(ضَرِيَّة)، كما نعلم، هي في عالية القصيم، ولسبب اختيارها للحِمى وردت نصوص كثيرة سواء أكان في الأشعار، أم في الأخبار، أم حتى في أساطير العرب الأولى[2].

إلى (عقلة الصقور). انظر الكلام عنه مفصلاً في «معجم بلاد القصيم» (٥/ ٢٠٦٤- ٢٠٧٨).

(١) وينطقه العامة (البْطَاح) بإسكان الباء، وهو وادٍ مشهور. انظر الكلام عنه مفصلاً في «معجم بلاد القصيم» (٢/ ٥٩١- ٥٩٧).

(٢) وينطقه العامة (ضِرِيَّة) بكسر الضاد. انظر الكلام عنه مفصلاً في «معجم بلاد القصيم» (٤/ ١٤٠٦- ١٤٣٧).

فكان لا بُدَّ للمُحقِّق أن يتحقَّق من أسماء هذه المَواضِع، فبعضها بقي على اسمه القديم ـــ كما قلت ـــ ومنها (ضَرِيَّة)، وبعضها تَغيَّر: فالشُّبَيْكيَّة لم يكن اسمها (الشُّبَيْكيَّة)، وإنما كان اسمها (النُّتَاءَة)[1]. وكذلك هنالك جبل عظيم اسمه الآن (المُوَشَّم)[2] ، وفي القديم كان يسمَّى (القَنَان). فلا بُدَّ من الدراسة والبحث لإرجاع الأسماء القديمة، والتعرُّف إليها إذا كانت قد تَغيَّرت.

والأمر الآخر: سلامة نطق أسماء المواضع، فقد لُوحظ أن الكثير من المذيعين، والقراء، وغيرهم لا يَنطقون باسم العَلَم المَكاني (أي المَوضِع) نُطقًا صحيحًا في أغلب الأحيان؛ لأنهم لا يعرفونه. فمثلاً: سمعت بعضهم في الإذاعة يَنطق (المُذْنَب): المُذَنَّب! و(المَجْمَعَة): المُجَمَّعَة!؛ وذلك لأنهم ليسوا من أهل المنطقة، وليس عندهم معجم يستطيعون أن يرجعوا إليه.

فأُريد من تأليف هذه المُعْجَمات أن تَسُدَّ هذا الفراغ الموجود، وبالفعل نحن اجتهدنا، وقد طُبع كتابي «معجم بلاد القصيم» في ستة مجلَّدات، كما هو معروف، وأرجو أن يكون قد أدَّى بعض الغرض المطلوب منه.

- معالي الشيخ: نرجع إلى الرحلات. فما أغرب البلاد التي زرتموها في رحلاتكم؟

- الغرابة تختلف؛ إذا كان المراد بذلك الغرابة في الجَوّ فهذا شيء، وإذا كان المراد الغرابة في العادات فهذا شيء، وإذا كان المراد بالغرابة ـــ وهي الأشنع من جميع أنواع الغرابات ـــ في فهم المسلمين للإسلام، أو مدى فهم المسلمين للإسلام فهذا شيء آخر مختلف.

---

(١) وقد حقق العبودي هذا الاسم في كتابه «معجم بلاد القصيم» (٣/ ١١٩٨- ١٢٠٦).

(٢) كذا تنطقه العامة (المْوَشَّم) بإسكان الميم الأولى مع إدغام (أل) فيها فواو مفتوحة فشين مشددة مفتوحة فميم ثانية في آخره، على صيغة اسم المفعول من وشّمه، والصحيح لغة ـــ كما لا يخفى ـــ بضم الميم الأولى هكذا (المُوَشَّم)، ولكن كذا جرت العادة في نطق العامة. وقد حقق العبودي هـذا الاسم في كتابه «معجم بلاد القصيم» (٦/ ٢٣٤٨- ٢٣٦٥).

لقد رأينا في بعض الأماكن في بلاد البَلطيق، وبلاد البَلطيق ــ كما نعلم ــ مؤلّفة من ثلاث دول وهي: (لِيْتوانيا)، و(لاتيفيا)، و(أُستونيا) وجدنا فيها غرابة شنيعة. وهنالك غرابة في بلد آخر غير بعيد منها، وهو بولندا، ولكن هنالك فرق في الغرابة بينهما فبولندا أسهل في هذا الأمر.

أذكر أننا عندما زرنا مدينة (بيواستك) في بولندا، ومدينة (بيواستك) هي المدينة الرئيسة التي فيها أكبر عدد من المسلمين، وكان رئيس الاتحاد الإسلامي في ذلك الوقت اسمه مصطفى موخارسكي، وذهبنا إلى المسجد، وهو مسجد تاريخي، حتى إن الحكومة امتنعت من أن تأذن لهم بترميمه؛ لأنه مسجد قديم، وعَدَّته من الآثار القديمة التي تجب المحافظة عليها. صلّينا معهم، وبعد الصلاة قام الأخ مصطفى موخارسكي خطيبًا في المسلمين، وقال: «أيها المسلمون: إن معنا الآن أوّل مرَّة وَفْدًا من إخوانكم من (مكّة المكرَّمة)». وقال: «أول وَفْد يأتي إلى بولندا إلى هذه البلاد، وهذا الوَفْد يرأسه فلان محمد العبودي، وينبغي أن تنتهزوا الفرصة، فكل مَن كان عنده شيء يُشْكِل عليه في أمور دينه يَنتهز هذه الفرصة، ويسأل إخوانه القادمين من (مكّة المكرمة)» وأشار إلي.

فقال إمامهم ــ ويُفترض أن إمامهم أفقههم في الدين ــ: يا فلان، كم ركعة في صلاة الجمعة؟

الحقيقة أنا استغربت هذا السؤال! ولكن لا بُدَّ من أن أجيبه بطريقة علمية مفيدة.

قلت له: ركعتان.

فالتفت إليهم وقال: ألم أقل لكم: إنها ركعتان؟

هذا الإمام كان عنده شك، ولكن غلب على ظنه أنها ركعتان، والآخرون لم يُصدِّقوه.

- **كان عندهم اختلاف فيها أيضًا.**

- كان عنده شك في هذا، بمعنى أنه ليست عنده معرفة دينية.

نحن في الحقيقة لا نَذكر هذا لكي نُشنِّع عليهم؛ لأنهم من بقايا إخواننا المسلمين التتار الذين فقدوا دولتهم الإسلامية قبل ستمئة سنة، عندما تحالفت عليها قوى الشرّ وهي: القوة الروسية في ذلك الوقت، والقوة اللتوانية، وقوى أخرى. ثم جاء الشرّ الأعظم عليهم ليس من أولئك القوم المعادين، وإنما من صنيعهم هم أنفسهم؛ فقد اختلف المسلمون فيما بينهم، وصاروا يتحاربون، ويستعين بعضهم على بعض بالكُفّار حتى ذهبت دولتهم. فهؤلاء المسلمون الموجودون في بولندا، وأوروبا الشرقية، وفي بعض أنحاء روسيا هم من بقايا الدولة الإسلامية العظيمة التي تُسمَّى بلغتهم (آلتن أوردو)، ومعناه القبيلة الذهبية، هكذا كانت تُسمَّى.

وأصلها دولة تتارية مسلمة أول من أسسها (الخان)، والخان هو الملك الكبير بلغة التُرك والمغول، ولذلك (جنكيز خان) معناها الملك الكبير جنكيز. فالخان (بَرَكَة خان) وهو حفيد لجنكيز خان، وهو أول من أسلم من ملوك المغول الكبار، وأسس دولة إسلامية كبيرة، ومن محاسنه أنه هو الذي خَضَدَ شَوْكَة[1] ابن عمه السفّاح المشهور (هولاكو)، الذي ــ كما نعلم ــ خرّب بغداد، وقتل الخليفة المستعصِم، وعمل الفضائع مع جنوده في بغداد، كما هو معروف.

وهنالك أسباب معروفة لهذه الهزيمة، ولكن السبب الظاهر لها أن (بَرَكَة خان) هو الذي حارب ابن عمه (هولاكو) وكسره، حتى أصبح مهمومًا مريضًا يَعتاده الصَرَع، ثم مات بسبب هزيمته. هذه الدولة التي أنشأها (بَرَكَة خان) استمرت نحو أربعة قرون، ثم اضمحلت بسبب عوامل كثيرة متعددة لا داعي إلى ذكرها هنا.

---

(١) خَضَدَ الشجرَ: نزع الشَّوْكَ عنه، ويقال: «فلان خَضَد شَوْكَة فلان» أي: كَسَرَ حدَّتَه. وفي محكم التنزيل: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ* فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧-٢٨].

وهؤلاء الإخوة المسلمون في بولندا، وفي دول البَلطيق التي سنتكلم عن اثنتين منها بعد قليل، إن شاء الله، هم بقايا من المسلمين الذين كانوا ساكنين هنا، ولكن انقطعت صلتهم بالبلدان الإسلامية؛ لأنهم استولى عليهم الروس، وغيرهم من اللتوانيين ومن البولنديين النَّصارى المتعصبين في ذلك الوقت. ومع ذلك حافظوا على مجرد الاسم وجود الإسلام، فأصبحوا أسوأ حالاً ممن ورد ذكرهم في الحديث بأنه: «لم يبقَ عندهم من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه»[1] فقد بقي عندهم من الإسلام اسمه، ولكن لم يَبق من القرآن رسمه؛ فليس عندهم مصاحف، ولا يستطيع بعضهم لو وُجِدَ عنده مصحف أن يقرأ القرآن. وهؤلاء الإخوة بلغ بهم الجهل إلى ما ذكرته.

ومن توفيق الله سبحانه وتعالى أن الرابطة أرسلت إليهم بعض الدعاة، وقدمنا لهم من الرابطة مساعدات على المساجد، وعلى بعض الأمور الثقافية. ولا تزال الرابطة تقدم، ولا تزال حاجاتهم تتجدد ــ ولله الحمد ــ إلى الدعوة الإسلامية؛ لأننا نسمع بين الفينة والأخرى أن مجموعة من المسلمين في بلد لم نكن نعرفها من تلك البلاد (يعني في قرية أو مدينة منعزلة)، يريدون أن يؤلفوا جمعية، وأن يبنوا مسجدًا، وأن يكون عندهم إمام... فالرابطة تعمل ما تستطيع في هذا الأمر، والجهات الأخرى الرسمية وغير الرسمية في المملكة العربية السعودية أيضًا تبذل جهدها في هذا الأمر.

الغرابة الشنيعة الثانية، وهي أشنع من الأولى، أننا ذهبنا إلى مدينة خارج (فيلونس) عاصمة (لِتْوانيا)، هذه المدينة ذُكِرَ أن فيها مسجدًا، وهي تبعد مئة وخمسين كيلو مترًا إلى الجنوب الغربي من العاصمة، فذهبنا إليها لرؤية هذا المسجد، وليس المراد الرؤيا وحدها، وإنما الاجتماع بالإخوان المسلمين.

وقد أرسلنا لهم قبل ذلك وقلنا: نحن سنأتي، فلتجتمعوا حتى نتدارس أمور التعاون، وكيفية التعاون بينكم وبين رابطة العالم الإسلامي؛ لأن لهم جمعية

---

(١) ضعيف جدًّا. انظر «مشكاة المصابيح» (رقم ٢٦٦).

إسلامية معترفًا بها. ففرحوا بذلك؛ لأننا أول وَفْد يأتي إليهم ــ كما قالوا ــ بهذه الصفة من (مكّة المكرَّمة)، وإلا ربما جاءهم أحد من المسلمين من البلاد الإسلامية الأخرى، وخصوصًا من أقطار الخليج. فلمَّا جئنا إليهم رأينا المسجد مبنيًّا من الخشب، وقالوا: هكذا بُني من الخشب قبل ثلاث مئة سنة، ولكن الشيوعيين صادروه، وعندما هُزمت الشيوعية استعاده المسلمون.

ومن الطرائف والغرائب أننا رأينا شجرة ضخمة بحيث لو وقف على جذعها ــ الذي بقي منه نحو المتر أو أقل من المتر ارتفاعًا ــ ثمانية رجال لوسعهم. فقلت لهم: لماذا هذه الشجرة يترك جذعها هكذا مقصوصًا ومتروكًا؟

قالوا: هذه الشجرة بُني منها المسجد، فنحن بنينا المسجد بالأخشاب، المسجد كله مبني بالأخشاب، ولا يزال بالأخشاب، فنحن لا نريد أن نحرق جذعها.

فجلسنا معهم في مكان، بعضهم قدَّم الشاي، وبعضهم الفطائر المصنوعة من التفاح، فطائر في قلبها تفاح؛ لأن المِنطقة تنتج التفاح، وليس فيها من الفاكهة سوى التفاح؛ لأن التفاح ينمو في البلاد الباردة لكن بالنسبة إلى بعض الفواكه التي تنمو في البلاد المعتدلة كالبرتقال والعنب لا يوجد.

فقلت لهم : أين الإمام؟

فقالوا: هذا فلان.

فقلت لــــه: ينبغي يا أخي أن تَعرف أن إخوتنا المسلمين في هذه المِنطقة قد مضت عليهم عهود طويلة في زمن الشيوعية، لا يسمعون فيها ذكرًا لله، وقد مُنع عليهم التعليم الديني، وقد تعرَّضوا فوق ذلك إلى حملات الإلحاد؛ لأن الدولة الشيوعية مبدؤها الإلحاد، فهي ليست كالدول العلمانية الموجودة في أوروبا كفرنسا مثلاً، والدولة العلمانية لا تتدخل في شؤون الدين لا منعًا ولا حثًّا، ولا تعترض على أحد، ولكن مبدأها لا ديني (أي ليس لها دين)، ولكنها لا تُعادي الدين، بمعنى لا تقف ضد الدين. لكن بالنسبة إلى الدول الشيوعية هي ضد الدين، ومذهبها الإلحاد.

وقلت له: ينبغي أن تتعهد إخوتنا المسلمين في الإيضاح والإرشاد يوم الجمعة.

فقال: نعم، أنا أفعل ذلك.

قلت له: إن شاء الله نرجو أن يكون كافيًا.

قال: نعم، في كل شهر مرَّة.

قلت لـــه: كيف يكون ذلك؟ واستفهمت من رئيس الجمعية الذي كان حاضرًا، ومن نائبه، ونحو عشرة من المسلمين، ومعي اثنان من الرابطة.

فقلت: كيف يكون ذلك في الشهر مرَّة؟

قال: نحن نُصلي الجمعة في أول كل شهر عربي مرَّة، ثم نصليها في الشهر القادم مرَّة!.

قلت له: مَن الذي قال لكم ذلك؟

قال: مرَّة واحدة تكفي جمعة!

بلغ من جهلهم أنهم لا يعرفون أن الجمعة واجبة في كل أسبوع، هذا في (لِيْتوانيا).

أمَّا في (لاتفيا) وعاصمتها (ريقا) فقد ذهبنا إلى الجمعية الإسلامية، ويسمّونها (الجمعية التتارية)؛ لأن المسلمين، كما قلنا، هم من بقايا التتار.

- هذه كلها في البَلطيق.

- نعم على (بحر البَلطيق).

ومثل (لِيْتوانيا) ذهبنا إلى (لاتفيا)، وهي مجاورة لها، وتقع إلى الشمال من (لِيْتوانيا) بالضبط، ولذلك ذهبنا إليها بطريق البَرِّ نحو ثلاثمئة كيلو متر أو قريب من ذلك، فاجتمعنا مع المسلمين، ولاحظت أن العاملين في الجمعيات الإسلامية من النساء أكثر من الرجال، ولكنهن من الأخوات المُسنَّات، هذا بطبيعة الحال ليس مهمًّا لنا إلا من ناحية أنه عندما حان وقت الظهر، قامت امرأة من الأخوات المسلمات، وفرشت سجادة معها، وأخذت تصلي وحدها.

قلنا لها: انتظري الوقت متسع، نحن نصلي بعد ذلك.

قالت: لا، أنا أصلي الصلاة في وقتها.

فصلّت، ونحن لم نُصَل؛ أولاً لأننا مسافرون، وثانيًا لأن الوقت متسع لثلاث ساعات؛ لأن الظهر في الصيف طويل عندهم. المهم أننا بعد هذا عندما أردنا أن نذهب قلنا لهم: سوف نصلي معكم ظهرًا تصلون الظهر، ونحن نصلي الظهر والعصر جمعًا جمع تقديم؛ لأننا سوف نسافر بالسيارة إلى (أُستونيا) الدولة الثالثة التي تقع عنها شمالاً في بحر البَلطيق.

قلت لهم: أين إمامكم؟

فقدموه لنا بأنه الإمام حسن بن نور الإسلام.

قلت له: ما عملك يا أخانا الإمام؟

قال: أنا متقاعد، كنت موظفًا في الدولة.

والناس طبعًا في زمن الشيوعية كلهم موظفون عند الدولة، إلا المزارعين، ولكن المزارعين تأخذ الدولة منهم منتوجهم، وتعطيهم البذور. يعني لها علاقة بهم كأنهم موظفون عندها، والحمد لله الآن الشيوعية ذهبت، ولكن بَقيت آثارها.

فقلت له: نريد أن نصلي خلفك.

قال: صلوا أنتم، فأنتم قادمون من (مكّة المكرمة).

قلت: لا، نحن نريد أن نصلي خلفك.

وأنا في الواقع أقصد من ذلك في أماكن كثيرة من العالم أن أترك الإمام الراتب يصلي، من أجل أن أطلع على كيفية صَلاته؛ هل يحتاج الأمر إلى إرشاد أو نصيحة؟ فننصحه، وإذا كان جيدًا عرفنا مقدار جودته، وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم إنه تكريم للإمام إذا جاء وَفْد من (مكّة المكرمة) وصلّى خلفه بدلاً من أن نستأثر نحن بالإمامة.

فقلت لـــه: نصلي خلفك، ثم بعد ذلك نصلي العصر ركعتين مجموعة بعد أن تفرغوا من صلاة الظهر.

فقال: طيِّب، فصلى بنا الظهر ركعتين.

ولاحظت أنه يَجهر بكل شيء فيهما، حتى بالتسبيح والتحميد وربي اغفر لي ولوالدي وفي التحيات لله... إلخ. صلى ركعتين وسلَّم.

الحقيقة اتهمت ذاكرتي وحفظي؛ ربما كان اليوم يوم الجمعة، مع أن الجمعة لها خطبة لكن ربما. والتفت وسألت أحد الإخوة اليوم ما هو؟

وهذا مسجل عندي، والكتاب مُعدٌّ للطبع.

قالوا: اليوم يوم الثلاثاء.

قلت له: يا أخي اليوم الثلاثاء، فكيف تصلي ركعتين؟

قال: هكذا رأيت العرب يصلون الظهر.

قلت له: مَن هم العرب؟

قال: كان عندنا في المعهد التكنولوجي. كان في الحكم الشيوعي أنهم يجعلون معاهد تكنولوجية، أي تجريبية خاصة، وكُلِّيَّات الهندسة في جميع المدن في الاتحاد السوفيتي، ثم يأخذون منحًا دراسية من بعض البلدان العربية، وأحيانًا لا يقدمون منحًا، وإنما تكون برسوم دراسية رمزية قليلة. وفي المعهد التكنولوجي في (ريقا) عاصمة (لاتفيا) يوجد معهد تكنولوجي، ويوجد خمسون من الطلبة من البلاد الإسلامية، فتقدموا إلى إدارة الجامعة وقالوا: نريد أن تأذنوا لنا أن نصلي الجمعة في غرفة من الغرف، فأذنت لهم الجامعة بعدما انتهت الشيوعية، ففي الشيوعية ممنوع. فحضر الصلاة معهم يوم الجمعة فرآهم يصلون الجمعة ركعتين، فظن أن الظهر ركعتان.

كما قلت، ولم نضحك منه، وإنما أسفنا وقلنا: إن اللوم يقع علينا نحن المسلمين في الحواضر الإسلامية، لماذا لم نتصل بهم من قَبل؟ ولا أريد من ذلك

الرابطة أو المملكة العربية السعودية، وإنما كل المسلمين القادرين في العالم الإسلامي، فهناك قيادات وعلماء وإمكانات ورجال، فلماذا لم نتصل بهم؟ لماذا نتركهم؟

فشرحت لهم بطريقة واضحة أن هذا لا يجوز، وأن صلاة الظهر غير صلاة الجمعة، وأنه ينبغي كذا وكذا، ووعدناهم بأن نرسل إليهم مَن نُعيِّنه عندهم مرشدًا لهم.

هذه من الغرائب الشنيعة، وهنالك غرائب ليست شنيعة، ولكنها تتعلق بالعادات والتقاليد وبالجَوّ. وفيما يتعلق بالجَوّ فإن من أغرب الأشياء أنني ذهبت إلى مدينة (مورمانسك) في شمال روسيا، وذلك في اليوم ٢١ من شهر يونيو الإفرنجي، فوجدت أن الشمس في ذلك اليوم لا تغرب مطلقًا عن الأفق، وإنما تدور حول الأفق ٢٤ ساعة.

كان ذلك في أواخر عهد الشيوعية أي قبل أن تنتهي الشيوعية، وكانت الحكومة هي المسيطرة في ذلك الوقت عندما أدلينا لها برغبتنا في الذهاب إلى هناك، وكنَّا في زيارة رسمية للاتحاد السوفيتي، وافقتْ على ذلك، وأرسلتُ إلى المسؤولين في تلك المدينة أن يستقبلونا في المطار، وأوعزت إلى المسؤولين أن يكونوا معنا في هذه الرحلة نحو أقل قليلاً من يومين (يومين إلا ساعات). فذهبنا وطرنا من مطار الشمال في موسكو، وموسكو فيها ثلاثة مطارات ضخمة كبيرة، وهذا المطار الذي اسمه (مطار الشمال) يتجه إلى جهة الشمال. وطرنا إلى مدينة (مورمانسك) التي تبعد ألفًا وثمانمئة كيلو متر من موسكو شمالاً، ولَمَّا وصلناها وهي واقعة في المنطقة الشمالية، ومعنى اسم (مورمانسك) الميناء الشمالي أو المدينة الشمالية، كما أَخبرونا باللغة الروسية وأنا لا أُجيدها، لكن هكذا قيل لنا عن معنى اسم المدينة ــ وجدنا الشمس لا تغيب مطلقًا، واستقبلَنا مستقبلون منهم: مدير شؤون الأديان وهو حكومي، والمسؤول عن الكنيسة.

قالوا: لا يفرقون، أنت رجل دين، وهذا رجل دين، جعلوه يستقبلنا ويكون معنا.

وليس عندهم إلا كنيسة واحدة، كنيسة روسية طبعًا، والروس يعتنقون مذهب الأرثوذكس، كما نعرف، وكان معنا رئيس البلدية، وأحد مسؤولي الحكومة، هؤلاء الأربعة كانوا دائمًا معنا. فلمَّا جلسنا نحن وإيَّاهم في المطار عملوا لنا جلسة وسجلوا حلقة للتلفاز، سألونا عن أشياء كثيرة تتعلق بالمسلمين، وقالوا: أنتم أول وَفْد إسلامي يأتي إلى هذه البلاد، فالناس في هذه المدينة محتاجون إلى أن يعرفوا شيئًا عن الإسلام، وما هي وظيفة الإسلام في الحياة؟ تكلمت بما هداني الله إليه عن الإسلام ممَّا يتفق مع مفهومهم للحياة، وبطبيعة الحال لا يخالف القواعد الإسلامية.

وبعد ذلك قالوا لنا: أنتم ضيوفنا، ونريد أن نضع البرنامج، لكن اعلموا أننا نحن في بلادنا هنا ليس عندنا غروب ولا شروق، فإن أحببتم أن يكون البرنامج في الساعة الخامسة بعد منتصف الليل أو الساعة الخامسة قبل منتصف الليل كله واحد عندنا؛ لأن الشمس مشرقة، ولا يوجد ليل ولا نهار اختاروا ما شئتم!

فعجبنا لهذا، قلنا لهم على كل حال مسألة البرنامج أنتم أعلم بالوقت المناسب، ولكن الحيرة جاءت إلينا نحن كيف نعمل بالصلاة، فاتفقنا فيما بيننا على أن نُقَدِّر، كما ورد في الحديث في أيَّام الدجَّال أنه: يُقَدَّر للأوقات[1]. فاتفقنا فيما بيننا على أن نصلي الظهر الساعة الثانية عشر ظهرًا، والعصر الساعة الثالثة ظهرًا، وهذا اصطلاحي، فليس هنالك ظهر ولا ليل، وأن نصلي المغرب الساعة

---

(١) يُشير الشيخ إلى الحديث الصحيح عن أيَّام الدجَّال، وفيه سؤال الصحابة للرسول ﷺ عن لُبث الدجَّال في الأرض، قال ﷺ: «أربعونَ يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجُمعة، وسائرُ أيَّامه كأيَّامكُم. فقلنا: يا رسولَ الله! هذا اليومُ الذي كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ وليلة؟ قال: لا، اقْدُرُوا لــه..» الحديث، رواه أبو داود في سننه: في كتاب الملاحم (باب خروج الدجَّال)، الحديث (٤٣٢١)، والترمذي في صحيحه: في الفتن عن رسول الله ﷺ (باب ما جاء في فتنة الدجَّال)، الحديث (٢٢٤٠)، وابن ماجه في سننه: في أبواب الفتن (باب فتنة الدجَّال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج)، الحديث (٤٠٧٥)، وأحمد في مسنده، ج ، ص .

السادسة مساءً، وليس هنالك مساء، ولكن اصطلاحي وتقديري بساعاتنا التي معنا، والعشاء كذلك الساعة الثامنة.

والأغرب من هذا أنه تأتي لهم أوقات لا تطلع فيها الشمس مطلقًا، في مقابل كونها الآن موجودة عندهم طوال الليل والنهار، وذلك لا يكون دائمًا، وإنما في أيام معدودة، ثم يتناقص وجودها يتناقص يتناقص إلى أن تغيب عنهم مطلقًا، وذلك في نهاية شهر أكتوبر، ولا تأتي إليهم إلا قبيل دخول إبريل أي في أواخر مارس، وأكبر عيد وطني عندهم في هذه المنطقة يوم عيد الأول من إبريل، يُسمّونه يوم عيد الشمس أو يوم عودة الشمس! تصوَّر لأنهم لا يرون الشمس قبل ذلك، فأحسن ما عندهم أن يروا الشمس في ذلك اليوم؛ فَسَمَّوْهُ عيدًا لهم.

هي الآن تابعة لأي جمهورية؟

هذه تابعة لروسيا، وهي لا تبعد عن عين القطب الشمالي إلا ألفًا وثمانمئة كيلو متر، ولكن ألف وثمانمئة كيلو متر داخل منطقة القطب، المعنى من عين منطقة نحن ذهبنا من موسكو إليها شمالاً، فإذا ذهبنا منها إلى القطب شمالاً فإننا نظل نمشي شمالاً حتى نصل إلى عين القطب، ثم نصير متجهين جنوبًا وإن لم نُغيِّر اتجاهنا، هذا معنى عين القطب.

فهذه من غرائب الموقع والجَوّ. ومن الغرائب العظيمة العجيبة أننا رأينا عندهم أشجارًا، يمكن أن يكون عمر أمثال هذه الأشجار في بلادنا سنة أو ثمانية شهور.

قالوا: هذه عمرها مئة سنة، وقد نقشوا عليها عمرها.

قلت: كيف يكون ذلك ؟

قالوا لي: إنها لا تحيا إلا في أيامٍ من شهر يونيو، فلا تستطيع أن تُسابق الزمن وتطول، وليس عند هذه الأشجار إلا عشرون يومًا أو شهر أو خمسة عشر يومًا لتُوْرِق، إذا ما انفك عنها البرد الشديد، ثم يأتيها الشتاء فتقف، لذلك تكون قصيرة (مثل القزم الذي يمنعه من الطول موانع).

ونحن عندما وصلنا إليهم كانت درجة الحرارة ثلاثًا فوق الصفر، وتعني ثلاث فوق الصفر أن هذا أمر شديد. وكان الثلج الذي يُسمّونه أزليًا، عندهم نوعين: نوع يذوب في الصيف، وهذا شيء عادي، ونوع يسمّونه أزليًا لا يذوب أبدًا، فالثلج الأزلي كان موجودًا عندهم، وليس بكثرة، وإنما نحن وقفنا عليه وصوَّرناه.

فهذه من الغرائب، وهنالك أشياء كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

* * *

الفصل الخامس

العبودي جغرافيًّا

فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ   وهب هبوب الريح في البر والبحر

المبحث الأول: المعجم الجغرافي لبلاد القصيم وفكرته

المبحث الثاني: دراسة لمنهجه الجغرافي

المبحث الأول

المعجم الجغرافي لبلاد القصيم وفكرته

ليس ثمة شك في أن العلاّمة العبودي بموسوعيته السابقة استطاع أن يحتضن علم الجغرافيا بكل اقتدار، فالموهبة التي صاحبته منذ صغره في التعرُّف إلى البلدان ومواقعها، قد نَمَتْ معه، ولم يعلم أنها ستكون من أقرب العلوم إليه مباشرة. ولم تكن جغرافية البلدان التي جعلت منه مرجعًا مهمًّا موثقًا عن الدول والقارات والعواصم والمواقع، لتحول بينه وبين جغرافية الأرض وما على ظهرها أو باطنها من مشاهد وآلاء وآيات. ومَن تأمَّل كتبه في الرحلات لمس الحس الجغرافي البيِّن في طلائع كتبه، إذْ يميل إلى التعريف الجغرافي عن كل بلد بموقعه محددًا بدرجات الطول والعرض، وجميع متعلقاته الجغرافية والسكانية.

لذا تراه لا يتردد في زيارة شتى المدن والقرى والأرياف، ليرى سهولها وجبالها ومهادها.

إن هذه الغريزة الجغرافية التي صاحبت العبودي، وقادته بالفعل إلى أن يصوغ تلك الموهبة في هيئة قشيبة جميلة ينثر مواهبه ويكشف كنوزه وقدراته الموهوبة نحو هذا العلم، فكان «المعجم الجغرافي لبلاد القصيم»، وبعض البحوث العلمية الأخرى التي تناولت بعض الجوانب الجغرافية في ذلك.

المعجم الجغرافي، وفكرته:

العلاّمة العبودي أرومي العروبة متغلغل الوطنية، يعشق بلاده وتستهويه نواحيه المترامية الشاسعة التي لم يَحل اتساعها بينه وبين معرفة مواقعها وتحديد أماكنها؛ لذا كان يأنف، كغيره من الغيورين على لغتهم وبلادهم، أن يجهل القوم مواقع قد تكون قريبة منهم أو في نواحيهم.

ومن المفارقات أن رحلات العبودي العالمية، واستغراقه للبسيطة يوهم بعض الناس أنه قد يكون ضعيف المعرفة قليل الدراية بموطنه وبلده، إلا أن هذا الوهم والاحتمال اللذين يعزيان إلى العمر الطويل الذي أمضاه في رحلاته الخارجية ليسا جسيمًا، بل لقد استطاع أن ينال المطلبين، ويظفر بالأمرين، فهو الرحّالة الذي ما ترك موقعًا إلا وطئه في العالَم، وهو الآخر من أدرى الناس بجغرافية بلده ودقائقها.

وكان من أوائل من اهتم بهذا الأمر وعُني به ــ كما هو معلوم ــ علاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر- رحمه الله - الذي كان مهتمًا أيُّما اهتمام بمعرفة أسماء بعض الأماكن وتحقيقها، عند ورودها في النصوص القديمة من آثار وأخبار وأشعار. وكان يألم كثيرًا حين يستمع إلى إحدى النشرات الإخبارية أو الإذاعية، فتنطَق المواقع خطأً، ويتصرف في نطقها ولفظها.

ويشير الشيخ حمد ــ رحمه الله ــ إلى «أن اتجاه نخبة طيبة من خيرة الكُتّاب والأدباء والعلماء للعناية بالبحوث الجغرافية، اتجاه كان مفقودًا منذ عصور مع شدة الحاجة إليه»[1].

لقد أطلق الشيخ هذا النداء القوي نحو النهوض بهذه المهمة، التي ستقود إلى مشروع جغرافي كبير.

وكما هو معروف عرض الشيخ حمد الفكرة على الملك فيصل- رحمه الله، ليتم تكليف عدد من الباحثين ليعنوا بجغرافية بلادهم وتاريخها، مع تأكيد على أهمية أن يكون من أهلها الذين نشؤوا فيها والمعنيين بها.

وأبدى الفيصل - رحمه الله - تأييده للفكرة، ومناصرته ودعمه لها ماديًّا ومعنويًّا، وكان طموح الشيخ حمد الجاسر كبيرًا بحيث يكون معجمًا جغرافيًّا بحق «مع محاولة الربط بين الماضي والحاضر، فيما يتعلق بتحديد المواضع الواردة في

---

(١) معجم بلاد القصيم ١/ ٤ (مقدمة الشيخ حمد الجاسر).

الأخبار والأشعار القديمة، مع الوصف والتحديد للمواضع المعروفة، والتفريق بين ما اتفق في الاسم واختلف في الموقع ...»[1].

وبعد أن حمل الشيخ حمد ـــ رحمه الله ـــ الفكرة ارتأى أن يختار كلاًّ من:

(١) **الشيخ حمد الجاسر** نفسه «معجم شمال المملكة»[2].

(٢) **عبد الله بن خميس** يقوم بعمل «معجم اليمامة»، الذي يَعني عمليًّا إمارة منطقة (الرياض)، أي الأماكن التي تتبع إداريًّا إمارة (الرياض)، وما شذَّ عن ذلك إلا بلاد عالية نجد[3].

(٣) **الشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل** لمنطقة عالية نجد، والمسمَّى «معجم العالية»[4].

(٤) **الدكتور عبد الله بن ناصر الوهيبي** لمنطقة شمال غرب ناحية الحجاز[5].

---

(١) معجم بلاد القصيم ١/ ٥.

(٢) هو حمد بن محمد الجاسر من مواليد البرود – نجد – عام ١٣٢٨هـــ، أنشأ صحيفة اليمامة، وأسس أول مطبعة في المنطقة الوسطى (مطابع الرياض) عام ١٣٧٤هـــ، وأنشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر عام ١٣٨٦هـــ وعنها أصدر مجلسة العرب، والمعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية (٣ أجزاء) عام ١٣٨٤هـــ، وهناك الكثير من مؤلفاته وكتبه وتحقيقاته التي تتجاوز خمسين كتابًا مختلفًــا بالإضافة إلى كتاباته المتعددة، تقلد عددًا من الجوائز والأوسمة، توفي في ١٤٢١/٦/١٦هـــ.

(٣) هو عبد الله بن محمد راشد ابن خميس من مواليد الدرعية عام ١٣٣٩هـــ من مؤلفاته شهر في دمشـــق – رحـــلات ســـنة ١٣٧٥هـــ، الأدب الشعبي في جزيرة العرب – دراسات ١٤٠٢هـــ، المجاز بين اليمامة والحجـــاز – ط٢ – ١٤٠٢هـــــ، من أحاديث السمر – قصص ١٣٩٨هـــ، جبال الجزيرة – معجم جغرافي ١٤١١هـــ، أسس مجلة الجزيرة حـــتى عـــام ١٣٨٣هـــ حتى تحولت إلى صحيفة، نائب رئيس اللجنة الشعبية لرعاية أسر ومجاهدي شعب فلسطين،حاز على جـــائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـــ، ووسام مجلس التعاون في عمان عام ١٤١٠هـــ.

(٤) هو سعد بن عبد الله بن إبراهيم الجنيدل، من مواليد الشعراء عام ١٣٤٣هـــ، مارس التعلـــيم منـــذ عـــام ١٣٧٦-١٤٠٦هـــ مابين وزارة المعارف وجامعة الملك سعود، من مؤلفاته عالية نجـــد – ٣ مجلـــدات – معجـــم جغـــرافي تاريخي – دار اليمامة – ١٣٩٨هـــ، خواطر ونوادر تراثية – جمعية الثقافة والفنـــون – ١٤٠٠هـــــ، مشـــاركاته العديدة في الحركة الثقافية عبر الصحف والمجلات المحلية والعربية، نشر الكثير من البحوث والدراسات والرحلات.

(٥) هو عبد الله بن ناصر الوهيبي من مواليد الخبراء – القصيم عام ١٣٤٨هـــ، المدير العـــام للتعلـــيم – وزارة المعارف عام ١٣٨٠-١٣٨٢هـــ، الأمين العام لجامعة الريـــاض ١٣٨٢-١٣٩٢هـــــ، لـــه مقالات وبحوث في مجالات متعددة وكتاب عن "الجغرافيين العرب وكتاباتهم عن شمال الحجـــاز إلى نهاية القرن الرابع الهجري" بيروت ١٩٧٢م، حائز على جائزة أحمد أمين بمناسبة التخرج بامتياز من جامعة القاهرة كلية الآداب عام ١٣٧٦هـــ.

(٥) **الشيخ محمد بن ناصر العبودي** لمنطقة القصيم.

يقول الشيخ محمد العبودي: «وعندما عَرَضَ عليَّ الشيخ حمد أن أتولى كتابة القسم المتعلق بالقصيم من هذا المعجم المهم، كنت بين عاملين: أحدهما وجوب التعاون مع الشيخ حمد على هذا المشروع عن طريق الموافقة على تأليف «معجم القصيم»؛ لأن هذا عمل علمي ثقافي نافع[1]، وبين عدم الموافقة؛ لأنني لم أكن قد نصبت نفسي لهذا الأمر، وليس تهيـبًا من التأليف، فلقد سبق أن ألّفت كتبًا عديدة، ولكن في غير هذا الميدان ومنها «الأمثال العامية في نجد»، وبعض كتب الرحلات، ولكن الشيخ حمد ألزمني بذلك قائلاً: إنني لا أعرف شخصًا آخر يمكن أن يقوم بهذا العمل العلمي على الوجه المطلوب، بل لقد وصل به الأمر إلى أن قال لي: «والله لن أدعك إلا إذا ذكرت لي اسم شخص يقوم بهذا العمل، وأقتنع به»!

وبالفعل ذكرت لـه بعض الأشخاص الذين يعيشون في منطقة القصيم، ويُعرف عنهم الكتابة وإن لم أقل لـه: إن هؤلاء يصلحون بحق وجدارة للقيام بهذا العمل، ولكنه لم يرضَ أحدًا؛ لأنه يعرفهم كلهم».

عندها بدأ الشيخ محمد العبودي بهذه المهمة التي قادته إلى منطقة واسعة ممتدة، تصل في شمالها إلى الحدود الإدارية لمنطقة (حائل)، وتصل شرقًا وجنوبًا إلى الحدود الإدارية لمنطقة (الرياض)، كما تمتد غربًا إلى مساحات بعيدة حتى تصل إلى الحدود الإدارية لمنطقة (المدينة المنوَّرة) ومنطقة (مكَّة المكرَّمة). لكنها في الوقت ذاته حملته إلى موطنه ومسقط رأسه الذي نشأ فيه وترعرع متذكرًا (بُرَيْدَة). قال الشاعر:

ولي وطن آليت ألا أبيعه وألا أُري غيري لـه الدهر
وحبَّب أوطان الرجال إليهم مآرب قَضَّاها الشباب هنالكا

---

(١) جهود الشيخ حمد الجاسر وزملائه في تأليف المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ص٥.

إذا ذكروا أوطانهم ذكرهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

أجل إن رحلة العبودي العائدة التي لم تكن بباله وهو يغادر (بُرَيْدَة)، ليستلم مهمته الجديدة في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨٠هـ أمينًا عامًّا لها. ليعود إليها مع ربوع القصيم في مهمة علمية، وليس استقرارًا وإقامة، فقد كان يعمل آنذاك أمينًا عامًّا للدعوة الإسلامية، وهي هيئة تابعة للهيئة العُليا للدعوة الإسلامية، ولكنها كانت تسهيلاً من الله سبحانه وتعالى للشيخ محمد العبودي، ليكون قريبًا من موطن العمل الذي سوف ينطلق فيه المشروع.

كان بلا شك عَوْدًا حميدًا مفيدًا يقتطع نهاية الأسبوع دومًا، ليتجول في أرجاء القصيم ونواحيه، التي سُهِّلَتْ لــه فيها المهمة عن طريق أميرها سعود بن هذلول آل سعود آنذاك، الذي كانت لــه معه صداقة وصحبة نشأت إبَّان إدارة الشيخ العبودي للمعهد العلمي في (بُرَيْدَة).

وامتطى العبودي صهوة العمل الجاد، فطرق الأرض يذرعها ويتحسس مكامنها، حيث مواطن شعراء المُعلّقات، ومنازل بني أسد وتميم وعبس وغطفان، وطريق الحاج العراقي، وبقاع أخرى موغلة في القدم والتاريخ.

وأخذ العلاّمة العبودي يمد يده إلى هذه الأرض؛ لتكشف لــه خباياها، وتبيِّن له خزائنها التاريخية القديمة.

فسعى يجوس الديار، ويسعى بين النواحي والقرى والهجر والأرياف بسهولها وجبالها وأباطحها وأوديتها وشعابها ورمالها.

يقف عند كل خبر وحادثة متذكرًا تراث العرب وأخبارهم وقصصهم وأيامهم ونصوصهم، يصف ويُعاين ويبيِّن الرأي ويُزيل الوهم ويُقوِّم الخلل ويمضي الصحيح.

وبقي المعجم الجغرافي شاهدًا تاريخيًا فذًّا على مَلَكَة العبودي العلمية، في شتى العلوم التي استعرض فيها قدراته من تاريخ وجغرافيا وآثار وأدب ولغة، ونحو ذلك.

واستطاع «المعجم الجغرافي» أن يقدم للعرب شخصية موسوعية مقتدرة للشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، الذي أحسن في اختياره وحسن انتقائه لهذا العلم الذي أنجز موسوعة هائلة لم تكن معجمًا جغرافيًّا فحسب، بل موسوعة علمية فذة.

* * *

المبحث الثاني

منهجه في المعجم الجغرافي

من أبرز ملامح منهج العبودي العلمي في شتى كتاباته ومؤلفاته، وخصوصًا في «المعجم الجغرافي لبلاد القصيم» أنه يُعْنَى عناية فائقة بالأسماء والمدلولات، فلا يصمت عند مسمًّى كل موقع أو بلد أو ناحية من غير تدقيق وبحث ومناقشة، ولقد صَدَّرَ ذلك ببحثه القيِّم عن مدلول كلمة (القصيم)، مُورِدًا شتى الأقوال والآراء الواردة في ذلك، مُنْهِيًا حديثه برأيه وترجيحه. وقد سار في خطته على حروف المعجم، لا بالنسبة إلى الحرف الأول فقط، بل بالنسبة أيضًا إلى الحرف الثاني والثالث.

ويقول عن منهجه: «ثم أضبطه ضبط قلم، ثم ضبط حروف بذكر الحركات اللفظية، كما يلفظ باسمه في الوقت الحاضر، وليس على مقتضى اللفظ الفصيح. ثم أُعرِّف الموضع تعريفًا مناسبًا يليق بالمقام»، إلى أن قال: «ثم أذكر بعد تعريفي الخاص للموضع تعريف القدماء به إنْ وُجِد»[1].

وللعبودي عناية خاصة باللمحات التاريخية للمواضع والمواقع، التي تضفي على البيان جمالاً وكمالاً مع ما تتضمنه من قيمة مهمة ترتبط بهدف الكتاب.

ومن ملامح منهجه: أنه ــ كما يصفه ــ معجم حيّ، أي لمواضع ومواقع الوقت الحاضر.

أمَّا الأسماء التي ذكرها البلدانيون وزالت مع أنها في منطقة القصيم، فإنه لا يذكرها بأسمائها القديمة، وإنما يتكلم ويشرح أمرها ويورد النصوص القديمة مع الأسماء الحديثة المتداولة، وضرب لذلك أمثلة نحو «النِّباج، والقَنان، ومُتالِع، والستار» التي عُرفت اليوم بـ «الأسياح، والمْوَشَّم، وأُمّ سنون، والرُّبُوض» وغير ذلك.

---

(١) معجم بلاد القصيم ١/ ١٧.

ومن لطائف بحث العلاّمة العبودي أنه إذا ورد موضع يشترك مع آخر في الاسم نفسه، وجميعها قديمة فإنه يختار من نصوص المتقدمين ما يشير إلى هذه المواضع وينطبق عليها، مع إشارته إلى الدوائر الرسمية، وبعض المعلومات المهمة المتعلقة بتلك المواقع. ومَن يلاحظ حديث العبودي واستطراده عند كلامه عن موضع القصيم ومسمَّاه، يدرك قوة النفس العلمي الذي يحمله وطوله ، والجمع الكبير الذي أتى به عند هذا المسمّى، مع التحقيق والتدقيق والترجيح في ذلك ممَّا سبق الإشارة إليه في صدر الكتاب.

ومن جميل مضامينه تعليقه حول القصيم ولهجاته، وتأكيده أن كلمة «لغة» هي الفصيحة المستعملة قديمًا، وليست «لهجة». فقد كان العلماء يقولون في بعض الكلمات: إنها تعني كذا أو كذا بلغة تميم، أوبلغة هذيل، أو بلغة أسد، أو نحو ذلك[1].

وللعبودي هيام في البحوث اللغوية واشتقاقاها، وسوف أفرد لــه حديثًا مستقلاً.

أمَّا النخلة في القصيم، فهو ما لا يمكن تجاوزه عند الحديث عنه، فقد اشتهر القصيم بنخيله وأنواعه وتموره حتى تجاوزت مئة نوع واسم، ويُعدِّد العبودي أهم أنواع التمور المشتهرة في القصيم وتسمياها وتاريخ غرسها، مع بعض المعلومات المهمة عن كيفية غرسها وطعمها وشكلها.

أمَّا طريق الحاج العراقي المارّ بالقصيم، فقد أفرد لــه العبودي فصلاً كاملاً، تحدَّث فيه عن أهمية الحديث عنه وفائدته، وجاء بمعلومات مهمة عن طريق حاج (البَصْرَة)، الذي قام بزيارة جزء منه هو والشيخ حمد الجاسر والأستاذ سعد الجنيدل، من ضمن رحلة عملية لبثوا فيها من يوم الأحد الثلاثين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٨هـ، حتى يوم الخميس من شهر جمادى الآخرة من العام نفسه.

---

(١) انظر: معجم بلاد القصيم ١/ ٧٥.

وأحسب أن حديث العبودي الباحث المحقق، استهوى الباحث المحقق الدكتور صالح الوشمي ـــ رحمه الله ـــ لإعداد رسالته القيمة عن الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي.

وقد زَوَّدَ كتابه بخرائط مهمة عن منازل القبائل العربية عند ظهور الإسلام، وتحركاتها اللاحقة، والمنازل الحاضرة لتلك القبائل، مع إثبات المواقع القديمة ومسمَّياتها الحديثة.

كما أفرد فصلاً خاصًّا عن القبائل العربية المعاصرة في القصيم ومواطنها.

ومن الخرائط التي تضمنها «المعجم الجغرافي»، خريطة مهمة عن طريق الحج، وعن موقع حمى ضَرِيَّة، وحمى الربذة.

طريقة العمل في المعجم:

يُشير الشيخ العبودي إلى الطريقة التي كان ينتهجها فريق العمل المُكلَّف بإعداد المعاجم الجغرافية فيقول: لم نكن نعمل عملاً جماعيًّا، بمعنى أننا نجتمع ونتدارس ما ذكره كل واحد منَّا ونُكوِّن لنا رأيًا فيه، وإنما كان كل واحد يعمل بمفرده؛ لأنه أعرف بالأماكن المَوجودة في منطقته، وأكثر اطلاعًا من باقي الفريق على أمرها، فالعمل عمله ومسؤولية الخطأ تقع عليه.

ولم نكن نَعرض عملنا على الشيخ حمد الجاسر، ولا كان يطالبنا بذلك؛ لأنه لا يعرف من بواطن أمور المناطق أكثر ممَّا نعرفه، وبخاصة ما يسفر عنه بحثنا الذي يكون عن طريق المشاهدة، والتأكد من المعلومات ميدانيًّا، والأخذ عن كبار السُّكَّان وأهل الرأي فيها.

إلا أن الشيخ حمد الجاسر كان يسألنا أحيانًا من باب الاطمئنان على كوننا ماضين في العمل مواصلين له.

ولذلك أذكر عندما اعتذر الدكتور عبد الله الناصر الوهيبـــي عن الكتابة عن (شمال الحجاز)؛ لأن المنطقة واسعة، ويحتاج تحقيق الأماكن فيها إلى شَدِّ

الرِّحال، والتجول في أنحائها ... نهض الشيخ حمد الجاسر فألف كتاب «في شمال غرب الجزيرة»، وإن لم يذكر أنه جزء من «المعجم الجغرافي».

وقد صار الشيخ حمد الجاسر يطلب مِنّا أن نعطيه ما أنهينا كتابته من المواد، لينشرها في (مجلة العرب) وذلك لفوائد؛ منها: معرفة أن العمل مستمر، ومنها الاطلاع على فوائد تتعلق بالمكان الذي نشرنا عنه في المجلة، ممَّا لا يمكن الاطلاع عليه إلا عن طريق المَسْح الميداني، ومنها حث الكاتب على مواصلة إنجاز العمل.

وهذا لا يمنع أننا كُنَّا نأتي إلى الشيخ حمد الجاسر نزوره، كما يزوره غيرنا، ونتذاكر في موضوع عملنا في «المعجم الجغرافي».

ومن أمثلة الاستقلالية لكل واحدٍ مِنَّا عن الآخر: أنني ــ على سبيل المثال ــ اخترت أن أجعل تسمية المكان أو القرية أو المدينة الحاليّة أساسًا للبحث، أي أن تكون هي رأس المادة كما تنطق العامة باسمها في الوقت الحاضر؛ لأن ذلك هو اسمها الشائع. وأذكر معنى الاسم واشتقاقه إن تيسَّر ذلك، ثم بعد الكلام الضروري عليه أذكر اسمه القديم سواء أكان بلفظ يقرب من اسمه الحالي، أو يبعد عنه، وأحرص على أن أذكر الشواهد النثرية والشعرية التي ورد فيها ذكر ذلك الاسم.

والشيخ حمد الجاسر ــ رحمه الله ــ عمل في «معجم شمال المملكة»، على أن يجعل الاسم الفصيح للموضع أو للقرية والمدينة هو الأساس، فيذكره كما ورد في الكتب القديمة، وبعد ذلك يذكر اسمه الحالي الذي صار يُعرف به، ويورد الكلام عليه.

وهذا بأن كان لــه اسم حديث غير اسمه القديم، أمَّا إذا لم يكن لــه اسم قديم، فإنه يذكره باسمه الذي يعرف به في الوقت الحاضر.

وكل هذا على الأغلب الأعم، ولكل واحد من الزميلين الأستاذ عبد الله بن خميس والشيخ سعد بن جنيدل طريقته الخاصة، ولكنها لا تخرج عن ذلك.

وكان في الشيخ حمد الجاسر ـــ رحمه الله ـــ مزية عظيمة، وهي أنه لا يبخل بما عنده من كتب أو مراجع على الباحثين، يبذلها لهم، حتى إذا لم تكن عنده وطلب منه أحد من الباحثين أن يحصل لـــه على نسخة منها، أو ملخَّص لها فإنه لا يتردد في الاستجابة إلى ذلك، ما لم يكن قد غضب من الباحث لأي سبب من الأسباب.

ولكنه ـــ رحمه الله ـــ لم يقنع بهذا المستوى من التعاون فيما بيننا، فسعى لدى الملك فيصل في أن يأمر وزارة الإعلام بتهيئة جولة علمية لنا على الأماكن النائية في المناطق التي نكتب عنها، وأن يكون من ذلك توفير السيارات اللازمة ومنها سيارة جيب قوية، وأن يكون ذلك كله بنفقة الدولة، وأن يشمل المناطق كافة التي أردنا الذهاب إليها: من أقصى عالية الجزيرة مثل ما حول (خَيْبَر) من (الحائط) و(الحويط) في الشمال الغربي، والحدود الإدارية لمنطقتي (مكَّة المكرَّمة) و(المدينة المنوَّرة)، حتى شَفا نجد، أي أقصى الارتفاع فيها.

وقد وافق الملك فيصل ـــ رحمه الله ـــ على ذلك كله.

وكانت القافلة مؤلَّفة من أربع سيارات؛ منها: سيارتا (جيب)، وسيارة نقل صغيرة (وانيت)، وسيارة نقل (لُوْرِي)، ومعنا مجموعة من العُمَّال والمشرفين.

فغادرنا (الرياض) في رحلة كُنَّا منشرحي الصدور لها؛ لأنها سوف تطلعنا على أماكن مهمة واردة أسماؤها في الأشعار أو الأخبار أو النقول عن العلماء القدماء الكبار: كالأصمعي، وأبي عبيدة، والفرَّاء، وابن السِّكِّيت ... وهو ما لم يكن يتيسر للواحد مِنَّا بمفرده أن يقوم به؛ لأنها تقتضي التجوال والتعرّف إلى الأودية وموارد المياه، والاستماع إلى سُكَّان المنطقة من الأعراب عَمَّا يعرفونه، وما وقع فيها من وقائع أو قيل فيها من أشعار.

ولكن ما إن غادرنا (الرياض) في يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول ١٣٩٥هـــ/ الموافق ٢٤ مارس ١٩٧٥م، حتى سمعنا في اليوم التالي وكُنَّا فوق (الدوادمي) نبأ الاعتداء على حياة الملك فيصل، ومقتله، رحمه الله.

ولكننا واصلنا الجولات، وكلما أمعنا في المناطق البعيدة تجلى لنا شيء أو أشياء كانت خافية من أمر المواقع القديمة، فكُنَّا في هذه الرحلة نعمل عملاً جماعيًّا، بمعنى أننا إذا كُنَّا في منطقة هي من اختصاصي وكتبت فيها في «معجم القصيم»؛ لكونها تتبع إداريًّا منطقة القصيم، واتضح لي شيء من أمرها أوضحنا ذلك، مع أن الأماكن التي هي من اختصاصي هي أضيق من غيرها؛ لكوني سبق أن جلت على المناطق غير البعيدة من مراكز الحضارة في القصيم، كمدن: (بُرَيْدَة) و(عُنَيْزَة) و(الرَّسّ) و(البُكَيْريَّة)، ولم يبق إلا أعلى منطقة القصيم الإدارية مثل جبل (طميّة)، ومعدن (النقرة).

أمَّا الشيخ سعد بن جنيدل فقد وقفنا على أماكن كثيرة من جبال أودية وموارد مياه في عالية نجد، وكان الشيخ سعد أحفظنا لشعر العامة من الأعراب؛ لأن معظم المنطقة التي طُلِبَ منه أن يَكتب فيها هي مساكن أقوام من الأعراب، وقد ظهر ذلك جَليًّا في «معجم العالية».

أمَّا الشيخ حمد فإن المنطقة التي كان يكتب عنها وهي «شمال المملكة» كانت واسعة، ولم يتيسَّر لنا أن نزورها كلها، ولكننا كُنَّا نتعاون على ما يُشْكِل علينا من أمر موضع في المنطقة التي تجولنا فيها.

كان همّنا في تلك الرحلة بعد أن أفقنا من صدمة الاعتداء على الملك فيصل هو البحث، وقد انطلقنا مفرِّغين أنفسنا لهذا العمل الميداني لا همّ لنا إلا ذلك.

وكُنَّا نستفيد من الأعراب، على صعوبة ذلك عند بعضهم من الذين لا يفهمون المقصود من استفسارنا عن مورد من الموارد أو عن هجرة من الهجر ولا أنه لغرض من الأغراض غير البحث العلمي، فكانوا في بعض الأحيان يكيفون جوابهم على ما يفهمونه من سؤالنا، وليس على الحقيقة، إلا أننا لم نكن ـــ من واقع التجربة ـــ نتلقى كل ما يقول الأعرابي أول وهلة بالقبول والتسليم، بل كُنَّا نفحص أقوالهم حتى نقتنع بها؛ لأن بعضهم يفهم مقصودنا ولا يقول إلا الحقيقة، وإن لم يعرف الهدف من السؤال.

وقد شملت الرحلة عالية نجد وشمالها، وطريق حاج (البَصْرَة) من الدَّهْناء والصّمَّان حتى الكويت، ثم من الكويت انطلقنا مع أسافل الجزيرة للاطلاع على معالمها، ومنها منازل قبيلة العجمان، وفيها أماكن مهمة تاريخيًّا مثل (ثاج)، ومن هناك عَرَّجْنا قليلاً على (الأحساء).. ففارقتهم عائدًا إلى (الرياض)، وأكمل الشيخان حمد الجاسر وسعد بن جنيدل الذهاب إلى شرق الجزيرة، وإن لم يُطيلا الجولة بعدي[1].

تقويم الجولة:

يشير العلاّمة العبودي إلى انطباعاته عن الجولة، وثمارها التي حصل عليها، فيقول: لقد كانت تلك الجولة مفيدة لنا حتى بالنسبة إلى غير ما يكتبه الكاتب، فأنا- على سبيل المثال- أكتب عن منطقة القصيم، وشمال الجزيرة وشرقها خارج عن اختصاصي، ولكنني استفدت فوائد عديدة من الاطلاع على أماكنها، ومنها: أنني عرَفت أماكن معرفة معاينة، ومواضع قليلة لأسمائها مماثل في القصيم؛ فعرفتُ الفرق بينها، وطبَّقتُ النصوص التي وردت في الموضع القصيمي، واستبعدت الذي هو خارج عن المنطقة.

كما استفدت من متابعة طريق الحاج العراقي سواء ما كان يسمّى بطريق (البَصْرَة)، أو ما يسمّى بطريق (الكوفة) ممَّا هو خارج عن منطقة القصيم الجغرافية أو الطبيعية، ومن ذلك مواضع وردت في طريق الحاج شرق الدَّهْناء، أو بينها وبين (عروق الأسياح).

وقد كانت تلك المرحلة حافلة بالطرائف، ومن ذلك: أن المقرَّر لنا من اللحم خروف في كل يوم، بعضه يطبخه العمال في العَشاء وبعضه في الغَداء، وهي خرفان يشتريها المرافقون لنا الذين ينفقون من الحكومة على رحلتنا من الأعراب الذين نصل إليهم، فهي من غنم الأعراب التي ترعى الأعشاب الطبيعية، ولذلك كانت لحومها جيدة.

---

(١) جهود الشيخ حمد الجاسر وزملاؤه في تأليف المعجم الجغرافي للبلاد السعودية.

فوصلنا مرَّة إلى أرض (مَضبَّة) أي ذات ضِباب؛ لأنه ليس كل أرض يكون فيها ضِباب (جمع ضَبّ)، فتصايح الرِّفاق على ضَبٍّ منها وأمسكوا به وذبحوه ليطبخوه مع الطعام، فأبيت ذلك لأنني لا أستطيع أن آكل لحم الضَّبّ، ولم أعتد عليه، واشترطت عليهم أن يَطبخوه في قدر خاص، وألاَّ أراهم يأكلونه بمعنى أن أبعد أنا والعمال الذين معنا الذين لم يريدوا أكله أيضًا، ولكن الشيخ حمد الجاسر والشيخ سعد بن جنيدل كانا متحمسين لأكله من باب التطرف والتغيير، لأنهما سبق أن أكلا ضبابًا في القديم.

وقد أكلاه بالفعل بعيدًا عَنَّا، ونحن أكلنا بدلاً منه لحم خروف نجدي أعرابي طازج.

وكانت المفاجأة أنهما أحسا بشيء في البطن من ألم ونحوه، ممَّا أثبت لهما أنهما كانا يأكلان الضِّباب في ظروف غير الظروف التي صارا يعيشان فيها الآن[1].

طبع المعاجم:

كانت طباعة المعجم أمرًا في غاية الأهمية، إضافة إلى الحاجة إلى السرعة حسَب رغبة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، فيقول الشيخ محمد العبودي: كنت أَمضي في تأليف «معجم القصيم» وأتوسّع في البحوث المتعلقة بالأماكن، والشيخ حمد الجاسر يستحثنا لإنجازه. وعندما انتهيت من تأليف الكتاب الذي صار في ستة مجلدات، وانتهى الشيخ سعد بن جنيدل من تأليف «معجم العالية» في ثلاثة مجلدات ... قال لنا الشيخ حمد الجاسر وقد اجتمعنا عنده أنا والشيخ سعد فقط: إنني أريد أن أطبع المعاجم، وأنا مستعد لإعطاء كل واحد منكما مكافأة مقابل حقوق طبع الكتاب لمدة عَشْر سنين، وهي عشرون ألف ريال، أي لا يجوز لأي واحد أن يطبع كتابه طبعة أخرى قبل مضي عشر سنين.

وأقول عن نفسي للحقيقة والتاريخ: إنني لم أكن أفكر في الاستفادة المادية

(١) المصدر السابق نفسه.

من الكتاب، وإنما كان كل همي هو إنجاز هذا المعجم، ثم طبعه، وها هو قد نجز والشيخ حمد سيطبعه.

وأعتقد أن زميلي الشيخ سعد بن جنيدل مثلي، لذلك وافقنا معًا على ذلك، ووقّعنا عقدًا مع الشيخ حمد الجاسر عليه.

وكان الشيخ قال لنا شفويًّا: إنه سيطبع عشرة آلاف نسخة من كل معجم، فوافقنا على ذلك؛ لأن الإكثار من النسخ معناه شيوع الكتاب أكثر، وبالتالي الاستفادة منه أكثر أيضًا، وصادف ذلك وجود الطفرة المالية، فباع الشيخ حمد الجاسر من المعاجم نسخًا كثيرة على الوزارات والإدارات الحكومية بأثمان عالية، قال لي: لقد كسبت من كتابك مكسبًا عظيمًا، فقلت لـــه: أنت تستحق ذلك؛ لأنك صاحب الفكرة في الأصل.

ومع أنه قد نَفِدت نسخ «معجم بلاد القصيم»، وصار الناس يسألون عن نُسَخِه حتى وصل ثمن النسخة الواحدة إلى خمسمئة ريال، فإنني لم أطبعه طبعة ثانية إلا بعد مضي عشر سنين، وقد نَفِدت الطبعة الثانية؛ وذلك لكونه والمعاجم الأخرى سدت فراغًا كان يحس به كل باحث، بل كل طالب للمعرفة عن أحوال المواقع في المنطقة التي تناولها المعجم، لأننا نهتم أيضًا بالناحية التاريخية كما يراه الآن كل من يطالعه.

أمَّا الشيخ الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس، فإنه طبع كتابه «معجم اليمامة» بنفسه؛ لأنه يملك مطبعة خاصة به هي (مطبعة الفرزدق)، التي أسهمت في طباعة مئات الكتب بعد ذلك في بلادنا[1].

* * *

(١) المصدر السابق نفسه.

الفصل السادس

علوم العبودي واهتماماته

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه   للعصبة السارين جد قريب

المبحث الأول: العبودي الداعية

المبحث الثاني: العبودي المؤرخ

المبحث الثالث: العبودي النسّابة

المبحث الرابع: العبودي القاص والروائي

المبحث الخامس: اللغوي والأديب والشاعر

المبحث الأول

العبودي الداعية

من أهم ملامح شخصية العلاَّمة العبودي منهجه الدعوي القائم على الدعوة بالحسنى والموعظة والحكمة في القول والعمل.

وهو منهج مرتبط كذلك بمصالح الدعوة العامة، ودرء المفاسد، وجلب المصالح، ومراعاة حال المدعو، وعدم التشهير والتأنيب والغلظة والشدة، كما أنه في ذات الوقت يستثمر كل فرصة لبيان الحق والدعوة إليه، وإبراز مقاصد الشريعة وما عليه سلف الأمة وصالحيها، والتنبيه على ما يراه من بدع ومخالفات إذا رأى أن الحال والوقت مناسبان لذلك.

ومن اهتمامات العبودي الدعوية: جهوده في إبراز دور الرابطة في خدمة المسلمين، وقد كتب في ذلك عدة كتب؛ منها:

رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين:

وقد صدر بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

كما أنه كتب في مفهوم الدعوة وأساليبها وشرفها عدة رسائل؛ منها: كتابه:

٢- **الدعاة إلى الله شرف مهمتهم وطرق دعمهم:**

وهي نص محاضرة ألقاها على موظفي رابطة العالم الإسلامي ضمن المحاضرات التوجهية، وقد طبعت. ومن اهتماماته أيضًا: عنايته بواقع المسلمين في الفلبين، وخصوصًا في جنوبها، وقد أفرد كتابًا خاصًّا عن قضيتهم ومعاناتهم أسماه:

٣- "**إلمامة بجنوب الفلبين**": وقد كتبه في أثناء زيارة لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية.

والعبودي مهتم غاية الاهتمام بقضايا المسلمين العالقة، ومنها قضية كشمير التي تعاقبت رحلاته من أجلها، وأوضاع المسلمين وقضيتهم العادلة فيها.

وها هو ذا يتحدث فيها ويقول: "كشمير جزء غالٍ من الوطن الإسلامي الكبير، اعتدى عليه المعتدون فألحقوه بالقوة بدولتهم الواسعة، وعجز المسلمون أو تعاجزوا عن إنقاذه منهم، ومع ذلك فإن تلك القوة الغالبة عندما انتزعت الوطن الكشميري ظنت أنها ابتلعته، ولكن الواقع أنها لم تستطع أن تنتزع الإسلام من قلوب أبنائه، بل لم تستطع أن تقتلع الشعور بالتميز الإسلامي عن بقية البلاد الكفرية من عواطف أهله.

ثم يتناول بتفصيل دقيق، وتحقيق فريد، أصل القضية وخفاياها وتاريخها، ولا أحسب أحدًا كتب عن كشمير مثل ما كتبه العبودي، وهو كما أسماه: حديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم(١).

انتهى في حديثه إلى رؤية ثاقبة عن تلك الأوضاع، وسبل دعمها وتأييدها، ووسائل نجاحها، وتحدث عن التحديات المحتدمة التي تواجههم هناك.

والعبودي يشير في مشاهداته ورحلاته إلى بعض المظاهر الفقهية والشرعية التي يتسع لها الفقه الإسلامي في مذاهبه وآرائه، فهو لا يصادم تلك الفئات بالتأنيب والتخطئة، ولكنه يدرك بنظر الداعية الحكيم أن في أقوال أهل العلم ومذاهب الأئمة الأربعة مندوحةً لكل سالك ومتبع.

فها هو ذا يشير إلى مظهر الجهر بالتأمين في أثناء زيارته لـــ لاوس وكمبوديا؛ لكونهم شافعية مستنبطًا أمرًا آخر، وهو أنهم قد جاؤوا من جنوب الهند الذين أكثرهم شافعية، لا من شماله الذين يغلب عليهم مذهب الحنفية.

ثم أشار إلى جهرهم بالدعاء والتسبيح والتحميد بعد الصلاة بألفاظ منغمة مرتفعة، مؤكّدًا أن الواجب على العلماء وطلبة العلم أن يُشعِرُوا العامة أن تلك الأمور ليست واجبة، كتلك الأذكار والصلوات بعد المفروضة، ونحو ذلك.

---

(١) انظر سياحة في كشمير وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم ص٩.

ومن شواهد هموم العبودي الدعوية حديثه عن معاناة المسلمين في بورما التي دفعته بقوة وسرعة إلى ضرورة استجلاء الموقف والحدث إلى أن وصل إليها في زيارة مهمة سنة ١٤٠٤هـ، فاستطلع الأمور وعاينها، ثم دوَّن ذلك في كتاب نفيس يعتبر مرجعًا مهمًّا لكل متحدث أو باحث عن مشكلة المسلمين في بورما وأركان، وأسماه:

٤- الخبر والعيان: طبع سنة ١٤١١هـ

والعبودي الداعية يدرك عمق الجهل في أوضاع المسلمين، خصوصًا في بعض جهات العالم التي انقطعت عن أجواء المسلمين الشرعية، ولكنه يتعامل مع المواقف في غاية من الحكمة والتأني والصبر والتعليم والتوجيه، وهو يسرد موقفًا غريبًا عن زيارته لجمهورية لاتفيا على بحر البلطيق، فيقول: قلنا لهم: إننا نريد أن نصلي، فنرجو أن تبعدوا مقاعد الدراسة من الغرفة التي فيها الفصل الدراسي، ونحن نريد من ذلك أن نريهم كيف يصلون الجماعة، مع أننا نتيقن أنهم يتصورون ذلك من الناحية الشكلية.

أبعدوا المقاعد، وجاؤوا بقطعة من الشراع المشمع فبسطوها على الأرض، وصِرْنا صفين في الغرفة: أحدهما عن يمين الإمام ويساره، والثاني خلفه، وبذلك اتسعت الغرفة لنا جميعًا.

طلب القوم مني أن أئمهم في الصلاة، فامتنعت على عادة لي قديمة في أن أترك الفرصة للإمام الراتب أن يصلي، ففي هذا حفظ حقه، وفيه فائدة لي؛ حيث أرى كيف يؤدي الصلاة.

صلى بنا الإمام (حسن نور الإسلام أوغلو) صلاة الظهر، فجهر في الركعة الأولى بقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص بعدها، ثم جهر في الركعة الثانية بقراءة الفاتحة وسورة الكوثر.

ومع غرابة ذلك؛ فإن الأغرب منه أنه جهر بالتشهد كما جهر بالفاتحة، والأفظع من ذلك كله أنه سلم للظهر عندما صلى ركعتين فقط، فبذلك صلى

الظهر اليوم الأربعاء صلاة الجمعة، إلا أنه زاد على ذلك بأن جهر بالتشهد كما جهر بالفاتحة. وعندما انقضت الصلاة أَلْقَيْتُ فيهم كلمة قلتُ فيها: لا شك في أن أخانا الإمام لم يتعلم - كما قال - المسائل الفقهية الخاصة بالصلاة؛ لذلك صلى الظهر ركعتين وهو مقيم، وذلك لا يجوز إلا للمسافر، كما أنه جهر بالقراءة فيها، وكذلك بالتشهد، وذلك لا ينبغي أيضًا. فعلينا جميعًا أن نعيد الصلاة، ونصلي الظهر صلاة سرية، بمعنى أننا لا نجهر بشيء من القراءة أو التسبيح أو التشهد فيها، ونصليها أربعًا، وإلاَّ نكون كمَن لم يصلِّ.

وقد أعادت هذه الواقعة إلى ذهني واقعة أخرى حدثت لي في مدينة (بيواستك) في بولندا، عندما صلينا الظهر خلف إمام المسجد فيها، وهو مثل هذا الإمام لم يتعلم شيئًا من أمور الفقه، ولكنه يقرأ الفاتحة وقصار السور بخلاف بقية القوم، فصلى الظهر أربعًا يجهر فيها كلها، أي في كل الركعات الأربع. وكان قال لي: إن الظهر عشر ركعات، أربع قبلها، واثنتان بعدها، وهي أربع. فأفهمته أنها أربع فقط، وأما ما قبلها وما بعدها فسنة، إن فعلها المرء فحسن، وإلاَّ لم تلزمه.

ولكن الأغرب من ذلك الإمام البولندي أنه يسألني في محضر من القوم عن عدد ركعات صلاة الجمعة، أهي اثنتان أم أربع؟ فأسرعت أقول له: إنها اثنتان. فالتفت إلى قومه وقال: ألم أقل لكم إنها اثنتان؟! وقد ذكرتُ ذلك مع ما تعلق بأحوال المسلمين في كتاب: "مع المسلمين البولنديين"، وهو مطبوع.

وقد طَيَّبْتُ خاطر الإمام بأن شكرته على اجتهاده، وأعطيناه هدية جيدة، ورجوته ألاَّ يصلي بهم حتى يعرف فقه الصلاة، وبإمكانه أن يجد من الطلبة المسلمين الذين يصلي معهم الجمعة مَن يخبره بأحكام الصلوات الخمس، وهم منه قريب.

ومن اهتماماته الدعوية: تناوله لمسألة تساوي المسافة نحو مكة المكرمة من جهة الشرق أو الغرب، وذلك عند حديثه عن زيارته لجمهورية سماوا الواقعة في

أقصى جنوب المحيط الهادئ؛ حيث تناول مسألة دخول شهر رمضان وطلوعه قائلاً: "فإذا ثبت دخول شهر رمضان على سبيل المثال في مثل هذا اليوم الذي نحن فيه عندما أقلعت بنا الطائرة، وهو الإثنين الثاني من شهر ديسمبر ١٩٨٥م، الموافق ليوم ٢٠ صفر عام ١٤٠٦هـ، فصام المسلمون من أهل تونغا هذا اليوم، وأعلنوا أن شهر رمضان يدخل في يوم الإثنين الثاني من شهر ديسمبر، ثم سافر أناس من المسلمين في اليوم نفسه وهم صيام إلى ساموا، فوجدوا اليوم فيها هو يوم الأحد الواحد من ديسمبر الموافق للتاسع عشر من صفر بالتاريخ الهجري، فهل يلزمهم الصيام أم لا؟ وهل يعتبر يومهم هذا هو الأول من رمضان كما كان عندما غادروا تونغا أم يتحول، أو لنقل: يرجع ليكون اليوم التاسع والعشرين أو الثلاثين من شهرشعبان؟ وبذلك لا يلزمهم صوم، بل يجب عليهم الإفطار على قول بعض العلماء الذين يحرِّمون صوم يوم الشك".

وشيء آخر مهم لا يقتصر على بلد معين من هذه المنطقة، ولا يتعلق بخط الطول الدولي واختلاف التاريخ عنده، وإنما هو متعلق بموقع البلدان هذه في أقصى نقطة من العالم بُعْدًا عن مكة المكرمة، فماذا يفعل المسلم الذي يكون فيها بالقبلة أيصلي جهة الشرق أم جهة الغرب، على اعتبار أن المسافة تكاد تكون متساوية إلى مكة المكرمة من جهة الشرق ومن جهة الغرب؟

لا شك في أن الجواب سيكون جازمًا بأنه على المسلمين أن يتحققوا من موقع بلادهم، فإن كانت الكعبة إلى الشرق أقرب إليهم منها إلى جهة الغرب صلوا إلى الشرق، والعكس بالعكس.

وأما إذا عُرِفَ أن الإنسان المسلم يسكن أو حتى يوجد في نقطة تتساوى عندها المسافة إلى مكة المكرمة، سواء من جهة الشرق أو من الغرب؛ فإنه يكون مخيرًا في الصلاة إلى إحدى الجهتين.

وفي هذه الحالة يصح أن يصلي اثنان في هذه النقطة، أحدهما قد استقبل الشرق، والآخر قد استقبل الغرب، وأن يكون قفا كل واحد منهما مما يلي قفا الآخر، وتكون صلاة كل واحد منهما صحيحة.

وعندئذ يتلو المؤمن قول الله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾.

وسوف يشعر بالمعجزة العظيمة في هذه الآية الكريمة التي لم يكن العرب القدماء يتصورون معناها من هذه الناحية التي ذكرتها؛ لأنهم لا يتصورون وجود مسلمين في هذه المنطقة، وإنما أخذوها على ظاهرها: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾.

٥- الحوار في الإسلام[١]:

وهذا يتناول فيه العبودي الداعية أهمية الحوار، وشروطه، وآدابه، وضوابطه التي يجب أن يتحلى بها المحاور، خصوصًا مع المخالف، وضرورة الالتزام بأدبيات الحوار ومبادئه.

والعبودي كتب من خلال جولاته ورحلاته منهجية رائدة في الحوار وضرورته للنهوض بواقع المسلمين وحالهم.

فالانغلاق ورد الآراء ورفض القول المخالف أثبت عمقها وضررها على العمل الإسلامي الذي يحتاج إلى مزيد من الشفافية والانفتاح في الحوار وسماع الآراء.

كما أن الروح التسامحية والفكر التنويري الذي حمله العبودي منذ طلائع شبابه وتسنم مسؤولياته أثبت مصداقيتها ونجاحها، وكانت رؤياه ونبوءاته لكثير من الطروحات مطابقة، وحيَّة ماثلة.

كما أن العبودي أفرد كتبًا مستقلة للحديث عن العمل الإسلامي، وواقع الأقليات المسلمة في العالم وظروفهم التي حظيت منه بالمعرفة والمعاينة عن قرب.

---

(١) انظر كتاب: "نظرة الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان"، ص١٦٢-١٦٣.

لذا فقد أسهم بشكل ظاهر في بلورة مفهوم صحيح للعمل الإسلامي عبر كتاباته، التي منها:

١- العالم الإسلامي: المعاناة والأمل.

٢- أثر الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله.

٣- الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول.

*   *   *

المبحث الثاني

العبودي المؤرخ

من ملامح اهتمام العبودي التاريخي: بروزه في كتابه المعجم الجغرافي عن بلاد القصيم، الذي بدت فيه ملكاته التاريخية التي دوّنها في ثنايا حديثه عن بريدة وعنيزة والرس والبكيرية والمذنب وعيون الجواء والأسياح والشماسية، وهي لمحات مهمة نادرة اعتمد فيها على النقل والرواية التي أمضى العبودي سنين طويلة في تحصيلها وجمعها، وهي عزيزة شحيحة، إلاّ في موضعها عند العبودي.

والمتأمل لتلك اللمحات التي تصدرت الحديث عن مدن القصيم وحواضره يدرك بجلاء العمق التاريخي.

وقد كتب عددًا من المشاهدات التاريخية المهمة التي تدوِّن فترة من فترات البناء والتأسيس التي عاشتها هذه البلاد، وقد كتب في ذلك: المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر، الذي يشير فيه إلى أنه جاء مشاركة في مناسبة كريمة وعزيزة على كل مواطن في المملكة العربية السعودية مبتهجًا بالذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز -رحمه الله تعالى- إلى الرياض، وقيام الدولة السعودية.

مستعرضًا مجالات الحياة التي كانت تعيشها بلادنا قبل قيام الحكم السعودي وبعده، مثل: القضاء، والأمن، والمرافق، والتعليم، والصحة، ومكانة المرأة، ونحو ذلك.

وهو كتاب توثيقي خاص، يسرد فيه العبودي مواقف عاشها وسمعها وعاينها في سني هذه البلاد ونشأتها وتطورها.

*   *   *

المبحث الثالث

العبودي النسّابة

العبودي، كما تقدم، معنيٌّ ومُغرَمٌ بالبحث عمومًا، والأنساب لها حظها ونصيبها من عنايته وتحقيقه، ولا غرو في ذلك، فشواهد علميته وتحقيقه قائمة مبثوثة في كتبه، التي من أبرزها المعجم الجغرافي عن بلاد القصيم، الذي تضمن مسائل مهمة في الأنساب للقبائل المستقرة والراحلة في منطقة القصيم.

وقد تناول ذلك تفصيلاً في المجلد الأول حين حديثه عن منازل القبائل القريبة القديمة في منطقة القصيم، مستعرضًا أسماء القبائل، نحو: بني أسد، وباهلة، وبني تميم، وبني خالد، وبني عبس، وغطفان، وقريش، وغيرها.

ثم أشار في فصل مستقلٍّ إلى منازل القبائل العربية المعاصرة في القصيم، وقد صدَّر حديثه بقبيلة حرب الكبرى التي تضرب أطنابها في نواحي القصيم ممتدة شمالاً وغربًا وجنوبًا، وقد أعدَّ العبودي بيانًا وجداول دقيقة تبين الموطن والمكان والهجرة التي تقطنها، وفرع القبيلة وبعدها عن مدينة بريدة، ثم ثنَّى بالحديث عن قبيلة بني رشيد ومنازلهم وأماكنهم.

وقد أكَّد من خلال حصره وبيانه أن قبيلة حرب على اختلاف فروعها وأفخاذها لها النصيب الأوفى من السكن في القصيم؛ فهي أكثر القبائل البدوية تحضُّرًا واستقرارًا فيه[1].

ويرى العبودي صعوبة إرجاع أصول القبائل العربية المعاصرة إلى القبائل العربية القديمة؛ ذلك بأن بعض القبائل العربية القديمة انتهى اسمها من القصيم، حتى لا يعرف لها مَن ينتسب إليها من أهل الحضر المقيمين فيه في الوقت الحاضر،

---

(١) لمزيد من معرفة أخبار قبيلة حرب، انظر مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب وفصولاً من تاريخ قبيلة حرب، وقصصًا وأشعارًا من قبيلة حرب، وأخبار الخيل عند قبيلة حرب، وأحديات وألقابًا من قبيلة حرب، وجميعها للباحث فائز بن موسى البدراني الحربي.

مثل: بني أسد، وبني عبس، إضافة إلى أن بعض القبائل العربية قد هجرت مواطنها القديمة ودخلت في قبائل أخرى حتى نسي اسمها(١).

إلا أنه في الوقت ذاته يؤكد العبودي أنه يوجد بعض القبائل العربية الحالية التي يعرف شيء عن أصلها القديم، مثل: قبيلة حرب، التي هي قحطانية جاءت من اليمن في القرن الثاني الهجري، ولكن دخل فيها عدد من الأفخاذ العدنانية والجماعات المختلفة، وبنو عبد الله من قبيلة مطير الحالية معروف أنهم من بقايا بني عبد الله من غطفان، وعتيبة هي في معظم أفرادها من قبيلة هوازن القديمة، وشمّر من طيئ، وعنـــزة من بكر بن وائل.

وعلى الرغم من أن العبودي قد أشار في المعجم الجغرافي إلى أن بني رشيد من هتيم، إلا أن ذلك لم يمنعه فيما بعد أن يعلن تراجعه عن هذه النسبة، وأن النقل الذي أشار إليه لم يكن من مصدر مكتوب، وليس مؤكّدًا أو مدوّنًا، إنما هو قول لبعض الأعراب الذين يخطئون ويصيبون، وقد تبيَّن لي خطؤهم، كما يقول، وأن بني رشيد ليسوا من هتيم، كما أن المضابرة الذين يسكنون في جبل أبان ليسوا من هتيم أيضًا. وقد صحح هذا الخطأ في الطبعة الثانية من المعجم(٢).

وبنو رشيد، كما يقول العبودي ويؤكد، قبيلة عربية صحيحة، تتمتع بالأخلاق الموروثة والشجاعة والكرم وحماية الدار.

ويقع في قمة وقامة اهتمامه في علم الأنساب وأخبار الأسر والقبائل معجمه الكبير المسمى: "معجم أسر أهل القصيم".

وهو كتاب ضخم يقوم على منهجية فريدة يصح إطلاق المعجمية عليه(٣)؛ فقد تناول تتبُّعًا لجميع أسر القصيم الحديثة والقديمة، والحاضرة والمنقرضة، مصدِّرًا بالحديث بالتسمية وسببها، وتاريخ الأسرة ونزولها ونزوحها واستقرارها وقدومها

---

(١) انظر المعجم الجغرافي ١/١٥١.

(٢) انظر جريدة الجزيرة، عدد ٥٥١٤ في ١٢/ربيع الأول ١٤٠٨هـ، وكتاب الصحيح في تاريخ وأنساب قبائل بني رشيد العبسية، د. معيض رويشد الخياري.

(٣) انظر مقالنا عن الكتاب في جريدة الجزيرة، عدد ١٠٤٦٨ في ١٤٢٢/٣/٢٢هـ.

إلى القصيم، ثم يشير إلى نسبها والتعريف بالقبيلة إن وجد للأسرة نسبة. كما يتناول في المعجم التعريف بأعلام الأسر ومشاهيرها ورجالاتها من أبطال وشجعان وكرماء ونبلاء وشعراء ورجال علم ودعوة وقضاء ودولة، وجميع ذلك محلى بقصص وطرائف ومواقف وأحداث تتبع العبودي روايتها، وتثبَّت من نقلها.

كما أن العبودي محقق في النسب يبدي بكل جرأة رأيه، ولا يتوانى في إظهار الحقيقة التي يعتقدها، لكنه في الوقت ذاته لا يسمح لنفسه أن يكون ذلك سبيلاً للنيل من أحد أو انتقاص فئة أو أسرة أو غير ذلك.

والعبودي يدرك من خلال معتركه الطويل في الحياة أن الحديث في هذا الأمر قد يسبب تأويلات وتفسيرات، وقد يطول إلى الحساسية، وعدم القبول والرضا، وصعوبة تبديل القناعات، إلا أن الحق أحق أن يُتَّبَعَ.

ومن منهجية العبودي أنه من خلال استقرائه وتمحيصه لم يتوان في نسبة عدد من الأسر غير المنتمية إلى قبائل في الوقت الحاضر، وإرجاعها إلى أصولها ونسبتها الحقة وانتمائها القبلي الذي نأى بها فترة من الزمن لأسباب وظروف معلومة.

وقد أبرز في مقدمته لمعجمه المخطوط طريقته في ذلك المستندة إلى الوثائق والأوراق والمكاتبات القديمة التي تنير الطريق للباحث عن الحقيقة.

وقد أشار العلاَّمة حمد الجاسر -رحمه الله- في كتابه: "الأسر المتحضرة في نجد" إلى رجوعه المتكرر إلى مسودات كتاب العبودي المخطوط: "معجم أسر القصيم"، وخصوصًا في حديثه عن أسرها، فقد وصفه بأنه مرجعه الأول، كما هو واضح في الكتاب.

وقد ذكر العبودي نتفًا من ملامح جمعته في الأنساب في ثنايا معجم بلاد القصيم، وخصوصًا عند حديثه عن أسر بريدة، وإمارة آل أبي عليان؛ حيث استطرد قليلاً ليتوقف مرجئًا وناقلاً التفاصيل عن هذه الأسرة الكبرى، التي

امتدت إمارها في بريدة نحو ثلاثمئة سنة، وتفرعت إلى أكثر من ثمانين أسرة اليوم، إلى معجم أسر القصيم، وهو ما قصده أيضًا في حديثه عن أسرة آل (أبا الخيل) التي آلت إليها إمارة بريدة عشرات السنين، وكذلك أسرة الربدي وآل سليم، وغيرها من الأسر التي مرَّ ذكرها في معجمه الجغرافي.

ومن المؤمل أن يتم صدور هذا المعجم الأسري الهائل قريبًا إن شاء الله.

ومن طرائف اهتمام العبودي بعلم الأنساب حديثه عن قبائل اليوربا عند مناقشته لقول يقول: إن الجد الأعلى لقبيلة اليوربا، وهي إحدى أكبر القبائل القاطنة في نيجيريا، من أبناء كنعان الذين طردهم يعرب بن قحطان.

وقد نقد العبودي هذا القول مشيرًا إلى أن فيه غفلة سافرة، وتناقضًا واضحًا، مؤكدًا أن قبائل يوربا ينتسبون إلى يعرب على الأقل، وإن كانوا من قبائل العرب، وأنهم ليسوا من أصل واحد عما يزعمون، بل انتحل أكثرهم الانتساب إلى يوربا، وقد تتبع العبودي نسبة هؤلاء إلى العرب تفصيلاً[1].

---

(١) انظر قصة سفري في نيجيريا للعبودي ص١٢٦.

المبحث الرابع

العبودي القاص والروائي

القصة والراوية لها نصيبها أيضًا من حياة العبودي الأدبية، فكانت مشاركاته في ذلك إضافةً أخرى إلى موسوعيته الأدبية التي طوَّقت حياته العامرة.

ومما كتبه العبودي:

١- **صور ثقيلة**: وهي مجموعة مقالات تتناول صورًا سريعة لشخصيات ثقيلة مهداة لقوم يثقلون، تبصرةً وذكرى لعلهم ينتهون.

وقد حملت كل صورة ثقيلة اسمًا وعنوانًا يكشف فيه بعض أولئك القوم، نحو: الواعظ الثقيل والكسول والمتفاصح والبومة والجيفة والمتكبِّر ونحوهم، وهو كتاب مطبوع.

٢- "**فالح ومنيرة**": وهي قصة تتناول فترة من فترات المعاناة التي مرَّت بها هذه البلاد. والقصة لم تنشر بعد.

٣- **مطوع في باريس**: وهي قصة جميلة تحكي مواقف وطرائف وأحداثًا صاغها العبودي في أسلوب أدبي جميل، وهي غير منشورة.

٤- **المستغرب**: وهي من القصصص الطويلة التي ظهر فيها نفس العبودي القصصي، ولا تزال أيضًا مخطوطة غير منشورة.

٥- **المستدين**: وهي تحكي قصة اجتماعية واقعية، وهي كذلك غير مطبوعة.

٦- **الأصدقاء الثلاثة**: وهي رواية غير مطبوعة.

٧- **حكايات تحكى**: نشره نادي القصيم الأدبي.

* * *

المبحث الخامس

العبودي اللغوي والأديب والشاعر

اللغة والشعر حواهما فؤاد العلاّمة العبودي منذ الصغر، فهو ذو عناية بالأدب مُذْ كان صبيًّا، وكانت له تعليقات ومراسلات في شبابه تُعْنَى باللغويات والأدب، سوف يرد نماذج منها.

وعلى الرغم من أن الشعر ليس غريبًا على العبودي وأسرته الذين ظهر فيهم عدة شعراء، أمثال: أخيه الشيخ سليمان العبودي، وابن أخيه الشيخ صالح بن عبد الكريم العبودي، وغيرهم. إلا أن شعر العبودي لم يكن بتلك القوة؛ لذلك لم يتردد هو ذاته أن يُسَمِّي ديوانًا له قد جهزه للطبع: "ديوان غير شاعر". إلا أن شعره ومقتطفاته قد بدت في عدة مواضع من كتبه المنشورة.

وهو يؤكد دومًا أنه لا ينتحل صفة الشاعر إلا أنه نظم أبياتًا عند زيارته لمدغشقر دار السلام، قصد بها السفير عبد الوهاب الدكوري؛ حيث يقول فيها[1]:

تحيـــة يـــا دكـــوري   عنـــد المســـا والبكـــور
تحيـــة مـــن عـــذور   للأصـــدقاء شـــكور
أنـــت امـــرؤ ذو علـــوم   وابـــنٌ لحَبْـــر كـــبير
تلقـــى الكبـــار بعقـــ   ـــل الدبلوماسـي القـدير
أمـــا الأقـــل مقامًـــا   مـــن جاهـــل وخـــبير
فأنـــت فـــيهم لطيـــف   تجـــبر قلـــب الكســـير

* * *

(١) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين ص٢٢٥، العبودي.

تحيـــــة يــــا زميلـــــي ورفيقـــــي في الهجـــــير
في (مدغشـــــقر) شـــــهرًا قـــد كنـــت فيهـــا سميـــري
مترجمًـــــا وصـــــديقًا مســــاعدي وظهــــيري
جوزيـــت خـــيرًا جـــزيلاً مـــن اللطيـــف الخـــبير

* * *

هـــل تَـــذْكُرَنْ (تُوليـــارا) ومـــا بهـــا مـــن أمـــور؟
والقـــوم فيهـــا أقـــاموا صـــلاتهم في حصـــيرا!
لم يســـتطيعوا بنـــاءً علـــى مكـــان صـــغير
و(فُـــورْتَ ديفـــانَ) فيهـــا قـــول الإمـــام الكـــبير
أمواتنـــــا نتمنَّـــــى نعْشًـــا لهـــم مـــع سرير
يقـــول: يـــا قـــوم مـــدُّوا يَـــدَ الرفيـــق القـــدير
إلى أخ مُسْـــــتَذَلٍّ أخ صـــــغير فقـــــير
مجـــــدنا هَدَمَتْـــــهُ ريـــح المحـــيط الكـــبير
فلـــم نَـــزَلْ دون ســـتر أمـــام لفـــح الهجـــير
أهـــل الـــديانات طُـــرًّا مـــن عـــاجز وقـــدير
بـــاؤوا بعـــون وبؤنـــا نحـــن بقلـــب كســـير
لـــيس لنـــا مـــن معـــين كـــلاَّ ولا مـــن نصـــير
هـــل تَـــذْكُرَنْ (منكـــارا) ذات المنـــاخ المطـــير
هـــل ذكـــر القـــوم فيهـــا أربـــاب شـــعر غزيـــر؟

قبـــائلا مـــن بـــني تَيْـــــــ ـــــــمور بجمــع غفـــير
تُنْمَــى إلى العُـــرْب شـــكلاً ولــــيس ذا بـــــالكثير
لكنــــــها في أمـــــور مـــن كبريـــات الأمـــور
ليست من العرْب رغـــم الـــ ـــــوجه المُضــيء المـــنير
فدينــــــــها ضَــــــيَّعَتْهُ في غـــــابرات الـــــدهور
وقـــد بَـــدَتْ بعـــد هـــذا بمظهـــــر مـــــن قُشُـــور
قلائــــــد في النُّحــــــور وفوطـــــــة في الظهـــــور
وأضْـــــربٌ مـــن طـــواق قـــــد طُـــرِّزَتْ بــــالزهور
قـــد لبســـوها جميعًـــا مــــن نســــوة وذكـــور
كي يَسْــتروا الــرأس فيهــا فـــأين ســـتر النُّحـــور؟
لا يعرفـــــون انْتعـــــالاً إذا مضـــوا في مســــير
ولــــيس ذلـــك مَهْمـــا يكـــن بخطـــب خطـــير
لكنمـــا الخطـــب مـــا قـــد تـــــداولوا مــــن نكــــير
فهـــم يعيشـــون قُـــدُمًا في منكــــــر مســــــتطير
قـــد ألفـــوه بجهـــل مـــا إنْ لـــه مـــن نظـــير
تـــــأثروا بأنــــاس مــــن المحــــيط الغزيــــر
رأوا زنـــا البنـــت أمـــرًا سَــــهْلاً وغـــير عســـير
كـــم ولـــدتْ مـــن إنـــاث! وأعقبـــت مـــن ذكـــور!
ترمــــي بتلـــك وهـــذا لا تكتـــــرث بالصـــــغير

لجـــــــــــدة أو لأمٍّ — في جنَّـــــة أو ســــعير
وتنـــــثني لاغتنـــــام الْـــــ — ـــعُمْر القصـــير النضـــير
لأنهـــــا بعــــد حـــــين — مـــن الزمــــان قصـــير
لا يرغـــب الفحـــل فيهـــا — أقـــبح بـــه مـــن مصـــير!

* * *

يـــا ويـــح قـــوم أضـــاعوا — إســـلامهم في الـــدهور
قـــد ضـــيَّعوه فصـــاروا — كـــأنهم في قبـــور
يـــا ويحنـــا إنْ تركنـــا — هـــمُ نهْـــبَ حـــظ عشـــور
فـــذاك إثم كـــبير — وموجـــع للضـــمير
أم هل تناسـيتَ (وي بـــنْ)؟ — ثم كـــلام الأمـــير؟
إذْ قـــام فينـــا خطيبًـــا — وبلســـــان جهـــير
لكـــنَّ عينيـــه قالـــت — والـــدمع جـــدُّ غزيـــر
مـــا لم تقلـــه القـــوافي — ولا بيـــان الســـطور
يـــا إخـــوتي، هـــل معـــينٌ؟ — فمـــا لنـــا مـــن ظهـــير
مســـجدنا ضـــاق عنـــا — نســـعى لمـــبنى كـــبير
قـــد ردَّنـــا كـــلُّ بـــاب — لم يَسْـــقنا أيُّ بـــير
حتى لـــ (تانـــا)[1] وصـــلنا — ومـــا لنـــا مـــن نصـــير
لظنِّـــه أن (تانـــا) — أقصـــى المـــدى والمسـير

(١) هو الاسم المختصر لمدينة تاناناريف عند شركات الطيران وغيرها.

مــــا بعـــدها غـــير هُلْـــك		ومظلمـــــات البحـــــور
ســـألته: هـــل حججـــتم		بيـــت الإلــــه الغفـــور؟
فقـــال: مـــا حَــج منـــا		مـــن ســالفات الـــدهور
إلاّ امـــرؤ منـــذ خمـــس		فيـــا لــــه مـــن ظَفُـــورا!

* * *

يـــا صـــاحبي يـــا دكـــوري		لقـــد عرفـــت شـــعوري
لمــــا رجعنـــــا لتانــــا		إلى المكـــــان الشـــــهير
وبعـــد ذلـــك صـــرْنا		إلى الحســـــاب العســـير
قـــالوا لنـــا: أيـــن كنـــتم		أثنــــاء ذاك المســـــير؟
قلنــــا: ذهبنـــــا بــــإذن		مـــن أوليـــاء الأمـــور
وكلـــــهم قـــــد أبــــاحوا		رغباتنـــــا في المـــــرور
بكـــل ركـــن وصـــقع		مـــن أرض خصْـــب وبـــور
ولم نُســـئْ ـ قـــط ـ فعـــلاً		ولم نقـــلْ قـــول زور
لكنـــهم مـــا أصـــاخوا		وشـــــددوا في الـــــنكير
مَـــنْ ذا لقيـــتم؟ أجبنـــا		مَـــنْ لم يُحَـــطْ بالســـطور
وبعــــد أخـــــذ ورد		وشـــــدة وفتـــــور
تســـاؤلٌ، وجـــواب		مـــن ترجمـــان قـــدير
تـــداولوا، ثم قـــالوا		وبعــــد هـــذا العُبـــور؟
فقلـــت: نمضـــي لجـــزء		مـــن المجـــال الكـــبير

فتمتموا: ذاك يكفي ... عن المكان الأخير

بلادنا في اضطراب ... وهَيْجة وثُبور

لا تذهبوا نحن نخشى ... أن تقعوا في شرور

ويقصدون بهذا ... أن يمنعوا من ظهوري

للمسلمين اليتامى ... أهل القرى والكفور

قلت: افعلوا ما أردتم ... أنا هنا كالأسير

* * *

ثم قضينا ثلاثًا ... في طولها كشهور

لأننا دون سَعْي ... لروحة أو بُكور

وإنما قد بقينا ... من دون أي مَحير

ما بين مقهى مريح ... ودفتر ذي سطور

ونسأل الله نُجْحًا ... في مقبلات الأمور[1]

* * *

وله قصائد أخرى تضمنتها بعض كتبه.

ومن شواهد أدبه كتبه المبثوثة المتداولة التي طرقت ألوانًا من الأدب شعرًا ونثرًا.

إلا أن اللغة استهوته كثيرًا؛ فصيحها وعاميها، حتى ألّف فيها معاجم كبرى، ومنها:

---

(١) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين ص٢٢٥، العبودي.

١- "**الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة**": الذي يقع في اثني عشر مجلدًا، وهو كتاب مخطوط كبير.

وهو يتناول، كما هو مبين في عنوانه، الأصول الفصيحة للكلمات والألفاظ الدارجة.

والذي يظهر أن العلاّمة العبودي تحاشى في مسماه عن الألفاظ العامية؛ لأنه قد يرد: كيف تكون فصيحة وهي عامية؟

إلاّ أنه في تدقيقه بكلمة الدارجة خروج من هذا التساؤل الذي قد يرد، فكثير من الكلمات الدارجة المتداولة قد يظن بعضهم أنها عامية، ولكن من خلال الشواهد الشعرية وأصولها اللغوية يتضح غير ذلك.

إن العلاّمة العبودي تقصّى ذلك كله عبر بحثه النفيس بأصول تلك الكلمات وشواهدها الشعرية والنثرية من كلام العرب المتقدمين والمتأخرين.

١- **معجم الألفاظ العامية**: في ٢١ مجلدًا.

٢- **المقامات الصحراوية**: وهي على نمط المقامات المعروفة، كتب عليها رواية أبي ناصر النجدي عن أبي زيد الخيالي.

وقد تضمنت ثماني مقامات، هي: المقامة الصحراوية، والمقامة الخطية، والمقامة الرطبانية، والمقامة الأعرابية، والمقامة النحلية، والمقامة الجنّية، والمقامة البصلية، والمقامة السفرية.

وقد امتازت بأسلوبها الحواري الجذّاب، وعبارتها الأدبية السهلة.

وقد طبعت الطبعة الأولى في سنة ١٤١٨هـ.

٤- **أخبار أبي العيناء اليمامي**: طبعته دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٩٨هـ. ويشير العبودي في مقدمته للكتاب إلى الباعث على تأليفه، فيقول: "قرأتُ بإعجاب بعض أخبار أبي العيناء اليمامي عندما كنت في مطالعتي أسير بعض كتب الأدب العربي القديم، فأردت المزيد منها، فبحثت عن كتاب في

أخباره مما ألفه القدماء، فلم أجد، إلاّ ما ذكر من أن الصاحب بن عباد ألف فيها كتابًا أسماه: "أخبار أبي العيناء"، ولكنه كتاب مفقود.

فلحقني من الأسف على عدم الاطلاع عليه أمر عظيم، ولكنني رجعت إلى نفسي قائلاً: "لم الأسف والتحسر على فقد كتاب ابن عباد ولديَّ الكتب التي يمكن الرجوع إليها، وتلمس أخبار أبي العيناء فيها العدد كبير، ولعلي أجد فيها ما يشفي الغليل من تلك الأخبار".

وهنا نلحظ الهمَّة العلمية العالية التي يحملها العلاّمة العبودي، والتي قادته إلى عدد من الإنجازات الفريدة التي منها هذا الكتاب وغيره.

٥- **سوانح أدبية:** العلاّمة العبودي أديب ألمعي منذ صباه، وكتاباته المتقدمة شاهد حق على الروح الأدبية العالية التي يتمتع بها، وهو إلى ذلك حصيف فطن معنيٌّ بمدوناته مهما تطاول عليها الزمن، فالعلم والكتابة لا يزيدهما عمر الزمان إلا تجدُّدًا وبريقًا ولمعانًا، وهي مقالات منوعة تعود إلى طلائع السبعينيات.

وقد نشر الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤٠٩هـ.

٦- **الأمثال العامية في نجد:** كان العلاّمة العبودي قد بدأ مشروعه العلمي في الأمثال العامية في نجد عبر ألف مثل، نشرها مشتملة على شرح لمعانيها وشواهدها، عدَّها القسم الأول من كتابه، ووعد قُرَّاءه أن يصدر القسم الثاني منه لاحقًا.

إلا أنه تأخر كثيرًا حتى يسَّر الله صدور الأمثال العامية في نجد في عدة مجلدات، وضمنها الألف السابقة.

وقد اختط في طريقته للكتاب أن يرتبها حسب الموضوعات التي تختص بها؛ كالمرأة والزواج والموت والحياة وهكذا، مع مقارنة لطيفة بالأمثال في البلاد العربية إذا كان له نظير، وقد صُدِّر بتقديم من العلاّمة حمد الجاسر -رحمه الله- أثنى فيه ثناءً عاطرًا على الجهد الكبير المقدم من العبودي مُوصيًا باستقبال الكتاب أحسن استقبال.

٧- **الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة**: أحد أهم كتبه اللغوية، وكان قد أشار إلى لمحات لغوية في كتابه السابق: (الأمثال العامية) في نجد، وارتباط بعضها بمدلولات لغوية فصيحة، وقاده ذلك إلى إنجاز مشروعه المشار إليه المتمثل في نسبه تلك الأمثال إلى أصول فصيحة، وهو جهد كبير وشاق، لا يدركه إلا ذوو القدرات والهمم العالية.

إلا أنني أنقل ما ذكره في مقدمة كتابه المشار إليه، وهو لا يزال مخطوطًا؛ حيث يقول عن سبب تأليفه: إنني كنت في أول عهد الطلب، وفي زمن الطفولة مثل غيري من زملائي في طلب العلم في ذلك الحين أفرح وأعجب إذا وجدت كلمة من الكلمات العامية الدارجة في لغتنا العامية، وعرفت أنها فيما كنا نعبر به ذات أصل عربي قديم، وبخاصة إذا كانت تلك الكلمة غريبة، أو من حواشي اللغة العامية.

ذلك بأن طلبة العلم منا كانوا مأسورين بالفكر القديم الذي جعلهم يرون أن الكلمات العامية الدارجة كلمات ممجوجة ممسوخة، لا يجوز للعالم أن يستعملها إلاّ مع الأطفال أو جهلة العوام. وكانت قد عُزلت تمامًا على مر القرون عن الفصحى، وبذلك فُقِدَت الحلقة التي كانت تربط بين اللغتين في القرون الوسيطة.

ونقول: اللغتين، جريًا على عادة علمائنا الأوائل في تسمية اللهجات باللغات، وإلا فإنها لهجة من اللهجات العربية في جزيرة العرب: مهد اللغة العربية الفصيحة، بل مهد العرب.

ولكن كان أسلافنا من اللغويين وحتى الأدباء العرب يستعملون مصطلح (لغة) لما أصبحنا نسميه لهجة، و(لا مشاحة في الاصطلاح) كما يقول الأصوليون.

وبينما كنت أعمل في وضع (معجم الألفاظ العامية)، الذي سميته المعجم الكبير، وأبحث عن أصول بعض الكلمات العامية وجدت أن أكثر تلك الكلمات

العامية الحوشية الوحشية فصيح، بل هي من صميم الفصحى، ذكرها بذلك اللغويون الأوائل الذين كانوا يتلقفون الألفاظ الفصيحة من العرب الأقحاح ويدونونها في مؤلفاتهم أو يُدَرِّسونها لتلاميذهم.

وليس ذلك فحسب، وإنما وجدت أن أكثرها قد ورد في أشعار قديمة فصيحة، أو في أمثال أو نصوص قديمة.

وقد كنت أعجب وأطرب عندما أجد لفظة وردت في شعر عامي محدث، مثلما وردت في شعر جاهلي أو إسلامي قديم، مما حملني على زيادة البحث والاستقصاء، حتى اجتمع لي من ذلك قدر عظيم من الكلمات والألفاظ العامية ذات الأصول الفصيحة، إلى جانب النصوص والألفاظ الفصيحة التي وردت فيها.

فرأيت أن أُخَصِّص لها كتابًا قائمًا بذاته، وإن كانت لا تزال أو لا يزال أكثرها من محتويات (معجم الألفاظ العامية) - المعجم الكبير، يكون عنوانه: (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة). ثم إنني رأيت أنَّ بعضها قد اعتراه التحريف؛ نتيجة للتطور اللغوي المحتوم، أو نتيجة لغلبة قالب أو قوالب لغة - بمعنى لهجة - أخرى، فاختلف قليلاً عما كان عليه في القديم؛ لذلك أضفت إلى ذلك العنوان عنوانًا آخر رديفًا، هو: أو (ما فعلته القرون باللغة العربية في مهدها).

والقصد من هذا الكتاب ليس إحياء هذه الألفاظ واستعمالها في لغة الكتابة، فذلك ما لا نريده ولا ندعو إليه؛ لأننا من المنادين بأن تكون لغة الكتابة والتأليف ووسائل الإعلام في البلدان العربية كلها لغة واحدة، كما قد بدأ الآن، وهو مرشح للتوسع المكاني والتطور إلى الأفضل.

وإنما المراد من ذلك مراد علمي بحثي خالص؛ لنرى كيف كان أسلافنا القدماء من العرب الفصحاء يستعملون تلك الألفاظ والكلمات، ثم استمر استعمالها على مر القرون حتى وصلت إلينا في هذه العصور المتأخرة.

٨- **بين العامية والفصحى أو ما فعلته القرون باللغة العربية في مهدها**: وهو كتاب موسوعي ضخم وهائل، يقع في نحو اثني عشر مجلدًا، والكتاب لايزال مخطوطًا.

وقد سبق للعبودي أن كتب في هذا رسائل صغيرة حول هذا الجانب.

٩- **كلمات قضت**: وهو كتاب أدبي لغوي شعبي يتضمن بيانًا وإيضاحًا للكلمات الدارجة التي اندثرت، وقضى عليها الزمن أو كادت، مع شواهدها وبيان مدلولها؛ إذْ يشير العبودي إلى أنه كتاب يشتمل على ألفاظ وكلمات من لغتنا الدارجة كانت حية نامية في كلامنا، بل كانت كذلك منذ قرون متعددة، وربما كان ذلك أو بعضه قبل أن تعرف العربية التدوين والتأليف في اللغة، وقد عَدَتْ عليها عوادي الزمن، فاضمحلت حتى ماتت بعد أن تغيرت الحياة بنا نحن أهلها، فصرنا نحيى حياة جديدة متباينة لحياتنا الأولى، عندما كانت تلك الكلمات تعيش في أذهاننا، وتتردد في أفواهنا؛ وذلك لكونها وجدت في الأصل في حياة عريقة تقليدية اقتضتها طبيعة العيش في أرض الصحراء التي لم تتبدل على مدى القرون، إلا ما اقتضته سُنَّة التطور التي لا تكون واضحة إلا إذا حدثت طفرات تاريخية بدَّلت أنماط الحياة التي يحياها المجتمع الذي يتكلم بها.

وقد كان اكتشاف النفط في بلادنا، ثم استغلاله وما ترتب على ذلك من دخول أساليب، بل وطرائق وأنماط جديدة في المساكن والمآكل والملابس، وفي التعليم والمدارس، عاملاً حاسمًا في هجران تلك الكلمات والألفاظ التي استعملت لغير هذه الحياة، وترعرعت وعاشت في زمن غير هذا الزمن، فلم تستطع مواكبة الحياة الجديدة التي وفدت ومعها ألفاظ وكلمات مناسبة.

كما ركزت في استعمال ألفاظ وكلمات صالحة لكل زمن، واستوردت آلاف الألفاظ والكلمات المناسبة لهذه الحياة الاقتصادية والثقافية الجديدة، فكان أن ماتت تلك الألفاظ والكلمات القديمة، وإن كان موتها ليس فجائيًّا؛ فالألفاظ ليست كالأشخاص الذين قد يموت بعضهم موت الفجأة، ذلك بأن موتها هو في هجرانها من قبل أهلها المتكلمين بها، وهذا لا يكون فجأة بين ساعة وأخرى.

ولذلك ظلت تلك الكلمات التي ماتت من الاستعمال عند عامة الناس، وبخاصة عند الأجيال الصاعدة، ذكريات أو كالذكريات في أذهان الكبار والمسنين الذين عاصروها حية نشيطة، ثم شهدوا ارتخاءها أو مرضها حتى موتها، فصاروا يتحسرون عليها كلما تذكروها، شأنهم في ذلك شأن المرء الذي يرى صديقًا قديمًا يموت وينساه الآخرون، فيتهمهم بالجحود، ونكران الصداقة.

وهذا ما حدا بي إلى تأليف هذا الكتاب الذي يضم آلاف الألفاظ والكلمات العامية التي قضت نحبها، وماتت في مهدها، فنسيها أهلها، وتناساها حتى مَن كانوا يعرفونها، ونشأت الأجيال الطالعة لا تعرف عنها إلا كما تعرف عن الألفاظ المنقرضة، أو عن الكلمات المهجورة.

ولذلك سميتُ هذا الكتاب: "ألفاظ قضت"؛ لأنها صارت بالفعل كذلك بالنسبة إلى أكثرية الناس. فعلى سبيل المثال، لو ذكرتها للمتخرجين في الجامعات، الذين منهم حملة الشهادات العليا، وجدتهم لا يعرفونها، ولا يعرفون معانيها، ولا أوجه استعمالها عندما كانت مستعملة، ذلك بأنهم دأبوا على استعمال كلمات بديلة عنها، أو أنهم لم يحتاجوا حتى إلى استعمال كلمات بديلة عنها؛ لأن أساس الحاجة إلى وجود بدائل وألفاظ غيرها تحل محلها ليس موجودًا.

ومثال ذلك ما يتعلق بالسني، وهو استخراج الماء من الآبار لسقي المزروعات، وذلك لو جمع وحده لألّف كتابًا قائمًا بذاته، ولكن السني على الحيوان استبدل به إخراج الماء بالمضخات والآلات الرافعة، فلم تعد الحاجة تدعو إلى إيجاد بدائل عن الكلمات التي كانت مستعملة في السني.

وقل مثل ذلك عن أدوات الحرث والري والحصاد؛ فقد استبدلت بها كلها الآلات التي اخترعت لبعضها ألفاظ ومصطلحات جديدة.

والقول كذلك في أمور كثيرة جدًّا، مثل أدوات الحرب والعراك، ومثل ما كان يلزم لتربية الماشية ورعيها من ملاحقة المطر النازل، ورعي الربيع في البادية، يتبع ذلك أدوات السفر والارتحال على الإبل، وما كان يوضع عليها من الرحل والزينة، وحتى الزاد والمزاد.

وهناك ما هو أهم من ذلك من الناحية الفكرية، وهو ما طرأ على التعليم من كونه كان في كتاتيب صغيرة يجلس فيها التلاميذ على الأرض، ويعلمهم معلم هو نفسه يحتاج إلى تعليم؛ لذلك كان يكل تعليم بعضهم لبعض.

فالكبار يعلمون الصغار تعليمًا أسموه بذلك، وهو لا يستحق أن يسمى تعليمًا، إلى أن أصبحت المدارس الآن عصرية مثيلة لما يكون عند أكثر الأمم الأجنبية المتقدمة في الإدارة، وذلك اقتضى موت الألفاظ والكلمات التي كانت مستعملة للوسائل التعليمية القديمة على قلتها، بل ندرتها، موتًا كاملاً، حتى غدت نسيًا منسيًّا.

وقل مثل ذلك في الغذاء والطعام، سواء من حيث تنوع الوجبات، أو من حيث توقيتها وخزن الطعام وإعداده. وهكذا لو ذهبنا نضرب الأمثال لطال الكلام، وربما احتجنا لكي نعطيه حقه إلى مؤلف قائم بذاته.

وكنت ممن عايش هذه الألفاظ والكلمات العامية التي هي في الحقيقة عربية عريقة، بل ربما قلنا: إن بعضها من بقايا اللغة السامية المفترضة بأنها أم اللغات السامية، بقيت في العربية قبل التدوين، واستمرت في العامية حتى شهدنا موتها نحن الذين قُدِّر لنا أن نعيش الحياة الأولى التي كان عليها آباؤنا وأجدادنا، ثم نشهد الفترة، بل الطفرة التي حصلت في حياتنا حتى صرنا نعيش الحياة الجديدة التي صار يعيشها أولادنا، بعد أن صاروا رجالاً مثلنا.

فرأيت أن ترك هذه الألفاظ والكلمات التي صحبتنا، واستعملها قومنا مئات إن لم تكن آلاف السنين، ثم شهدنا مصارعها في حياتنا من دون تدوين، هو من الجحود والنكران لتراث الأجداد، بل إهمال لجزء مهم من تاريخنا؛ لأن الكلمات والألفاظ الشائعة ذات فائدة اجتماعية تاريخية للباحثين.

ولذلك ينبغي لنا أن نفعل -على الأقل- ما فعله أسلافنا الذين شهدوا طفرة مشابهة في زمن ازدهار الخلافة الإسلامية العباسية؛ حيث قلّت الحاجة أو انتفت إلى الألفاظ الأعرابية، وهجرت أساليب البداوة في الحياة، إلاّ ما كان من

أعراب معتصمين ببادیتهم، فسارع اللغويون والأدباء إلى تسجيل الألفاظ المذكورة، وأسمى بعضهم بعضها بغرائب اللغة، وبعضها بوحشي اللغة.

وكانوا مدفوعين إلى ذلك بكونها من الأدوات المهمة لفهم النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن الشعر الفصيح الذي هو ديوان اللغة، ومستودع مفاخر العرب الأُوَل حملة الرسالة، وقادة الأمة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

فكان من عملهم الجيد أن أودعوا في كتب اللغة التي أفرغت بعد ذلك في الموسوعات اللغوية الكبيرة، ككتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكتاب تهذيب اللغة للإمام الحجة الثبت أبي منصور الأزهري، فضلاً عما سبق ذلك ورافقه من مئات الكتب الصغيرة والصغرى، كتهذيب الألفاظ لابن السكيت، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، وحتى كتب بعض الأعراب النجديين، كأبي مسحل الأعرابي، ومثل كتب الأصمعي والفراء.

ولولا عملهم ذلك لكُنَّا نحكم اليوم على آلاف الألفاظ والكلمات الموجودة في لغتنا الدارجة بأنها مُوَلَّدة أو محدثة أو منقولة من أمم أخرى، وليست لها جذور عربية، ولا أرومات لها فصيحة.

وقد كتبتُ كتابًا أكبر من هذا يتناول هذه الألفاظ العامية وأصولها الفصيحة، واستشهدتُ على ذلك بأقوال أولئك العلماء المحققين، وبأشعار العرب الأقدمين، وأسميته: (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون باللغة العربية في مهدها).

أما في هذا الكتاب: "ألفاظ قضت" فإنني لم أتعرض لأصول الألفاظ والكلمات، وإنما أذكر مبناها ومعناها وشواهدها من الشعر العامي الذي هو الوسيلة المتوافرة لتوثيقها، وهو في ذلك يرينا كيفية استعمالها في موقعها من الجملة، حتى في كيفية النطق الصحيح بها؛ لأن الشعر العامي موزون -كالشعر الفصيح- بموازين من التفعيلات التي إذا وضع فيها حرف ساكن بدلاً من حرف متحرك أو العكس اختل البيت، ولم يصبح شعرًا.

وللشعر العامي بحور كبحور الشعر الفصيح، ليس هذا موضع ذكرها، إلا أننا نذكر أنها أكثر من بحور الشعر الفصيح إذا عددنا ما تفرَّع من بحر بحرًا مثله إذا كان مجزوءًا أو مختصرًا مقتصرًا على أربع تفعيلات بدلاً من ستٌ أو ثمان في البحر الأصلي.

ومن ذلك أن لشعر العرضة الذي يصح أن نسميه بشعر الحرب أكثر من تسعة بحور.

أما مرجعي في إثبات هذه الألفاظ التي قضت فهو ما أعرفه عنها من الاستعمال، وما عاشرتها عليه من حياة، إضافةً إلى توثيق بعضها بالشعر العامي، والذي يعرف المعنيون بالأدب العامي صحته وسلامة ألفاظه من الدخيل والمنحول. وقد ساعدني على ذلك ما كتبته "معجم الألفاظ العامية"، الذي هو معجم ضخم يضم الألفاظ العامية ما كان منها حيًّا وما كان ميتًا، إلا أن ما ذكرته هنا ليس كل المذكور في ذلك المعجم، بل إن المعجم يحتوي على مقادير كثيرة من الكلمات غير موجودة في هذا الكتاب؛ لأنني لم أقصد من هذا الكتاب أن يكون شاملاً للألفاظ العامية التي قضت وانتهت من الاستعمال اللغوي؛ لأن ذلك كثير وواسع، وقد ذكرته في كتب أخرى، وإنما قصدت حشد ما تيسر لي حشده فيه تسجيلاً للواقع، وقيامًا بحق هذه الكلمات التي كانت على مدى قرون متطاولة أدوات لحاجاتنا، ومعبرة عن استعمالٍ ما كنا نستعمله في حياتنا، حتى إنها تعطي فكرة عن مناحٍ من مناحي تفكيرنا.

وطبيعي أن الفائدة في تسجيلها ليست منحصرة في متعة معرفة ذلك، وإنما ذلك يستفيد منه الباحثون في عدة نواحٍ من فروع البحث، فالذي يعثر عليها في نص من النصوص ولا يعرف معناها يمكنه أن يبحث عنها هنا، فقد يجدها، والباحث الاجتماعي يجد -بلا شك- من خلال معانيها ما تهمه معرفته عن طريقة من طرائق المعيشة في المجتمع الذي سادت فيه تلك الكلمات، فضلاً عن الباحث اللغوي الذي يريد أن يعرف المدة التي عاشتها تلك الألفاظ أو بعضها في جزيرة العرب حين يجدها أو يجد أصولها مدونة في كتب اللغة القديمة.

حتى الباحث في اللغات السامية سيرى بعض الألفاظ التي لم تسجلها المعاجم العربية، ولكنها بقيت مئات من السنين في لهجتنا العامية، غير أنها ماتت أو كادت عندما تغيرت أنماط الحياة وأساليب العيش، وربما مناحي التفكير عند بني قومنا في الوقت الحالي.

وكأنني بقائل من الإخوة المسنين من بني قومنا يقول: إن كلمات من هذه الكلمات لم تمت، وإنها ما زالت حية باقية، وقد يقول مثله من فتياننا ممن سمعه أو سمع أمثاله يقول ذلك.

والجواب بأن موت الألفاظ والكلمات ليس معناه أنه لا يوجد شخص يعرفها؛ لأننا نعرف حتى بعض الألفاظ التي ماتت قبل مئات السنين، وإنما المراد موتها من الاستعمال، وعدم معرفة الأجيال الصاعدة لها؛ لأن هذا هو موت اللغة، وهو كموت الأفراد الذين يخلدون بعد موتهم في الكتب، أو في غيرها من صفحات التاريخ.

أما مَسْرح هذه الألفاظ والكلمات فإن بلادنا النجدية التي يمتد مدى الألفاظ فيها إلى بعض أقطار الخليج شرقًا، وإلى حواضر المدن في غرب المملكة العربية السعودية، وفي بوادي الشام والعراق، وقد تقصر عن ذلك قليلاً؛ لأن الامتداد أو الانكماش اللغوي ليس له حد محدود بالأميال، أو حتى بالأودية والجبال، وإنما يتسع ويضيق حسب مقتضيات الأحوال.

وعلى أي حال، فإن الموضوع موضوع بحث نرجو أن يكون مفيدًا ولو لم تعرف حدود نفوذ بعض الألفاظ أو مسرح بعض الأقوال.

١٠- **كلمات دخيلة في لغتنا الدارجة**: ويقع في مجلدين يتضمن بيانًا للكلمات ذات المدلول والأصل غير العربي، ونسبتها إلى لغتها.

١١- **ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي**: وهو مخطوط يقع في جزء واحد.

١٢- **ألفاظ الفروسية والحرب في المأثور الشعبي**.

١٣- **غرائب الألفاظ النجدية ذات الأصول الفصيحة.**

أما كتبه الأدبية العامة التي لا يزال بعضها مخطوطًا، فهي:

١٤- **شعراء من القصيم.**

١٥- **هكذا أوحى إليّ الناس.**

١٦- **شعراء العامية في بريدة.**

١٧- **سوانح بوارح.**

١٨- **شعراء العامية في القصيم.**

١٩- **أدب الرحلات:** وهو يتناول مسيرة أدب الرحلات، وخصوصًا عند أعلامه الأوائل، ورؤية عميده الحاضر العبودي لـ أدب الرحلات المعاصر، والرؤى الفنية والأدبية والنقدية لهذا الأدب.

٢٠- **يوميات موظف بعد الستين سنة من العمل:** وهذا الكتاب يحكي فيه العبودي عصارة تجاربه العملية التي تنقلت في مواضع ومواقع كثيرة، فأنتجت ثراءً عمليًّا خصبًا، وثروة هائلة من المواقف والأحداث، وكيفية التعامل معها والنظر إليها.

وهو من أهم كتب العبودي؛ حيث يبرز وجهًا آخر من حياة العبودي، وهي حياته العملية.

٢١- **معانٍ لا يتصورها الأبناء:** وهذا كتاب آخر من كتب التجارب التي عاشها العبودي مع جيله، واحتاج إلى إبراز جوانبها إلى الأجيال القادمة التي تنظر حكمة الآباء وخبرتهم؛ ليدفعوها إلى الأبناء.

٢٢- **صور من الحياة في بريدة قبل ٧٣ سنة:** وهذا الكتاب يتضمن صورًا اجتماعية جميلة لبلده الذي عاش فيه "بريدة"، وهيئة الحياة فيه وظروفها.

٢٣- **أخبار محمد الربدي**[١]: وهو رجل من إحدى أسر بريدة الكبرى المعروفة، قص فيها العبودي مواقعه وأحداثه فيها، ومآثره المحمودة في الجود والبر والعقل والكرم.

٢٤- **أخبار علي المقبل وابنه سليمان**[٢]: وهما من رجال الحكمة والعقل في بريدة، لهما قصص في غاية العجب والظرافة والدهاء، صاغها العبودي في قالب اجتماعي بديع.

٢٥- **أخبار قني**[٣]: وهي قصص تبرز أحد رجال الدهاء والفراسة القافة الذي يمثل دور رجل الأمن الأول في بريدة، وقد جمع العبودي قصصًا في غاية الغرابة، ولا يزال مخطوطًا.

٢٦- **أخبار الملا ابن سيف**[٤]: وهي أيضًا سيرة رجل له قصص وواقعة عجيبة طريفة فريدة، أطنب العبودي في ذكرها وبيانها والتعليق عليها، ولا يزال مخطوطًا.

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن الربدي: ولد في بريدة سنة ١٢٠٥هـ، وتوفي عام ١٣٠٠هـ، وأخواله أسرة السابح من آل أبي عليان أمراء بريدة السابقين.
كان كبير أهالي بريدة في وقته، وهو أكبر أغنياء نجد آنذاك، له آثار نادرة في البر والإحسان والصدقة وبذل المعروف، قتل ابنه عبد الرحمن وابنه سليمان على يد عبد العزيز بن رشيد في معركة الصريف سنة ١٣١٨هـ. أما محمد المشار إليه فقد كانت وفاته في حدود سنة ١٣٠٠هـ.

(٢) هو علي بن مقبل بن علي بن عبد الله آل عبيد: من قبيلة سبيع المعروفة، ولد في بريدة سنة ١٢٤١هـ، وتلقى العلم على مشايخ آل سليم، والشيخ سليمان المقبل، والشيخ عبد الله بن فداء وغيرهم، واشتغل بالتجارة والمداينة على الطريقة المشروعة، له قصص متداولة في الورع وإخراج الحقوق، كان ذا شخصية قوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي سنة ١٣٣٤هـ وخلف عدة أولاد، وأبرزهم سليمان وعبد العزيز وعبد الله، رحمه الله رحمة واسعة.

(٣) هو عبد الكريم بن عثمان آل عبيد: يرجع في نسب أسرته إلى قبيلة شمر، وقُني لقب له وليس لغيره، ثم غلب على ذريته من بعده، عرف بالدهاء وسرعة البديهة والفراسة، توفي سنة ١٣٥٧هـ.

(٤) الملا ابن سيف: هو عبد المحسن بن محمد بن سيف: سمي بالملا لحسن خطه، وهو من الكتبة الأثرياء في بريدة، وقد غلب اسم الملا على بعض أفراد أسرته، ومنهم عبد الله بن ناصر بن عبد الله بن عبد المحسن آل سيف، وهم أسرة معروفة قديمة، برز منهم طلبة علم وأئمة مساجد وكتبة.

٢٧- **المقامات البلدانية**: وهي على نمط المقامات الصحراوية، فيها تنوُّع، وقد امتازت بروحه الأدبية، ولغته الحوارية المقامية.

٢٨- **أخبار مطوع السبيب**(١): يتناول فيه قصصًا غاية في الطرافة والشجاعة وسرعة البديهة والسجع غير المتكلف، جمعها فصارت كتابًا لطيفًا لا تمل قراءته.

٢٩- **أخبار حمد الصقعبي**(٢): وهي أخبار كثيرة وقصص وبطولات وحكايات يميل بعضها إلى الأسطورة، وقد جهزها العلاّمة العبودي للطبع حفظًا للتراث، وجَنْيًا للفائدة.

٣٠- **وجهة نظر**: وهو كتاب يتناول بعض آراء العلاّمة العبودي في بعض القضايا والطروحات.

٣١- **مع الناس**: يتضمن مواقف وقصصًا وأحداثًا مرَّت ومضت وقضت في حياته وتعامله مع الناس.

٣٢- **يوميات نجدي**: وهي، كما هو واضح، تتضمن يوميات ومذكرات درج على كتابتها يوميًا حتى صارت في ثلاثة أجزاء، جاهزة للطبع.

٣٣- **حديث المؤتمرات**: يتناول فيه المؤلف بعض ما دار في تلكم المؤتمرات من شجون وهموم، تدوينًا تتجلى فيه دقة العبودي الوصفية والتحليلية لتلك اللقاءات.

---

(١) هو عبد الكريم بن عودة بن حمد المحيميد، من أسرة المحيميد المعروفة التي تنتمي في نسبها إلى بني خالد المقيمة في البصر غرب بريدة. كان رجلاً صالحًا حكيمًا فطنًا، له قصص وحكايات، توفي سنة ١٣٤٦هـ، وقد برز من هذه الأسرة عشرات القضاة والدعاة وطلبة العلم.

(٢) هو حمد بن محمد الصقعبي: ينتمي إلى أسرة الصقعبي الكبرى المعروفة في بريدة، عرف بالشجاعة والبطولة، وله أخبار متداولة، توفي رحمه الله سنة ١٣٩٧هـ.
عرف عن هذه الأسرة الشجاعة، وكانوا حملة راية أهل بريدة.

٣٤- **حِكَم العوام**: ومن لطائف اهتماماته تتبُّعه للحِكَم، كما سبق أن تتبع الأمثال، وقد أفرد لذلك كتيبًا أسماه: (حكم العوام).

ويشير إلى أن قصده من هذا الكتاب أن يضع القارئ أمام آراء العامة في المسائل المهمة من خلالها.

ويقصد **بالحكم العامية**: هي التي يستعملها العامة، سواء كانت من وضعها، أو من اختراعها، أو ممن انتقل إليها من التراث العربي الغني بالأمثال والحكم.

ويقول أيضًا: وقد عَوَّلْتُ في جمع هذه الحكم على معرفتي الخاصة بها؛ حيث إننا أول ما عقلنا وهذه الحكم تتردد على ألسنة العوام.

ومن مظاهر اهتمام العبودي اللغوية تناوله للغات البلدان التي يزورها، وحديثه عنها، ومناقشته لأصولها، كما في كلامه عن لغوية يوربا التي يتحدث بها النيجيريون؛ فقد أكد العبودي على أنها لغة تفرعت عن العربية، وأنها تحمل نسبة كبيرة من اللغة المصرية القديمة، مشيرًا إلى أنه يعسر استقصاء الكلمات العربية التي تنازلت إلى اليوربوية؛ إذ منها ما اتحدت لفظًا ومعنى و لم يسقط منها إلا حرف أو حرفان، ومنها ما تحرف يسيرًا، ومنها ما تبدل بحرف آخر.

وقد وضع جداول مهمة تبين هذا التفاوت حين الرجوع إليها[1].

كما أن للعبودي دقة في الوصف، خصوصًا عند بعض تلك المناظر الطبيعية التي تستحق التنويه والإشارة.

وها هو ذا حين يشاهد نعامًا جميلاً في زيارته لـ تشاد يقول: رأيتها تتهادى في سيرها وكأنها الذلول من الإبل التي ترفع رجلاً واحدة، ثم تحطها رافعة الرجل الأخرى، وهي تسير سيرًا وئيدًا، ذكرْتُ قول الشاعر:

ومثل حمامة تدعى بعيرًا ... تعاظمها إذا ما قيل سيري

---

(١) انظر نيجيريا للعبودي ص٢٠.

فإن قيل: احملــي، قالــت: فــإني من الطــير المربــة في الوكــور[1]

ومن شواهد تذوقه للشعر واستحضاره أنه مرَّ بغدير في لاوس بكمبوديا[2] فذكَّره بغدير العاقول في المدينة المنورة، فاستذكر قول الشاعر:

وقالوا يعود الماء في النهر بعــدما عفت منه آثار وجفت مشــارعه
فقلت إلى أن يرجع الماء عائدًا ويعشب شطاه تموت ضفادعه

ثم ها هو ذا يستحضر أبياتًا للمتنبي قالها في ابن كروس في هجاءٍ كان خليطًا مع المزاح، فابن كروس أعور لا يبصر إلا بعين واحدة، فقال فيه المتنبي:

أيا ابن كروس يا نصــف أعمــى وإن تفخر فيــا نصــف البصــير

ثم يشير إلى شاهد البيت فيقول: إن الذين شاهدتهم إن قلت: إنهم نصف سود، يضجرون، وإن قلت فيهم: إنهم نصف بيض، قد يفخرون[3].

* * *

(١) انظر المستفاد من السفر إلى تشاد للعبودي ص١٨٧.
(٢) المسلمون في لاوس وكمبوديا للعبودي ص٨٥. صور من الرابطة عام ١٤١٦هـ.
(٣) انظر من أنقولا إلى الرأس الأخضر للعبودي ص٢٢٣.

الفصل السابع

الاحتفاء والتكريم

ودولـة السيف لا تقوى دعامتها ما لـم تكـن حالفتهـا دولـة الكتـب

مصطفى صادق الرافعي

المبحـــث الأول : ميدالية الاستحقاق في الأدب

المبحـث الثانـي : إثنينية خوجه

المبحـث الثالـث : النادي الأدبي بالقصيم

المبحـث الرابـع : ثلوثية المشوح

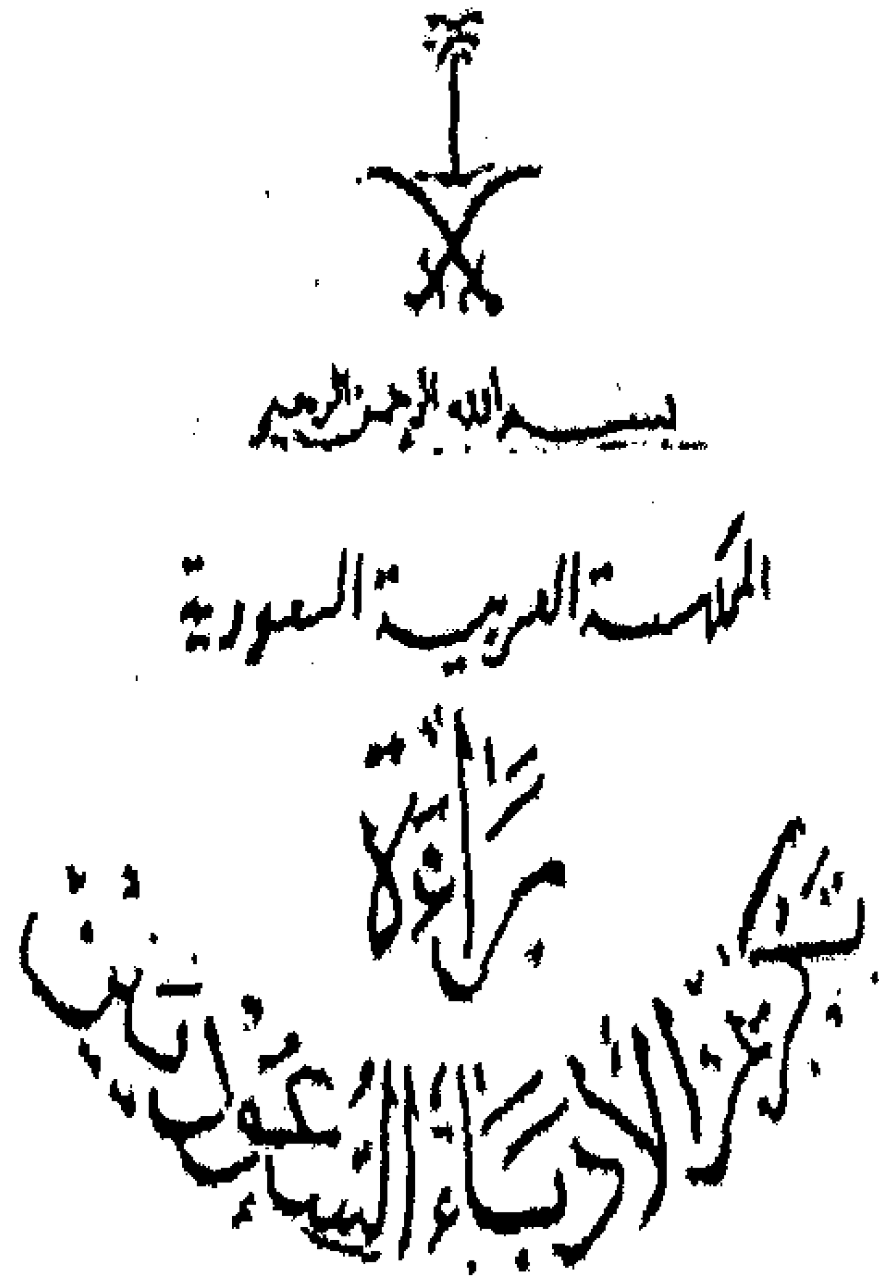
المبحث الخامس: الهدايا والدروع

المبحث السادس: العبودي في عيون الشعراء

المبحـث السابع : حصر بيبليوجرافي بمؤلفات العبودي

المبحث الأول

ميدالية الاستحقاق في الأدب



يسر وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز. بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة
التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على
توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء،
أن يمنح السيد / محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريماً لجهوده وإنتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٣ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

محمد عبده يماني

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة



تسمية جامع مارنغا في البرازيل باسم جامع الشيخ محمد بن ناصر العبودي *

[لقد قررت الجمعية الخيرية الإسلامية في مارنغا بالإجماع إطلاق اسم جامع الشيخ محمد بن ناصر العبودي على المسجد الذي بنته بعون الله تعالى. وقد أرادت في الحقيقة أن تكرم المملكة العربية السعودية شعبًا وحكومة؛ للمساعدة الكريمة التي قدمتها لمشروع بناء المسجد في مارنغا، ولما تبذله من جهود مباركة لنشر الإسلام، ولعمارة المساجد في العالم. ولهذا أطلقت الجمعية على المسجد الذي تفتتحه اليوم اسم أحد أبناء المملكة الأبرار؛ لما يتحلى به المكرَّم من الخصال والصفات الحميدة، فهو رجل متدين بفقه وحصافة، صريح بلطف واتزان، متفتح بوعي وحزم. إنسان عالمي بكامل المعنى للكلمتين، مفكر وأديب وكاتب غزير الإنتاج، شيق الأسلوب، طاعت المعاني لقلمه الفياض، وانقادت له الفصاحة والبيان. سياسي شريف نظيف، ودبلوماسي لبق بصدق واستقامة. سامي الأخلاق، عالي الهمة، أمين، وفيٌّ، كريم، متواضع حقًّا. وضع مواهبه الجمة لخدمة دينه وأمته وبلده وحكومته. ففضيلته هكذا النموذج المثالي للمسلم الأصيل].

* * *

(*) انظر النشرة التذكارية الصادرة من الجمعية الخيرية الإسـلامية في مارنغا بمناسبة افتتاح المسجد بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٩م.

المبحث الثاني

إثنينية خوجه(١)

حفل تكريم الشيخ محمد بن ناصر العبودي

في ٢١/ ٧/ ١٤٠٦هـ الموافق ٣١/ ٣/ ١٩٨٦م

لمحات من حياة المحتفى به

(١) الاسم محمد بن ناصر العبودي.

(٢) ولد بمدينة (بُرَيْدَة) بالقصيم ١٣٤٥هـ.

(٣) تلقى تعليمه الأوَّلي بالكتَّاب، ثم بالمسجد على أيدي كبار العلماء، ومنهم: الشيخ عبد الله بن حُمَيْد، والشيخ عمر بن سليم.

(٤) عُيِّن مديرًا للمدرسة المنصورية في (بُرَيْدَة).

(٥) في عام ١٣٧٢هـ عُيِّن مديرًا للمعهد العلمي في (بُرَيْدَة).

(٦) وفي عام ١٣٨٠هـ عُيِّن مديرًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة.

(٧) في عام ١٣٩٤هـ انتقل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة إلى الأمانة العامَّة للدعوة الإسلامية.

(٨) قام بعدة رحلات إلى إفريقية وشرق آسيا وأمريكا في سبيل الدعوة الإسلامية.

---

(١) أحد أبرز الصالونات الثقافية السعودية، مضى على نشأتها أكثر من خمس وعشرين عامًا، كرَّمت مئات الشخصيات العربية والإسلامية، تحظى برعاية خاصة من مؤسسها الوجيه الشيخ عبد المقصود خوجه، وفقه الله.

(٩) له عدة مؤلّفات منها:

أ - «معجم بلاد القصيم» (ستة مجلّدات).

ب- «نفحات من السكينة القرآنية».

جـ- «مدغشقر بلاد المسلمين».

د- «رحلة إلى سيلان».

هـ- «مأثورات شعبية».

و- «الأمثال العامية في نجد».

ز- «الثقلاء».

كلمة الافتتاح

افتتح الأستاذ حسين نَجَّار الأمسية بالكلمة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نرحِّب بضيفنا في هذه الأمسية السعيدة. وهذا اللقاء في الواقع هو من اللقاءات النادرة؛ لأنها لقاءات تعوَّدنا فيها أن نلتقي بأشخاص يعيشون بيننا دائمًا قريبين مِنَّا. والشيخ محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، هو قريب مِنَّا بقلبه وبوجدانه وبروحه، لكنه يحمل دائمًا عصا التسيار. وعصاه لا يضعها؛ لأنه يحملها في سبيل الله، الجهاد الذي يقوم به في هذا الوقت. نحن المسلمين أحوج ما نكون إلى مثل هذا العمل الدؤوب، الذي لا يَعرف الكلل، ويحتسب كل ذلك في سبيل الله.

نرحِّب به ضيفًا في هذه الإثنينية، وباسم المحتفي الشيخ عبد المقصود خوجه أرحب به أجمل ترحيب، وأرجو من خلال هذه اللقاءات، ومن خلال هذه الدقائق التي سنعيشها معًا، آن نقف على كثير من الصعاب، وكثير من المَشاقِّ،

وكثير أيضًا من المفاجآت التي عاشها في أسفاره، متنقلاً بين دولة وأخرى، وبين مجتمع وآخر، على تباين المعتقدات والنزعات.

ونحن نعلم أن الهدف الذي يقوم به هدف سام ونبيل، وهو بيننا نرحب به، ونرجو قبل أن يبدأ الرحلة في شرح ما طلبناه منه، أن نأخذ أيضًا وقفة قصيرة نتعرف فيها خلفيته العلمية والدراسية؛ لأنها ستكون طريقنا إلى المعرفة حول ما صادف من مهام يقوم بها، أمد الله في عمره.

فمرحبًا باسمكم به، ونرجو له أمسية سعيدة.

كلمة المحتفى به الأستاذ محمد بن ناصر العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونُسلِّم على سيدنا ومولانا وحبيبنا نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي قدَّر هذا الاجتماع المبارك في هذه الساعة الطيبة، مع هؤلاء الصفوة من الإخوة من أصحاب المعالي وأصحاب الفضيلة، وممن هم فوق الألقاب. ثم نشكر لأخينا الوجيه النبيل الأخ الكريم الأستاذ عبد المقصود خوجه، الذي هيأ هذا اللقاء، الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءً مباركًا، وأن يجعله لقاءً مفيدًا لي؛ لأنني -كأي فرد من الإخوة المسلمين- محتاج إلى الاجتماع بإخوتي، وتبادل النصائح، ولا سيَّما وأنني أشغل وظيفةً من الوظائف العامَّة التي لها علاقة بالإخوة المسلمين في جميع أقطار العالم، ولذلك أجدني محتاجًا إلى نصيحة إخواني كل بقدر ما يرى أنه مفيد ولازم، ونصائحهم جميعًا -إن شاء الله- مفيدة بإذن الله.

ثم أشكر لأخينا المذيع النابغ الذي تكرَّم فقدَّمني بكلمات أنا في الحقيقة لا أستحقها، ولكن مرجع ذلك إلى حسن ظنه بي. وإنني على استعداد لكي أتكلم فيما ترون أنه مناسب. وإنني مع الأخ الكريم؛ لأنني هنا بعيد عن هذا المكان، ولكنني كما تفضل قريب جدًّا منه، أتابع هذه الندوات الطيبة المباركة، وأستفيد مما يبلغني عما يدور فيها.

إنني كما ذكر أخونا الكريم الذي طلب مني سيرتي الذاتية.. الواقع أنني أعتقد أنه ليس في سيرتي الذاتية ما يَستحق الذِّكر، ولكن إذا أراد أخونا ومضيفنا الكبير الكريم أن أتكلَّم على سيرتي الذاتية، بصفتي فردًا من أفراد هذا الشَّعب، فإن أي شخص يجب أن يَعرف أو يسمع فردًا من أفراد الشَّعب؛ لأنه يكون أنموذجًا للآخرين.

اسمي محمد بن ناصر العبودي، وُلِدْتُ في مدينة (بُرَيْدَة) بالقصيم عام ١٣٤٥هـ، وفي مدينة (بُرَيْدَة) دخلتُ أحد الكَتاتيب. ولا أريد أن أشرح لكم حال هذا الكُتَّاب، ولا ما كان يدور فيه، ليس لأن هذا لا يَستحق أن يُذكَر، فأنا أعتقد أنه يَستحق أن يُذكَر؛ لأنه يمكننا بالمقارنة بين حالة ذلك الكُتَّاب، وما وصلت إليه حالة المدارس عندنا -ولله الحمد- أن نَعرف أي فرق عظيم قد طرأ على حياتنا منذ ذلك الوقت إلى الآن، لكنني أخشى أن يتسبب الحديث أو التبسُّط في الحديث في ضياع الحديث، أو في عدم الحديث عن شيء أهم منه.

ذلك الكُتَّاب هو بيت من الطين، خال من الفَرْش، مُكوَّن من غرفتين، ليس فيه من المدرسين سوى واحد، هو (المُطوِّع). والمُطوِّع هذا شخصية عجيبة غريبة، حتى البُسطاء يتهمونه بالبَساطة، وقد يَخرج بعضهم به وبالحديث عن بساطته إلى حَدّ التغفيل. المُطوِّع هذا كان مُغفَّلاً بالفعل، ولكنه أحيانًا يتغافل أيضًا، لماذا؟ لأنه يبحث عن شيء يريد أن يحصل منه على رضا أولياء أمور الطلبة، إن صحَّ التعبير أهم طلبة.

كُنَّا في ذلك الكُتَّاب نجلس على الأرض كما قلتُ، ولا نَعرف شيئًا اسمه فَرْش فيه، ولم يكن المدرس أو (المُطوِّع) يُعلِّمنا هو بنفسه، بل كان يَنتدب الكبير من الطلاَّب ليُعلِّم مَن هو أصغر منه، ومَن هو أصغر منه يُعلِّم مَن هو أَصغر منه، أي يُعلِّم المُستجدَّ الذي طرأ حديثًا، ثم هو يُشرِف على الجميع، ليس بعقله إنما بعصاه. وكلنا كُنَّا نخاف من عصاه أكثر مما نخاف من الأشياء الأخرى.

وكانت تَحدث منافرة بين المدرِّس (المُطوِّع)، وبعض ذوي الحظِّ من الطلاَّب الذين أهاليهم على شيء من الثراء. فالمُطوِّع يريد أن يُقرِّب هذا الطالب الذي يرجو من ورائه شيئًا دسمًا، والطالب يريد أن يبتعد؛ لأنه لا يريد أن يكون تحت الرقابة الكاملة للمُطوِّع، ويَحدث ما يَحدث من فوضى.

وكما قلتُ: لن أتكلَّم على الكُتَّاب، وإنما بعد الكُتَّاب درَسنا في المساجد، وأذكر أن أول مَن بدأت القراءة عليه هو شيخنا الشيخ صالح بن كريديس رحمه الله، وهو رجلٌ كان يقول عنه بعضهم: إنه أكبر من المُطوِّع ودون الشيخ. وهو في الواقع أكبر من المُطوِّع بلا شك؛ لأنه يحفظ القرآن الكريم، ومُطَّلع على كثير من الأحاديث الشريفة، بل يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وله يد طُولى في الفقه، وكان محتسبًا أيضًا يجلس لنا في المسجد الذي نصلي فيه، مسجد الحي. أمَّا كونه دون الشيخ، فأنا أعتقد أنه أكبر من كثير من الشيوخ العامرين علمًا وعملاً.

كان هذا عام ١٣٥٩هـ، وكان كما قلتُ: لا يأخذ أجرًا، بخلاف المُطوِّع الذي في الكُتَّاب، الذي كان كثير من هَمِّه يَصرفه إلى ما قد يحصل عليه، أمَّا هذا فكان محتسبًا لله سبحانه وتعالى، بل كان يقول: إنكم أنتم الذين تفيدونني، يريد بذلك أننا نقرأ عليه، نطالع له في الكتب، فنحن بذلك نفيده كما قال.

ثم بعد ذلك انتقلت من القراءة على الشيخ صالح بن كريديس في مسجد الحي، إلى طلب العلم على الشيخ عمر بن سليم في المسجد الجامع. والشيخ عمر بن سليم هو قاضي (بُرَيْدَة)، وبمنزلة رئيس قضاة منطقة القصيم؛ لأنه لا يُعيَّن قاض في تلك المنطقة إلا بعد مشورته، وكان مرجعًا للجميع. ولكن لم تَطُل مدة القراءة عليه؛ لأنه توفي -رحمه الله- في آخر عام ١٣٦٢هـ. ثم بعد ذلك بأشهر قَدِمَ إلى (بُرَيْدَة) الشيخ العلاَّمة عبد الله بن محمد بن حُمَيْد، ولعلَّنا نعرفه، أو لعلَّ أكثرنا يَعرِفه حقَّ المعرفة، فكان قدومه فتحًا لطلاَّب العلم الذين كنت أَعُدُّ نفسي واحدًا منهم في ذلك الوقت، فنظَّم لتعليم الطلاَّب وإفادتهم حلقات منتظمة.. ولا ننسى أنه كان يجلس للطلاَّب من بعد صلاة الفجر حتى قرب طلوع الشمس. ثم

ينصرف إلى بيته، ويظل فيه نحو نصف ساعة أو ساعة. ثم يعود ثانية إلى المسجد، فيجلس للطلاَّب إلى انقطاع الضحى. ثم يعود إلى بيته، وبعد صلاة الظهر يجلس للطلاَّب أيضًا، وبعد العصر يعقد درسًا آخر، وبعد المغرب دروسًا أخرى، وهكذا.

وكانت دروسه عامرة، وكانت له طريقة في التدريس هي طريقة المناقشة، بعد أن كانت طريقة العلماء الذين قبله هي الطريقة التي يُسمِّيها طلبة العلم (الإمرار)، بمعنى أن طالب العلم يُمِرُّ بالكتب، أو يُمَرِّرها كما يقولون، ولكن الشيخ لا يُناقشه، ولا يَستفسر منه عمَّا قرأ.

أمَّا شيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد -رحمه الله، وجزاه عنَّا خيرًا- فإنه كانت له طريقة حديثة، كان يناقش الطلاَّب، وكان يَستعيد الدروس التي سبق أن ألقاها عليهم، يَستعيدها بعد خمسة دروس أو سبعة دروس أو عشرة دروس، يَستعيد ما سبق أن ألقاه إليهم، ويُناقشهم فيه.

بعد ذلك بفترة عُيِّنتُ مديرًا للمدرسة المنصورية في (بُرَيْدَة)، وكان في ذلك الفرار من القضاء؛ لأنه قد صدر أمر بأنه لا بُدَّ من أن يختار شيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد عددًا من طلبة العلم؛ لإرسالهم قضاةً في أماكن نائية، وكُنَّا في ذلك الوقت -بطبيعة الحال- من طلبة العلم الصغار، ولكن المطلوب أن يذهبوا إلى قرى نائية من قرى البادية، أو من القرى التي لا يَستطيب أمثالنا الإقامة فيها؛ لأنه ليس فيها ما في المدن، مع أن مدينة (بُرَيْدَة) في ذلك الوقت، وإن كانت مدينة من حيث عدد السكَّان، فإنه ليس فيها من المرافق ما في المدن الآن.

وكان التعيين في القضاء، أو مباشرة عمل القضاء، عملاً صعبًا ماديًّا ومعنويًّا. بالنسبة إلى صعوبته المادية أمر معروف؛ لأن مَن ينتقل من المدينة إلى قرية قبل نحو ٤٠ سنة، لا يستطيع أن يعيش عيشته التي تعوَّدها، وكلنا نعرف ذلك. وأمَّا المعنوي فإن طلبة العلم في ذلك الوقت كانوا على غاية من الورع، ومن خوف الله سبحانه وتعالى، ومن الخوف من الخطأ أو الزلل.. فكان بعضهم

لا يرضى أن يتولى القضاء، حتى ولو كان وراء ذلك مكسب مادي؛ لأنه يخشى ألاّ يستطيع القيام بهذا الحمل الثقيل، أو يخشى من نَوازع النفس، أو من تأثير الهوى، وهو لا يَقصد ذلك.

فقبلتُ أن أكون مديرًا للمدرسة المنصورية في مدينة (بُرَيْدَة)، وهي المدرسة الثانية التي فتحت فيها في عام ١٣٦٨هـ. ثم بعد ذلك بخمس سنوات، أي في عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنت مديرًا للمعهد العلمي في مدينة (بُرَيْدَة)، وكان المعهد العلمي -في ذلك الوقت- ثاني معهد علمي أُسِّس في المملكة العربية السعودية، ويَتبع الكُلِّيَّات والمعاهد العلمية؛ إذ كان المعهد العلمي بمكّة موجودًا قبل ذلك بسنوات، وكان معهد (الرياض) العلمي موجودًا، أمَّا المعهد الثاني في عهد إدارة الكُلِّيَّات والمعاهد العلمية فكان في مدينة (بُرَيْدَة).

وقد لاقى هذا التعيين استحسانًا مني؛ لأن مستوى المعهد أعلى، من الناحية العلمية، من المدرسة الابتدائية، فقد كانت المدرسة المنصورية مدرسة ابتدائية، وكان لَدَينا في المعهد عدد من العلماء، بل ممن يُعَدُّون من المدرسين في مستوى الكُلِّيَّات الجامعية في ذلك الوقت، وبالفعل عُيِّن بعضهم في التدريس في الكُلِّيَّات بعد ذلك، وكان لَدَينا أيضًا في المعهد العلمي سبعة من الأساتذة المصريين، وكان لَدَينا ستة من الأساتذة السعوديين، وأستاذ شنقيطي (موريتاني) واحد، كما كُنَّا نُسمِّيها كما تعلمون (شنقيط) قبل أن تصبح (موريتانيا).

وفي عام ١٣٨٠هـ، أي بعد أن أمضيتُ في المعهد العلمي ببريدة نحو سبع سنوات ونصف، عُيِّنت مديرًا للجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، وكانت الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت تحت الإنشاء، ومضت أشهر حتى افتُتحت عام ١٣٨١هـ، فأصبحت وظيفتي فيها الأمين العام للجامعة الإسلامية، وكان فيها فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز هو نائب الرئيس، والرئيس الذي يُعدُّ بمترلة الرئيس الأعلى، وليس الرئيس العامل، هو الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس القضاة، رحمه الله.

عندما عُيِّنت في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) كـــان هـــذا بدايـــةً لمرحلة.. بداية في شعوري وتفكيري لمرحلة مهمة جدًّا، استمرَّت حتى الآن، وهي مرحلة الاتصال بالإخوة المسلمين في خارج المملكة العربية الســعودية، فكــان المقصود من إنشاء الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) هـــو تـــوفير الدراســة الإسلامية لأبناء المسلمين من خارج المملكة العربية السعودية.

عندما كانت الجامعة في طَور الإنشاء في عام ١٣٨٠هـ، كما أســلفت، قبل أن تُفتتح بنحو خمسة أشهر، تألَّفت لجنة لوضع نظام مؤقت للجامعة، كــان فيها: الأستاذ عبد العزيز المُعمَّر، وكان فيها مستشار مصري أظن اسمه: عبد المنعم مصطفى، كان ممثل مصر في هيئة الأمم المتحدة في جنيف، وانتدب مستشــارًا قانونيًّا في الديوان الملكي في ذلك الوقت، وكنتُ عضوًا في اللجنة، وكان معنــا الشيخ يوسف ياسين رئيس الديوان الملكي في ذلك الوقت، فاختلفــت الآراء.. هل يُنصُّ في النظام على أن تكون الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) مقصورة على أبناء العالم الإسلامي، أم يكون فيها طلاَّب من السعوديين، وطلاَّب من أبناء المسلمين في الخارج.

وجرت في اللجنة مداولات تَطرَّقت إلى أن الطلبة السعوديين، كما نعرف، يوجد لهم في ذلك الوقت كُليَّة للشريعة في (مكَّة المكرَّمة)، وكُليَّة الشــريعة في (الرياض).. كانت هناك كُليَّتان للشريعة.

إذن الرأي الذي يقول: أن تكون الجامعة الإسلامية مقصورة على أبنــاء المسلمين في العالم من خارج المملكة، يقول: إنه يمكن للطلبة السعوديين الاكتفاء بالالتحاق بهاتين الكُليَّتين في (مكَّة المكرَّمـــة) و(الريـــاض)، وتكـــون الجامعـــة الإسلامية في المدينة لأبناء المسلمين من الخارج. ثم رُؤي أن يكون الأمـــر حـــلاًّ وسطًا، بألاَّ تتجاوز نسبة السعوديين ٢٠ ./.، أو على الأصح الخُمس؛ لأن ٢٠ ./. هذا تعبير يُطلقه عَوام الكُتَّاب، والصحيح أن يقال: الخُمس (١/ ٥).. فصدَر النظام المؤقت بهذا الأمر: ألاَّ تزيد نسبة الطلاَّب السعوديين في الجامعة الإسلامية

على الـــ (١/٥). والهدف من وراء هذه المادة هو توفير الدراسة لأبناء المسلمين في الخارج.

كانت مقاعد الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، أي مقاعــد الطلبــة، توزَّع على شكل منح على الإخوة المسلمين المحتاجين في أنحــاء العــالم، فعنــد التجربة تبيَّن أننا لا نستطيع أن يكون توزيعنا دقيقًا وصحيحًا وموافقًا للحاجــة، بمعنى أن نُقدِّم البلد المحتاج على البلد الأقل حاجة، وليس هنالك بلد إســلامي لا يحتاج إلى التعليم الإسلامي، ولكن هناك بلد أكثر حاجة من بلد آخر. إذن كيف نستطيع أن نحصل على معلومات عن المسلمين في العــالم، وبخاصَّــة في القــارة الإفريقية التي كانت -في ذلك الوقت- هي أعظم ساحة يتصارع فيهــا الفكــر الإسلامي مع نقائه وبساطته، مع الفكر الغربي الذي سلاحه التنصير مع مــا زُوِّد به، وما لديه من قوة مادية مالية، ومن قوة عظيمة في كيفية التعامل مع الشعوب الأخرى، ومنها الشعوب الإفريقية؟

نحن في ذلك الوقت المُبكِّر من تاريخ التعاون مع المسلمين وتقديم المساعدة لهم، لم تكن لدينا التجربة في التعامل مع الجمعيات الإســلامية. إذن لا بُــدَّ أن تكون لدينا معلومات ميدانية صحيحة موثَّقة مبنية على المشاهدة؛ لأننا وجدنا في ذلك الوقت -مع الأسف الشديد- أننا كُنَّا نعتمد في معرفــة أحــوال إخوتنــا المسلمين في إفريقية على ما يكتبه الأجانب، وفيهم أعداء الإسلام، نحن بطبيعــة الحال نأخذ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَــى أَلاَّ تَعْــدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٨] أي ينبغي ألاَّ يُنسينا بُغضنا لقومٍ ما لهم من محاسن، إذا كانت لـــهم محاسن. فالمستعمرون الأوروبيون ومَن سار في ركبهم، كانوا يذهبون إلى تلك الأقطار بآراء مختلفة، بعضهم من أجل التنصــير، وبعضهم من أجل حُبِّ المعرفة فقط، فيكتبون ما يكتبون، ويبقى كل شــخص منهم متأثرًا بما في ذهنه عندما أراد الكتابة. أمَّا أن يكتب أحد منـــهم متجــردًا، ولغرض أن يُعطي معلومات صحيحة كاملة عن الإخوة المسلمين، فهذا ما لم نجده في ذلك الوقت؛ لذلك رفعنا الأمر إلى صاحب السمو الملكي -في ذلك الوقت-

الأمير فيصل، وكان وقتها رئيسًا لمجلس الوزراء ووليًّا للعهد، وشرحنا لـــه الأمر، وقلنا: إننا بحاجة إلى الاتصال بإخوتنا المسلمين في إفريقية، ورفعنا أمـــام سمـــوه الطريقة التي سنقوم بها في سبيل الاتصال بالإخوة المسلمين، ووضعنا عدة أشـــياء كرؤوس أقلام؛ منها: معرفة الجمعيات الإسلامية العاملة، ومنها معرفة الحركات التي تؤثِّر في الإسلام، والحركات المعادية، والظروف الاقتصـــادية، والظـــروف السياسية، والبلاد الأكثر حاجة من البلاد المحتاجة.. فوافق، رحمه الله، بل وشجع على ذلك، حتى إنه أمر لنا بمبلغ من المال لكي نعطيه للإخوة المســـلمين هنـــاك مباشرة، ودون كتابة تقارير.

تألَّف وفد من الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) فذهب إلى إفريقيـــة، وكنت مع ذلك الوفد، وسموني رئيس الوفد، ومعي اثنان من زملائي في الجامعة: أحدهما هو فضيلة الشيخ عمر محمد فَلاَّتة، وهو نِعم الرفيق ونِعم الأخ، جزاه الله عَنَّا خيرًا، والرفيق الثاني هو صاحب الفضيلة الشيخ أبو بكر جـــابر الجزائـــري، ولعلكم تعرفونه من العلماء العاملين الثقات، وذلك في عام ١٣٨٤هـــ، أي بعد أن فُتحت الجامعة الإسلامية بثلاث سنين.. قضينا في الأقطار الإفريقية ثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا، كان أول اتصال ميداني لنا مع الإخوة المسلمين في أوطـــانهم، وكان المبلغ الذي نحمله بمقياس المبالغ لهذا الزمن لم يكن كبيرًا من المال، ولكـــن كان مفعوله كبيرًا.

أذكر أننا زرنا مدرسة في (مومباسا) ونحن نتفقد مدارس المسلمين، فهـــذه المدرسة مدرسة إسلامية تديرها أخت من أخواتنا المسلمات، فأعطيناها مئة شلن كيني.. المئة شلن كيني في ذلك الوقت تساوي ٥٦ ريالاً سعوديًّا، صـــادف أن هذه المئة كانت قطعة واحدة من فئة المئة شلن، فأخذت هذه المرأة تعين البنـــات خلفها ومَن حضر من المسلمين، وأخذوا يدعون للأمير فيصل وهي تبكي. وقال لي أحد الإخوة الموجودين هناك، وهو الأخ مبارك بن دهري، أحـــد إخواننـــا الحضارمة المهاجرين في (مومباسا)، وكان معنا في جولتنا في (مومباسا)، قـــال: هذه المرأة تقول: «إنه لم يقع في يدها في حياتها كلها قبل هذا مئة شلن قطعـــة واحدة، وهي تدعو للأمير فيصل».

شملت زيارتنا نحو أحد عشر قُطرًا، ثم رجعنا بحصيلة أعتقد أنها جيدة من المعلومات عن الإخوة المسلمين، والهدف منها هو هدف إسلامي، وليس هدفًا سياسيًّا.. نحن لسنا من أهل السياسة، ولم يكن الهدف من ذهابنا سياسيًّا. بعد ذلك اقترحت في التقرير الذي رُفع إلى الملك فيصل، رحمه الله، أنه لا بُدَّ من إرسال دُعاة، وأن تعتمد خمسون وظيفة للدُّعاة لتفريقها على إفريقية، ومبلغ من المال، ومنح دراسية.

فصدرت الموافقة السامية، وأمر جلالة الملك فيصل -رحمه الله- في ذلك الوقت بإعطائي مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ ريال، وربما يساوي الآن ثلاثة ملايين ونصفًا بالقيمة الشرائية. فذهبنا إلى هناك مرة ثانية في عام ١٣٨٦هـ إلى إفريقية، ولبثت خمسة أشهر وعشرة أيام، ووصلنا إلى جنوب إفريقية، وصلنا مناطق لم نصلها في المرة الأولى، ووزَّعنا منحًا دراسية في جامعة المدينة، ووزَّعنا أماكن للدُّعاة.

ثم بعد العودة أخبرت بعض إخوتي الكرام -أذكر منهم الأستاذ محمد بَهْجَة الأثري الذي فاز بجائزة جلالة الملك فيصل قبل أيام- بأني كنتُ أكتب مذكرات يومية عن جميع ما رأيته في إفريقية. والسبب في ذلك، وأنا الرجل الذي كنتُ أعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة، ويفترض أن يكون عندي شيء من المعرفة بأحوال المسلمين، وجدتُ أننا لا نكاد نعرف شيئًا عن المسلمين في إفريقية، وفوجئنا بالمعلومات العظيمة التي لا نعرفها، وفوجئنا بالحركة الإسلامية، وفوجئنا بدُعاة من إخواننا الأفارقة مجهولين عند الناس معلومين عند الله، لهم أعمال جليلة، أسلم على أيديهم آلاف من الناس، وقاوموا ببساطتهم وبنيَّتهم الحسنة جهود المنصِّرين وأموال الأوروبيين، وكان الواحد منهم يخرج من ماله خروجًا، حتى إن أخانا الشيخ شعيبًا من (كوتومو) في أوغندا.. هذا الرجل كان يملك قطعة من الأرض لا يملك غيرها، وهي قطعة طيبة، وفي أوغندا كان هنالك محصولان رئيسيان؛ هما: البن، والموز.. والموز يستعملونه للغذاء، وليس فاكهةً فقط؛ لأن النوع الأخضر من الموز يطبخونه طبخًا قبل أن ينضج، ويستعملونه كما نستعمل نحن الآن الأرز، وكما يستعمل أهل الشام ومصر الخبز، وهو الوجبة الرئيسة

عندهم، فأوقف جميع هذه الأرض لله سبحانه وتعالى، وبنى فيها مدرسةً ومسجدًا، وسمَّاها: مدرسة الدِّين والتهذيب الإسلامي، واشترط على كل طالب يود الدخول فيها، أن يعمل على افتتاح مدرسة مماثلة لهذه المدرسة بعد تخرجه منها. عندما وصلنا إلى ذلك المكان في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م كان عدد المدارس التي انبثقت عن هذه المدرسة، عن طريق التلاميذ أو الطلبة الذين تخرجوا منها، قد بلغ ١٨ مدرسة.

مثل هذا الأخ لم يُنَوِّه بجهوده أحد، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، لذلك رأى بعض إخواني رأيًا لم يكن رأيي في أول الأمر، أن أنشر ما رأيته وما شاهدته عن أحوال المسلمين خاصَّة، وعن أحوال الناس عامَّة هناك، فكتبتُ كتابًا في الحقيقة نزولاً عند حسن ظنِّ الإخوة الكرام، وأسميتُ الكتاب: «في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين»، وعندما نُشر الكتاب في بيروت استقبل استقبالاً حسنًا، لم يكن طموحي يصل إلى حسن ذلك الاستقبال، وأحسن إخواننا الكرام الظن به، وربما كان على رأسهم أستاذنا الكريم الكبير الأستاذ علي حافظ، فقد قرَّظ الكتاب بكلمات حسنة، لا أدري ربما يكون نسي هو، ولكني لم أَنْسَ.

بعد ذلك عندما استقبل هذا الكتاب استقبالاً حسنًا كان هذا حافزًا لي، وبالتعبير الصحيح الدقيق كان مشجعًا لي على مواصلة الكتابة عن أحوال المسلمين، فكان الكتاب الثاني عن «مدغشقر». ومدغشقر التي سمِّيت بعد ذلك (مالاجاش) لها حديث طويل وحديث شجي. كلمة شجي تأتي للحزن وللفرح، وهي هنا للحزن فقط؛ لأنه ليس في حالة مدغشقر ما يُفرح.

عندما وصلنا إلى هناك وجدنا مدغشقر أو (مالاجاش)، اسمها مدغشقر هذا قبل الاستقلال، ثم سماها أهلها بعد الاستقلال (مالاجاش)؛ أخذًا من كلمتين، أو نحتًا من كلمتين؛ هما الماليون في مدغشقر، والمراد بالماليين الجنس الماليزي؛ لأن القسم الأكبر الذين لهم النفوذ، ويشغلون الهضبة الوسطى المنطقة المرتفعة من مدغشقر، كانوا في الأصل جاؤوا من ماليزيا أو من أندونيسيا، وكانوا جاؤوا قبل

أن يصبحوا مسلمين، أي قبل أن يصبح الماليزيون مسلمين، فأصرُّوا على أن يسموا البلد باسمهم، يعني المالي الذي يعيش في مدغشقر (مالاجاش)، نصف الكلمة من مدغشقر، ونصفها من مالي يعني ماليزيا.

وهذه التسمية تسمية ناشئة عن تعصب، وليست صحيحة قط، يعني ليست صحيحة بكل معانيها؛ لأن مدغشقر يتألف سكّانها بصفة رئيسة من عنصرين وجنسين كبيرين، بغض النظر عن التفصيلات والأجناس الأخرى.. الأول: هم الماليزيون أو الأندونيسيون الذين يعيشون في المنطقة الوسطى بالمرتفعات، والثاني: هم الذين يعيشون على السواحل، والذين يعيشون على السواحل هم من السواحليين إن صح التعبير، أي من الإفريقيين الذين اختلطوا بالعرب، ولا يزال للعرب الآن مكانة ليست مكانة سياسية، ولكن مكانة تاريخية وعلمية. حتى الأسماء، الآن رئيس مدغشقر راتا سيراكا هو من قبيلة اسمها (بيت مشارك) بهذا اللفظ العربي الصريح: بيت مشارك، فهو من قبيلة عربية الأصل، ولكنها ضيَّعت أصلها، وضيعت أهم من أصلها دينها، فأصبحوا لا يدعون الإسلام، بينما أسماؤهم أسماء المسلمين، ويصومون شيئًا من رمضان، ويتلون آيات من القرآن الكريم عند الزواج، ويقولون: هذه بقية لنا من تقاليدنا.

فعندما استعمر الفرنسيون مدغشقر سارع أولئك الماليزيون، أو لنقل: الأندونيسيو الأصل، إلى دخول المدارس النصرانية، واحتضنهم الغربيون لعدم وجود ديانة لهم ولا تقاليد عريقة تتنافى أو يخشى منها أن تتنافى مع المدنية الغربية، بخلاف سكّان السواحل الذين هم عرب مختلطون وفيهم العنصر الإسلامي، فالحكومة الفرنسية سلمت السلطة لهم، فسموا البلاد باسم عنصري يدل على بلادهم، وهو مدغشقر كما قلت، وإلا فكثير من الناس وخاصَّة سكّان السواحل ليسوا من (مالاجاش)، وليسوا من أصل أندونيسي، وإنما هم من أصول إفريقية سواحلية اختلطت بأصول عربية، ولا تزال الشواهد جديدة ماثلة للعيان، حتى إن هنالك مدينة كبيرة مشهورة اسمها (صَلالَة)؛ لأن أول مَن أسسها عُمانيون من أهل (صَلالَة)، سموها (صَلالَة) على اسم المدينة (صَلالَة) الموجودة في عُمان الآن.

عندما وصلنا إلى مدغشقر وجدتُ أن الذين يقولون: إنهم مسلمون، وهم في أكثرهم لا يفهمون شيئًا عن الإسلام، لا يتجاوزون ٤ ./. مع الأسف الشديد، أمَّا البقية نحو ٤٠ إلى ٥٠ ./. فهم من المسلمين الضائعين، الذين كانوا مسلمين ثم انقطعت صلتهم بالمسلمين وبجزيرة العرب، فأصبحوا غير مسلمين، ولكنهم لا يقولون: إنهم نصارى، ولا يقولون: إنهم مسلمون.. فكتبتُ كتاب «مدغشقر»، وكنت متأثرًا بما رأيته، وهو جدير بأن يتأثر الإنسان به.

ثم انتقلتُ في عام ١٣٩٤هـ من الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) إلى الأمانة العامَّة للدعوة الإسلامية. والأمانة العامَّة للدعوة الإسلامية أنشئت لتكون أمانة عامَّة للهيئة العُليا للدعوة الإسلامية. والسبب في إنشاء الهيئة العُليا هو أن الملك فيصل -رحمه الله- عندما اتسع عمل المملكة، ورؤي أن الجهات التي تعمل في حقل الدعوة الإسلامية وتساعد المسلمين قد أصبحت عديدة، منها في ذلك الوقت: رابطة العالم الإسلامي، والجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، ووزارة الحج والأوقاف، ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء.. وبعض الجامعات كانت تقدم مباشرةً مساعدات للمسلمين، فرأى تأليف هيئة عُليا من خمسة وزراء، تنحصر مهمتها في ثلاثة أشياء، هي: التخطيط للدعوة، والتنسيق بين الجهات العاملة في الدعوة، ومتابعة ما يصدر من أوامر تتعلق بالدعوة الإسلامية، وما يُرسم من خطط. وكان رئيس الهيئة في ذلك الوقت هو الشيخ محمد الحَرْكان -غفر الله له- بصفته وزيرًا للعدل، فجلالة الملك فيصل طلب منهم أن يختاروا أمينًا عامًّا للهيئة للدعوة الإسلامية، وأن يتخذوا محضرًا بذلك، فرشحوني أنا، واتخذوا محضرًا يتضمن ترشيحي، ووافق عليه الملك فيصل، رحمه الله.

فانتقلتُ من الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) إلى (الرياض). والحقيقة أنه لو كان انتقالي إلى جهة غير جهة الدعوة لَمَا رضيتُ عن (المدينة المنوَّرة) بديلاً؛ لأنني كان قد مضى عليَّ في سكني (المدينة المنوَّرة) أربعة عشر عامًا، وهي مدة طويلة، وأنتم تعرفون مدينة الحبيب ﷺ لا يستطيع مَن يجلس فيها مرة أقصر من تلك أن ينتقل منها إلا بصعوبة، أو لأمور ليست في يده، ولكن انتقالي للدعوة الإسلامية نرجو أن يكون هو الحافز.

وظيفتي التي انتقلتُ إليها مسمَّاها الأمين العام للدعوة الإسلامية وأمين الهيئة العُليا، وهي وظيفة كان يُفترض في شاغلها أن يكون على اطلاع كامل.. كيف يضع مشروعات الخطط ويقدمها للهيئة العُليا، إلا إذا كان عنده معلومات متكاملة؟ فاتسعت الحاجة بذلك إلى المعلومات، بل زيادة المعلومات عن الإخوة المسلمين.

وكان الاهتمام مُنْصَبًّا في أول الأمر على القارة الإفريقية، إلا أن الإخوة المسلمين في العالم أخذوا يقصدون المملكة العربية السعودية بطلب المعونة، وهذا أمر طبيعي؛ لأن المسلمين كما يتجهون في صلواتهم في اليوم والليلة خمس مرات إلى الكعبة المشرفة، وهي مهوى قلوبهم؛ فإنهم يتجهون إلى جهة الكعبة المشرفة أيضًا ابتغاء النصر والمعونة على تحقيق أمور دينهم، لا سيَّما وزعماء النصارى والعاملون في التنصير يتجهون إلى موضع آخر هو (الفاتيكان).. نحن لا نقول هذا من باب المقارنة بين (مكَّة المكرَّمة) و(الفاتيكان)! حاشا وكلاًّ؛ لأنه لا رهبانية في الإسلام، ولكن نقول: هذا هو الذي دفع المسلمين أو كثيرًا منهم إلى أن يبحثوا عمَّن يساعدهم على أمور دينهم، فإذا رأوا أن النصارى أو بابوات روما يساعدون مَن يريد أن يبني كنيسته، وأحيانًا يبنون هم الكنيسة لهم كاملة، فإن المسلمين يتجهون بأبصارهم ويتجهون بطلباتهم ورغباتهم إلى (مكَّة المكرَّمة)، إلى إخوانهم في المملكة العربية السعودية، فكان ذلك الاتجاه يُقابَل بالترحيب.

وكان لا بُدَّ أيضًا من الإشراف على ما يُقام من المشروعات، أو ما يخطط له من هذه المشروعات، فاتسعت بذلك دائرة العمل، فكان يُطلب مني أن أسافر في كثير من الأحيان إلى البلاد الإسلامية؛ للاطلاع على المشروعات التي تحتاج إلى مساعدة، أو لمعرفة مَن هو الجدير بالمساعدة، وهذا أمر بديهي. فكتبتُ عدة كتب في هذه الفترة عن أحوال المسلمين. والسبب في ذلك ليس رغبةً في الكتابة، مع أنه مطلوب من الإنسان الذي يقرأ أن يكتب؛ لأن الإنسان إذا رأى المعلومات لنفسه واختزنها لنفسه، فإنه سيكون كمَن عنده طعام واحتكره، وإذا كتبها وأذاعها فإنه يكون قد أفاد مَن يجد في كلامه فائدة، ولكنه يكون قد عرَّض نفسه

أيضًا للانتقاد، كما يقول علماؤنا الأجلاء القدماء: «مَن ألَّف فقد استُهدف». ولا أظن أن الاستهداف منع أستاذنا الدكتور صلاح الدين المُنَجِّد، أو خوف الاستهداف من التأليف، حتى بلغت تآليفه وما حققه من كتب الآن ما يزيد على مئة، وربما أسميه أنا سيوطي هذا العصر؛ لأنني رأيت للإمام السُّيوطي -رحمه الله- كتيبًا لا أدري هل اطلعتم عليه، اسمه «التحدُّث بنعمة الله»، وهذا الكتيب نالت فيه فتاة إنجليزية درجةً عُليا لا أذكر هل هي الماجستير أو الدكتوراة، سمَّاه «التحدُّث بنعمة الله»، وذكر فيه مؤلَّفاته التي أتمها في ذلك الوقت، فبلغت ٣٧٦ إلى حين كتابة كتابه ذلك، ولا ندري عَمَّا ألفه بعد ذلك إلا من باب التخمين إلى حين وفاته.

وبطبيعة الحال، ربما تجدر الإشارة هنا إلى ما قاله بعض الناس في الإمام السُّيوطي؛ لأن بعض الناس قالوا: هذا جهد لا يمكن أن يقوم به بشر، كيف يستطيع أن يؤلف الإمام السُّيوطي كما قيل ٥٠٠ أو ٦٠٠ مؤلف؟! فهل هو بالفعل ألَّفها كلها؟ بعض المؤرخين الذين لا نستطيع أن نقول: إنهم مبرؤون من الميل؛ لأن خصومة السُّيوطي مع السخاوي صاحب «الضوء اللامع» مشهورة، حتى بلغ بعضهم بها رتبة العداوة، وقال: إنها تحاسد الأقران أو تحاسد العلماء مع الأسف الشديد. فتحاسد العلماء معروف من قديم الزمان، وهو أمر يكاد يكون معروف السبب إن لم نقل: يكاد يكون طبيعيًّا؛ لأن الأمثال القديمة تقول: (عدو المرء مَن يعمل عمله)، وليس المراد أن العلم هو عمل يعمل به، ولكن ذلك فيما يتعلق بالتصنيف والتاريخ؛ لأن الإمامين كليهما مصنِّف ومؤرِّخ.

فالذين لا يعطون السُّيوطي الحق كله في تأليف هذه الكتب يقولون: إنه رجل ورث ثروة عن أبيه، وكان يقال له: ابن السُّيوطي. وهذه الثروة تشتمل على أراضٍ زراعية تسمى الأطيان في مصر كما تعرف.. فكان يأتي بمجموعة من طلبة العلم المحتاجين عنده يقرؤون عليه ويُنفق عليهم، ويطلب منهم أن يختصروا بعض الكتب، وأن يؤلفوا، ثم ينظر فيها هو ويكتب عليها. هذا قول إن صح على بعض مؤلفات الإمام السُّيوطي فإنه لا يصح عليها كلها؛ لأن إمامًا آخر هو الإمام

ابن حَجَر -رحمه الله- ألَّف من التآليف ما لا يتصور المرء أنها كلها لـه، وهو رجل رئيس قضاة، أو ما يسمَّى بقاضي قضاة في مصر، فهذا رجل ألَّف في التاريخ وحده ما يزيد على ٥٦ مجلدًا، طبع منها نحو الأربعين، ومنها: «تهذيب التهذيب»، و«رفع الإصر عن قضاة مصر»، و«تعجيل المنفعة»، و«الدُّرَر الكامنة»، ومؤلفات أخرى أكثرها مطبوع. ثم صنَّف الكتاب العظيم الذي يجدر أن يكتب بماء الذهب، وهو «فتح الباري شرح صحيح البخاري».

وعندما عُزِلَ من القضاء، أي من رئاسة القضاء في مصر، صار الناس يأتون إليه يطيبون خاطره، ويقولون له: نحن نحمد الله سبحانه وتعالى على أن سلمْتَ من مشكلات القضاء ومن تَبعَاته، فيقول: الحمد لله لقد عُوفينا. ثم يذهبون إلى البلقيني، وهو الذي عين خلفًا لـه يهنئونه بتولي القضاء، فقال ابن حَجَر أبياتًا عن هذا الأمر، ربما لا مانع من إيرادها؛ لأنها طريفة، يقول:

عندي حديثٌ طريفٌ ... بمثله يُستغنى
عن قاضيين يُعَزَّى ... هذا وهذا يُهَنى
فذا يقول أكرهونا ... وذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعًا ... فمن يصدق مِنَّا

هذا كلام ابن حَجَر، رحمه الله.

وبعد أن مكثتُ في الأمانة العامَّة للدعوة الإسلامية نحو ٩ سنوات، وبعد وفاة الشيخ محمد الحَرْكان، رحمه الله. وهنا لا بُدَّ من ذكر قضية مهمة جدًّا، وهي أن صاحب المعالي الشيخ محمد الحَرْكان -رحمه الله- عندما ترك وزارة العدل، وكان يلي رئاسة الهيئة العُليا للدعوة الإسلامية بصفته وزيرًا للعدل، صدر الأمر السامي بإسناد الرئاسة في الهيئة العُليا للدعوة الإسلامية إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران، وقد قَبِلَها سموُّه رغم أعماله ومشاغله الكثيرة، وكان يقول، وأقسم مرَّة: إنني أتمنى لو لم يكن لي شغل إلا أن أتفرغ للدعوة الإسلامية.

وقد سعدتُ بأنني عملتُ مع سموه الكريم نحو سبع سنوات في الهيئة العُليا للدعوة الإسلامية، تحت رئاسة سموه. ثم عندما توفي الشيخ محمد الحَرْكان -رحمه الله- في اليوم الثامن من شهر رمضان عام ١٤٠٣هـ صدر الأمر بأن أتولى وظيفة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وبالفعل توليتُ هذه بصفة ما يسمَّى إعارة. ولا بُدَّ من ذكر هذه، وإن كنتُ لا أريد أن أكون معارًا أو مستعارًا، ولكن هذا هو التعبير النظامي، وأنا لا زلتُ على وظيفتي في الدعوة الإسلامية رسميًّا، لكن حسب الأمر أتيتُ إلى هنا، ولا أزال أشغل هذه الوظيفة.

أرجو ألاَّ أكون قد أطلتُ عليكم بهذا الكلام.

دور الرابطة

وسأل الأستاذ مصطفى عَطَّار المحتفى به عن دور الرابطة فيما قام به فضيلته، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، لقد سعد الجميع بقبول سماحة الشيخ العبودي بأن يكون ضيف هذه الإثنينية الليلة، رغم مشغولياته الكثيرة.

لقد استفدنا فوائد عظيمة من المراحل التي مرَّت في حياته، وأخذ يسردها علينا، ثم إننا سعدنا جدًّا بالبرنامج الضخم الذي تبنَّته المملكة العربية السعودية، واستطاعت -بفضل الله سبحانه وتعالى- أن تغزو القارة الإفريقية، وتنافس أولئك الذين يملكون الأموال الضخمة والتخطيط المنظم لتنصير المسلمين هناك، ولمد الزحف غير الديني في الأقطار الإسلامية خاصَّة في إفريقية وآسيا، ولا يُستغرب من الشيخ العبودي هذه الجهود الضخمة التي بذلها ولله الحمد، فلقد أَوْلَتْهُ الدولة الثقة الكبيرة، وكلنا يعلم حماس الملك فيصل -رحمه الله- للتضامن الإسلامي، وكيف أنه هو -رحمه الله- قد زار أقطارًا عربية وإسلامية، وقضى أشهرًا وهو يزور أكثر الأقطار الإسلامية والعربية لهذه الدعوة الإسلامية، وترأَّس مؤتمرات هنا في (جدَّة).

فالحمد لله على ما أفضل به على هذه المملكة، وشكرًا لفضيلة الشيخ، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يُثيبه وإخوانه الذين ساعدوه وعملوا في هذا المسلك، وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة فُصِّلت: ٣٣]. ولكننا، كما قال فضيلة الأخ الشيخ محمد مسعود، نريد من فضيلته، وهو الذي لمس بيديه، ورأى بأُمِّ عينيه البرامج الضخمة العملية التي يقوم لها وينفذها الغربيون، وهو لا يريد أن نستعمل كلمة المبشرين، بل نستعمل كلمة الغربيين؛ لأنهم يقومون بفتح المدارس، وهم يقومون ببناء المستشفيات والمستوصفات، ونحن نريد أن نعرف في هذه النقطة دور الرابطة، وما عمله هو حينما كان في أمانة الدعوة الإسلامية التي أشار إليها من ناحية فتح المدارس والمستوصفات والخدمات الطبية التي تقدم، والسلام عليكم.

رَدُّ فضيلة الشيخ محمد العبودي

ثم رَدَّ فضيلة الشيخ العبودي فقال:

بالنسبة إلى دور الرابطة فهو متشعِّب، ويحتاج ذكرُه إلى وقت طويل، ليس معنى ذلك أننا لا نستطيع أن نقدم فكرة موجزة، ولكن كيف نتحدث عن مؤسسة ميدان عملها جميع أنحاء العالَم؟ لماذا؟ لأن ميدان عمل الرابطة حيث يوجد المسلمون في العالَم، ولا يكاد يوجد الآن –ولله الحمد– بلد ليس فيه مسلمون، بل إن الإسلام يفتح حصونًا جديدة في هذا العصر، ولعلي أحدثكم عن شيء شاهدتُّه قبل ثلاثة أشهر فقط، يسرُّكم ويسرُّنا جميعًا.

تعلمون أن نيوزيلندا، وهي تقع شرق القارة الأسترالية، مؤلفة من جزيرتين مستطيلتين: إحداهما: يسمونها الجزيرة الشمالية، والثانية: الجزيرة الجنوبية.. الجزيرة الشمالية هي مركز النشاط، فيها العاصمة (ولنجنون)، وفيها المدينة الرئيسة الكبرى، التي هي أكبر من العاصمة، وهي (أوكلاند). والسبب في كون ذلك النشاط متجمعًا في هذه الجزيرة؛ لأنها أكثر اعتدالاً، يعني أقل بردًا؛ لأن

نيوزيلندا وهي في جهة الجنوب الجو فيها مثل بريطانيا، وهي في جهة الشمال؛ لأن الجزيرة الجنوبية تقع على خط العرض ٤٩ أو ٥٠ جنوب خط الاستواء، وبريطانيا كما نعلم شمال خط الاستواء، فأول مسجد أسس في الجزيرة الجنوبية من نيوزيلندا أسسه إخواننا المسلمون في مدينة اسمها كرايست تشيرش (christ churche)، وكلمة كرايست تشيرش إذا ترجمناها حرفيًّا تعني (كنيسة المسيح). إذن دعانا إخوتنا المسلمون إلى افتتاح مسجد في (كنيسة المسيح) إذا استعلمنا ترجمة حرفية؛ لأن هذا اسم المدينة.

والسبب في دعوتهم للرابطة ودعوتنا لحضور افتتاح المسجد، أن المملكة العربية السعودية -وفّقها الله- قد تبرَّعت لبناء هذا المسجد، وأسهمت فيه بمبلغ ٨٠٠,٠٠٠ ريال أمر بها جلالة الملك فهد، حفظه الله، جَرْيًا على عادته في التبرع؛ لتقديم مساعدات للمسلمين في الخارج، حتى ومن خارج الرابطة، ولكن كانت الرابطة واسطة. فطلبوا منّا أن نحضر، وحضرْتُ، وكنتُ الوحيد الذي حضر من وراء البحار كما يقولون، فلم يحضر أي شخص مندوب من أي بلد عربي لحضور افتتاح هذا المسجد في هذه المدينة، وأهله يقولون: نحن أقرب مَن يقول (الله أكبر) إلى القطب الجنوبي. لا يوجد مسجد جهة الجنوب منهم، هم على خط ٤٨ جنوب خط الاستواء، والجو عندهم بارد جدًّا حتى في الصيف، وبطبيعة الحال صيفهم خلاف شتائنا، فإذا كان الصيف عندهم كان في النصف الشمالي شتاء.. إلخ.

هذا شيء مفرح أن يكون الإسلام فتح مسجدًا في الجزيرة الجنوبية من نيوزيلندا، التي هي نائية بطبيعتها. نحن سافرنا إلى (كريست تشيرش) من مدينة (سدني) الأسترالية الكبيرة، وقطعنا في الطريق ساعتين ونصفًا بالطائرة النفاثة حتى وصلنا (كرايست تشيرش). وبعد المشاركة في افتتاح المسجد ذهبنا إلى (مملكة تونجا)، وهذه مملكة بمعنى أن رئيسها ملك كما هو معروف، وهذه المملكة تقع في الجنوب الشرقي للمحيط الهادئ، وعلى مسافة من البُعد عظيمة.

وقبل اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٨٣م منذ سنتين ونصف، لم يكن فيها مسلم واحد من أهلها، بل لا يوجد فيها أي مسلم حتى من غير أهلها؛ لأنها بلاد صغيرة، وعاصمتها جزيرة تسمى (تونجا باتو)، وإنما كان يوجد فيها اثنان من إخواننا الباكستانيين، يعملان في مشروعات للأمم المتحدة، سافرا وتركاها منذ مدة. فجاء رجل من إخوتنا من مسلمي (فيجي)، وجُزر (فيجي) ليست بعيدة جدًّا عنها، كلاهما في جنوب المحيط الهادئ، يدعو إلى الله في (تونجا)، واتصل بشخص اسمه مانو، هذا اسمه المسيحي، هو رجل نبيل من عائلة نبيلة ليس من الأسرة المالكة، ولكن قريب منهم، وله مقام كبير، وقد احتضنه المنصِّرون من قبل، وجعلوا منه داعية نصرانيًّا، وصار مديرًا لمدرسة نصرانية هناك، فاتصل به هذا الأخ المسلم ودعاه إلى الإسلام، فهداه الله على يديه وأسلم، فكان أوَّلَ مسلم من أهل البلاد، وهو من توفيق الله أنه من أسرة نبيلة متبوعة ليتبعها الناس، فبلغ عدد المسلمين الآن في جزيرة (تونجا) ١٠٤ أشخاص، استأجروا لهم دارة صغيرة أي (فيلا)، وهيؤوا فيها محرابًا وجعلوها مسجدًا يصلون به، وهذا فتح جديد. فكان من الواجب على الرابطة، وقد ذهبت إلى المنطقة، أن تزورهم. فعلاً زرناهم وتفقدنا أحوالهم، ودعونا اثنين منهم لأداء الحج إن شاء الله في هذا العام، وأَعْلَنَّا لهم تبرع الرابطة بعشرة آلاف دولار من أجل المساعدة على كراء المنزل الذي اتخذوه مسجدًا.

بطبيعة الحال، لا يمكن أحد منَّا أو منكم أن يتصور أن هذه الزاوية فيها عمل للرابطة، فعمل الرابطة عظيم جدًّا، وقد واكبت هذه النهضة العظيمة في المملكة العربية السعودية، فكانت موازنتها تنمو، لا نستطيع أن نقول: إن موازنتها قد وفت بكل شيء، ولا أن الرابطة قد أصبحت على المستوى المطلوب من تغطية العالم الإسلامي، أو مساعدة المسلمين كلهم، ولكننا نقول: إنها حققت أشياء كثيرة، وحققت أشياء ربما لا يعرفها بعض الناس، وليس من المناسب، وأنا أعمل في الرابطة، أن أتحدث عما حققته الرابطة، وإن كان موضوع العمل الإسلامي ليس فيه مجال للادعاء أو للفخر إذا أخلص الإنسان في عمله، ولكن أقول: إن دور الرابطة دور عظيم، وهي تقوم بعمل عظيم.

و لم يكن بمقدورها أن تعمل، حتى بعض ما عملته، إلا بتأييد من حكومتنا الرشيدة السنية، وعلى رأسها جلالة الملك فهد، حفظه الله. وميزانية الرابطة تدفعها حكومة المملكة العربية السعودية، وتدفعها عن طيبة نفس، وزيادة على ذلك تدفع المملكة عن طريق الرابطة مبالغ إضافية كبيرة جدًّا إذا ضاقت ميزانية الرابطة عنها، ومن ذلك مبالغ من بند الشؤون الإسلامية. ولكن بحكم كون الرابطة لديها معلومات، ولها اتصالات ترفع إلى الحكومة، والحكومة إذا تيقّنت من مشروع إسلامي فإنها تساعده.

هذا إذا كان المراد من الناحية الإدارية، يعني ماذا عملنا لأداء الواجب. أمَّا إذا كان المراد الحديث عن الواجب من حيث هو، نقول: إن الرابطة عملت عملاً جيدًا، ولكنها ينبغي أن يكون عملها أجود، والمملكة العربية السعودية عملت عملاً لم تعمله دولة أخرى، وهذا من دون ادِّعاء لنا نحن، إنما هذا هو الواقع.

إذ لا يكاد يكون مكان في العالم، ليس المراد قرية، إنما مكان أو دولة في العالم، إلا وفيها للمملكة العربية السعودية أثر من آثار معاونة المسلمين، إمَّا عن طريق المساعدة على إقامة مسجد من المساجد، وإمَّا المساعدة على الاستمرار في مدرسة إسلاميَّة، وإمَّا طلاَّب مسلمين جاؤوا على منح دراسية ثم عادوا إلى بلادهم، وإمَّا على هيئة مبعوثين يبتعثون من المملكة العربية السعودية وتدفع رواتبهم لدعوة المسلمين، وإمَّا على مؤتمرات تُقام. وأقرب مثال على ذلك مؤتمر أقامته الرابطة قبل أشهر في البرازيل لأمريكا الجنوبية كلها، كانت مناسبة طيبة جدًّا لتعرف المسلمين هناك بعضهم على بعض.

عمل المملكة العربية السعودية في الدعوة عمل لم تعمله أي دولة أخرى على وجه البسيطة، بل إن بعض الدول الإسلامية مع الأسف الشديد لا تقتصر على ترك العمل الإسلامي وأن يكون موقفها سلبيًّا، وإنما قد تعمل عملاً عكسيًّا، وهذا شيء يُؤْسَفُ له، ولو أردنا أن نسمي بعض الدول لسميناها، ولكنكم ربما أنتم تعرفونها.

بقي أن نقول: إن هذا لا ينسينا أن الواجب أكبر، وأن مسؤولية المملكة العربية السعودية أعظم، ومسؤولية الرابطة أكبر، ولكن ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾ [سورة التغابن: ١٦]، و﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَها﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

وإذا رأينا النتائج التي قام بها العاملون في الدعوة الإسلامية، سواء في رابطة العالم الإسلامي أو في الجمعيات الإسلامية الأخرى، نجدها طيبة ولله الحمد، بل نجد أنه حصل تسابق بين دعاة الإسلام ودعاة التنصير مع الفارق المادي بين الفريقين، فكانت النتيجة في صالح الإسلام والمسلمين.

أضرب لكم أمثلة حيَّة باختصار على ذلك: (فولتا العُليا) التي تُسمَّى الآن بوركينافاسو، و(فولتا العُليا) هذا اسم برتغالي؛ لأن (فولتا) هو النهر المعروف، ووصل البرتغاليون إلى أعلاه فَسَمَّوا المنطقة (فولتا العُليا)، وإن لم تكن هناك دولة قبل الاستعمار أو قطر اسمه (فولتا العُليا). بخلاف مالي مثلاً، فمالي اسمها (مالي) من قديم الزمان منذ ٧٠٠ سنة، بل منذ ٨٠٠ سنة. و(فولتا العُليا) قبل أن تقوم الثورة فيها قبل سنتين سمَّوها (بوركينا فاسو)، ومعناها: الرجال الذين يستحيل إفسادهم، أو كما نقول: الرجال الصالحون أو الأتقياء، فغيروها لهذا الاسم.

وعندما استقلت (فولتا العُليا) في عام ١٩٦٢م كانت نسبة المسلمين فيها حسب الإحصاءات الرسمية ٢٨ ./.، وقبل سنين أجروا إحصاء للمسلمين فوجدوا أن نسبتهم قد بلغت ٦٢ ./.، أي تضاعفت تقريبًا في مدة يسيرة. وكذلك سيراليون كانت نسبة المسلمين فيها عند الاستقلال في حدود ٣٠ ./.، والآن ٨٥ ./.، وحكومتها تتألف في الوقت الحاضر من ٢٢ وزيرًا، ١٩ وزيرًا منهم من المسلمين.

ونجد أن المَدَّ الإسلامي، ولله الحمد، بل نستطيع أن نقول الصحوة الإسلامية؛ لأنها صاحبت المَدَّ الإسلامي، وانتشار الإسلام كانا يسيران في طريقين متوازيين، ولا نقول: إنها على حد سواء، ربما أن أحدهما يسبق الآخر، لكن مع الأسف الشديد إن الصحوة التي تعم المسلمين خارج الأقطار الإسلامية الأصيلة،

حواضر العالم الإسلامي، لم تصاحبها صحوة في الحواضر الإسلامية نفسها؛ لكي تدفع هذا المَدَّ الإسلامي والصحوة الإسلامية إلى الأمام، لذلك لا نجد سوى المملكة العربية السعودية على مستوى العالم، وبعض البلدان الإسلامية تساعد أقطاراً معينة؛ مثل بعض دول الخليج تقدم مساعدة محدودة الجهات لدول مثل إفريقيا والهند، ولكن لانجد لهذه الدول أي أثر يذكر في نيوزيلندا وتونجا وجزر المحيط الهادئ .

مع أنه يجب أن نقول: إن إخوتنا المسلمين هناك من أهل البلاد الأصلاء، السُّكّان القدماء هناك، قاموا بجهود عظيمة. فعلى سبيل المثال، يوجد في جزر (فيجي)، وبعضكم ربما لا يكون قد ألقى لها بالاً، أو لم يسمع عنها الكثير، في جزر (فيجي) ٥٦ مسجدًا، رأيت منها نحو ٤٠ بنفسي وصورتها، وكتبتُ ذلك في كتاب لم يُنشر بعد، عنوانه: «جولة في جزائر جنوب المحيط الهادي»، وفيها خمس عشرة مدرسة إسلامية ما بين ابتدائية وثانوية، إلا أن مفهوم المدرسة الإسلامية عندهم هو أن يكون فيها البرنامج الحكومي وبرنامج إسلامي، بل إن إخواننا في (فيجي) قد تعدى نفعهم إلى (نيوكالادونيا) التي تسمعون عنها في الأخبار، هذه أرض فرنسية، وهي كانت مستعمرة فرنسية، والآن بعد أن انتهى الاستعمار صارت أرضًا فرنسية، وفيها سكّان أصلاء، يقال لهم: (الكاناك)، وهم من جنس اسمه المالونيز؛ لأن سكّان جنوب المحيط الهادئ قسمان رئيسان؛ القسم الأول: (البولينيز)، والبولينيز ضخام الأجسام، عظام، دهم البشرة واللون، الأدهم هو اللون البني أو الأحمر المشرب بالسواد، ومن البولينيز مصارعون وأهل تونغا.

القسم الثاني: (المولينيز)، وهم سكّان نيوكالادونيا، وسكّان (سلمون ايلاند)، أي جزر سلامون أو جزر سليمان، هؤلاء سود يكادون يكونون من الأفارقة، وربما كان أصلهم من إفريقية، أو لأن الطقس في بلادهم يشابه الطقس هناك. ونحن نقول بأن الظاهر جميع الألوان في الإنسان سببها هو الطقس، والله سبحانه وتعالى ذكر أن من آياته اختلاف ألسنة الناس وألوانهم، فالاختلاف آية من آيات الله، لكن لا يمكن القول بأن الألوان أصيلة في الإنسان؛ لأنه لو أمكن

القول بأن اللون أصيل في الإنسان لَلَزِمَ من ذلك أن يكون لهم عدة آباء، غير أن أبا البشر جميعًا واحد؛ لذلك لا يمكن أن يكون لونه متعددًا، ولكن أولاده انتشروا في الأرض، فقُدِّر لهم أن يكون لهم أكثر من لون، فللطقس أثر في جعل منطقة تمتاز عن غيرها بلون بشرة سكّانها.

وكلمة آدم نفسها إذا كانت عربية فسرها اللغويون فقالوا: آدم مشتق من الأدمة، وهي السمرة الشديدة، أي لونه أسمر شديد السمرة، ولذلك كثير من الناس يقولون: إن اللون الأسمر الشديد هو الأصل في الألوان، حتى إنه ورد في الحديث: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض -ويروى- ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى». والإشارة هنا بأن الأسود الذي هو الأسمر هو لون العرب، والأحمر هو لون العجم، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. وليس هذا المقام مقام الكلام عن هذا، وإنما الكلام عن إخوتنا المسلمين في المهاجر، الذين هم قائمون بعمل عظيم في الدعوة إلى الله، ولكنهم يحتاجون إلى المساعدة، فـ(فيجي) هذه التي نتحدث عنها تلقّت مساعدات من المملكة العربية السعودية، منها مساعدة حملها الأستاذ عبد الرحمن بن ناصر العوهلي سفير المملكة في أستراليا، وذهب بها إليهم، وسلّمها بيده.

ونيوزيلندا أُرسلت لها مساعدات ثلاث مرّات، وآخرها الآن أصدر الأمر جلالة الملك بصرف ٣٠٠,٠٠٠ ريال لأهل نيوزيلندا، وستُرْسَل لهم عن طريق السفير في أستراليا، وهناك ترينيداد. ترينيداد فيها الآن ٩٧ مسجدًا، وجارته كانت تسمى غيانا البريطانية، وكانت جارة جارتها تسمى غيانا الفرنسية، فغيانا الفرنسية اختارت أن تكون أرضًا فرنسية داخل الاتحاد الفرنسي، وفي غيانا ١١١ مسجدًا، وهي مساجد كبيرة، ومساعدة المملكة العربية لكل هذه البلاد وغيرها كبيرة، وربما لا يتسع المقام لذكرها، وشكرًا.

كلمة الأستاذ عبد الله بغدادي

ثم أُعْطِيَت الكلمة للأستاذ عبد الله بغدادي، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين. فلعل واجب الوفاء لصاحب الإثنينية بعد عام حافل بالنشاط، وعلى أمل اللقاء في عام قادم إن شاء الله، أن أقول هذه الكلمة.

لقد تحقق لدى أرباب القلم وصناع الكلمة في بلادنا، أن هـذه الإثنينيـة ندوة أدبية متطورة، ومصنع من مصانع الفكر والثقافة في بلادنا، ومَعْلَم من المعالم الحضارية البارزة، وشخوص من الشخوص العملاقة، وصار حقًّا أدبيًّا نلتزم به أن نطلق على هذه الندوة الأدبية المتفردة من الآن فصاعدًا اسم صـالون الإثنينيـة الفكري والأدبي، صاحبه ومنشئه عبد المقصود خوجه، وهو أديب متأثر بالأدباء، عارف بأقدار العلماء، خبير بمجالسة النبغاء، ملك البيان عليه كل فؤاده، واستولى الإحساس الغامر به على كل مشاعره، فتأثر بالأدباء والشعراء، وتأسى واقتـدى بالعلماء، وارتفع إلى مرتبة شامخة في تجربة الأدب والأدباء، فأخذ يبشـر بهـم، وينشر آثارهم، وينتقي أساليبهم في الرقة والجزالة، ويتحسس المجـودين والنبغـة منهم في بلادهم وفي أقطار شتى من العالم، فيقدم أحدهم تلو الآخر على مسرحه الفكري المتفرد لعرض أفكارهم، وطرح رُؤَاهم الثاقبة في موازين الفكر، ومسارح الأدب، ومجالات العلم والثقافة، والدخول معهم في مساجلات ومطارحـات، للوصول إلى أفضل الطرائق، وأنجع السبل إلى تحقيق عالم أفضل، وطريق أجمـل وأكمل لصناعة الكلمة، وبناء فكرنا على أساس متين من التجديد والابتكار.

وفوق ذلك تميز صاحب فكرة الإثنينية ومؤسسها ومنسقها بالأدب العالي، والخلق الوافي، فيه شغف نابغ، وطبيعة مؤاتية، ونفس جياشة، يرتدي حلل الوفاء للأصدقاء والمحبين لـه على ألاَّ يحيد عن ذلك أو يميـل، ولا يفـرط في عُـرَى الصداقة قيد أنملة.

له فكر ثاقب، وعقل راجح، وحكمة نافذة، يجلله برد الإيمان، ونور اليقين، وسراج العافية، واستقامة السيرة، فكان بكل هذه المزايا والسجايا العقل البصير، والسراج المنير، والفكر المستنير، والأديب الخبير، وكان بحقٍّ إمام هذه الندوة الأدبية المتفردة، بل صاحبها وفارسها ومنسِّقها، لا يجارى في هذا التنسيق؛ لأنه مقسم إلى أحسن التقاسيم، وأروع الأنغام.

وكان ما أصابها من نجاح باهر موضع الثناء والتقدير من جميع الأدباء الشعراء والعلماء، وصار حقًّا له أن يزهو بها على الدنيا، ويفخر بها على الأيام، ويتيه بها على عالم الفكر، فقد غَدَتْ منبرًا من منابر الثقافة، ومشعلاً من مشاعل العلم، ومنارة من منارات المعرفة، يدور بين رحابها، ويقام على مسرحها نقاش علمي محبب إلى النفوس على مستوى أكاديمي مرموق، فهي تضاف من اليوم فصاعدًا إلى عداد الصالونات الأدبية الرفيعة التي عرفناها في كتب الأدب، وكان يدور فيها نقاش مستفيض، وتقام فيها المناظرات بين أرباب الكلام علماء اللغة وفحول الأدباء والشعراء.

وتذكر كتب الأدب أن هذه الصالونات الأدبية كانت تقوم مقام الجامعات اليوم، ذكر ذلك العلامة أحمد أمين في كتابه: «ظهر الإسلام»؛ لمَا دار فيها من حوار أدبي ممتع ارتفع إلى صف النقاش الأكاديمي العالي، فقد تحدَّث ابن عبد ربه في «العقد الفريد»، والمَقري في «نَفح الطيب»، والمقريزي في «الخطط»، تحدث هؤلاء حديثًا رائعًا عن آداب الخاصَّة في هذه الصالونات، وحيث كان الحضور إليها في موعد محدد، والانصراف منها عند إشارة خاصَّة يشير بها صاحب الصالون. فإذا قال: ذهب الليل، قام مَن حضر، وأظن أن الليل لم يذهب. ومن المناظرات الطريفة تلك المناظرة الشهيرة التي حدثت بين سيبويه والكسائي، حين زعم الكسائي أن العرب تقول: كنت أظن أن الزنبور أشد لسعًا من النحلة، فإذا هو إيَّاها، فقال سيبويه: بل الصحيح، فإذا هو هي.

وأورد المسعودي في «مروج الذهب» طرفًا من هذه المناظرات، فقال: إن يحيى بن خالد قال لهم مرة: قد أكثرتم الكلام في الكُمُون والظهور، والقدم والحدوث، والإثبات والنفي، والحركة والسكون، والماسة والمباسة، والوجود والعدم، والأجسام والأعراض، والتعديل والتحرير، والكمية والكيفية، وسائر ما نريده من الكلام في الأصول والفروع، فقولوا الآن في العشق، فقال علي بن الهيثم: أيها الوزير، العشق سبب المشاكل، وهو دليل على تمازج الروحين.

ومن الأمثلة على تلك المجالس، مجلس الوزير ابن الفرات، وفيه جَرَت المناظرة الشهيرة بين أبي سعيد السيرافي وبين بشير بن متى، وهي التي يذكرها أبو حيَّان التوحيدي بالمعضلة في كتابه: «الإمتاع والمؤانسة». غير أن أكثر الصالونات الأدبية شهرة تلك التي خلّدها المتنبي في شعره، وازْدَهَى بوجوده ينشد شعره الخالد في مجلس كافور بمصر:

ولكن بالفسطاط بحرًا أزرته ... حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

تجاذب فرسان الصباح أعنةً ... كأن على الأعناق منها أفاعيا

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فتى ما سرينا في ظهور جياونا ... إلى عصره إلا نرجي التلاقيا

عفوًا بعد هذا الاستطراد، أعود إلى صالون الإثنينية الأدبي، وفيه دارت مساجلات ومناقشات ومداخلات على هذا المستوى الفكري الرفيع، والطراز الأكاديمي العالي الرصين، والنسق المتقدم من النقاش الهادف البناء. فقضية مثل قضية الغزو الفكري الثقافي للأمصار والأقطار العربية هي -بلا شكٍّ- على أرفع المستويات الفكرية، كما أن تكريم رجل مفكّر بارز من أبرز رجالات العصر على مستوى العا لم الإسلامي كله، ومن أحسنهم في الدعوة إلى الله على هدًى وبصيرة وإيمان مستقيم، هو تكريم للعلم والعلماء في شخصه. فالأستاذ محمد ناصر العبودي رحَّالة عبر القارتين الإفريقية والآسيوية، وله رحلات في أمريكا الوسطى، ومشاهدات في المكسيك وكولومبيا وبنما وكوستريكا وغيرها،

يتحسس أحوال المسلمين هناك، ويكتب عن شؤونهم وشجونهم، ويدعوهم إلى الرجوع إلى أعظم المناهج وأفضل السبل، لكل مسلم في هذه الدنيا يريد أن يستقيم على شرعة الإسلام، ويهتدي بهدي أفضل رسل الله، وأفضل البشر أجمعين، والدعوة إلى الله وإلى دينه الحق وظيفة كبرى، ومهمة عظمى، ينهض بها العلماء أمثال الأستاذ العبودي، وقد قام بها خير قيام، جزاه الله عن إسلامه خير الجزاء، وشكرًا.

كلمة المحتفي عبد المقصود خوجه

ثم تحدَّث الأستاذ عبد المقصود خوجه، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. في الواقع لم يترك لي سعادة الأخ الصديق الأستاذ عبد الله بغدادي مجالاً للكلمة؛ فقد أسبغ عليَّ أكثر ممَّا أستحق، وليس لي إلاَّ أن أقول: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، اللهم اجعلني في عيون غيري كبيرًا، وفي عين نفسي صغيرًا، ما أنا إلا طالب علم، وما هذا إلا جهد المقل، وإذا كان لي من شأن فهذا ليس إلاَّ بكم ومنكم وفيكم. فجزاكم الله عني خير الجزاء، وأحسن إليكم.. وليس لي في الواقع أكثر ممَّا ذكرتُ، متمنِّيًا من الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا جميعًا توفيقه ورضاه، وأن يكون هذا العمل في سبيل الله، ثم في سبيل هذا البلد الطيب، ومكررًا ما أشرتُ بأن هذا جهد المقل، وآملاً ألاَّ تحرموني من ملاحظاتكم وتوجيهاتكم، فهذا المجلس لا يتم إلا بتعاوننا جميعًا لما فيه الخير.

وبمناسبة انتهاء هذا الفصل السنوي من لقاءاتنا هذه، أرجو أن أُقَدِّم شكري الجزيل لجميع مَن ساهم من الأساتذة الأفاضل، الذين احتفينا بهم في هذه السنة وما سبقها بجزيل الشكر وعظيم التقدير، وفي الوقت نفسه أشكر الإخوان الذين ساهموا في الاحتفاء بهؤلاء الصفوة من الرجالات، شاكرًا في الوقت نفسه تشريف

فضيلة الشيخ محمد ناصر العبودي لهذه الأمسية، متمنيًا أن نلتقي بــه وبكــم في فرص قريبة قادمة وأنتم جميعًا بخير.

ولا يفوتني أن أُشير إلى أن بدء إثنينيتنا القادمة إن شاء الله ســتكون بعــد صيف هذا العام، وسيكون ضيفنا الأول معالي الأخ الكــريم الأســتاذ غــازي القصيبي، مع الأستاذ الشاعر عبد الرحمن الرفيع من شعراء البحرين، متمنيًا لكــم أطيب التمنيات، وشكرًا جزيلاً، وشاكرًا للأستاذ عبد الله بغدادي مُكَــرِّرًا مــا أشرتُ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ختام الأمسية

ثم اختتم الأستاذ حسين نجار الأمسية، فقال:

ولا يسعني باسمكم جميعًا إلا أن أشكر ضيف هذه الإثنينية فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الذي استطعنا أن نتعرف إليه عن قرب رغم تعرُّفنا إلى كل نشاطاته وأعماله الخيرة. نرجو أن يكون هذا اللقاء موصولاً إن شاء الله، ونقف معه على الكثير من الجهود التي يقوم بها وأمثاله من الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدعوة الإسلامية، سائلين الله له التوفيق والنصر، وأن يسدد خطاهم دائمًا على سبيل الخير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

المبحث الثالث

النادي الأدبي بالقصيم

حفل تكريم النادي الأدبي بالقصيم والندوة الخاصة عن معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم في ١٦/٨/١٤٢١هـ

نتشرف الليلة برعاية أمير الثقافة في منطقتنا صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، وقبل أسابيع معدودة انطلق موسم النشاط الثقافي لنادي القصيم الأدبي برعاية سموه، والليلة يعطي سموه هذا النشاط دفعة متجددة، تأخذ به إلى آفاق جديدة تُثري العقل، وتَسمو بالروح، وتُثير الفكر؛ فقد جعل نادي القصيم الأدبي النشاط المنبري في مقدمة أنشطته، فالنشاط المنبري يتيح للمفكر أن يطرح فكره مباشرة للجمهور، وللمسؤول أن يواجه الجمهور، وفي النشاط المنبري تتلاقح الأفكار، وتُثار الأسئلة، وتُناقش المشكلات، ويتلاقى رجال الفكر والمسؤولية في لقاءات تنشد الخير والحق والحقيقة والتطلعات والآمال.

صاحب السمو الملكي، أيها المعشر الكريم، الليلة نلتقي مع عَلَم آخر من أعلام بلادنا، انطلق في فكره وعلمه من هنا ليسيح في أرجاء المعمورة داعيًا ومستكشفًا وباحثًا، ذلكم هو معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الداعية والعالم والباحث والمسؤول وعضو مجلس إدارة نادي القصيم الأدبي، هو محدثنا الليلة ليسيح بنا في مجال من المجالات التي أبدع فيها معاليه، وهو (أدب الرحلات).

وسيتلو محاضرته مداخلتان:

الأولى: للدكتور حسن بن فهد الهويمل.

والثانية: للأستاذ محمد بن عبد الله المُشوِّح.

قبل أن تبدأ فعاليات نشاط هذه الليلة لا بُدَّ أن أوجه كلمة شكر صادقة باسم هذا النادي إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم على رعايته لنشاط هذه الليلة، ودعمه المتواصل لأنشطة النادي، وتأتي هذه الرعاية دليلاً ناصعًا على دعمه -حفظه الله- للنشاط الثقافي والفكري والعلمي في هذه المنطقة.

أستأذن سموَّكم في بدء نشاط هذه الليلة داعيًا معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، والدكتور حسن بن فهد الهويمل، والأستاذ محمد بن عبد الله المُشوِّح للبدء، مبتدئين بكلمة قصيرة تعريفية عن فضيلة الشيخ المحاضر يلقيها الأستاذ محمد بن عبد الله المُشوِّح، ليتلوه الدكتور حسن الهويمل لإدراة اللقاء.

كلمة الأستاذ محمد بن عبد الله المُشوِّح

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم، معالي شيخنا علامة القصيم محمد بن ناصر العبودي، حفظه الله، أستاذي القدير الدكتور حسن بن فهد الهويمل، أيها الإخوة الحضور.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعتقد أنها فرصة قد لا تتكرر في هذه المناسبة الجميلة المحبوَّة بنخبة جليلة من رجال العلم والفكر والأدب في هذه المنطقة، يتقدمهم راعيها وناظر مسيرتها سمو أمير المنطقة. لا أحب أن أستأثر بكثير من الحديث؛ فأنا لا أُحْسَد على موقفي أبدًا.. أتحدث عن عَلَم عظيم، ومفكِّر قدير، وأستاذ جيل، ويشاركني في هذا الحديث رجل عظيم بقدر مكانته الأدبية والعلمية والفكرية والثقافية التي أجدني قزمًا أمامها، فأقول:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكْمَلان على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحسب أنه ليس يسيرًا ولا هيِّنًا لصغير مثلي أن يتحدث عن عظيم كالشيخ، ولا أعتقد أن أحدًا يحسدني على موقف يَنتصب العلاّمة فيه منصتًا ومستمعًا، ولا أظن أن أحدًا يكون حائرًا من أين يبدأ كما هو مع الشيخ محمد العبودي، إنني أمام علوم عدَّة، وموسوعة كبرى، يمثل امتدادًا لجيل العمالقة والرعيل الأول من رواد الحركة الفكرية والثقافية في المملكة العربية السعودية، ممّن حملوا المعرفة بشتى جوانبها، والثقافة من أوسع أبوابها، وإن كان لكل منهم هدي ومنهاج.

فيا ترى من أين نبدأ الحديث، وأي لقب يَشرف به، وليس هو يَشرف باللقب:

ما أرانا نقول إلا معارًا أو معادًا من قولنا مكرورًا

فإن قلتُ: الشيخ، فهو الشيخ الذي ارتوى من حِلَق العلم وطافها وهو لم يتجاوز العاشرة، بدأ من كُتّاب سليمان بن عبد الله العُمَري الذي تلقى عنه وهو في السادسة من عمره، ثم الشيخ محمد بن صالح الوهيبي، حتى التحق بمدرسة نظامية كان يديرها الشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّليم رائد التعليم الأول في المنطقة، عليه رحمة الله، مرورًا بحلقات المشايخ: صالح بن إبراهيم الكريديس، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، وانتهاءً بشيخه الأكبر سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حُمَيْد -رحمهم الله- الذي لازمه حضرًا وسفرًا، حتى صار من أخصّ خواصه وندمائه. إنه طالب العلم الذي توسَّم فيه والده النجابة منذ الصغر، فدفعه صغيرًا إلى حلقات العلم، فنهل وارتوى، وما خاب حَدْسُ والده، كان عمره أربعة عشر عامًا وهو يقرأ في حلقة الشيخ صالح بن إبراهيم الكريديس، الذي يقول الشيخ محمد عنه: «إنه عالم فاضل، ولو كانت هناك مناصب للقضاة متوافرة لكان الشيخ صالح على رأسها».

سأل والد الشيخ محمد الشيخ صالح بن كريديس عن ابنه: كيف محمد معكم في الحلقة؟ فقال: إن محمدًا يفيدنا. وكانت هذه إشارة وتزكية لهذا الطفل الناشئ، بصوته الجميل، ولغته السليمة.

لقد امتاز الشيخ محمد بن ناصر العبودي عن غيره من رواد الثقافة والمعرفة في هذه البلاد أنه كان حضينًا للعلماء، شرب من لبان العلم من أصوله حتى ارتوى، فكان لذلك أثره البارز في مجرى حياته العلمية والفكرية والثقافية.

وعلى الرغم من أن الشيخ نشأ في مجتمع ملتزم متمسك بشتى الأصول والثوابت، بل كان له تحفظاته على كثير من التطورات العصرية والانفتاح المعرفي والفكري، إلا أن الشيخ محمد العبودي استطاع صناعة منهجية جديدة تحافظ على الأصول، وتستفيد من الحادث والجديد، فكان أن أصبح من رواد التنوير والتحديث وأعلامه.

فقد استطاع أن يجلب الأنظار نحوه وهو شاب في مطلع العشرينات، منذ بداياته معلمًا، ثم ناظرًا في مدرسة، وقيِّمًا لمكتبة، ومديرًا لمعهد بُرَيْدَة العلمي. وسوف أتناول كل ذلك بالتفصيل؛ لأُبيِّن كيف كان أثرها في شخصيته وتأثيرها فيه.

والمُتحدَّث عنه بقية من علماء تراثنا الموسوعيين، بدأ مع زميله ورفيق دربه الشيخ حمد الجاسر مشروعهم الكبير في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، فكان بينهما تماثل كبير في عدد من الجوانب، مثل: توجههم للبحث والتراث، ونهمهم من القراءة والتحقيق، وارتباطهم بالفكر والثقافة والأدب.

والشيخ محمد العبودي جغرافي بارز، قدم وخدم منطقته كأعظم ما يخدم باحث ومحقق، فكان «معجم بلاد القصيم» متميزًا في شموله ودقته ممَّا سيأتي بيانه. وهو نَسَّابة معتبر يُرَدُّ إليه في هذا العلم، فمعرفته بالأُسَر والقبائل والأعيان ومواطنها وفروعها وأفخاذها لا يخفى على كل متابع ومطلع، وكتابه المخطوط الفريد «معجم أُسر أهل القصيم» خير شاهد. وهو أديب بارع، كتب في الأدب

شعرًا ونثرًا ممَّا هو منشور ومبثوث. وهو الرحَّالة الذي ما عرفت الإنسانية حتى اليوم امرأً كتب في الرحلات مثل ما كتب، فأحيا ذكر المسعودي، وأتى بأضعاف ما أتى عليه ابن بطوطة وابن جبير.

وأحسب أنه وضع أصولاً جديدة لهذا العلم، وكان رائدًا ومنظرًا اعتلى هامة هذا الفن، فكتب ما كتب مسجلاً سابقة سعودية وطنية لا نظير لها، إذا تحدث أسكتَ مَن حوله، وذلك في دقة معلومته، وثقته بالخبر، وإبداعه في الحكاية، وفصاحة في اللِّسان، وجمال في الصوت، جمع في رحلاته أحوال العالم، وأخبار الشعوب، وعادات الأُمم، وثقافة الدول، ثم تَوَجَّه بهمِّه الأول، وهو أحوال المسلمين في كل قطر وبلد. وهو كذلك مؤرخ جاد، يمتعض من المعلومة الضعيفة والغثائية في الكتابة، يحمل في صدره سجلاً دقيقًا لأحداث هذه الجزيرة وتوحيدها وأعلامها ورجالها. إنه أنموذج لا لمن قيل عنهم: «يأخذون من كل علم بطرف»، ولكنه عَلَم ومرجع في كل فن وعلم، وليس بطرف.

العبودي معلمًا:

لقد استطاع الشيخ محمد بن ناصر العبودي أن يتسلَّق هامة العلم مبكرًا، فمظاهر نبوغه، وملامح نباهته، وبوادر ألمعيته وعبقريته كانت شاهدة، فاختياره قَيِّمًا لمكتبة (بُرَيْدَة) وهو في الثامنة عشرة تقريبًا من عمره تحمل معه تَنَبُّؤًا مبكرًا بقدوم هذا الشاب الواعي إلى عالم العلم والثقافة والأدب.

وفي سنة ١٣٦٤هـ عُيِّن مدرسًا لأول مدرسة فُتحت في (بُرَيْدَة)، التي فُتحت في سنة ١٣٥٦هـ على يد المعلم الرائد عبد الله بن إبراهيم السَّليم رحمه الله، وهي المدرسة التي تعلَّم فيها أيضًا كما أسلفنا. وجمع بين التدريس في تلك المدرسة إضافةً إلى عمله قيِّمًا لمكتبة (بُرَيْدَة)، وهي التي عُرِفَتْ فيما بعد بالمدرسة الفيصلية، وقد تمَّت الاستعانة بالشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّليم -رحمه الله- لافتتاح أول مدرسة نظامية للمعارف بالرياض سنة ١٣٦٧هـ، بعد أن ظلت مدرسة (الرياض) حبرًا على ورق سنوات؛ بسبب التحفظ لافتتاحه من جرَّاء

موقف بعض الأهالي حيال التعليم الرسمي وتَخَوُّفهم منه، خاصَّةً في الجانب العَقَدي.

غادر الشيخ عبد الله بن إبراهيم السَّليم -رحمه الله- (بُرَيْدَة) لاستلام مهمته الجديدة، واستلم إدارة المدرسة بعده الشيخ صالح بن سليمان العُمَري -رحمه الله- الذي سعى لفتح مزيد من المدارس والنهوض بالحركة التعليمية بالمنطقة. وفي سنة ١٣٦٨هـ تمَّ افتتاح المدرسة المنصورية ببُرَيْدَة، فعُيِّن الشيخ محمد بن ناصر العبودي مديرًا لها، وبقي في هذه المهمة محقِّقًا نجاحًا متميزًا؛ نتيجة حسن إدارته ومعاملته، واستمر في هذا العمل حتى كان له موعد آخر مع مهمة كبرى تتمثل في افتتاح معهد (بُرَيْدَة) العلمي، ثاني معهد في المملكة العربية السعودية. وكان من الضروري اختيار شخصية إدارية حازمة، ذات بُعْد علمي وثقل اجتماعي، تحظى بثقة الناس واطمئنانهم؛ ذلك أن هذا المعهد الجديد سيُقابَل بشيء من النفرة، خصوصًا أنه يحتاج ابتداءً إلى اختيار نخبة من المدرسين والمعلمين، الذين يجب أن يكونوا على قَدْر من العلم الشرعي وقوة التجربة، فكان إسناد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- هذه المهمة إلى الشيخ محمد العبودي، وهو لم يتجاوز بَعد الثلاثين من عمره، خطوة كبرى لهذا القادم بقوة، ولقد كان اختيارًا مُوَفَّقًا أيما توفيق.

فافتتح المعهد، واستقطب له مجموعةً من المدرسين ليسوا من حملة العلم الشرعي فحَسْب، بل من العلماء المعتبرين، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن حُمَيْد، رحمه الله، الذي لم يتردد أبدًا في دعم تلميذه وتشجيعه على القيام بهذه المسؤولية المُلقاة على عاتقه. وإنني واثق أن لدى الشيخ الكثير من الذكريات الجميلة، والأحداث المهمة عن تلك المرحلة، التي آمل أن يتفضَّل الشيخ بإيضاحها وكشفها في أقرب فرصة.

وفي أول شهر ربيع الآخر سنة ١٣٨٠هـ بدأت رحلة الشيخ مع العالمية، فقد وقع الاختيار عليه ليكون أمينًا عامًّا للجامعة الإسلامية، التي كان يجري

العمل لافتتاحها، وكان الشيخ محمد العبودي أحد تلك الشخصيات المهمة التي وقع عليها الاختيار؛ لتنهض بذلك الحلم الكبير للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. فابتدأ مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في افتتاح الجامعة، ووضع الخطط اللازمة لهذا المشروع الكبير، واستمر في ذلك محققًا إحدى اللَّبِنَات المباركة التي ساهمت في تشييد ذلكم الصرح الذي فاضت إشراقته على الأرض كافّةً علمًا ودعوةً وإرشادًا، وكان لعقليته المتميزة، وثقافته الواسعة، وإدارته الحازمة دور في تحقيق الجامعة بوادرَ نجاحٍ منذ البداية، والجامعة الإسلامية كانت الانطلاقة الأولى في عالم أدب الرحلات.

كان يرأس عدة وفود لاختيار عدد من الدارسين للجامعة، وكان ذلك سنة ١٣٨٤هـ، بل كان تكليفه من قِبَل الملك فيصل -رحمه الله- بأن يأخذ مبالغ من المال تُدْفَع مساعدةً للجمعيات والهيئات الإسلامية العاملة. ثم عُيِّن وكيلاً للجامعة، ثم نُقل أمينًا عامًّا للدعوة الإسلامية؛ بناءً على اختيار الهيئة العُليا للدعوة الإسلامية بالمرتبة الخامسة عشرة، ثم اختير أخيرًا أمينًا عامًّا مساعدًا لرابطة العالم الإسلامي بالمرتبة الممتازة. لقد كان من الواضح أن هناك رابطًا شرعيًّا يطوف على شتى تلك الأعمال والمسؤوليات التي تقلّدها، وكانت مهمته تحتاج إلى شخصية علمية إدارية موثوقة. لقد أتاح للشيخ محمد العبودي الجو الرسمي الذي تبوّأه فرصة لكي تبرز العديد من قدراته ومواهبه، التي وَلّدت منه رائدًا بلا منافس في أدب الرحلات، وهو ما سيوضحه أستاذنا القدير الدكتور حسن الهويمل.

إن الحديث هنا لا يُغفل الجوانب الأدبية والثقافية التي وهبها الله إيّاه، ممّا نال على إثرها ميدالية الاستحقاق، وبراءة التكريم من مؤتمر الأدباء السعوديين الأول، المنعقد بمكّة المكرّمة سنة ١٣٩٤هـ، وذلك تقديرًا لجهوده ولإنتاجه الفكري، كما حاز عددًا من الدروع والجوائز والشهادات التقديرية من عدد من زعماء العالم الإسلامي وقادته، ورؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية.

إن إطلالةً سريعةً على عدد مؤلفاته تكشف شخصيةً ثقافيةً واسعةً، لها اهتماماتها الأدبية والتاريخية والجغرافية والفكرية.

يقول عنه الأستاذ محمد المجذوب -رحمه الله- في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم»: «وعندما نُعيد النظر في جدول أعمال الشيخ العبودي تشعر أن من المتعذّر إغفال آثار كل منها في تكوينه الفكري وخبراته، فالقيام على المكتبة في مطلع حياته قد منحه فرصةً للاتصال بالكتب؛ ليعرف العقول التي أملتها، والموضوعات التي احتوتها، والأذواق التي صاغت عبارتها.. ولم يكن مثل ذلك الاتصال بالأمر الميسور في تلك الأيام، فلا عجب أن تزوِّده هذه الفرصة بالحوافز التي تدفعه إلى إدمان المطالعة، ثم إلى مباشرة الإنتاج الأدبي الذي بدأ نشره في مجلة المنهل، ثم الاتصال الشفهي بكبار الأدباء؛ مثل: عبد القدوس الأنصاري، والشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، والمحقق حمد الجاسر، وغيرهم» انتهى كلامه.

لقد كانت الجامعة الإسلامية محظوظة آنذاك، حين تمَّ جعل الشيخ محمد العبودي أحد أركانها، ممَّا كان له أثره الذي كان واضحًا في حياة الرحَّالة العبودي.. لقد أشرتُ سابقًا إلى أن كثرة السفر وتعداده ليسا الميزة التي انفرد بها الشيخ محمد العبودي، وإن كان ذلك بارزًا وواضحًا، إلا أن الخلفية والمرجعية التي يخرج بها على أثر كل سفر هي الفيصل في النجاح الذي حققه. أَجَلْ، إن الذين يطوفون العالم ويجوبونه كُثُرٌ، فهم بين رحلات سياحية أو استجمامية، ولا يؤوبون من تلك الرحلات المضنية بأسفارها إلا بالعناء، وتبديد الأموال، وهدر الأوقات. صحيح أنهم قد يظفرون ببعض المشاهدات السياحية الجميلة، لكنها سرعان ما تتبخر وتنمحي فور دخولهم بوابة المطار، كما أن أولئك الذين قد يحضرون مناسبات رسمية أو مؤتمرات دورية هم سيسافرون، لكنهم لا يبقى في ذاكرتهم سوى تعالي صراخ وصيحات. لقد استطاع الرحَّالة العبودي أن يوظِّف تلك المواقف إلى علم وأدب وحصيلة تبقى في ذاكرته كزائر، يحسن عرضها وإيصالها ككاتب وأديب.

وقد امتازت كتابته ومشاهداته بالعفوية المفرطة، مع دقة الملاحظة، وعدم الاعتماد على الذاكرة التي كثيرًا ما خيَّبت ظن أصحابها.. لقد استطاع الشيخ محمد العبودي أن يرقى بكتابته من مجرد مشاهدات عامة، إلى تقديم سجل دقيق عن أي بلد زاره، متناولاً الجوانب التاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية والاجتماعية له.. لقد كانت أسئلته الكثيرة التي لا يتردد في طرحها على أولئك الذين يرافقونه من البلد المزور، ليسألهم عن أحوال بلادهم مستزيدًا لمعلومات سبق أن اطّلع عليها، أو مصلحًا لمعلومة كانت خاطئة، كان الكثير منهم يَعْجَبُون حين يفاجؤون أن الشيخ لديه معلومات أكثر ممَّا لديهم عن بلادهم، وأحيانًا يسألهم بعض الأسئلة التي كانت أبعد ما تكون عنهم وعن بلادهم، فكان يعتني كثيرًا بالمعلومة الدقيقة، وطالما دلف أبواب بعض المكتبات ودور الوثائق والمخطوطات ليُنَقِّب عن تاريخ البلاد وأحوالها.. مثالاً لذلك ما وقع له من بحثه بدقة متناهية عن تاريخ وصول المسلمين إلى أمريكا الجنوبية، وبداية الإسلام هناك مستندًا إلى بعض الوثائق والموجودات.

كانت روح الشيخ الواسعة ونَفَسُه الطويل شفيعًا له في عدم تململه من أسفاره، وضيقه من تنقلاته.

حدَّثني أحد الإخوة الدعاة في البرازيل، وهو يذكر إحدى زيارات معالي الشيخ لها، أنه عجب من روح الشيخ الخفيفة ممَّا دعاه إلى زيارة البرازيل القارة بولاياتها التي تناهز العشرين، واحدة تلو الأخرى.

لقد زار الشيخ مواقع إسلامية كادت تندثر، فكشف النقاب عنها، وأظهر خفاياها وخباياها، زار الجمهوريات الإسلامية قبل استقلالها، وأبان عن حال المسلمين في الاتحاد السوفييتي آنذاك، في رحلات استغرقت كتبًا عدَّة، وصل فيها إلى أقاصي سيبيريا، والقطب المتجمِّد، وكتب كتابًا فريدًا عن أحوال بعض المسلمين هناك، وأسماه: «مواطن إسلامية ضائعة».

كان كتابه «في إفريقية الخضراء» الذي طُبع سنة ١٣٨٨هـ باكورةَ كتبه في الرحلات، وقد أحدث ضجَّة كبرى؛ حيث تحدث عن مشاهداته وانطباعاته عن الإسلام والمسلمين هناك، فطُبع عشرات الطبعات، وتُرجم إلى عدد من اللغات، وقَدَّم بذلك سبقًا إسلاميًّا ودعويًّا رائدًا.

وكتب عن الصين وأحوال المسلمين فيها كتابًا أسماه: «داخل أسوار الصين»، ثم أتبعه بكتابه «العودة إلى الصين»، ثم «في أعماق الصين الشعبية»، ثم «في جنوب الصين».. وكتب كتبًا عدَّة، وأسماها: «الرحلات الهندية»، تناول فيها الهند وأحوال المسلمين، مفصلاً في أحوالها وعجائبها وغرائبها ممَّا لا يُوجد في أي كتاب آخر.

بلغت كتبه في الرحلات أكثر من مئة وواحد وأربعين كتابًا حتى الآن، لقد وُفِّق الشيخ في إيجاد مرجعية مهمة للعمل الإسلامي في الخارج؛ ليقدم في ذلك خدمة متميزة لكافة الجمعيات والهيئات الخيرية التي تسعى لخدمة الإسلام وشؤونهم، وهو حين يتحدث عن أحوال المسلمين وجمعياتهم ومَن يقومون على العمل الإسلامي، فهو حديث المستقصي الذي يملكه وخبرته التي ناهزت الأربعين عامًا استطاع أن يقدم معلومات دقيقة، وخبرًا مؤكدًا على كل عمل أو شخصية.

كما أن الشيخ العبودي استطاع أن يقدم أنموذجًا لهذه البلاد في شخصيته الشرعية الجادة، وروحه الأدبية الساحرة، ودبلوماسيته الماهرة، وثقافته الواسعة، إضافةً إلى تنوُّره، وبُعد نظره، وحصافة رأيه.

وعلى الرغم من أن الشيخ يعتمد كثيرًا على مدوناته وكتاباته التي يدوِّنها في أثناء رحلته، إلا أنه يتمتع -ولله الحمد- بذاكرة عجيبة، يستطيع من خلالها تقديم أي معلومة فور طلبها من دون الرجوع إلى كتاباته، وهذا ما شاهدتُه وسمعتُه من خلال حديثي معه في برنامجنا الإذاعي: (المسلمون في العالم.. مشاهد ورحلات). وعلى الرغم من أن الشيخ يعرف كثيرًا عن المشاركات الإعلامية التي تزاحمه في

تدوين كتاباته ومشروعاته العالمية الكبرى، إلا أن البرنامج المشار إليه استطاع أن يضيف للشيخ آلافًا من المحبين، الذين يأنسون بكلامه الذي أبدع فيه متحدثًا فوق كونه كاتبًا، وكانت عفويته، وبساطة حديثه، وحسن انتقائه للمشاهدات، وسلامة لغته، وفصاحة لسانه دافعًا إلى الإعجاب الذي حظي به.

البرنامج من الداخل والخارج:

وما زلْتُ أحتفظ بمئات من الرسائل التي تطلب إعادة بعض الحلقات، أو إرسالها، أو نشرها، وهو ما أُحيله إلى الشيخ حالاً.. ويجدر هنا أن أشير إلى أن الشيخ يجيد التحدث بالإنجليزية بطلاقة، إلى فهمه لكثير من اللغات؛ كالهندية والفرنسية والإيطالية.

لقد استطاع الشيخ محمد العبودي أيضًا أن يقدم أنموذجًا للداعية الذي يجب عليه أن يحسن توظيف عمله لخدمة دينه ووطنه وواقعه، بعيدًا عن الشعارات والنداءات والكلمات التي لا تحمل حقائق، ولا تنزل إلى الواقع، وقدم على أثر ذلك ارتباطًا قويًّا بين هذه البلاد بعلمائها ومؤسساتها الدعوية، والمسلمين في أنحاء العالم.

وعلى الرغم من هذا النشاط الكبير الذي حمله فردًا، وتنوء بحمله الجبال، فهو كذلك يعيش بحس أدبي راق، فكتب منوعات أدبية جميلة طُبعت ونُشرت؛ مثل: «نفحات من السكّينة القرآنيّة»، طُبع عدة طبعات، وتُرجم إلى عدة لغات، وكتاب «الثقلاء»، و«الأمثال العامية في نجد»، و«أخبار أبي العيناء اليماني»، و«المقامة الصحراوية»، و«سوانح أدبية»، و«مأثورات شعبية»، و«كلمات عربية لم تسجلها المعاجم»، وغيرها كثير.

كما أن الشيخ وطني ينبض حُبًّا لبلاده، كتب لها وبذل جهدًا في تدوين شيء من تاريخها، فكتابه «معجم بلاد القصيم» الذي يقع في ستة مجلدات جهد بارز، ودفاع منه عن بلده ومنطقته ومسقط رأسه، إضافة إلى سفره الضخم «معجم أُسر أهل القصيم» المتضمن دراسة وثائقية تاريخية دقيقة لأُسر أهل القصيم بتاريخها وأنسابها ومشاهيرها وأعلامها مما ليس له نظير حتى الآن.

أشرتُ آنفًا إلى المرجعية الإسلامية التي يتمتع بها معالي الشيخ محمد العبودي، وإلمامه التام بخلفيات العمل الإسلامي والدعوي، من خلال شتى المؤسسات العامة. وإذا كان العمل الإسلامي الدعوي يحتاج إلى دقة تمييز ومزيد تمحيص؛ نتيجة بعض الممارسات التي تتغلغل في المحيط الدعوي في الخارج؛ فإن العلاَّمة العبودي استطاع أن يُهَيِّئ مرجعية معلوماتية موثوقة في العمل الإسلامي.

إن من المؤسف أن يكون هذا المنهج الذي تبنَّاه الشيخ محمد العبودي مُفْتَقَدًا في كثير من أحوال العاملين في الوسط الإسلامي وأوضاعهم، فعمله ليس عملاً فرديًّا، على حين أن الكثير ممن يجيئون تلك الدول تراهم يخرجون منها كما ولجوها، ولا يمكن أن يُستفاد من زياراتهم تلك سوى معلومات هامشية، لا تُسمن ولا تُغني من جوع. ومن منهجية عمل العلاَّمة العبودي في الدعوة، أنه يأخذ بالقاعدة الأصولية المعروفة (الحكم على الشيء فرع عن تصوره)، فهو كما يتحدث عن رحلاته، لا يمكن أن يغادر إلى بلد جمع المعلومات عنه حتى تتاح له فرصة المسألة والبحث عن كذا. كما أن الكثير ممن يفاجئون بتلك المعلومات المهمة التي كملها يشعرون بلا شكٍّ بانقياد وارتياح تام، والناس جُبلت على حب أوطانها، ومن ثم السؤال عنها.

قابلتُ أحد الدعاة الذين كانوا يُثنون بحرارة، ويشيدون بقوة بمعالي الشيخ الذي قدَّم خدمة لبلاده لا يمكن أن تُنسى؛ إذْ كتب عنها في إحدى رحلاته وزياراته، وهي (سورين)، وقال: إن الشيخ قد فاجأنا حقيقةً بمعلوماتٍ كُنَّا نجهلها عن أصول السُّكَّان وتاريخ البلاد.

ومثله حين قابلتُ في زيارتنا لجمهورية مالديف رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الذي حدثني قائلاً: إننا لو قمنا باستكتاب فريق عمل ليكتب عن بلادنا، لم يَقُم بما كتبه معالي الشيخ محمد العبودي حين كتب كتابه الشهير: «المالديف إحدى عجائب الدنيا»، بل إنه قد حقّق لنا عائدًا سياحيًّا ضخمًا، فكثير من الذين يزورون بلادنا يتحدثون بقراءهم لكتاب معالي الشيخ محمد الطريف والماتع عن المالديف.

لقد رافق وزامل معالي الشيخ محمد عددٌ من أمناء رابطة العالم الإسلامي، الذين كانوا يجدون فيه خير معين لهم على أداء رسالتهم المنوطة نحو خدمة قضايا المسلمين، ورعاية شؤونهم في أكبر مؤسسة شعبية عالمية تفي بشؤون المسلمين.

والشيخ محمد يعيش بتفاءل المسلم حين يتحدث عن أحوال المسلمين وواقعهم، وقد قدَّم خلال حديثٍ للجامعة مؤخرًا خبرًا مهمًّا من رجل معتبر في هذا الميدان، وهو أنه لا يوجد بقعةٌ في العالم إلا ويوجد فيها جمعٌ من المسلمين، قِلّة أو كثرة. بل إن تلك الجموع مهما كان حجمها لا بُدَّ أن يكون قد نالها شيء من المساعدات التي تقدمها الرابطة، مدعومة بسخاء من حكومة خادم الحرمين الشريفين، التي قدمت لها جميع سبل الراحة وأوجه الدعم؛ لتقوم برسالتها على أكمل وجه. وكم هي المساعدات التي أُرسلت وقُدِّمت لشتى الجمعيات والأقليات الإسلامية التي كان معالي الشيخ له دور الوسيط فيها؛ ليقدم ما تبذله المملكة العربية السعودية بكل أمانة وسرِّية، بعيدًا عن الضوضاء الإعلامية والتهريج العقيم. ولن أستطرد في هذا الجانب، فلعلَّ الشيخ ومن خلال حديثه لاحقًا يُبدي لنا كثيرًا من هذه التفاصيل؛ ليكشف عددًا من جوانب هذا العمل الذي شرَّفته به هذه البلاد، ببذلها بلا مَنٍّ، وعطاء بلا أذًى.

ومن جوانب إنجازاته في الرابطة أنه يُقدِّم صورة جميلة للداعية الذي يُحسن التعامل مع مَن يدعوه، ويعايش واقعه، ويعي حاله وظروفه، بعيدًا عن التشنُّج والتعصُّب، حاملاً إيَّاهما على مبدأ مُراعاة حال المدعويين، والبداءة بهم بمنهج رسول الله ﷺ حين بَعَثَ مُعاذًا إلى اليمن، والتدرج في دعوتهم، وكسب مودتهم، وتأليف قلوبهم.

وكم هو مؤسف أن كثيرًا ممن يقفون على بعض أحوال المسلمين هناك، أن تكون تصرفاتهم بعيدةً كل البعد عن الحكمة التي هي ضالة المؤمن! وما أجمل قول عليٍّ ﷺ: «القلوب وحشية، فمَن تألَّفها أقبلَتْ عليه». والناس متباينون في طبائعهم، مختلفون في مدركاتهم في العلم والذكاء والأمزجة والمشاعر، مختلفون في

الميول والاتجاهات، حين يدعوهم رجل العلم والدعوة فعليه أن يتخيَّر المدخل إليهم.

لقد استطاع، حسب ما أسمعه من كثير ممن زارهم الشيخ في بلادهم، أن يروضهم ترويضًا ناجحًا؛ حيث يتلمس اهتماماتهم وهمومهم، ويناقشهم ويلجأ إلى أخص خصوصياتهم. لقد آتى الله الشيخ من سعة الصدر المطلوبة للداعية والباحث في شؤون المسلمين شيئًا كثيرًا، إضافةً إلى إحاطته بشيء من طبائع النفوس، ممَّا حقَّق له نجاحًا قياسيًّا في زمنه وحجمه. ورحم الله ابن بَطَّال حين قال: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي: خفض الجناح للناس، ولين الكلام، وترك الإغلاظ، وذلك من أقوى أسباب الأُلْفَة»:

وإذا عجزتَ عن العدو فَدَارِه ... وامزح له إن المزاح وثاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها ... تعطي النضاج وطبعها الإحراق

وإنني في الختام أُكرِّر أني لا أملك من مقومات الحديث عن الشيخ سوى محبته، وما تشرَّفت به من مُرافقته في عدد من المناسبات الإعلامية، والبرامج الإذاعية. وإنني أكرر اعتذاري عن عدم استيفائي لجوانب من حياته العالمية والعملية.. فحسبي أن أقول:

إذا كان المحب قليل حظٍّ ... فما حسناته إلا ذنوب

ولعل الذي يعذرني أيضًا أنني بجوار أستاذ كريم وكبير، أحسب أنه خير مَن يتحدث عن العظماء عظيم مثلهم، وليس من المتعالمين أمثالي، وآمل أن أكون وُفِّقتُ في إبراز شيء من جوانب هذه الشخصية الموسوعة المعرفية العريقة، التي نفخر بها عَلَمًا من أعلام بلادنا، وشامةً في جبين منطقتنا:

إن حارت الألباب كيف نقول ... في ذا المقام فعذرها مقبول
سامح بفضلك مادحيك فما لهم ... أبدًا إلى ما تستحق سبيل

إن كان لا يرضيك إلا محسن فالمحسنون إذًا لديك قليل

وشكرًا.

كلمة الدكتور الهويمل

شكرًا، ويبدو لي أنك قد أتيتَ على كل ما أريد أن أقوله؛ ولهذا سأريح الإخوة، ولا يسعد أحدٌ بتفوق الآخر عليه إلا الأبناء مع آبائهم، والأساتذة مع طلابهم، ولأنني شرفت بتدريس الأستاذ محمد المشوح؛ فإنني سعيد حين يتفوق عليَّ؛ لأنه نبتةٌ من غراسي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، أيها الجمع الكريم، إن من نِعم الله على هذه البلاد أن تتواصل مناسباتها، وتتجدد فعاليات مؤسساتها. ولقاء اليوم الذي يُشرِّفه صاحب السمو الملكي، وتدور فعالياته حول منجز علاَّمة من أبناء القصيم، هو لقاء استثنائي. واحتفاء النادي برجل قضى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين، وأسهم في كل مجالات الحياة العلمية والتعليمية والثقافية، يُعَدُّ شرفًا للنادي ومنسوبيه. والتفاف أبناء المنطقة حول واحد من أبرز أبنائها البررة جدير بأن توفِّر له كل الإمكانيات الممكنة. وما مشاركة سموِّكم إلا قمَّة الاحتفاء بهذا العالِم، وقادة بلادنا علَّمونا خلق الوفاء لرجالات البلاد، وما الاحتفال المئوي الذي استعادت الذاكرة فيه رجالاً أسسوا هذا الكيان الحضاري، إلاَّ لون من الوفاء، وفي كل يوم تُبادر الدولة إلى تكريم الكفاءات الوطنية لتحفِّز أبناءها إلى النهوض بالمهمات، وتلقي الرايات. ولقاؤنا هذا المساء يجمع الحُسنيين، تكريم عَلَم من أعلام البلاد، واستجلاء معارفه باستضافته متحدثًا رسميًّا عن أدب الرحلات ومفاجآتها وأثره الأدبي والمعرفي.

ومعالي الشيخ محمد العبودي خير مَن يحدثكم في هذا اللون من الأدب، جوَّاب أرض تقاذفت به فلوات ومفازات، ما يحط من سفر إلا إلى سفر، وكأنه مُوكَل بفضاء الله يذرعه. وإذا كان الشعراء خلَّدوا مشاعرهم، فإن ضيفنا خلَّد مكتسباته المعرفية وتجاربه الحيَّة. والحديث عن أدب الرحلة يستدعي الحديث عن أدب السيرة الذاتية، فالنوعان صِنْوَان يُشكِّلان مصدرًا معرفيًّا وثقافيًّا وجماليًّا لا يُستهان به. وفي المشهد الثقافي والمعرفي برزت كفاءات علمية وأدبية وسياسية رصدت مسيرة حياتها عبر الكلمة الإبداعية، وتركت للأجيال تجربة حَيَّة وقدوةً صالحة. وفي المقابل اكْتَظَّت الساحة الثقافية بفيض رخيص من أدب الاعتراف، الذي انعكس أثره السيئ على نفوس المتلقِّين، ودون ذلك أدب الفكر المنحرف. والوسط الثقافي مصاب بثقافة الضرر وما تبعه من انهيارات فكرية وأخلاقية.. وأدب الرحلات والسير الذاتية مظنة ذلك؛ لأنه حديث عن الذات وممارستها ورؤيتها للحياة. وحين يوفَّق المشهد الثقافي بأديب أو رحَّالة على خلق رفيع وعلم شريف ورسالة سامية، يكون المتلقي في مأمن من التلوث الفكري والسقوط الأخلاقي. والإسلام حَثَّ على اكتشاف آيات الله في الآفاق وفي الأنفس: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [سورة الحج: ٤٦]. ودواعي السعي في الأرض تكون للسياحة، أو الوفادة، أو التجارة، أو الدعوة، أو الدراسة، أو الاكتشاف، أو ما شئتَ من الدواعي والأهداف المتعددة بتعدد المهام والحاجات.

وقَيد الأوَابد منطلب مهم متى جمع الرحَّالة بين شرف المهمة، وغزارة العلم، وقوة الحفظ، وسرعة التذكر.. والقليل من العلماء الأفذاذ مَن تنبأ لأهمية تسجيل المذكرات والذكريات والمواقف والمشاهدات، ورصد الموهوب يكاد يحول الأشياء حتى لكأن له خلقًا آخر ينبض بالحياة، وفي الحديث: «وإن من البيان لَسحرًا». فالمبدع البليغ يكسو الأشياء حلية أخَّاذة، ويعطيها من الجاذبية ما يمكنها من التأثير والاستمالة. وأدب الرحلة في النهاية سيرة ذاتية تكتب حياة السفر، كيما

تكتب السيرة الذاتية حياة الإقامة والحضر، وقد تختلط الأمور وتتبادل السيرتان المواقع. والشعر العربي وما يستدعيه من غربة، وما يتوافر عليه من مشاهدات، حتى لقد جاءت الرحلة من المطالع الشعرية الأخّاذة، ومن ثم برع الشعراء في وصف ما يُلاقونه في ظعنهم وإقامتهم. ومِمَّا يتمتع به بعض الرحّالة دقة الملاحظة، وقوة التذكر.. ومن ثم ترى في ثنايا مدوناته قضايا متعددة جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. والجاحظ في كتابه «الحيوان» اعتمد على المتابعة ودقة الملاحظة، فكان أن رصد في كتابه غرائب الظواهر للحيوانات والحشرات، وخلّف موسوعةً لا غناء عنها.

والرحّالة الذكي تَدِقُّ نظرته، فيسجل لك قلمه أشياء ليست على شيء من الأهمية، ولكنَّ ذكاءه وبُعْدَ نظره يضفيان عليه من القول ما يحولها إلى أشياء مهمة ومثيرة ومشرقة. وما الشعر إلا تجارب إنسان عادي، حوّل ذلك العادي إلى استثنائي، وكيف لا يستطيع المبدعون قلب العادي إلى استثنائي، ورسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان لَسحرًا».

وأدب السيرة والرحلة يتناولان جوانب مهمة من الأدب العربي والعالمي، فكلا الأدبين -أدب السيرة وأدب الرحلة- يُعَدَّان من التجارب الحيَّة الصادقة. وحين تتعدد المقاصد، وتتنوع السمات والخصائص، نجد السخرية في سيرة المازني، والثورة العارمة في سيرة جبران، والصراع الروحي في سيرة الغزالي، والشجاعة والإقدام في سيرة أسامة بن منقذ.. ومن الأحوال النفسية إلى البعد الموضوعي حين نجد من سير القادة والأبطال تاريخَ أمة، وفي سير المفكرين فلسفةً وفكرًا.

واقتفاء الرحّالة من خلال كتبه كاقتفائه من وراء راحلته، وإذا لم تُسْعِفْكَ الظروف بالطواف على أقدامك، فلا أقلَّ من أن تجيل نظرك فيما تركه العلماء والأدباء من كتب، سجلوا فيها مشاهداتهم وانطباعاتهم ورؤيتهم.

وفي هذا المساء نعيش عالم الرحلة من خلال عَلَم من أعلام الأدب، ترك للمكتبة العربية ما يزيد على مئة كتاب، سجل فيها نتائج رحلاته المكوكية في كل بقاع العالم. وتصوروا كيف أنتم مع رجل لم يترك بقعة من أرض الله الواسعة إلاَّ ومرَّت فوقها عرباته سائلاً متأمِّلاً. هذا العالِم الموسوعي قدَّم لكل العالَم من خلال الكلمة ما شاهده بكل تفاصيله، وكم أنا سعيد حين أراه اليوم بيننا! إن تلميذًا مثلي عرف أستاذًا قبل خمسين عامًا، وأبصر النور المعرفي على يديه، لَسعيدٌ حين يراه ماثلاً أمامه بكل ما يتمتع به من حيوية وهيبة وجلال! وإنسان مثلي دخل أجواء الشيخوخة المهيبة الرهيبة يسعده أن يستعيد طفولته من خلال رجال كان لهم كل الفضل في توجهه وتعليمه، فله فضل التعليم، وعليَّ وزر التقصير. ومعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي ذو أفضال كثيرة، علّمنا صغارًا، وثقّفَنا كبارًا، وما زِلْنا معه في أخذٍ وعطاء.

ونادي القصيم الأدبي سعيد حين يلتقي أمثاله، ويصله بتلاميذه وأبنائه ومحبيه. والجميع مَدينون لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، الذي قدَّر الجميع حين قدَّر أستاذهم، وليس بغريب أن يكون معنا في كل مناسباتنا، وتطلَّعنا إلى أن تتجدد تلك اللقاءات، ففيه وفاءٌ لذوي الفضل، وكسبٌ معرفي، وتحقيقٌ لرسالة النادي القائمة على التواصل الثقافي والمعرفي. أحسب أنني حُلْت بينكم وبين ما تودُّون سماعه من معاليه، ومع اعتذاري أُخْلِي بينكم وبينه، «فكل الصيد في جَوف الفَرَأ».

كلمة معالي الشيخ محمد العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أيها الإخوة في الله.. إن المحمود هو الله سبحانه وتعالى أولاً، الذي قدَّر هذا الاجتماع المبارك في هذا المكان المبارك، وبهؤلاء الإخوة المباركين إن شاء الله.

إن هذا الاجتماع كان أمنية غالية، ليس ذلك لكوني أريد أن أسمع ما كنتُ طلبتُ من أخي وصديقي الأستاذ محمد بن عبد الله المُشوِّح ألاَّ يتطرق إليه، وها هو ذا حضر ويشهد ويسمع، وقلتُ لـه: «إذا كان هناك ثناء، فإنني لن أحضر»، وقد كرَّرتُ ذلك عليه، وقلتُ لـه: «أرجو أن تبلِّغ ذلك إلى أخينا وصديقنا العالم العلاَّمة الدكتور حسن بن فهد الهويمل، بأن لا يكون هناك مدح»، ولكنه جزاه الله خيرًا ربما حمله ظنُّه الحسن بأخيه إلى أن ينسى، ولا أقول: يتجاهل، هذا الشرط. إن مجرد الحديث وذكر الوقائع عن مرحلة سابقة من مراحل التطور في بلادنا، المتمثلة فيما لاقاه وعاناه من نجاح وغير نجاح أحد الذين عاشوا مرحلة وُصِفَتْ بأنها مرحلة قديمة.. إن هذا مفيد علميًّا وثقافيًّا، ولكن مقارعة الثناء هو الذي ليس مطلوبًا هنا.

إن من نِعم الله علينا -سبحانه وتعالى- في هذا الاجتماع المبارك أن نشاهد أمامنا صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، فأذكر أنه في آخر لقائنا بالملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل كنتُ في مجلسه في عام ١٣٧١هـ، وكان أول ما بدأ مجلسه في (الرياض) أن طلب من أحد الإخوة أن يتقدم فيقرأ من بعض الكتب، وقد تقدم أحدهم وقرأ من تاريخ ابن كثير رحمه الله، جزى الله سموَّ الأمير خيرًا في حضوره هذا الاجتماع المبارك.

أمَّا بالنسبة إليَّ، فإن الأخوين تطرَّقا -جزاهم الله خيرًا- إلى موضوعات شخصية، وأعتقد أن الذي يهم إخوتنا المستمعين هنا هو الموضوعات العامة. بالنسبة إلى الموضوعات العامة، أعتقد أنه يهم الجميع، أولاً: فيما يتعلق بهذه المنطقة، ليس كتابة ما مضى من تاريخها، الذي هو جزء من تاريخ وطننا الغالي المملكة العربية السعودية، وإنما بالنسبة إلى ما يخص هذه المنطقة، وهو ما يتعلق أولاً بكتاب «معجم بلاد القصيم» الذي صدر في ستة مجلدات، وكيف صدر هذا المعجم، وكيف كانت فكرة إصداره؟

الفكرة نشأت عند الأستاذ حمد الجاسر، رحمه الله، وذلك أننا كُنَّا نلاحظ قبل سنوات طويلة أن بعض المذيعين عندما فتحت الإذاعة السعودية، كانوا ينطقون بأسماء بعض البلدان عندنا نُطْقًا بعيدًا عن الحقيقة، فمثلاً سمعتُ بعضهم يقول (المُذْنِب): (المُذنَّب)! وآخر يقول (المَجْمَعَة): (المُجَمَّعَة)! وأمَّا المواضع التي ذات أسماء مُعقَّدة من أصلها، فإنهم يزيدونها تعقيدًا أيضًا. فاجتمع رأينا، والفضل لله ثم للأستاذ حمد الجاسر، ولكنه أشركنا في بحث هذا الموضوع، أن نضع معجمًا لجميع الأماكن في المملكة العربية السعودية، على أن نقتسم الأمر في هذا العمل، فكل شخص من منطقة معينة يتكفل بوضع جزء من هذا المعجم؛ حتى لا تكون هناك حُجَّة للشخص أن يتكلَّم أو يلفظ بلفظ باسم بلد من بلاد بلفظ غير صحيح.

كنتُ في ذلك الوقت، مثل ما تفضَّل أخي الأستاذ محمد المُشوِّح، أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، ولم يكن في (المدينة) من الوظائف الرئيسة إلا وظيفة نائب الرئيس، وكان يشغلها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله؛ إذ رئيس الجامعة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر، وهو يقيم بالرياض، ورئاسته هي رئاسة شرفية للجامعة؛ لذلك كانت أعباء الجامعة لا يوجد موظف آخر مع الشيخ عبد العزيز من الموظفين الرئيسين، فكان ذلك مانعًا لي من الإسراع إلى الالتزام بالكتابة عن منطقة القصيم، فأخبرتُ الشيخ حمد الجاسر بأنني أنا أريد أن أسهم في هذا العمل، ولكن أنَّى لي ذلك وأنا مشغول بأعمال الجامعة الإسلامية؟!

فقال: «والله لن أدعك»، هذا كان لفظه.

قلتُ: لماذا؟

قال: لأنني قد تكلَّمتُ مع الملك فيصل -رحمه الله، في ذلك الوقت، ورحم الله الجميع؛ الملك فيصل والأستاذ حمد- وأخبرته بالفكرة، فشجعني وقال: امض، ونحن مستعدون بجميع ما يلزم لهذا الأمر؛ ولذلك لا يمكن إلا أن أمضي في هذا

الأمر، وأنا سوف يكون من نصيبي شمال المملكة، والأستاذ سعد بن جنيدل سيكون من نصيبه ما أسماه مناطق العالية، يعني من (الدوادمي)، فما كان غربًا، وما كان شمالاً جنوبًا، وما كان إلى الجنوب، والأستاذ ابن خميس سيكون نصيبه اليمامة، يعني إمارة منطقة (الرياض)، قال: ولذلك منطقة القصيم لا بد أن تكتب فيها أنت.

قلتُ له: إن الكتابة في منطقة القصيم محبَّبة إليَّ؛ لأمور:

الأمر الأول: لأنها مسقط رأسي، وواجب عليَّ أن أسهم بما أستطيع في الكتابة عنها.

والثاني: أنها منطقة تضم أماكن تاريخية عظيمة، ربما لا توجد في المناطق الأخرى مثلاً: في القصيم «حِمى ضَرِيَّة»، وهذا الحِمى حماه أوَّل ما حماه أبو بكر الصديق ﷺ لإبل الصدقة، وما معنى إبل الصدقة؟ ربما أن بعضنا لا يعرفها تمامًا، وهو أن إمام المسلمين إذا أرسل جُباة الصدقة، أي الذين يأخذونها من الناس، والصدقة كما نعلم هي الزكاة المراد بها هنا زكاة الإبل؛ فإنه لا بد من مكان تُجمع فيه هذه الإبل حتى تهيَّأ لغزاة المسلمين، فكيف يغزو المسلمون إذا لم يكن لهم إبل متجمعة؟ ثم وسَّع فيه عمر بن الخَطَّاب ﷺ، ثم عثمان وسَّع فيه. فهذا الحِمى جميع المناطق القريبة من (ضَرِيَّة)، مركزه هي بلدة (ضَرِيَّة)، كلها مذكورة في التاريخ، والآن فيها أشعار، وفيها أخبار، ولم يشملها ما شمل بعض المناطق. ففي بلادنا مواضع غامضة يظن الإنسان أنه ليس لها تاريخ، وكذلك أماكن في الحِمى خَرِبَة، لولا وجود الحِمى فيها لَمَا وجدنا لها ذِكْرًا.

ثم إن القصيم أيضًا يخترقه طريق حاج (البَصْرَة). و(البَصْرَة) في وقت من الأوقات كانت أكبر مدن العراق، وكانت أهم مدن العراق قبل أن يبني المنصور العباسي مدينة (بَغداد)؛ ولذلك ذُكرت الأماكن في طريق الحج، أي طريق حاج (البَصْرَة) إلى (مكّة المكرَّمة). وليس ذلك فحسب، وإنما جميع البلدان الشرقية، بما فيها بلدان العجم إلى أفغانستان، كلهم كانوا يأتون من طريق (البَصْرَة) إلى (مكّة المكرَّمة)، وهذا هو الذي أعطى المنطقة ذكرًا باقيًا طوال الدهر.

ولكن كان يَفتُّ في عضد مَن يستطيع أو مَن يُؤَهِّل نفسه للكتابة أن بلادنا الجزيرة العربية شهدت بعد القرون المفضلة الأولى، التي هي ثلاثة قرون، شهدت ظلامًا تاريخيًّا حالكًا استمر حتى قيام دولة آل سعود الأماجد، عندما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، ونادى بالدعوة السلفية، واتفق مع الإمام محمد بن سعود -رحم الله الجميع- على إقامة السُّنَّة وإنكار البدعة، فكان هذا فتحًا مبينًا، لماذا؟ لأنه أنار هذه البلاد التي كانت مظلمة، ثم إنه نقل حكم البلاد من حكم الفوضى.

ونحن نعرف في السابق أن الإنسان كان ولاؤه، وبخاصة البدوي، لقبيلته أو لفصيل من قبيلته، ونجد أن سُكَّان المساكن القارَّة يكون ولاؤهم لقريتهم؛ ولذلك يقاتلون أهل القرية المجاورة.

الناس كانوا في بلاء عظيم، حتى يسَّر الله لهم أن قامت الدولة السعودية الأولى، فكان من ذلك أن نقول: إنه شملهم حكم القانون، ونريد بذلك حكم القانون السماوي، الحكم الشرعي، فتفرَّغ الناس لطلب العلم، ولطلب المعايش، وصار لا يكون لأحد على أحد سبيل إلا بالحق.

فهذه القطعة المظلمة من العصور، نحو سبعة قرون في الجزيرة، كانت تَفتُّ بالعضد. إذن من أين للإنسان أن يجد مراجع عن هذه العصور، أو هذه القرون المظلمة؟ إن المراجع للكتاب الذي كتبتُه أنا تتلخص في مرجع منير جيد، وهو ما كان في القرن الأول والثاني الهجري، أي ما كان قديمًا. وهذا من الغريب أن يكون العهد القديم أكثر وضوحًا من العهد الذي بعده، ثم بعد ذلك ما كان بعد قيام الدولة السعودية، فالأمر فيها واضح. وأمَّا ما كان عن تلك العصور المظلمة فلا يمكن أن يصل الإنسان إلى معرفة ما فيها بسؤال كبار السن مثلاً. لنفترض أننا أردنا أن نعرف قضية من القضايا في العصر الحديث، يعني مضى عليها مئة سنة، أو ثمانون سنة، ولم تُسجَّل في الكتب، نستطيع أن نسأل بعض الأخباريين، وبعض الناس الذين عندهم معرفة، وربما نَقَلُوا.. ولكن تسأل عن شيء في القرن الخامس؟ هذا لا يمكن.

ومع ذلك استعنْتُ بالله سبحانه وتعالى، وبدأنا بالكتابة، وإذا الكتابة تتسع ويصل الكتاب إلى ستة مجلدات، وقد طبعتُه بناءً على إلحاح الأستاذ حمد الجاسر؛ لأنه قال: «إنني أنا قد أعطيتُ كلمةً (وعدًا) للملك فيصل، رحمه الله، وقد منحنا الملك فيصل امتيازات كثيرة».

وفي عام ١٣٩٥هـ قال لنا الأستاذ حمد الجاسر، وأرانا كالأمر من الملك فيصل بأن يذهب معنا أناس من رجال الإعلام، فرقة منهم مُصوِّرون، ومنهم خدم، ومعهم المصاريف.. وذلك بأن نجول في جميع المناطق التي سنكتب عنها، وذلك على نفقة الدولة. وسافرنا ومعنا فرقة من وزارة الإعلام من (الرياض) إلى (الدوادمي). وممَّا هو محزن، وإن كان أمرًا مُقَدَّرًا ولكنه محزن لنا، أننا بعد أن تجاوزنا (الدوادمي) بنحو ثلاثين كيلومترًا أو أربعين، وكُنَّا في البَرِّ، وإذا بنا نسمع من المذياع بأن أحد المعتدين اعتدى على الملك فيصل، وقتله. كانت هذه الحادثة لا تُنْسَى.

ومن الأشياء التي لا تزال باقيةً في ذهني: أننا تدارسنا الأمر، هل نذهب لنُنهي مهمتنا مع وقوع هذا الأمر العظيم، أم نرجع؟ فنحن -ولله الحمد- نعرف أفراد الأسرة الحاكمة السعودية؛ ولذلك قلنا: لا، سنكمل إن شاء الله. واستمررنا في عملنا. لكن أنا أذكر أنه بعد نحو يومين كنا نسير في أماكن في عالية نجد، قِبَل الحدود الإدارية للمدينة المنوَّرة بقليل، وإذا بسيارات الجيب وفيها أناس جنود مسلحون، وإذا بهم يُوجِّهون أسلحتهم إلينا ويقولون: قِفُوا.

الحقيقة نحن لم نصدق ذلك أول الأمر؛ لأنه ليس في مظاهرنا ما يستدعي الشك، فلمَّا وقفنا قالوا: أنتم وش أنتم جايين، وش تسوون، أنتم تخوصون بهذا المكان (يعني تترددون بهذه الأمكنة)، وش تسوون أنتم؟

قلنا لهم: أنتم من أي مكان؟

قالوا لنا: نحن من المكان الفلاني، ونحن جئنا بأمر الأمير، بأن نلاحظ أي سيارة يَظهر عليها شيء غير طبيعي، أننا نوقفها.

قلتُ لهم: هذا الشيخ حمد الجاسر، وهذا الشيخ ابن جنيدل، وهذا فـــلان، وفلان.

قالوا: نحن لا نعرف هؤلاء.

قلتُ لهم: إذن قُودونا للأمير.

وأخبرناه. وبعد ذلك تفهَّم الأمر، وقالوا: نحن جاءنا تعميم من سموِّ وزيــر الداخلية بأنه نظرًا لهذا الحادث المؤسف، وهو اغتيال الملك فيصل، رحمه الله، فإنه يجب تكثيف الحرص على الأمن، وإرسال دوريات لهذه الظروف غير العاديـــة. وهؤلاء أخبرونا بأن هناك سيارات لا يُعرَف لها هدف، ولا يُعرَف عنها شـــيء، وهي تدور في هذه المنطقة، فلماذا لم تخبرونا من قبل؟

قلنا: والله نحن لسنا مستقرِّين في مكان معين، نحن نتجول، وهـــدفنا هـــو هذا، هدفنا علمي.

وبعد ذلك أكملنا جولتنا، وصلنا حتى حدود (المدينة المنوَّرة)، إلى الحايط وحويط، ثم وقفنا على منطقة (حائل)، ثم منـــها ذهبنـــا إلى المنطقـــة الشـــرقية والشمالية، يعني ذهبنا إلى (الحَفر)، ومن ذلك ذهبنا إلى قرب (البُصْرَة)، ثم رجعنا إلى الخليج من جهة الشرق.

هذه أشياء لا يعرفها بعض الناس، ولا يعرفون أن السبب في هذا المعجم هو تشجيع الملك فيصل، رحمه الله، وبَعده دعمُ وتشجيعُ الحكومة السعودية.

هنالك شيءٍ مهم جدًّا عند بعض الإخوة يحبون أن يسمعوا عنه شيئًا، وهو أنني عندما بدأتُ دراسة، أو بدأت الكتابة في «معجم بلاد القصيم» عرفتُ شيئًا كنتُ أعرفه من قبل معرفة إجماليَّة، وهو أن بلادنا السعودية، وخاصة في منطقـــة نجد، هي بلاد أُسر، بمعنى أن كل مدينة، بل ربما كل قرية، تعرف بالأُسرة الـــتي أنشأتها، حتى ولو أصبحت بعد ذلك مدينةً، فمثلاً: لا يستطيع شخص أن يتكلم عن مدينة (بُرَيْدَة) إلا أن يتكلم عن أُسرة آل أبي عليَّـــان، آل عليَّـــان الـــذين حكموها ما يزيد على مائتي سنة، طبعًا أُسرة آل أبي عليَّان مثل غيرهم من الأُسر

لا توجد مراجع عندما يريد الإنسان أن يبحث في هذه الأُسر، وإنما أصبحنا نلتقطها التقاطًا، ثم نأخذها من أفواه الأخباريين، يعني الأشخاص الذين لديهم اهتمام أو إلمام بالأخبار، ولديهم اهتمام بتنمية هذه الأخبار؛ إذًا لا بُدَّ من الكلام على أُسرة آل أبي عليَّان.

ثم إذا جئنا إلى مدينة (عُنَيْزَة)، فلا بُدَّ أن نذكر أُسرة السَّليم؛ لأن أُسرة السَّليم هم الذين أسسوها من قبل، وكانوا أمراءها، ولا يزالون.

ثم لا بد إذا أتينا (الرَّسِّ) أن نتكلم عن أُسرة العَسَّاف.. إلخ.

فهذا فتح لي بابًا من أنه لا بُدَّ من أن نتكلم عن الأُسر في القصيم؛ لأننا نحن إذا تكلمنا عن البلد وحدَهُ يكون كلامنا ناقصًا؛ ولذلك أدخلنا هذا الكتاب ضمن كتاب «معجم بلاد القصيم»، إلا أنه ظهر أنه في ذلك الوقت قد بلغ ما يزيد على عشرة مجلدات، فالأستاذ حمد الجاسر قال لي إنه مهتم بإنجاز هذا الكتاب. ففصلتُ «معجم الأُسر» عن «معجم البلاد»، وطُبع معجم البلاد - والحمد لله- أكثر من طبعة، ولا يزال كثير من الناس يتشوَّقون ويبحثون عنه ولا يجدونه، يبحثون عن نسخ، والسبب في ذلك راجع إلى أنني لا أستطيع أن أكون كاتبًا مؤلِّفًا، وفي الوقت نفسه تاجرًا وبائعًا للكتب؛ لذلك كثير من كتبي لا يستطيع الناس الاهتداء إليها؛ لأنني أفضل أن أفكر في تأليف كتاب جديد، أو تنقيح كتاب جديد، على أن أعيد طبع الكتاب الأول، مثل «معجم أُسر القصيم».

في الحقيقة بدأتُ به مع البداية في «معجم بلاد القصيم»، ولكنه يحتاج إلى معلومات أكثر، ويحتاج إلى تفصيلات أكثر. ونحن نعرف أن الكلام في الأُسر مثل الذي يقطع في اللحم الحي، على ما يقول العوام، فرُبَّ كلمة غير مقصودة يزل بها لسان، أو يكتب قلم على غير ما ينبغي، أو على غير ما يحب مؤلفه أن تكتب هذه الكلمة، ربما تؤثر في أنفس أناس من إخواننا ومن أهلنا ومن جماعتنا، ونحن لا نريد أن نُغضب أحدًا، أو أن نترك أثرًا سيئًا في نفس أحد.

ولكن عندما نُقل عملي إلى الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) صعب علي الرجوع إلى الشيبان وإلى الشيوخ، والبحث معهم في هذا الموضوع، فأجَّلته إلى حين.

وهذا يذكرني بتاجر يبيع الثلج في بغداد، ونحن نعرف أنه في القديم لم يكن هنالك ثلج مصنوع، وإنما كان هنالك الثلج الطبيعي، يأخذونه من البلاد البعيدة ثم يلفونه بالخيش، الخيش معروف منذ ذلك الوقت، ثم يبيعونه.. هذا الرجل من بغداد كان يُنادي على سلعته الثلجِ، ويقول: ارحموا مَنْ رَأْسُ مالِهِ يذُوب؛ لأنه إذا لم يشتروا منه صار رأسُ ماله ماءً.

ونحن في الحقيقة رأس مالنا هم الشيوخ المسنون الأخباريون، ومع الأسف الشديد إننا رأيناهم يذوبون شيئًا فشيئًا كما تذوب بضاعة ذلك الرجل الموجود في بغداد، فكنتُ أذكر بعضهم، وهم عدد كبير، لكن لو استطعتُ أن أذكر منهم أذكر: سليمان بن علي المقبل، المسمَّى أو المُلقَّب: أبا حنيفة، هذا من أفذاذ الرجال الأخباريين. ولكن هؤلاء بعد كل فترة من الفترات نسمع أن واحدًا منهم قد لقي ربه، وهذه سُنَّة الله في خلقه، ولكن هذا إن شاء الله نرجو ألا يَفتَّ في العضد عن إكمال الكتابة.

الناحية الثانية: وأرجو أن لا أكون قد أثقلتُ عليكم بالتفصيلات التي يمكن الاستغناء عن بعضها، التي قد ذكرها الإخوة، وهو موضوع الرحلات. موضوع الرحلات هو في الحقيقة لم يكن القصد في الأساس أن أكون كاتبًا من كُتَّاب الرحلات، ولا أن أكون مؤلفًا من مؤلفي الرحلات، ولكن عندما فُتحت الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة) بأمر من الملك سعود، رحمه الله، وبعد ذلك عندما تولى الأمر الملك فيصل، رحمه الله، أَوْلاها عناية خاصة، كان المقصود من افتتاحها توفير الدراسة لأبناء المسلمين من غير السعوديين، توفير الدراسة الإسلامية العربية لأبناء المسلمين من خارج المملكة العربية السعودية، لماذا؟ لأن الطلاَّب والمواطنين السعوديين لديهم كُليَّات شريعة في (الرياض)، وفي (مكَّة)، ولديهم جامعات،

ولكن بالنسبة إلى هؤلاء الإخوة المسلمين في الخارج لا يوجد في بلادهم دراسات إسلامية في ذلك الوقت، إلا ما ندر.

فتقرَّر، وكنتُ أول موظف في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، وقد كُلِّفت لجنة بأمر الملك سعود، رحمه الله، كان فيها الشيخ يوسف ياسين في ذلك الوقت الذي كان هو رئيس الديوان الملكي، وكان فيها واحد اسمه: محمد عمر زيني، مدير ديوان الموظفين في ذلك الوقت الذي هو ديوان الخدمة المدنية، وكان فيها الأستاذ عبد العزيز المعمر، وكان في ذلك الوقت وزير دولة، وفيها مستشار اسمه: عبد المنعم مصطفى، وهو رجل مصري استقدمته الحكومة السعودية، وكان هو ممثل مصر في جنيف عند مكتب الأمم المتحدة في سويسرا، واستقدمته المملكة مستشارًا قانونيًّا. فجلسنا نحن عُكَّفًا على وضع نظام للجامعة الإسلامية في (المدينة المنورة)، وكانوا ينظرون إليَّ من الناحية الفنية الواقعية على أني كنتُ مدير المعهد العلمي، ونُقلت حسب أمر الملك سعود إلى الجامعة الإسلامية، فقلنا لهم: إن مقصد ولي الأمر الملك سعود في ذلك الوقت توفير الدراسة لأبناء المسلمين، وليس للسعوديين؛ ولذلك سَنَنُصُّ في نظام الجامعة على أن ألاَّ يكون فيها أحد من السعوديين، بل تكون خالصةً لغيرهم. ثم تداولنا في هذا الأمر مدة طويلة، إلى أن قرَّرنا أنه لا بُدَّ من جعل نسبة فيها من السعوديين؛ من أجل أن يختلط بهم الطلاَّب الأجانب، فيتعلموا منهم ما تعلم السعوديون في بلادنا -ولله الحمد- من تربية، ومن لغة عربية.. فقرَّرنا أن يكون هنالك عشرون بالمئة من المقاعد يكون مخصَّصًا للطلاَّب السعوديين، والبقية ثمانون بالمئة لغير السعوديين، وهكذا كان.

فُتحت الجامعة، لكن كان يلاقينا عقبات: نحن مثلاً نخصص لكل جهة من الجهات منحًا دراسية؛ لأن الجامعة لا تكون كلها بمنح دراسية، ولكن تأتي إلينا شهادات لا نعرف هل هذه الشهادات صحيحة أم لا، ومن مدارس أو معاهد لا نعرف عنها شيئًا، وتأتي من جمعيات ليس لدينا عنها معلومات؛ لذلك كتبنا وقررنا أنه لا بد من أن يكون هنالك من الرابطة وفد يذهب إلى إفريقية أول الأمر؛ لأن الغموض في ذلك الوقت كان يعم إفريقية، وعرضنا الأمر على سماحة

المفتي الأكبر في المملكة العربية السعودية، وهذا كان اسمه: رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم، هذا كان اسمه في ذلك الوقت، فرحَّب بذلك، ورفعه للملك فيصل، رحمه الله، ووافق عليه. و لم يقتصر الأمر على هذا، وإنما أعطاني مبلغًا من المال، وهذا المال هو أول مبلغ يُرسل من المملكة إلى المسلمين للجمعيات الإسلامية، أي إلى غير الحكومات. وكنتُ أنا رئيس الوفد، وكان معي اثنان من مشايخ الجامعة؛ الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، والشيخ عمر بن محمد فلاّتة.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز، قال لهما: إن الرسول ﷺ كان إذا بعث بَعْثًا أَمَّر عليهم شخصًا. قال: فأميركم هو فلان، يقصدني. وقالوا: نحن نعرف السبب؛ لأنهم يعرفون؛ لأنني كنت أكبر منهم وظيفة.

سافرنا إلى إفريقية، ثم عدنا بعد ذلك، وكان الملك فيصل قد أصبح ونحن هناك ملكًا، وذلك في شعبان عام ١٣٨٤هـ، وفوجئنا بأن المعلومات التي لدينا عن المسلمين عامة، وعن البلاد عامة كلها معلومات ناقصة، وبعضها غير موجودة؛ لذلك كنت أقيد في كل يوم ما أشاهده فيما يتعلق بأمور البلاد، وفيما يتعلق بأحوال المسلمين، من أجل أن أختار منها بعد ذلك تقريرًا نرفعه إلى الملك فيصل، رحمه الله، وهذا الذي حدث، كتبتُ كتابات وجدتُ أنها كبيرة، وأن بعضها لا يُحتاج إليه في التقرير الرسمي، واستخلصنا التقرير الرسمي ورفعناه إلى الملك فيصل رحمه الله، واقترحتُ أن يكون هنالك خمسون داعيةً على نفقة المملكة العربية السعودية يُرسلون إلى إفريقية، وأن يكون هنالك منح دراسية جديدة، ويكون هنالك مبالغ من المال، وأن يؤسس مكتبان؛ أحدهما في إفريقية الشرقية في مدينة (نيروبي)، والآخر لغرب إفريقية في مدينة (لاجوس) عاصمة نيجيريا في ذلك الوقت. فوافق الملك فيصل، رحمه الله، مباشرة على هذا الأمر، وقال: يجب أن يذهب فلان -يقصدني- إلى هناك. هذه المرَّة أخذتُ معي رجلاً عاملاً هو الأستاذ عبد الله بن حمود الباحوث، رحمه الله، وقد توفي من سنة، وهو من جماعتنا، وكان رئيس المحاسبة في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنوَّرة)، وذهبنا إلى هناك، ولكن كانت رحلة طويلة.

وعندما رجعنا ذهبت للسلام على الملك فيصل وشكره. ونسيت أقـول: إنني قبل أن أسافر كان الوقت وقت صيف، وكان الملك فيصل في (الطـائف)، وكان مكتبه في قصر شبرا، القصر المعروف في الطائف، فتكلمتُ مع الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمه الله، أنني أريد أن أسلم على الملك فيصل وأشكره، هذا قبل أن أسافر، فقال: أنا ذاهب إليه غدًا، اذهب معي. ذهبنا إليه، فلمَّا انتهى المجلس قلتُ لـه: «يا طويل العمر، نحن ذاهبون حسب أمركم إلى إفريقية، وهذه بلاد ليس في بعضها سفارات، وليس فيها أحد نعرفه، نحن نريد أن تمنحونـا توجيهـاتكم ونصحكم».

فقال: اسمع يا الأخ، أنا أقول كلمة واحدة: راقب الله في أقوالك وأفعالك تنجح. وبس.

تأملتُ هذه، وإذا هي نصيحة جامعة بالفعل، فالذي يراقب الله سـبحانه وتعالى في أفعاله وأقواله ينجح في عمله؛ لأن هذا يقتضي أن يقـول الصـدق، ويقتضي أن يعمل الصدق، وحتى التاجر الذي يراقب الله في أعمالـه وأفعالـه ينجح، وتكون تجارته رابحة.

فعندما رجعتُ قُلْنَا لا بُدَّ أن نرجع إلى الملك فيصل نُسلِّم عليه، ذهبنا إليه في القصر الأحمر، في ذلك الوقت كان مجلس الوزراء في القصر الأحمر في الرياض، وعندما انفض المجلس دخلنا إليه، وكان عنده مكتب صغير في غُرفنا الآن بعد أن مَنَّ الله علينا واتسعت الأمور، فقلتُ لـه: «إننا حسب أمر جلالتكم -حفظكم الله- ذهبنا إلى إفريقية -وكنتُ أنا متحمسًا، ولو كنتُ في تجربتي الآن لَمَا قلتُ هذا، ولكنني أحببتُ أن أُحمِّس الملك في ذلك الوقت- يا طويل العمر، نحن جينا لكن المسلمين أيتام، ما لهم أحد يساعدهم».

قال: صحيح، من اللي بيساعدهم؟

وهذا واضح؛ لأن الملك، رحمه الله، وغيره كل متتبع، يعرف أنه ما فيه أحد يساعدهم على الفطرة.

قلتُ: طال عمرك، معنى هذا أنهم يريدون زيادة المساعدة.

فقال: أتدري يا الأخ أننا نُنفق من الاحتياط، وميزانيتنا ما فيها شيء، ومع ذلك أعطيناكم هذا المبلغ.

هذا الكلام في عام ١٣٨٦هـ، وكان سعر برميل البترول دولارين إلا رُبْعًا، وكان إنتاج المملكة مليون برميل إلا كَسْرًا، وكانت المملكة في ذلك الوقت تُدافع عدوان الرئيس عبد الناصر في اليمن، وقبل ذلك ضرب المملكة، ولولا حكمة الملك فيصل لكانت المسألة أكبر، ولكن الملك فيصل -رحمه الله- هدَّأ المسؤولين، فمن أين تُنفق المملكة؟ ومع ذلك جادَت المملكة العربية السعودية ممثلةً بالملك فيصل في تلك الأوقات، بذلك المال الذي تمّ.

نعود إلى موضوع الكتاب، ومرَّة أخرى أَستميحُكم عُذْرًا في ذِكْر هذه التفصيلات، ولكن إخواننا الذين أثاروها، ولا بُدَّ من أن نذكر أشياء ربما لا يعرفونها، وربما يعرفونها ولا يريدون أن يشغلوكم بها.

فرآني الأستاذ محمد المجذوب، وكان مدرسًا في الجامعة الإسلامية هناك، قال هذا الكتاب يجب أن يُطبع، فطبعتُ الكتاب الأول «في إفريقية الخضراء»، ووجدتُ له إقبالاً عند الناس، وهذا هو الذي فتح هذا الباب. ثم بعد ذلك بدأتُ هذه الكتب، واستمرت إلى أن زادت، ربما معلومات الأخ محمد المُشوِّح قديمة، إنه قال: مئة وأربعون، وهي الآن مئة وثلاثة وستون. إنني لا أذكر ذلك من أجل مجرَّد الذكر، وإنما الموضوعات الثقافية لا شك يعدُّ ذكرها ليس من باب الفخر؛ لأنها تهم الجميع، ثم إنني لا أمدح هذه الكتب، ولا أثني عليها، بل إنني أبرأ إلى الله ممَّا قد يكون فيها من خطأ، فكل شخص معرَّض له، ولكن هذه الكتب أصبحت ملكًا للجميع، ومَن وجد فيها خطأ فإنه يستطيع أن يقول ويدل عليه، ومَن وجد فيها صوابًا فليَدْعُ لنا ونحن ندعو له على ذلك، جزاه الله خيرًا.

بالنسبة إلى جهود المملكة العربية السعودية مع المسلمين في الخارج، هـذا أمر أخذ يتوسع -ولله الحمد- على مدى الأيام، حتى جاء عهد الملك فهد بـن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله ووفقه، فازداد ذلك توسُّعًا عظيمًا. وقد شمل العبد الضعيف عطفٌ ملكيٌّ خاصٌّ لم أكن أتصوره، ذلك أن الملك فهد -حفظه الله- عندما طبعتُ الكتاب الأول «في إفريقية الخضراء» قـرأه كلَّـه، وأرسل إليَّ مرة الأستاذ عبد العزيز المسند، وذلك في عام ١٣٩٩هـ، وكـان الملك خالد -رحمه الله- في رحلة علاج في بريطانيا، وكان الملك فهد هو نائب الملك، والمسؤوليات عظيمة عليه، فأرسل إليَّ وقال: أريد أن أقابل فلانًا؛ لأنـني قرأتُ كتابه. فذهبتُ إلى الديوان الملكي، وأذكر أن الأستاذ ناصـر الراجحـي رئيس الديوان في ذلك الوقت عندما دخل معه معاملات كبيرة قال لـه الملـك فهد: بعد ذلك، وأغلق الباب.

وقال لي: أنا قرأتُ كتابك «في إفريقية الخضراء»، وفي الحقيقة أن ما ذكرتَهُ عن محنة العرب في (زنجبار) وتعليلك لـه هو تعليل صحيح.

وذكر جزاه الله خيرًا مجاملاتٍ لو سمعها شخص من زميل لـه لأعجبتْـهُ، فالملك فهد ومسؤولياته ضخمة معروفة، ومع ذلك لم يمنعه ذلك مـن أن يقـرأ الكتاب، ويهتم بأمور المسلمين، قال: ولكنك أنت قلتَ في آخر الكتاب، إنـه يجب أن تتعاون الدول العربية على مساعدة إخوانهم في إفريقية، نحـن نـود أن نتعاون، ولكن نحن إن شاء الله سنقوم باللازم، ولا نحتاج إلى أحد، سوف نقوم بكل شيء، إن شاء الله، ما يحتاج إليه إخواننا نحن مستعدون نبذل جهدنا.

هذا كان أمرًا عظيمًا، وبعد ذلك تكلم -حفظه الله- في مجلس الـوزراء، وقال لي: الدكتور عبد العزيز الخويطر إن كتابك ذُكِرَ في أعلى مجلس في المملكة العربية السعودية، وهو مجلس الوزراء، وأنا أعرف أن خادم الحرمين الشريفين - جزاه الله خيرًا- أثنى عليه. كذلك تكلم حول هذا الكتاب في مجلس العلماء الذي كان ينعقد مرة واحدة في الأسبوع. فهذا كان أكبر مشجِّع لي وحافز إلى مواصلة الكتابة.

ثم إن هنالك شيئًا لا بُدَّ من ذكره، وهو من نسبة الفضل إلى أهله، وهو أني لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم الإمكانات التي مكّنتني منها دولتي وحكومتي، لما استطعتُ أن أذهب، كيف أستطيع أن أذهب إلى أقاصي الأرض بما يحتاج إليه ذلك من حالة معنوية، ما هي الحالة المعنوية؟

إذا كان أي رجل يحمل جواز سفر دبلوماسي سعودي، وأنا أحمل جوازًا دبلوماسيًّا، فهو يستطيع أن يذهب إلى أي مكان في العالم، وإذا حدث له شيء، لا قدَّر الله، أو احتاج إلى أي شيء من الإدارة في تلك البلاد فكل شخص يحترمه؛ لأن الدولة التي أصدرت الجواز محترمة، وتعرف أنها لا تُعطي جوازًا دبلوماسيًّا إلا لموظف من الموظفين عندها، الذين لهم صفة خاصة.

فكان هذا ممَّا فتح لي الأبواب، بدليل أنني زُرْتُ مناطق في روسيا في زمن الشيوعية، كان محرَّمًا على غير الروس أن يدخلوها، ولكن كانت روسيا في ذلك الوقت قُبيل الشيوعية، أي قبل انفراط الشيوعية، قُبيل انحسار الشيوعية، قبل انفراط الشيوعية بست سنوات أو سبع سنوات، كانت متشوقة إلى أن يكون لها علاقات مع المملكة العربية السعودية، وذلك من ناحيتين؛ الناحية الأولى: لما ترجوه من الفائدة الاقتصادية من علاقاتها مع المملكة، والثانية: لما تأمله من نفع من مكانتها، المكانة الدولية للمملكة العربية السعودية.

فعندما أبديتُ لهم رغبتي، وكنتُ قَدِمْتُ إلى هناك بدعوة من الإدارات الدينية في الاتحاد السوفييتي، هذه الإدارة تعدُّ بمنزلة الإدارة الحكومية، وإن كانت الحكومة الروسية لا تُنفق عليها، طلبتُ منهم أن أزور مدينة (مورمنسك)، هذه هي المدينة الشمالية في روسيا، وهي التي لا تغيب عنها الشمس في وقت من الأوقات، وبخاصة في الثلث الأخير من شهر (يونيو). بطبيعة الحال هذا طلب أوصله رؤساء الجمعيات الإسلامية إلى رئيسهم، وهم أربع جمعيات، ويسمونها إدارات دينية. أتصور الحكومة السوفييتية قالوا: هذا طلب من شخص سعودي، كان يعمل في الجامعة الإسلامية في (المدينة المنورة)، ومحترم في وزارة الخارجية.. فيريدون التقرب للمملكة العربية السعودية.

نظّموا واستضافوني واستقبلوني، هناك الشمس لا تغرب مطلقًا، فماذا نصنع؟ من الطرائف أنني عندما وصلنا إلى المطار وجدتُ أهم أحضروا رئيس الكنيسة، وعندهم كنيسة واحدة، ومعه باقة من الأزهار بمترلة تحية الاستقبال، وكذلك رئيس بلدية (مورمنسك)، مدير شؤون الأديان في روسيا. إدارة لشؤون الأديان مثل ما في كثير من البلدان الشيوعية السابقة، وليس يُريدون بذلك المساعدة على الدين، وإنما يريدون الإشراف على الدين لكبح جماحه. إدارة شؤون الأديان القصد منها بذلك أن يمنعوا تأثير الدين في الشعب؛ لأن سياسة الدولة عندهم هي سياسة إلحادية، يعني الدول كما نعلم إمَّا دول دينية، وهذا ظاهر، وإما دول علمانية؛ مثل دولة فرنسا. الدول العلمانية لا تحارب الدين، ولا تشجعه، لكن بالنسبة إلى الدول الشيوعية دول إلحادية، الإلحاد هو مبدؤها.

عندما جلسنا كانوا أحضروا فرقة تلفازية؛ لأهم هم سيبثون هذا. وبالفعل حاولوا أن يستفيدوا من وجود وفد من (مكّة المكرّمة) في بلادهم؛ لأن بلادهم – كما نعلم– بلاد إلحادية، وسمعتها سيئة في العالم الإسلامي، فمذيعة التلفاز قالت بعض أشياء أسئلة، لكن من الطرائف أو التوافه فيما قالت: هذه البلاد بلاد باردة وبلاد قطبية، ولكننا نحن في أشد الأيام دفئًا، وهو اليوم الثاني والعشرون من شهر (يونيو) الذي هو حزيران.

ووجدَتْ أنَّ عليَّ بدلة صوفية عادية، وكان إخواننا في موسكو قالوا لنا: إن البلاد دافئة، وإن درجة الحرارة فيها تسع إلى عشر.

وقالت لي في سؤال، طبعًا في التلفاز: هل أحضرتم معكم ملابس ثقيلة؟

نحن لم نحضر ملابس ثقيلة، ولكن إن قلنا: لم نحضر، فهذا يدل على سوء التقدير، وإن قلنا: أحضرنا، فهذا غير صحيح، ولا نقول –إن شاء الله– قولاً غير صحيح، ولو عن طريق المزاح.

قلتُ لها: هذا السؤال يُذكّرني بما نقوله لمن يزور بلادنا في الصيف، هل أحضرتَ معك ملابس خفيفة؟ فانتهت المسألة، وأُعفينا من الإجابة المباشرة،

الإجابة عن هذا السؤال. لكن المهم ليس هذا، المهم قالوا: اسمع، بلادنا هذه ليس فيها ليل ولا نهار، فهل تريد أن يكون موعد برنامجكم فيها في الليل، العادي عندكم، أم في النهار؟ كله سواء أكان البرنامج الساعة العاشرة مساءً أو العاشرة ضحى أو الثانية عشرة، كله عندنا واحد.

قلتُ لها: على كل حال، الضيف في حكم المضيف، الذي يسهل عليكم يسهل علينا.

وأنزلونا في فندق اسمه: (فندق القطب)، عندهم يسمونه هناك فندق القطب؛ لأننا في قطب. ولكن واجهتنا مشكلة في الصلاة، كيف نصلي والشمس حَيَّة؟ فنحن عملنا بما ورد في الأحاديث عن التقدير في وقت الدجَّال، أنه يستغير الوقت. لم يكن معي إلا شخصان؛ أحدهما: مترجم من إخواننا البخاريين، ويَعرف اللغة الروسية، والثاني: صحفي، وهو الأستاذ أيمن حبيب من جريدة عكاظ، فقلتُ لهما: لا بُدَّ أن نقدِّر، فقدَّرنا أن نصلي الظهر الساعة الثانية عشرة، ونصلي العصر الساعة الثانية، ونصلي المغرب الساعة السادسة، ونصلي العشاء الساعة الثامنة؛ وهذا لأنه لا يوجد ليل نصلي فيه.

انتهى الأمر، لكن جُلْنَا معهم جولة، وأعطانا بعض المحبين بالطو، أي معطفًا ضخمًا، لبسناه اتقينا به شدة البرد؛ لأن هذه المنطقة الثلج يكون ذهب، ولكن المناطق المرتفعة قليلاً مناطق فيها ثلج أزلي. الثلج الأزلي الذي لا يذوب أبد الدهر. وتكلموا لنا من العجائب والغرائب، وقالوا: أكبر عيد عندنا يوم أول إبريل، نسميه: عيد عودة الشمس؛ لأن الشمس تغيب عندنا في أول ديسمبر، ولا تعود إلا في آخر مارس، لكن تكون أول ما تعود ربع ساعة، خمس دقائق، ثلث ساعة، ولكنهم لا يكونون تعودوا شمسًا معتادة إلا يوم واحد إبريل، فنحن نسمي هذا العيد عيد عودة الشمس.

انتهينا من هذا، ولكن أنا أردتُ أن أقول: لـــولا توفيـــق الله تعـــالى، ثم الإمكانات التي منحت ويسرها لنا الحكومة السعودية، وحسن الظن والثقة، لَمَا استطعتُ أن أصل إلى أي مكان في العالم، الإنسان يصل بجهده إذا كان ثريًّا إلى مناطق معينة، لكن لا يذهب إلى مناطق فيها مخاطرة.

في المقابل، ذهبنا إلى مناطق كثيرة ومعروفة، والأخ تكلم عنها، وربمـــا لم يكن من المبالغة أنني لا أذكر البلد الذي في الدنيا لم أزره، كثير من الناس قـــالوا لي: ما هي البلاد التي زرتها؟

قلتُ لهم: ربما يكون الأصح، ما هي البلاد التي لم أزرها؟

الهدف من الزيارات هذه كلها هو في الأساس هدف إسلامي نبيل، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حسن النية والقصد، وهذا هو الهدف. ولكن هـــذه الكتب، وهذه الرحلات هي على هامش المهمة، أي علـــى هـــامش الهـــدف الأساسي، ولكنني رأيتُ أنها مهمة جدًّا، لماذا؟ لأنني إذا رأيتُ شيئًا، ورأيتُ حالة إخواننا المسلمين، فلا بُدَّ أن أشرك إخواني المسلمين الذين لم يستطيعوا أن يذهبوا، ويروا ما رأيتُ.

كان شيخنا الشيخ عبد الله بن حُمَيْد –رحمه الله– كلما أردتُ أن أُودِّعه، وأقول لـــه: إني ذاهب إلى منطقة من العالم، يقول لي: يا فلان، اكتب، لا بُدَّ أن تكتب عنها. قلتُ لـــه: يا سماحة الشيخ، أنا قد يكون الكتابة ليس فيها صعوبة علي، ولكن ما هي الجدوى؟ هل هنالك جدوى من كتابة هذه الكتب؟

قال: لا، اكتب، النفوس مفطورة على الاستطلاع، محبة الاستطلاع، وليس كل شخص يستطيع أن يسافر ويرى، وليس كل مَن سافر ورأى يســـتطيع أن يكتب، فإذَنْ لا بُدَّ أن تكتب، والكتابة إذا لم يُنتفع بها الآن ربما يُنتفـــع بهـــا في المستقبل.

وقد رأيتُ آثارًا لذلك في أن بعض الإخوة الذين قرؤوا الكتـــب تـــأثروا وكتبوا لي عندما قرؤوا أحوال المسلمين، نحن نُريد أن نتبرع لإخواننا المســـلمين

بكذا من المال وبكذا، نبني مسجدًا، وهذا الذي حدث، وهـذا متكـرر، ولله الحمد، ومن فضل الله علينا أننا شهدنا أماكن دخل فيها أنـاس إلى الإسـلام، وصادف -الفضل لله وليس لنا- صادف وجودنا هناك دخول هؤلاء في الإسلام.

ثم إنني كلما أزور بلدًا أطلب من الجمعية الإسلامية فيها أن تنظم لي جلسة مع المسلمين الجدد؛ لأني أقول لهم: أنتم أيها الإخوة المسلمون القدماء، أنتم رأس المال، والإنسان -والحمد لله- رأس ماله يحرص عليه، والله سبحانه وتعالى هـو الذي يحفظ. ومن التحدث بنعمة الله أننا لا نعرف شخصًا واحدًا غير دينـه إلى دين غير الإسلام من المسلمين، قد يحدث أن يفرط المسلم في دينه فلا يعمل بمـا أمر الله به، أو أن يعمل أشياء غير مناسبة، ولكن لم يحدث أن المسلمين، خصوصًا اثنين أو ثلاثة، رجعوا عنه، بمعنى أنهم ارتدوا عن الإسلام، ولكنني أسـأل عـن المسلمين الجدد، فرأيتُ عجائب من أمر المسلمين الجدد.

واحد يقول لي: أنا -والله- لا أريد منك إلا أُجرة الباص، وهذا كـان في مدينة (ليما) عاصمة بيرو، يقول: أنا آتي إلى المركز الإسلامي في ثلاثة باصات، أركب باصًا بعد باص؛ لأنه في قريتي باص، يعني حافلة، حتى أصـل إلى هـذا المكان، وأنا راتبي محدود، فكل ما أريد أن تساعدوني على الأجرة التي أصل بهـا إلى هنا لأودي الصلاة.

والثاني محام، وحالته جيدة، قلتُ لـه: أتريد شيئًا؟

قال: أنا لا أريد منك إلا شيئًا واحدًا، فأنا غني من الناحية المادية، ولقـد وسَّع الله عليَّ، ولكن أريد منك شيئًا واحدًا، أريد أن ترسل إليَّ كتابًا، أو ترسل إليَّ ترجمة معاني القرآن بالإسبانية، وقال: وأن تدعو الله لي في الحَرم أن يأتي يوم أستطيع أن أقرأ القرآن فيه، وأفهم اللغة العربية من دون ترجمة.

وفي منطقة جنوب المحيط الهادي هنالك جمهورية حديثة الاستقلال اسمهـا (بابوانيوغني)، يعني بابو غيني الجديدة، هذه كانت مستعمرة إنجليزية، وعنـدما جلا الاستعمار عقدت مع أستراليا (السوسيشن)، يعني على اتحاد يجعل أسـتراليا

تقدم لها المعرفة الإدارية، ثم بعد ذلك أعلنت استقلالها، لكن دخلها الإسلام حديثًا، إلى درجة أن أقدم شخص فيهم أسلم عام ١٩٩٣م، وقد صورت معه صورتين، وألفتُ عنها كتابًا. لكنَّ الإخوة المسلمين فيها أقول للواحد منهم إذا جاءت مناسبة: متى أسلمتَ؟

يقول: والله أنا مسلم قديم، أنا أسلمتُ منذ ثلاث سنين؛ لأن بعضهم أسلم منذ شهرين، وبعضهم منذ أشهر. ولا يوجد بطبيعة الحال أحد منهم أبوه مسلم.

هذه البلاد دخلها الإسلام، وأسلم طوائف من أهلها، ليس كل أهلها، رغم أن المنصِّرين كانوا مركزين فيها؛ لأنه لا يأتي إليها دعاة مسلمون من قبل، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [سورة التوبة: ٣٢]. فالإسلام فيها دخل حتى في الغابات. ذهبنا بالطائرة من العاصمة (بورت مورزبي) إلى منطقة جبلية عالية، ومنها بالسيارة ٢٥٠ كيلومترًا، حتى وجدنا منطقة أسلم أهلها قبل سنتين، فأعطيناهم بعض النقود من الرابطة؛ لكي يقيموا فيها مساجد، والمساجد يبنونها مِمَّا يبنون منه منازلهم، وهم يبنون منازلهم بما يسمى (بالبامبو). البامبو قصب، أعواد ضخمة مجوَّفة قليلاً، ينشرونها ثم يجعلون الواحد بجانب الآخر، ويبنون بيوتهم ومساجدهم كذلك. والمسجد يتكلَّف مع المرافق التابعة له بالمنافع ما بين ثلاثة آلاف دولار وأربعة آلاف دولار، تجد قرية ليس فيها مسلح، ولا يعرفون البناء المسلح، هذه من البلاد العامة التي دخلها الإسلام حديثًا، وهذا ما كنتُ أظن.

لكن في هذه البلاد قابلنا رجلاً سيريلانكيًّا مسلمًا، وهو من تجار الشاي في سيريلانكا، أرسل إليه رئيس جمهورية سلمون آيلند، أي جزر سليمان، وهي واقعة في أقصى جنوب المحيط الهادئ، وقال له: نحن نريد أن تدخل إلينا صناعة الشاي؛ لأن الجو في بلادنا شبيه بالجو في سيريلانكا، فالرجل رجل مسلم أخذ معه داعية من دعاة المملكة العربية السعودية، اسمه: ميكائيل عبد العزيز، موجود في منطقة (بورت مورزبي)، هو الوحيد في البلد التي قلتُ، ودفع التذكرة ذهابًا

وإيابًا وأخذه معه، وقابل رئيس الجمهورية، وقال: أنا مستعد، هذا الرجل مموِّل، عنده مال، وهو رجل من تجار الشاي إلى بلادكم، ولــه مزارع شاي معروف بها، مستعد أن أدخل زراعة الشاي، لكن بشرط أنا مسلم، ولا يوجد عنــدكم مسجد، وبشرط أن تأذنوا لي بتأليف جمعية إسلامية عندكم، وببناء مسجد، وهذا الشيخ يقدرهم، وقال: أبرك الساعات.

وأنشأ الجمعية، وأسلم ستة عشر شخصًا، وبدؤوا إنشاء جمعية إسلامية لم يمض على إنشائها أكثر من سنتين ونصف.

هذا ما أحببتُ الحديث عنه، ولو أردتُ أن أنساق مع نفســي للحــديث معكم لطال سهركم، ولكنني أرجو عدم المؤاخذة في هــذا الكــلام الطويــل، وشكرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة مدير الحوار

شكرًا لمعالي الشيخ على هذه الجولة الممتعة، التي كشف من خلالها عمَّــا يشبه المغامرات، والتي أيضًا سلّط الأضواء من خلالها على سمات الدولة في نشــر العقيدة الإسلامية بين أوساط العالم بأسره. أرجو إذا كان هناك أسئلة من بعض الإخوة سواء عن طريق الأسئلة المكتوبة، أو عن طريق المشافهة، إذا كان هنــاك أشياء يود أحدكم أن يستوضح من معاليه، أو ربما يستذكر موقفًا من المواقف التي مرَّت بكتبه، أو تحدث عنها، ولم يعرضها في هذا المكان، وهي تشكِّل منعطفًا في قضية الدعوة ومساعدة الجاليات الإسلامية.

كلمة أمير منطقة القصيم

تحدث صاحب السمو أمير منطقة القصيم الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كم نحن سعداء هذا المساء أن نسمع لهذا العلاّمة، ويزيدنا فخرًا في هذا الوطن أن يكون من بين أبنائه مَن وصل إلى هذا المستوى من العلم والحكمة والمعرفة والثقة بالنفس. فالتهنئة لنا جميعًا ولك، واجب علينا أن نقدرك ونكرمك يا معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي؛ لذلك سوف يطلق اسمك على إحدى المدارس في هذه المدينة[1]، وعلى شارع باسمك؛ لتظل دائمًا في أذهان الأجيال عَلَمًا بارزًا، ومثالاً يقدَّر ويحتذى.. وفّقك الله وأعانك؛ لتقدم عطاءات جديدة، فأبناؤك وتلاميذك في انتظار ذلك، وشكرًا للجميع.

الأسئلة

باسم أبناء المنطقة، ومحبي معاليه وتلاميذه، أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لصاحب السمو الملكي، الذي عوَّدنا على مبادراته الإيجابية، لم ولن يكون غريبًا أن يبادر سموُّه بهذه المكرمة، التي ستبقى حيَّة في نفوسنا، لا أشك أن معاليه قد لقي من التقدير ومن الإكبار من أبنائه، ومن رجال دولته، ومن ولاة أمره، الذين مكّنوه من أن يجوب آفاق المعمورة، وهو في كل مجالسه يقول: إن الفضل كل الفضل يعود إلى ولاة الأمر، الذين يسَّروا لي هذه المهمات، ومكّنوني من تقديم هذه الخدمة لعقيدتي ولوطني.

---

(١) تم تسمية إحدى المدارس الثانوية بمدينة بريدة باسم معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وتم تعيين أحد الكفاءات الإدارية المعروفة مديرًا لها، وهو عبد العزيز بن سليمان العبودي ابن أخ المترجَم عنه.

- يقول هذا السائل: منطقة (المدينة المنوَّرة) لرعاية المسلمين الجدد حلم يراود الشيخ العبودي لتحقيقه، فهل يا معالي الشيخ من نيَّة لتفصيل أو لتحقيق، أو تفصيل هذا الحلم ليصبح حقيقة؟

- شكرًا للأخ الكريم على هذا السؤال، والحلم الذي يراودني هو الذي يراود المسلم، أن يرى المسلمين منتصرين، وأن يرى القدس محرَّرة قد عادَتْ إلى أهلها المسلمين، ويصلي فيها، وشكرًا.

- هذا السؤال يقول: لماذا لا يُستفاد من مجموعة كتب العلاَّمة الشيخ العبودي؛ لوضع برنامج متكامل عن أحوال المسلمين، وبيان المراكز والمساجد والعلماء الثقات المعروفين في كل بلد، على أن يكون هذا البرنامج عن طريق الكمبيوتر، تستفيد منه جميع مؤسسات الدعوة الرسمية والخيرية في هذا البلد الكريم.

- لقد طلب بعض الإخوة المستمعين الحصول على تسجيلات البرنامج الإذاعي، وقلتُ لهم: إن البرنامج هو في الحقيقة الآن ملك الإذاعة السعودية، ولا يمكن لي أن أتصرف فيه، إلا إذا انتهت الحلقات كلها. ونظرًا لما عرفني به بعض الناس من كثرة الكلام؛ فإنني لا أتوقع أن ينتهي هذا البرنامج في مدة قصيرة، إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئًا غير ما يريده الناس؛ ولذلك سوف أتقدم -إن شاء الله- إلى الإذاعة، وأطلب منها أن تتيح لمن يريد من الإخوة الحصول على هذه التسجيلات؛ لأنني تلقَّيتُ طلبات من داخل المملكة ومن خارجها، يطلبون الحصول على هذه التسجيلات؛ لأن بعضهم فوجئ بأحوال إخوانه المسلمين. أنا أذكر أن واحدًا سألني وقال لي: هل في البرازيل مسلمون؟

كيف لا يكون، وأنا أعرف أن في البرازيل ثمانمئة ألف مسلم، ولكن من الممكن أن يكون الملتزمون منهم لا يزيدون على مائتي ألف، والمراد بالملتزمين هم ليس الملتزم كما في مفهومنا، وإنما هو مثل سائر المسلمين، وأمَّا الستمئة ألف فأكثرهم قد ضاعوا، و لم يبق لهم إلا أنهم من أبناء المسلمين.

وبعض الناس قال لي: هل يوجد في جنوب إفريقية مسلمون؟

قلتُ لــه: إن في مدينة (كيب تاون) حيًّا يسمى (بواكي)، فيه ثلاثة عشر مسجدًا، في حي واحد من أحياء مدينة (كيب تاون)، التي معنى اسمها: مدينة الرأس.

كلمة الختام

وشكرًا شكرًا جزيلاً، في نهاية هذا اللقاء نتقدم باسمكم جميعًا إلى معاليه بالشكر الجزيل على إتاحته هذه الفرصة، وباسمه وباسمكم جميعًا نتقدم إلى صاحب السموِّ الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم، على تفضله ومشاركته لنا في هذا التكريم لهذا العلاّمة الذي وهب حياته ووقته وجهده لخدمة العقيدة الإسلامية. نستودعكم الله، ونرجو أن نوفّق في تحقيق لقاءات مماثلة، يستطيع من خلالها النادي أن يقدم ما يرضي روّاده ومنتسبيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شكرًا أولاً لفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي على حديثه الشائق، وشكرًا للدكتور حسن الهويمل، وللأستاذ محمد المُشوِّح، وهناك درع يُعبر عن وفاء هذا النادي لفضيلة الشيخ، يقدمه الدكتور حسن الهويمل رئيس النادي.

في نهاية هذا اللقاء نتقدم بالشكر الجزيل لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز على رعايته، وبالشكر لفضيلة الشيخ العبودي، وشكرًا لحضوركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

المبحث الرابع

ثلوثية المشوح

سوانح وذكريات مع عميد الرحالة

معالي الشيخ محمد ناصر العبودي

الشيخ عبد الرافع قارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تُبدُوا ما في أنفسكم أو تُخفُوهُ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاءُ ويعذبُ من يشاءُ والله على كل شيء قدير * آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله لا نُفرِّق بين أحد من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غُفرانك ربنا وإليك المصير * لا يُكلف الله نفسًا إلاَّ وُسعها لها ما كسبتْ وعليها ما اكتسبتْ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصْرًا كما حملتهُ على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقه لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنتَ مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤- ٢٨٦].

كلمة المضيف الشيخ محمد بن عبد الله المُشوِّح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

معالي شيخنا الكريم الشيخ محمد بن ناصر العبودي، فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند، أيها الإخوة الحضور أساتذةً وأدباءَ ومثقفين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ها هي ذي ثلوثيتنا تُعاود نشاطها بعد انقطاع الصيف اليسير، مستفتحةً نشاطها بضيفٍ كبيرٍ وعزيز، هو معالي الشيخ محمد العبودي.

هذا العالم الفريد الذي صار مَثار فضول الكثيرين للتعرُّف إلى شخصيته، وكشف هويته التي تعدَّدت اهتماماتها، وتفرَّعت مواهبها، وكيف لا يُحتفى بالعلاَّمة العبودي وهو أحد البقية الباقية من موسوعي مجتمعنا النوادر؟!

العبودي الداعية المؤرِّخ الرحَّالة الجغرافي النسَّابة والقاص الشاعر الراوية، ليس ذلك مجرد سرد ألقاب محب أو معجب ألصق بعضها وجامل في الآخر، بل إن الشيخ كتب في العلوم والفنون المذكورة آنفًا جميعًا. كيف لا يُحتفى به وهو عميد رحَّالة الإنسانية؟!

طاف العالم من أقصاه إلى أقصاه، فلم يترك موضع قدم يحلُّ فيه مسلم، أو يُذكر اسم الله فيه، إلا وطئه. ها هو ذا العلاَّمة العبودي بفنونه المتعددة، ومواهبه المتزاحمة.

لا ندري بأيها نبدأ، أو بأيها نستفتح معالي الشيخ احتفاءنا الليلة، فهذه وقفة عرفانٍ من تلميذ يجد فيكم أنموذجًا متميزًا لثقافتنا وفكرنا، اللَّذَيْن ليس لهما حد ولا نهايةً.

أكرمتنا لنستمع إليك مسؤولاً ومثقفًا وأديبًا ومفكرًا، تعاقب على تلك المواقع جميعًا، فأتقنها أيما إتقان طوال نصف قرنٍ من الزمان:

لو كنتُ أعرف فوق الشكر منزلةً أعلى من الشكر عند الله في الثمن
أوليتها لـــك مـــن قلـــبي مؤللـــة حذوًا على مثل ما أوليـــت مـــن

شكر الله لك شيخنا إجابة الدعوة، ولكم أنتم محبي الشيخ ومؤيديه كل الشكر على مشاركتكم وحضوركم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور عمر بن صالح العُمَري(١):

السلام عليكم. أيها الإخوة الأفاضل، اسمحوا لي قبل أن أقدم معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي أن أعطيكم نبذة من حياته، وكما يُقال: "المعروف لا يعرف"، لكن من باب التذكير. هو الشيخ محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العبودي، وُلد في مدينة بُرَيْدَة عام ١٣٤٥هـ، وقد تهيأ للشيخ محمد العبودي بيئة دينية وتربوية وتعليمية، مكّنته من أن ينشأ نشأة صلاحٍ وعلمٍ وتقوى، وأن ينطبع أثر ذلك عليه في مراحل عمره المختلفة.

الشيخ العبودي تعلّم في بداية حياته في أحد الكتاتيب والمدارس غير النظامية في بُرَيْدَة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية عند افتتاحها، وكذلك طلب العلم على مجموعة من العلماء، ومن أبرزهم: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، علامة القصيم، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ صالح السكيتي، والشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم، والشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية.

---

(١) د. عمر بن صالح بن سليمان العمري يعمل أستاذًا للتاريخ في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له عدد من الكتب المطبوعة؛ منها: الشيخ صالح بن سليمان العمري سيرته وحياته، والشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم وجهوده، والتعليم في القصيم- تحقيق ونشر.

والتحق الشيخ العبودي في السلك الوظيفي منذ وقت مبكرٍ من حياته، وبالتحديد منذ عام ١٣٦٤هـ، وكانت أولى الوظائف الحكومية التي التحق بها هي وظيفة قيِّم مكتبة جامعة بُرَيْدَة، وهي ما تُعرف الآن بمكتبة الملك سعود، التي تشرفت مدينه بُرَيْدَة وحظيت بافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز لها قبل أيام، وفي العام نفسه عُين الشيخ محمد مدرسًا في مدرسة بُرَيْدَة.

وظل يجمع بين الوظيفتين إلى شهر صفر من عام ١٣٦٨هـ، حين عُيِّن مديرًا للمدرسة الثانية في بُرَيْدَة، وهي المدرسة المنصورية، وفضَّل أن يُعطي جُلَّ اهتمامه لإدارة المدرسة، فاستقال من عمله في المكتبة، وتفرغ لإدارة المدرسة. ويبدو أن نجاح الشيخ محمد في إدارة المدرسة المنصورية دفع بالمسؤولين إلى اختياره مديرًا للمعهد العلمي في بُرَيْدَة عند افتتاحه في مطلع ١٣٧٣هـ، وفي شهر ربيع ١٣٨٠هـ عُين الشيخ محمد العبودي أمينًا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عند افتتاحها، وكان أوَّل موظف يلتحق بالجامعة.

واستمر الشيخ محمد يعمل في تلك الوظيفة، وتدرج في وظائفها إلى أن صدر قرار مجلس الوزراء بترقيته إلى وكيل الجامعة. ثم في عام ١٣٩٥هـ انتقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية، وفي الوقت نفسه كان أمينًا للهيئة العليا للدعوة الإسلامية، وظل يعمل بها إلى عام ١٤٠٣هـ حين رُشِّح للعمل أمينًا عامًّا مساعدًا لرابطة العالم الإسلامي، وهي الوظيفة التي يشغلها الآن متَّع الله حياته بالعمل الصالح.

والشيخ محمد العبودي حقيقةً هو كما ذكر مستضيفنا الشيخ محمد المشوح من العلماء الموسوعيين الأقلاء في زماننا الحاضر؛ فقد جمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ولا تستطيع أن تُصنِّفه أو تحصره في علمٍ واحدٍ من العلوم، فالعلوم كلها تتجادل فيما بينها، وكل منها يتنازع الشيخ ويطلبُ ودَّه، فهو إلى براعته في العلوم الشرعية عالم لغة من الدرجة الأولى، والشواهد على ذلك عدد من

المؤلفات في علوم اللغة العربية وآدابها؛ مثل: كتاب الأمثال العامية في نجد أصولها ومقارنتها بالأمثال الأخرى، وهذا أول كتاب صدر للشيخ في عام ١٣٧٩هـ، وطوَّر الشيخ هذا الكتاب بعد ذلك إلى أن صدر في أربع مجلدات، رتَّبه على حروف المعجم، وعلى رؤوس الموضوعات، مع شرح لألفاظها ومعانيها. وغير ذلك له كتاب في الأدب، وكتب أخرى الحقيقة كثيرة لا أريد أن أطيل في الحديث عن كتب الأدب وغيرها.

ثم أنتقل إلى علم آخر يطلب ود الشيخ، وهو المعجمات، والشيخ كما تعرفون فرغ نفسه أو جزءًا من وقته لتأليف المعجم الجغرافي؛ معجم بلاد القصيم. وهو الحقيقة بحد ذاته شاهد على موسوعية الشيخ، فهذا المعجم من المؤلفات التي تجمع بين عدد من الفنون، فهو مليء بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والأدبية وغيرها.

وحين يُذكر الشيخ محمد العبودي تأتي كتب الرحلات على قائمة مؤلفات الشيخ محمد، على الأقل من حيث الكم؛ فقد بلغت أكثر من ٨٠ كتابًا منشورًا، ونحو ١٠٠ كتاب تحت الطبع والإعداد.

وهذا النتاج لم يأت من فراغ، فهو حصيلة رحلاتٍ كثيرة قام بها الشيخ محمد العبودي إلى معظم، بل ربما إلى جميع أنحاء العالم.

وحسب علمي أن الشيخ لا يوجد بلد لم يقم بالترحال فيه، والكتب - كما ذكرتُ - خير شاهد على رحلات الشيخ التي جمع فيها وصفًا دقيقًا لرحلاته.

إذًا، نحن -في الحقيقة كما ذكرتُ- بين شخصية فريدة نتمنى له طول العمر والمزيد من العطاء، وأترككم مع فضيلة الشيخ ليحدثنا بما يفتح الله عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبع هداهم إلى يوم الدين.   أما بعد..

فإن الحمد لله سبحانه وتعالى مكررًا ومعادًا، ومعترفًا بما له سبحانه وتعالى من النعم العظيمة علينا، ومن ذلك هذا الاجتماع العظيم، هو عظيمٌ في معناه، وكذلك هو بالنسبة إليَّ، هو في الحقيقة اجتماع مهم جدًّا.

وإنني أحمد الله سبحانه وتعالى، ثم أثني بالشكر لأخينا الكريم الأستاذ محمد بن عبد الله المشوح، وإنني أستميحكم وأستميحه عذرًا حينما أقول: إنني لو عرفتُ أن الموضوع سيكون فيه مقدمة في المدح لالتمستُ من الأخ الكريم أن يلغي ذلك المدح، لماذا؟ لأنه لا يجوز لنا أن نتقارض المدح، كل واحد يقرض صاحبه المديح، وإنما المقصود من المقدمات هو التعريف، فكل واحد منا بحاجة إلى التعريف بأخيه إذا كان لا يعرف أشياء من الأمور المتعلقة به، وليس المقصود بالتعريف المدح والثناء، وإنما المقصود بالتعريف هو الاطِّلاع على أحوال الشخص الذي يعرف.

وكذلك أشكر الأخ الشيخ الدكتور عمر بن صالح العُمَري، جزاه الله خيرًا على هذه الكلمات التي لم أكن أود أن تكون تضمنت المدح، وإنما تضمنت التعريف، ولا شك عندي أن المقصود من ذلك هو التعريف، ونحن بحاجة إلى التعارف، كما نعلم، ليس ذلك من أجل معرفة الشخص ذاته، وإنما من أجل التعاون إذا كان الشخص معروفًا بناحية من النواحي أن يتعاون الإخوة معه.

أيها الإخوة، كان الأخ محمد المشوح -جزاه الله خيرًا- قد دعاني إلى أن ألقي ما أسماه بالمحاضرة، فقلتُ له: إنني لستُ في مقام أن ألقي على الإخوة الكرام من الأدباء ومن العلماء من الإخوة الناهين محاضرة، فقال: إنه من الممكن أن

تكون سوانح وانطباعات، قلتُ له: لا مانع إذا كانت تلك السوانح والانطباعات تتعلق بأحوال المسلمين في العالم؛ لأن كثيرًا من الإخوة المسلمين في العالم، كما نعلم، ينظرون إلى إخوانهم المسلمين في العالم بعين الاهتمام، ويحاولون أن يطّلعوا على أحوالهم. وهنالك شيء آخر تطرَّق إليه أخونا الدكتور عمر -جزاه الله خيرًا- وهو موضوع المؤلفات؛ وذلك لأن بعضكم ربما يكون قد قرأ بعض المؤلفات التي كتبتها، وربما يكون يحب أن يطلع على ما وراء السطور، أو على قصة تلك المؤلفات.

أيها الإخوة، لن أستعرض جميع المؤلفات؛ لأنها أشبه ما تكون بالمجموعات، هنالك مثلاً المجموعة الجغرافية التي على رأسها "معجم بلاد القصيم"، وهنالك مجموعة الأمثال، ومنها كتاب الأمثال العامية الذي هو في ٥ مجلدات، وهنالك مجموعة كتب الرحلات التي طبع منها حتى الآن ٩٦ كتابًا، وبقيت منها كتب كثيرة لم تُطبع، وهنالك كتب أدبية لا أريد أن أتحدث عنها كلها؛ لأن الحديث عنها يطول، وإنما أقتصر في الحديث على كتب الرحلات، لماذا؟ لأنها تتعلق بأحوال الإخوة المسلمين في العالم كما عرفنا، وجميعًا نتطلع أن نعرف عنهم من أخبارهم ما لم نكن نعرف عنهم من قبل.

عندما فُتحت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كنتُ أول المعينين فيها، بمعنى أن أول شخص عُين فيها هو أنا، وقد أبلغني سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المفتي الأكبر للملكة العربية السعودية ورئيس القضاة -رحمه الله، وجزاه عنا خيرًا- أبلغني بموافقة الملك سعود -رحمه الله- على أن ينتقل عملي من وظيفة مدير المعهد العلمي في بُرَيْدَة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وقد عقدنا عدة اجتماعات في الديوان الملكي في الرياض لوضع النظام الأساسي لهذه الجامعة، وتألفت لجنة لذلك في الديوان، وكان معنا رئيس الديوان الملكي في ذلك الوقت الذي هو يوسف ياسين، ومعنا محمد عمر زيني رئيس ديوان شؤون الموظفين، وشخص متخصص بالقانون، قانوني، هو عبد المنعم مصطفى، وهو مصري كان ممثلاً لمصر عند المقر الأوروبي لهيئة الأمم المتحدة في جنيف. وقد

اتفق رأي اللجنة بطبيعة الحال، بناءً على طلبي أنا أول الأمر، على أن تكون هذه الجامعة خاصة بأبناء المسلمين في العالم، لماذا؟ لأن السعوديين لديهم كليات أخرى، هنالك كلية الشريعة في ذلك الوقت في مكة المكرمة، وكلية الشريعة في الرياض، حسبت هاتين الكليتين كافيتين بالنسبة إلى الطلبة السعوديين.

إذًا، لا بُدَّ من أن تُخصص الجامعة الإسلامية لغير السعوديين. وبالفعل وضعنا في النظام في أول الأمر، أي في أولى الجلسات، أن تكون جميع المقاعد في الجامعة مخصصة لغير السعوديين. وفي النهاية، أي بعد جلستين أو ثلاث، رأينا - ونحن لجنة كما قلتُ، ولست أنا وحدي، ألاَّ تتعدى نسبة الطلاب السعوديين إلى نسبة طلاب الجامعة من غير السعوديين ٢٠ ./.، قلنا: يجب أن يكون هنالك على الأقل ٢٠ ./. من الطلاب السعوديين، لماذا؟ من أجل أن يأخذ عنهم الطلاب الأجانب اللغة، ومن أجل أن يأخذوا عنهم السلوك، ومن أجل أن يستأنسوا بهم. والحاصل أننا لما بدأنا العمل في الجامعة تبين لنا أن المعلومات التي لدينا عن الإخوة المسلمين ليست شافية، ولا كافية، وأنه لا بُدَّ لنا من الحصول على المزيد من المعلومات عن المسلمين، وذلك أننا كنا نتلقى شهادات من مدارس لا نعرف مستواها، ونتلقى شهادات ووساطات وشفاعات من شخصيات مسلمة، أسماؤها رنانة حسب ما وصل إلينا، ولكننا لا ندري حقيقتها؛ لذلك وضعنا خطة للاطلاع على الأمور في مواقعها، أي: على أحوال المسلمين في بلدانهم، من أجل معرفة مستويات الجامعات والمعاهد التي يأتينا منها الطلاب، ولأجل معرفة الجمعيات الإسلامية التي تتوسط من أجل إلحاق الطلاب من بلادهم في الجامعة الإسلامية؛ لذلك وضعنا خطة متكاملة وواضحة، ورفعناها إلى رئيس الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله، وجزاه عنَّا خيرًا- فوافق عليها ورفعها إلى الملك فيصل، رحمه الله.

كان الملك فيصل في ذلك الوقت ليس ملكًا، ولم يتسلم الملك، بل كان نائب الملك ورئيس مجلس الوزراء، وذلك في عام ١٣٨٤هـ، أي لم يبق إلا سنة واحدة وسيكون هذا الموضوع قد مضت عليه أربعون سنة، فوافق على ذلك

وأعطانا مبلغًا من المال لم يكن طمعُنا أو أملُنا يصل إليه، لماذا؟ لأننا نعرف في ذلك الوقت أن المملكة العربية السعودية كانت تنتج من النفط، أي من البترول، في اليوم مليون برميل إلا مئة ألف برميل، هذا شيء قليل بالنسبة إلى ما تنتجه المملكة الآن، وكان سعر برميل البترول في ذلك الوقت دولارين إلا رُبْعًا، وينبغي أن نقارنه في أنفسنا أو في أذهاننا بما عليه سعر البرميل الآن، فذهبتُ إلى هناك. صدر أمر الملك فيصل بأن يذهب وفد برئاسة الأمين العام للجامعة الإسلامية الذي هو محدثكم، وأن يصحب معه اثنين أو واحدًا حسب ما يريد، فاخترتُ اثنين من المشايخ؛ أحدهما: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، وأبو بكر هو اسمه، وليس كنيةً له، وكذلك الثاني اخترت الشيخ عمر محمد فلاتة، اخترته لأنه إفريقي، ونحن ذاهبون إلى إفريقية. فسافرنا من هناك، ومررت برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، كان الأمين العام للرابطة في ذلك الوقت هو الشيخ محمد سرور الصبان، "وكلكم سمع به"، وربما يكون بعضكم أو قليل منكم قد سمع عنه ممن اجتمع به، فأخبرتُه بالمهمة، فأمر مدير المالية عنده أن يُعطيني عشرة آلاف ريال، وقال: هذه اصرفها مصارف النقود التي معك، وقال لي: نحن صحيح أن ميزانية الرابطة مليونان، ميزانية الرابطة -يُكرِّره- مليونان ريال. وهو يستكثر هذا في ذلك الوقت، ولكن وزارة المالية لا تعطينا هذه الميزانية في وقتها، تؤخرها علينا، ومع ذلك سمحت نفسه بأن يعطينا هذا المبلغ من المال.

فذهبنا إلى إفريقية، وزرنا ثلاثة عشر قُطْرًا من أقطار إفريقية، وعندما أمعنَّا السير في إفريقية تيقنَّا أن المعلومات التي لدينا عن إفريقية خاصة، وعن المسلمين فيها بصفة عامة، أنها معلومات ناقصة، وأننا ينبغي أن نستقي المعلومات من مصادرها الأصلية. وبالفعل قدمنا تقريرنا عندما جئنا إلى الملك فيصل، رحمه الله، وكان في أثناء غيابنا قد تولى الملك، وذلك في شعبان من عام ١٣٨٤هـ، فقدمنا التقرير إليه، وقدمتُ اقتراحات؛ منها أن تخصص المملكة خمسين داعية لإفريقية، على أنها الدفعة الأولى، وأن تخصص مبالغ من المال للمساعدة على إنشاء مركزين إسلاميين؛ أحدهما: في شرق إفريقية في (نيروبي) عاصمة (كينيا)، والثاني: في

غرب إفريقية في (لاجوس) عاصمة (نيجريا) في ذلك الوقت. ثم اقترحنا أن تكون هنالك منح إضافية للطلبة الإفريقيين في الجامعة الإسلامية. وقد وافق الملك فيصل على ذلك كله، وزادنا بأن أعطاني مالاً، فذهبتُ في رحلة ثانية في عام ١٣٧٦هـ، لم يكن فيها معي إلا الأخ عبد الله بن حمود الباحوث رئيس المحاسبة في ذلك الوقت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ونعم الرجل هو، وقد توفي -رحمه الله- و لم أجد ما أستطيع أن أؤدي اليد التي أسداها إلي عن طريق المعاونة والمساعدة في هذه الرحلة؛ لأنه كان معنا أكثر من ٢٥٠ ألف جنيه إسترليني، (والجنيه الإسترليني في ذلك الوقت كان يزيد على عشرة ريالات)، فالرجل ساعدني مساعدة عظيمة، وتحمل العبء العظيم، وكان يحمل في جيوبه بعض هذا المال، وأنا أحمل بعضه؛ لأننا نخشى عليه من عوادي الدهر، ومن اللصوص، ومن المنتهبين. فالرجل -جزاه الله خيرًا- قد لقي ربه، ولكنني لم أجد ما أكافئه به إلا أن أسجل ما علمتُ عنه في ترجمته من الحديث عن أسرة الباحوث في بُرَيْدَة من كتاب "معجم أُسر القصيم".

عندما وصلتُ إلى إفريقية في أوَّل الأمر، وذكرتُ أنني رأيتُ أنه ليس لدينا من معلومات كثيرة؛ لذلك كنتُ أكتب يوميًا مذكرات ويوميات ماذا جرى لنا، ليس بدافع أنني أريد أن أؤلف كتابًا، وإنما ذلك كان بدافع تسجيل المعلومات المفاجئة لنا التي رأيناها. وهذه اليوميات عندما عدت، والرحلة استغرقت ٣ أشهر و١٧ يومًا، وجدتُ أنها حملٌ، قد أصبحت حملاً كثيرًا، ليس المقصود من ذلك الثقل، وإنما المقصود أنه كبير.

وكنا في الجامعة الإسلامية قد أصدرنا مجلة اسمها مجلة الجامعة، وتألف لإدارتها والإشراف عليها أعضاء كنتُ أنا من بينهم، فطلب مني الأعضاء أن أكتب شيئًا عن المسلمين في إفريقية، فأرسلتُ لهم شيئًا مما كنتُ كتبتُه، فاطَّلع عليه بعض إخواني، وبخاصة الأستاذ محمد المجذوب، وهو من الأدباء السوريين، ومتعاقد مع الجامعة الإسلامية، فقال: يا فلان، هذا ينبغي أن يُسجَّل.

ثم شجّعني بعض الإخوة، فأصدرت أول كتاب في الرحلات، وهو كتاب: (في إفريقية الخضراء.. مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين), لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لما ذكرتُ لفظ انطباعات؛ لأن الانطباع له معنى آخر.

على أي حال، هذا الكتاب عندما أُصدر استُقْبِل استقبالاً لم يكن أملي يصل إلى عشر معشاره، واشترتْهُ عدة دوائر رسمية، مما حملني على أن أواصل الكتابة، فكانت النتيجة هذه الكتب الكثيرة التي لا أستطيع أن أبرئها من الضحالة، ولا أستطيع أن أزعم لها الأصالة، وإنما أستطيع -بإذن الله- أن أقول: إنني اجتهدتُ ما وسع لي من الاجتهاد بذكر الصحيح، والبعد عما هو غير صحيح، بل ما أشك في أنه صحيح.

ثم أراد الله سبحانه وتعالى -الذي إذا أراد أمرًا هيَّأ أسبابه- أراد أن تكون طبيعة عملي لهذه المدة حتى الآن التي زادت على ٤٤ سنة كلها في ميدان واحد، هو ميدان الاتصال بالإخوة المسلمين، سواء منهم ما كان في الجامعة الإسلامية، أو في الأمانة العامه للدعوة الإسلامية، أو في رابطة العالم الإسلامي.

وكان من لطف صنع الله سبحانه وتعالى أن كنتُ واسطة لحمل المعونات التي تقدمها قيادة هذه البلاد التي هداها الله سبحانه وتعالى إلى مد أيدي المساعدة للإخوة المسلمين، بحيث إنني لا أعرف -وأنا الذي ذهبتُ، كما قلتُ وكما قال الإخوة، إلى أكثر أنحاء العالم، إن لم أقل: كل أنحاء العالم- أن بلدًا ليس فيه أثر من آثار المساعدة من بلادنا. صحيح أن كل أنحاء العالم ذهبتُ إليه، ولكن ليس كل زوايا الأنحاء. نحن مثلاً إذا قال شخص في الخارج: إنني زرتُ المملكة العربية السعودية، وهو يريد أنه زار مدينة جدة، فإن هذا يصح أن يقال: إنه زار المملكة العربية السعودية، من طريق ذكر البعض وإرادة الكل. ولكن إذا كان ذهب إلى خمسة أماكن متباعدة في المملكة فإنه يعدُّ أنه زار المملكة وإن كان في ذلك شيء من التجاوز، فكنتُ إذا ذهبتُ إلى مكان من الأمكنة في السنوات الأخيرة لم أعدم

أثرًا من آثار مساعدات المملكة العربية السعودية للإخوة المسلمين في العالم، ويتمثل ذلك في أمور؛ إما في مسجد صلّينا فيه ورأيناه تكون المملكة العربية السعودية قد ساعدت على تشييده، وإما في مدرسة ساعدت على تسييرها، وإما في طلاب أُرسلت لهم المنح الدراسية على نفقة المملكة العربية السعودية، أو عن طريق إرسال الكتب وترجمات معاني القرآن، بمعنى أن من التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى أن نذكر أن الإخوة المسلمين في العالم لا توجد بقعة في العالم لم تصلها مساعدات إسلامية من المملكة العربية السعودية، وهي مساعدات خالصة لوجه الله.

ونحن إذا ذهبنا هناك لا نقول: سمُّوا هذا المشروع باسم الملك فهد، أو سمُّوا هذا المشروع باسم المملكة العربية السعودية، ولكننا نقدم لهم هذه المساعدة ونرجو أن نكون ما نقدمه لوجه الله، وهذا الذي نقصده، وهو الذي رأينا حكومتنا تقصده؛ لأننا لا نطلب شيئًا آخر من الإخوة المسلمين.

ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يزلزل الاتحاد السوفييتي سابقًا، وينبغي أن نلاحظ أن السوفييت معناه الاستشاري في لغتهم، فيقولون تضليلاً: إنه كان اتحادًا استشاريًّا، وليس فيه من الاستشارة شيء؛ لأنه قائم على الشيوعية، والشيوعية طغيان؛ من الطغيان، بحيث تلغي إرادة الإنسان، أو تلغي مجال حركته. أراد الله سبحانه وتعالى أن ينفرط عقد الاتحاد السوفييتي، وأن تصبح أكبر دولة، وهي روسيا، تسمح للمسلمين بتلقي المعونات، فانفتح لنا باب عظيم بأوروبا الشرقية، وفي روسيا التي لا يعرف كثير من الناس مدى اتساعها، يعني مدى اتساع رقعتها، ومدى اختلاف الأحوال بين منطقة وأخرى فيها. ومن ذلك، من باب الاستشهاد لما ذكرتُهُ من سعة هذه البلاد، أننا سافرنا إلى الشرق الأقصى الروسي، والشرق الأقصى الروسي الذي ذهبنا إليه منه ولاية اسمها (كامشتكا)، وولاية كامشتكا هذه فيها جمعية إسلامية، ولكن هذه الولاية أقرب ما إليها (ألاسكا)، فهو أقرب بلد معمور إليها، وإذا كنتَ فيها تكون (اليابان) عنك جهة الجنوب الغربي، أي أنها أبعد من اليابان بالنسبة إلى خطوط الطول. وقد ركبنا

الطائرة من (موسكو) إلى الولاية هذه، واستغرق سفرنا من موسكو إليها ثماني ساعات وخمسين دقيقة، ولكن السبب في ذلك نعتقد أنه هذه المدة قليلة؛ لأن الطائرة صارت تطير فوق القطب الشمالي؛ ولذلك لم تغب عنا الشمس، وإن كنا قطعنا الليل هناك عندما وصلنا إلى (عاصمتها). عندما وصلنا هذه المدينة عاصمة كامشتكا، ونحن لم نذهب إلا بعد أن تيقَّنَّا أن هناك جمعية إسلامية، وأنها تستحق الزيارة، وتستحق المساعدة، وأنهم حصلوا من الحكومة، من حاكم الولاية، حصلوا على أرض من أجل إقامة مسجد، منحها لهم منحة مجانية، وأنهم عجزوا عن أن يبنوا عليها المسجد، فنحن ذهبنا لهذا الغرض، أي بنيَّة مساعدتهم، إنما أنا ذكرتُ ذلك لأمرين:

الأمر الأول: موقعها القريب من القطب الشمالي، بحيث إننا ذهبنا إليها في شهر يوليو، وأي جهة نظرتَ إليها؛ لأن هذه المدينة بين التلال، جميع هذه التلال جبلية وليست تلالاً طينية، وجميع هذه الجبال عليها الثلوج الأزلية كما يسمونها، والثلوج الأزلية هي التي لا تذوب أبد الدهر، فلا يأتي إليها -ونحن في يوليو- لم يأت إليها في وقتنا، ولا يأتي أبدًا صيف يستطيع أن يذيب الثلوج في الجبال المحيطة بالمدينة، وليس المقصود من ذلك المحيطة بعيدًا، وإنما حتى الجبال الواقعة بين أحياء المدينة؛ لأن هذه المنطقة لم تكن معمورة من قبل، وإنما عُمِّرت بسبب وجود معادن فيها، وبسبب وجود ثروة سمكية، وأسباب أخرى.

ورأينا المسجد وعجبنا؛ لأن هذا المسجد لم نسمع به من قبل، ما عدا الكلام عن الجمعية والمسجد، وجدناهم قد وضعوا الحجر الأساسي، وكتبوا عليه تاريخًا، ووضعه الحاكم العام للولاية، ورئيس البلدية، وكبار الشخصيات، وقائد الجيش، وهو مسلم من الشيشان، قد حضروا الافتتاح. لكن ليس هذا هو الأهم، إنما الأهم في الموضوع أنهم قالوا لنا: إن أقرب مسجد إلينا داخل روسيا هو على مسافة خمسة آلاف كيلومترًا داخل روسيا. لم يقولوا: من الأرض؛ لأن اليابان أقرب إليهم، وفيها مساجد، لكن في روسيا في ناحية بعيدة.

أردتُ أن أقول: إن روسيا انفتحت، ومن ذلك سيبيريا، وقد سافرنا إلى جميع أنحاء سيبيريا، المقصود بالأنحاء مثلاً شمال وجنوب وغرب وشرق سيبيريا.

وليست كل مدينة قريبة، ولكن أنا كتبتُ عن هذه المنطقة من سيبيريا ستة كتب، بعض المقالات نُشرت في جريدة الرياض، ربما يتذكرها بعض المهتمين منكم.

وعندما فُتح هذا فُتح أمام رابطة العالم الإسلامي مجال لمساعدة المسلمين. ثم إن الله سبحانه وتعالى يسَّر أن حكومة الصين الشعبية ترى أن الاستمرار في تطبيق المبادئ الشيوعية النظرية إنما أفقر العباد، بل سبَّب الجوع لأهل البلاد، لماذا؟ لأن الحكومة الشيوعية الصينية في السابق كانت لا تسمح لأي فلاح أو أي مزارع أن يبيع ما يُنتجه حتى لو كان حزمة من خس أو رأس بصل، فلا بُدَّ أن يُورِّد ذلك للمجمعات الحكومية، وتدفع له الحكومة الشيوعية سعر ما أنتجه بالسعر الذي تريد، ثم تبيعه على الناس بالسعر الذي تريد، فكانت النتيجة أن قلّ إنتاج القمح، وأن البلاد تعرَّضت للمجاعة.

ثم بعد ذلك حصل انفتاحٌ حقيقي، فسافرنا إلى الصين، وتجولنا في أنحائها من أجل الاطلاع على أحوال الإخوة المسلمين، والنظر في مساعدتهم. هذه زوايا كانت مغلقة في السابق. أما الزوايا الأخرى التي لم تكن مغلقة، ولكنها كانت بعيدة أغلقها البعد في المكان، وربما أغلقها عدم العناية منا -نحن المسلمين- في الحواضر الإسلامية، وقد سافرنا إليها، وذلك مثل أمريكا الجنوبية. وها هو ذا صديقي وزميلي صاحب الفضيلة الشيخ الجليل عبد العزيز المسند قد سعدتُ بصحبته في خمس رحلات إلى أمريكا الجنوبية، وإلى منطقة البحر الكاريبي. ثم إن هناك بلادًا أُخرى مجهولة، وهي البلاد التي تسمى جزر المحيط الهادي الجنوبي. ومن أهم هذه الجزر: نيوزيلاندا. وهي مؤلفة من جزيرتين، وتشبه هذه الجزر الجزر البريطانية، وأكثر السكان فيها من أصل بريطاني، ومعظم المسلمين في الجزيرة الشمالية؛ لأن فيه المدينة الرئيسة التي هي (أوكلند)، وهي أكبر من

العاصمة (ولنقتون). ولكن الذي شرح صدورنا هو أنه أُنشئ مسجد في الجزيرة الجنوبية، وهذا المسجد في مدينة اسمها (كرايست تشيرش)، واسم المدينة معناه كنيسة المسيح، هذه الترجمة الحرفية، هم لا يريدون الترجمة الحرفية كما نعلم، فهناك ترجمات فقهية، وترجمات حرفية. فعجبنا أن الله سبحانه وتعالى يسَّر للمسلمين أن يبنوا مسجدًا في كنيسة المسيح، أي في المدينة التي سماها أهلها كنيسة المسيح. ومن لطف الله بنا أن نذكر أن هذا أمر واقع، وأن نتحدث بنعم الله.

إن المملكة العربية السعودية دفعت للمساعدة على بناء هذا المسجد ٨٥٠ ألف ريال؛ لذلك عندما أرادوا افتتاح المسجد كتبوا إلينا وقالوا: لا بُدَّ من أن تحضروا هذا الافتتاح؛ لأننا نحن دفعنا هذا المبلغ لهم -المملكة- وهو أمر من خادم الحرمين الشريفين -وفقه الله- بأن يُصرف عن طريق الرابطة، وقالوا: هذا المبلغ جاء منكم، فيجب أن تحضروا.

ولقد حضرتُ إلى هناك، إلى الجزيرة الجنوبية من (كرايست تشيرش)، وقال لنا الإخوة هناك: إننا أقرب مَن يقول الله أكبر إلى القطب الجنوبي، بمعنى أن مسجدهم أقرب المساجد من القطب الجنوبي. وهذا صحيح؛ لأننا ذهبنا إليه في الصيف، ووجدنا البرد شديدًا، إلى درجة أنني قد تبين لي أنني لم أحسب للأمر حسابًا؛ لأنه لم يكن معي إلا ثياب ليست ثقيلة جدًّا، كنتُ أظنه في الصيف؛ لأنني ذاهب في الشتاء من عندنا، وأننا نعرف أن صيف البلاد الجنوبية هو عكس صيف البلاد الشمالية، أي: إذا كان الفصل شتاءً عندنا فإنه يكون صيفًا عندهم، ولكن هذه موغلة في الجنوب، بحيث إنهم لا يأتيهم صيف شديد، فتبين لي أنني لم أحسب لهذا الأمر حسابه. ذكرتُ هذا الأمر، وإنني أقول إكمالاً لهذا الأمر: عندما انتهينا من نيوزيلاند ذهبتُ إلى أماكن وجزر في منطقة المحيط الهادئ الجنوبي، ومنها مملكة (تونجا)، وهذه المملكة دخلها الإسلام حديثًا بأمر من رب العالمين، لم يَدْعُهم أحدٌ إلى الدين، ولكن أحد الإخوة هناك، وكان مسيحيًّا، بل كان داعيًا إلى المسيحية، وقد قرأ ترجمة معاني القرآن باللغة الإنجليزية؛ لأن بلادهم

كان يستعمرها الإنجليز، فهداه الله للإسلام، وأنشأ جمعية إسلامية، وطلب من الرابطة أن تساعده، فأخذتُ معي بعض المساعدة من الرابطة، واتَّصلنا بهم، ورأينا كيف أنهم قد استأجروا دارة، أي: فيلا، وجعلوها مسجدًا.

الحاصل أن هذا أول اتصال بهم. وبعد ذلك مررنا بجزر أخرى. إنما ذكرتني هذه الواقعة - وهي عدم معرفتي بالجو في نيوزيلاند- بحادثة وقعت لي في مدينة (مورمنسك). وهذه المدينة هي مدينة قطبية روسية في شمال روسيا، وليست بشمال سيبيريا؛ لأننا زُرْنا المناطق القطبية في شمال سيبيريا، وهي واقعة عنها إلى الشرق. ومدينة (مورمنسك) هذه واقعة إلى الشمال نصًّا من موسكو على بعد ١٨٠٠ كيلومترًا من موسكو. نحن عندما نذكر برد موسكو، سواء كنا زائرين لها أو سمعنا باسمها، نحن نستعد للبرد، ونستعيذ بالله من البرد، ولكن ذهبنا إلى منخر البرد، إلى موقعه في الشمال من موسكو.

فكان السفر من موسكو إلى هذه المدينة (مورمنسك)، ومعناه المدينة الشمالية، وهي واقعة على المحيط المتجمد الشمالي، وقالوا لنا، وكانت زيارتنا لها في ٢٢ يونيو: إن الجو هناك ليس شديد البرد، وإن درجة الحرارة في حدود ٩ إلى ١٠ درجات في النهار. قلنا: هذا أمر جيد. فلبسنا الملابس التي كانت علينا في موسكو. ولكن عندما وصلنا إليها، أولاً: أنا زرتها في زمن الحكم الشيوعي في روسيا، هو حكم شمولي، أي حتى قبل انفراط عقد الاتحاد السوفييتي؛ لأن الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت كان يريد أن تكون هنالك علاقات مع المملكة العربية السعودية، وكان يُرحِّب بزيارتنا من أجل مصلحته هو؛ حتى يقول للمسلمين: إن علاقتنا طيبة مع بلاد الحرمين الشريفين. ونحن استجبنا في الرابطة لهذا على اعتبار أن هذا أيضًا مطلوب لنا أن نتصل بالإخوة المسلمين. لذلك عندما وصلنا إلى مطار مدينة (مورمنسك) وجدنا رجلاً من رجال الكنيسة، وهو وحيد عندهم في المدينة، ووجدتُ مندوبةً للتلفاز، وكذلك وجدنا رئيس البلدية، ورئيس شؤون الأديان، في انتظارنا وفد رسمي، ولم يكن معي إلا شخص واحد مترجم، ومعي أيضًا الأستاذ أيمن حبيب الذي هو رئيس التحرير في عكاظ، ولم يكن معي غير هذين مطلقًا.

وعندما جلسنا فيما يُسمَّى بصالون الشرف، أي غرفة كبار الزوار في المطار، قالت لي مديرة أو مندوبة التلفاز عندهم، وهي تجري الحديث: إنكم أول وفد إسلامي يأتي إلى مدينتنا هذه، هي القطبية، وأن من حسن الحظ أنكم ستشهدون ظاهرةً فيها، وهي أن الشمس لا تغيب فيها الآن لا ليلاً ولا نهارًا. وقالت: أخبرنا عن فكرة ما هو الإسلام؟ لأنه ليس عندهم أي فكرة عن الإسلام، لماذا؟ لأنه أولاً: محرَّم بموجب القانون الروسي الشيوعي، محرَّم الحديث عن الأديان؛ لأن الدولة مبدأها الإلحاد.

وثانيًا: لأنهم يعرفون حتى لو لم يكن محرَّمًا لم يأتِ إليهم أحد يشرح لهم، فذكرتُ لها ما فتح الله عليَّ؛ لأنها تجري حديثًا في التلفاز. لكن قالت من بين ما قالته: إنني لم أركم تحملون ملابس ثقيلة، فلماذا؟ الحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال محرجة من ناحية -كما نقول من ناحية المجاملة- فإن قلنا لهم: إننا لم نعرف أن الجو بارد عندهم، كان هذا معناه نوعًا من العناية، وإن قلنا: أحضرنا، كنا غير صادقين، فقلتُ لها في الإجابة عن هذا: إن هذا يُذَكِّرُنَا بما نقوله لبعض الذين يأتون من البلدان الباردة وعليهم ملابس ثقيلة، يأتون إلى بلادنا مكة المكرمة وهي بلاد حارة، فنقول لهم: هل أحضرتم ملابس خفيفة معكم؟ فضحكت من هذا.

وعندما أتينا إلى هذه المدينة تعجبتُ، ولا يمكن أن نوفيها حقَّها من الحديث، ولا من الكلام على غرائبها وعجائبها، إلا بحديث طويل ربما لا يتسع وقتكم، وربما لا يتحمله صبركم، ولكنني أقول: إنني كَتبت -ولله الحمد- كتاباتٍ عن هذه وغيرها.

وهذا لطف من الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان إذا ذهب إلى بلاد بعيدة، وهذه البلاد البعيدة يكتنف السفر إليها صعوبات، ويكتنفه مشقات ومخاطر، فإذا دفع الله سبحانه وتعالى عن الانسان -كما هي عادته سبحانه وتعالى معنا- ومع اللطف في عباده؛ فإنه يصعب عليه أن يذهب من هذا المكان من دون أن يسجل

شيئًا، فيجتر هذه الذكريات لنفسه وفي خاطره، ثم تذهب مع زمان، وإذا قُدِّرَ له أن يصاب في ذاكرته، يكون قد محي ذلك كله، كما يكون التسجيل الذي محي من المسجل.

ولكن الله سبحانه وتعالى يسَّر لكاتب هذه السطور أن يكتب كل ما وقعت عليه عينه، سواء كان يستحق أن يكتب أم لم يكن يستحق؛ ولذلك سيجد القارئ لبعض هذه الكتب فيها ثرثرات، وسيجد فيها أشياء من نافلة القول، ولكن الذي حملني على ذلك الرغبة في أن أعرض على القارئ الكريم، الذي قُدِّرَ له أن يقرأ هذه الكتب، أعرض عليه صورة كاملة واضحة لجميع ما رأيتُ.

ومن الأشياء المفرحة في بلادنا السارة التي وقعت، وأريدكم أن تستمعوا إليها، أن خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله، وجزاه الله خيرًا- قد أرسل إليَّ هذا الشخص الجالس بجانبي فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند في عام ١٣٩٩هـ، وقال: إنني أريد أن أجتمع بفلان في أي يوم يكون، ينبغي أن يكون يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء. فأبلغني فضيلة الشيخ عبد العزيز رغبة الملك، (كان في ذلك الوقت هو نائب الملك، وكان الملك خالد في لندن للعلاج)، فقلت للشيخ عبد العزيز: إن المناسب غدًا، ولكن أنا هاتفتُ أهلي، وأخبرتُ والدتي أنني سوف أذهب إليها في بُرَيْدَة؛ ولذلك لا أستطيع أن أذهب، ولكن الأسبوع القادم.

وبالفعل ذهبتُ أنا والشيخ عبد العزيز المسند، وقابلنا خادم الحرمين الشريفين في مكتبه، وأذكر أنه عندما جئنا قام من المكتب وجلس على الكرسي بجانبنا، ولم يكن هنالك أحد إلا فضيلة الشيخ عبد العزيز. وجاء ناصر الراجحي رئيس الديوان وقد تأبَّط معاملات كثيرة جدًّا، فقال له الملك: اذهب. أشار إليه، فخرج، وأغلق الباب. ثم جلس الملك فهد يتحدث، فقال: قد قرأتُ كتابك في إفريقية الخضراء كله، وإنني أوافقك على ما ذكرتَهُ من تحليل النكبة التي حصلت على المسلمين العرب في زنجبار، لكن إنك قلتَ في آخر الكتاب: إنه ينبغي ولا

بُدَّ أن يتعاون المسلمون على موضوع مساعدة إخوانهم، وهذا طيب، ولكن لا يمكن أن ننتظر الآخرين أن يتعاونوا، ونحن إن شاء الله سنقوم باللازم جميعه.

انتهت هذه المقابلة.. واستغرقت وقتًا طويلاً، ربما يكون فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند يعرف عنه أكثر، أي عن الوقت، وإلا فإنني أنا أيضًا أستحضر ما جرى فيها. ولكن حدث بعد ذلك بسنوات، بعد أن أصبح خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية، وعقدت جلسة للمجلس التأسيسي للرابطة، وبعد انتهائها كان الملك في جدَّة، فذهبنا وأخذنا موعدًا من الديوان بأن نذهب ويسلم عليه أعضاء المجلس التأسيسي؛ لأن بعضهم رئيس وزراء، وفيهم واحد رئيس جمهورية، هو مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية مالديف، وفيهم شخص رئيس وزراء كشمير، هو سردار عبد القيوم خان، والبقية منهم شيخ الأزهر وعلماء وأساتذة كبار، وفيهم وزراء حاليون وسابقون. فسلمنا على الملك، وأنا لما سلمت عليه كنتُ آخر مَن سلم عليه؛ لأنه لا بُدَّ من أن أقدم الضيوف، فقال لي، وكان صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله واقفًا بجانبه: ألا يوجد كتاب آخر يا فلان؟ قلتُ له: الحمد لله سبحانه على التوفيق من الله ثم بتشجيعكم، يوجد عدَّة كتب. فقال قولة هي التي جعلتني أتذكر هذه، وإلا لم يكن في عزمي أن أذكرها لكم، قال: يا أخ عبد الله، وهو يلتفت إلى سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز: أنا قرأتُ كتاب إفريقية الخضراء للأخ محمد، وكأنني أمشي معه في إفريقية، أو قال: في أسواق إفريقية، أو قال: في طرق إفريقية.

المهم أن هذا التشجيع هو الذي حملني على المزيد من الكتابة، حتى أصبحتُ أقول لنفسي، وهذا قول أعتقد صحته: إنه لم يكتب أحد في الرحلات بالعربية منذ أن بدأت الكتابة في العربية أكثر مني مقدارًا، وليس نوعًا، فأنا أستطيع أن أعرف عدد الكتب التي كتبتُها في الرحلات، وأستطيع أن أعرف بقدر ما يصل إليه فهمي واطلاعي عدد الكتب التي كتبها غيري في الرحلات.

ولذلك لا أعرف أن أحدًا كتب ١٦٧ كتابًا في الرحلات، لا أعرف أحدًا قبلي، ربما كان أحدكم يعرف، أو أحد من الآخرين يعرف مَن كتب بالعربية هذه الكتابة، ولكن الغريب أن واحدًا ممن أثق باطلاعه، ولكنني لا أزعم أن ذلك صحيح، قال: إنه من الصعوبة بمكان أن تجد مَن كتب باللغات الأخرى ١٦٧ كتابًا في الرحلات. قلتُ له: إنني إذا لم أتيقَّن ذلك فإنني أتيقَّن بأن الذين كتبوا من الأوروبيين في الرحلات لم يضمنوا أخبار المسلمين كما ضمنتُها أنا، وهذا ربما يكون مزيةً من مزايا هذه الكتب بالنسبة إلى القراء من المسلمين، بل حتى بالنسبة إلى القراء من غير المسلمين؛ لأنني تحرَّيت الصدق. عندما ذهبتُ إلى هناك وجدتُ أن بعض الكتَّاب ربما يكون نقل عن الغربيين، وربما يكون نقل هذا عن طريق عاطفته الإسلامية، يتزيَّد فيما يتعلق بأعداد المسلمين، وفيما يتعلق بمواقعهم في بلادهم، وتأثيرهم في الآخرين.

وعندما وصلتُ وجدتُ الأمر دون ذلك، فأنا كتبتُ الواقع، ثم إن الأكثر أنني وجدتُ أن معظم أحوال المسلمين قد أُعطيت أقل مما تستحق، لماذا؟ لأن المسلمين كانوا ينقلون عن الكتَّاب الغربيين، وكانوا ينقلون عن السيَّاح الغربيين، وكانوا ينقلون عن غير المسلمين، ونحن لا نقول: إنه لا ينبغي أن ينقل المرء عن غير المسلمين، ولكن نُبين طبيعة نقل غير المسلمين. فغير المسلمين، والمراد بذلك الأوروبيون وامتدادهم في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه بطبيعة الحال الولايات المتحدة تعدُّ ثقافتها ثقافةً أوروبية، وتعدُّ امتدادًا للشعوب الأوروبية، ومعظم المهاجرين فيها في أول الأمر كانوا من أوروبا، فهؤلاء الغربيون إذا كتبوا يكونون بين رجلين: إما رجل متعصب؛ لأنه سمع عن الإسلام والمسلمين شيئًا جعله يتعصب؛ لأنه هو الذي بدأ ثقافتهم بها، وربما كان هذا التعصب له خلفيات تاريخية؛ مثل الحروب الصليبية.

وهنالك أشياء غير الحروب الصليبية، وقبلها مثلاً لم تذهب أو تدخل حضارة إلى أوروبا، والمقصود حضارة ومبادئ، إلا الإسلام، هي التي دخلت وأذلّت الأوروبيين، ليس المقصود من ذلك أذلتهم، هي في الحقيقة جلبت لهم

العزة، ولكنها تغلبت عليهم، وذلك عن طريق الأندلس، وامتداد الفتوحات من الأندلس إلى بلاد الغال في فرنسا، وإلى جزء من إيطاليا. المسلمون العرب حكموا -كما نعلم- (صقلية)، التي هي في جنوب إيطاليا، عاصمتها (باليرمو). كما نعلم حكموها ٢٥٦ سنة، ولكن حكموا أيضًا مناطق من فرنسا ومناطق من سويسرا. وعندما تقاعس المسلمون عن القيام بما أمرهم الله به من الاستعداد للحرب، ومن التعاون فيما بينهم، أخذ ظلُّهم، ولا نقل: ظل الإسلام، ولكن ظل هؤلاء المسلمين القائمين على الشؤون الإسلامية أخذ يتقلص من القارة الأوروبية من جهة الغرب، بدأ يمتد ظل الإسلام من جهة الشرق عن طريق العثمانيين الفاتحين من الأتراك العثمانيين، فامتد نفوذهم في أوروبا حتى طرقوا أبواب (فيينا). ومدينة (فيينا) عاصمة النمسا. أنا رأيتُ العَلَم، وكلٌّ مَن ذهب هناك وسأل يجده، ويقولون: وصل الأتراك إلى هنا، أي في ضواحي مدينة (فيينا). وقد تعدَّته العمارة، وقد لبثوا في بلغاريا ٤٢٠ سنة، وفي يوغسلافيا ٣١٠ سنوات، وفي المجر ١٨٠ سنة، وكانت تحكم حكمًا إسلاميًّا؛ لأن الأتراك في ذلك الوقت كانوا يحكمون بما يفهمونه من الإسلام.

وكان الجيش جيشًا إسلاميًّا، وكانت الشعارات إسلامية، وكانوا يبنون المساجد أينما حلُّوا، حتى إن مدينة (بلغراد) في يوغسلافيا بنى فيها الأتراك مساجد، وعندما تركوها كان فيها ٣٢٧ مسجدًا.

وهذه مسجَّلة تسجيلاً لم يبق فيها عندما زرناها لأول مرة إلا مسجد واحد، وهذا المسجد مبني سنة ٩٠٠ وكسر، ولا أستحضر الكسر الآن. ونحن زرنا يوغسلافيا في وقت الشتاء، فالإسلام دخل إلى أوروبا من جهة الغرب، وبقي فيها نحو ٨ قرون، ثم دخلها من جهة الشرق، وبقي فيها نحو ٤ قرون أو ٣ قرون ونصف؛ لذلك يشعر الأوروبيون في قرارة أنفسهم وفي عميق شعورهم بأن الإسلام هو خطر عليهم؛ لأنه لا توجد حضارة دخلتها مثله. صحيح دخل أناس؛ مثل: الهون، ومثل الإسكندنافيين قبل أن يتمدَّنوا، دخلوا إلى أوروبا وخرَّبوا، ولكن هؤلاء لم يأتوا بحضارة، وإنما جاؤوا للنهب والسلب، فتجد الأوروبيين في

أذهانهم هذه الأمور، فهم مُعادُون على وجه العموم من حيث المبدأ، لكن من الإنصاف أن نقول: إن الدين المسيحي قد خفَّ تأثيره في نفوس الأوروبيين إلى درجة أن محي من نفوس بعضهم.

إضافة إلى ما سبَّبته ما يُسمى بالنهضة في أوروبا من المناداة بحرية الفكر؛ ولذلك نجد أن الأوروبيين فيهم أحرار، فيهم ناس نحن لا نتجاوز الصحة إذا قلنا بأن فيهم نسبة من الأحرار، وأنهم يكتبون ضد الإسلام والمسلمين؛ لأنهم لم يعرفوا غير ما كتبوا، ليس لأنهم يقصدون الإساءة إلى المسلمين، فإذا ذهبوا إلى إفريقية، وفي ذهنهم هذه الأمور، فإنهم يكتبون ما هو في أذهانهم، أو ما هو مُستوحًى مما في أذهانهم أو تربيتهم أو مما أُوحي إليهم من آبائهم، فإذا كتبوا عن أحوال المسلمين، أو كتب بعضهم عن أحوال المسلمين في إفريقية، فلا نتصور أنه سيكتب كما يكتب المسلم الذي يقصد من ذلك أن تكون كتابته مطابقة للواقع، ثم إن المسلم تَهَيَّأ له وتيسر له ما لم يتيسر للغربيين، لماذا؟

نحن إذا ذهبنا هناك نتَّصل بالجمعيات الإسلامية، فيأتي إلينا زعماء المسلمين ويجلسون معنا، ويشرحون لنا الأوضاع، ويهيئون لنا الجهات التي ينبغي أن نذهب إليها، كلُّ هذا يترتب عليه الحصول على معلومات جديدة ومعلومات مفيدة ومعلومات ميدانية واقعة، بخلاف الغربيين؛ فالغربي حتى لو كان حرًّا لا يستطيع الوصول إلى داخل المجتمعات الإسلامية، أو إلى داخل تفكير المسلمين مثل ما يستطيع الرجل المسلم؛ لذلك أستطيع أن أقول، وهذا من التحدث بنعمة الله، وأشكر الله سبحانه وتعالى أن وفَّقني لذلك: إنه قلَّ أن يخلو كتاب من هذه الكتب في الرحلات من ذكر شيء عن أحوال المسلمين في المنطقة التي يتحدث عنها، وأحيانًا في مناطق أخرى. أرجو أن أستميحكم عذرًا عن هذه الإطالة، ولكن بعض الناس في غير هذا المكان قد قال لي وسألني سؤالاً عجيبًا: يا فلان، كيف تكتب، وفي أي وقت تكتب؟ لأنه يرى أن هذه الكتب، وهو يظن أن الكتابة بالنسبة إليَّ كما تكون الكتابة بالنسبة لِمَن يكتب في ديوان من دواوين الحكومة، لا يُكتب إلا في وقتٍ معينٍ، ولا يجوز أن يُكتب إلا على صفةٍ معينةٍ،

وربما يعرض ما يكتب على رئيسه، فيشطب بعض ما يكتب، ويكلفه يكتب مرة ثانية.

أما أنا، فالكتابة متيسرة ولله الحمد، أحيانًا في الطائرة، وأحيانًا في المطار في انتظار الطائرة، أو في انتظار رحلة أخرى. ولكن هذه الكتب، كما قلتُ، السبب في ذلك هو الحرص على أن يشترك القارئ والسامع، يشترك القارئ، ويشترك الذي يريد الاطلاع على هذه الكتب معي في معرفة أحوال المسلمين؛ لأننا نرمي من ذلك أيضًا إلى أن يحمله ذلك على أن يسعى لمصلحة إخوانه المسلمين، وعلى أن يهتم بهم.

وكنتُ أستحضر دائمًا هذا الحديث: (مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم). الحقيقة الحديث ليس صحيحًا باصطلاح المحدثين، ولكن معناه صحيح، فكنتُ أتصور هذا، كيف شخص مسلم لا يهتم بأمر المسلمين؟

هذا لا يكون، وهذا قبل أن أبدأ في البرنامج الذي يقدمه الأخ محمد بن عبد الله المشوح؛ لأنه تبين لي بعد ذلك من الاتصالات الهاتفية، ومن الرسائل، أن الإخوة في المملكة العربية السعودية، وحتى في خارج المملكة في البلاد التي تصلها الإذاعة السعودية، يتابعون هذا البرنامج من واقع محبتهم لسماع الحديث عن الإخوة المسلمين، فهذا مما أكّد في ذهني ما كنتُ قد ظننته من قبل، وهو الاهتمام بذلك، إنما بقيت مسألة لا أدري هل يسميها صديقنا الجليل الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل فُضولاً، أو يسميها (لقافة)، لا أدري، ولكن أذكرها، وقبل أن أذكرها لا بُدَّ أن أحدد ما معنى الفضول؟ ومامعنى اللقافة؟ الفضول واللقافة ربما يكون معناهما واحدًا، وهو أن يفعل المرء شيئًا لو تركه لما قيل له لِمَ لم تفعله، هذا حدُّ الفضول، وهذا حد اللقافة.

فأنا إذا ذهبتُ في مهمة رسمية إلى بلد مثلاً، مدينة، فإنني أقوم بواجبي، أحاول أن أقوم بواجبي وأتصل بالمسلمين، وأرفع تقريرًا لهذا، ولكنني لا أعود رأسًا من هذه المدينة إلى بلادنا، وإنما أسأل عن البلاد الأخرى، وعن المدن وعن

النواحي التي لم نزرها، مثل البرازيل التي زرتها مع أخي وصديقي الشيخ عبد العزيز المسند، وزرنا نواحي منها.

نحن حضرنا المؤتمر الإسلامي الذي قامت الرابطة بتنظيمه في العاصمة برازيليا.

ودعونا أخانا فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند لكي يلقي محاضرات في المؤتمر الإسلامي، ومقره مدينة برازيليا. وعندما انتهى المؤتمر قلتُ له: يا أخي نحن تذاكرُنا من برازيليا إلى (ريو دي جانيرو)، يعني رأسًا، ومن ريو إلى باريس، لماذا لا نذهب إلى منطقة شرق البرازيل نستفيد من هذا، والقضية كلها يومان أو ثلاثة؟ فقال: هذا مناسب، فغيَّرنا تذاكرنا وزُرْنَا ولاية (بهيه)، وعاصمتها (سلفادور)، ربما يتصور أو يتذكر فضيلة الشيخ هذه المدينة.

ومن أجمل ما حصل لنا أننا لم يكن يعلم بنا أحد عندما وصلنا، فَتَدَرْوَشْنَا، أي أننا صِرْنا نسيح في هذه المدينة. وبعد ذلك زرنا عاصمة ولاية أخرى، وهي ولاية (بورنابوكو)، وعاصمتها (رصيفي). ورصيفي اسم عربي فصيح، معنى الرصيف هو رصيف البحر، هذا معناه الذي سمِّيت به المدينة، أسماه البرتغاليون؛ لأن البرتغاليين أخذوا هذا الاسم من المسلمين في الأندلس. ومن رصيفي توجَّهنا أنا والشيخ عبد العزيز إلى باريس.

فكانت هذه طبيعة الفضول، أو ما نسميه باسم آخر، هي التي جعلتني لا أقتصر على زيارة المكان الذي فيه المهمة الرسمية، وإنما أزور ما يكون قريبًا منه، أو ما يكون في الطريق إليه، أو ما يكون في طريق الرجوع إليه. وأعتقد أنني قد أخذتُ من وقتكم الكثير؛ ولذلك أستميحكم عذرًا إذا سكتُّ، وربما كان هذا سكوتي، كما يقول الجاحظ، عند شخص لم يزر شخصًا آخر، وجاء يعتذر إليه، وكان هذا الشخص ثقيلاً، فقال الجاحظ: ما رأيتُ إحسانًا يُعتذر منه مثل هذا.

أخشى أن أكون قلتُ: أعتذر إليكم، فتقولون: ما رأينا اعتذارًا أو إحسانًا مثل هذا. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

الشيخ عبد العزيز المسند[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، معالي الشيخ محمد لَمَّح إلى طول الوقت، وأخاف أن أتحدث فأطيل فتملُّوا، لكن سأوجز ما استطعتُ، وطبعًا سأتكلم بكلام لم أحضِّر منه كلمة واحدة.

الحديث عن الشيخ محمد الحقيقة، وعن إنتاجه، وعن علمه، وعن النواحي الخاصة التي امتاز بها قوي، ولكن لعلِّي أجتزأ بعض الأمور التي يمكن أن يكون لها فائدة، وسأنقلكم من جانب الجد أحيانًا إلى جانب الهزل؛ من أجل أن أخفف عنكم الاجتماع.

الشيخ محمد عرفتُه عام ٧٣، كما ذكر، لَمَّا كان مديرًا للمعهد، وكنَّا طلابًا مجموعة من الإخوة، فقدمنا من الطائف فزُرْنَاه في المعهد، هذه أول المعرفة، ثم استمرت المعرفة طبعًا.

وبعد ذلك نبدأ بالموضوع الذي تحدَّث عنه، وهو الرحلات. كنتُ مسافرًا إلى بريطانيا لحضور مؤتمر اتحاد الطلبة في بريطانيا وأيرلندا مُنْتَدَبًا من وزارة التعليم العالي، وإذا فضيلة الشيخ أحد الأعضاء البارزين والمتحدثين، وبعد الحديث أخذني جانبًا وقال لي: إنك مكلَّف الآن أن تذهب معي، قلتُ له: إلى أين؟ قال: عندي اتِّصال سرِّي من مسؤول كبير أن تذهب معي إلى السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا.. إلى آخره. قلتُ له: إنني ليس معي شيء أستطيع أذهب به، ولا تذكرة، قال: أنا أبلغك الأمر، ولا بُدَّ أن تذهب. أردتُ من قول هذا أننا نحن ذلك الجيل الذي بدأ في تلك الأوضاع كان لا يهمه قضية المال أو الراحة أو شيء من ذلك،

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبدالرحمن المسند من مواليد مدينة بريدة، تخرج من كلية الشريعة في مكة المكرمة، عمل مدرسًا ومديرًا للمعهد العلمي في شقراء، ثم عميدًا لكليَّتي الشريعة واللغة العربية، ثم وكيلاً للمعاهد والكليات، ثم مديرًا لها، ثم أمينًا عامًّا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم مستشارًا لوزارة التعليم العالي، ثم كلف رئيسًا عامًّا لتعليم البنات مدَّة، وعمل أمينًا عامًّا لجمعية البر بالرياض تبرُّعًا حتى طلب الإعفاء، له كتب مطبوعة؛ منها: الزواج والمهور، غذاء الروح، وغيرها.

ليس معي تذكرة، وليس معي قد يكون المال الكافي، وقال: إننا لا بُدَّ أن نذهب في مهمة سرِّية لا يعرف عنَّا أحد؛ لأننا لا نريد أن نتحدث، بل أن نرى أحوال المسلمين، ما هي الحقيقة في هذه البلاد؟ لا بُدَّ أن نرى دون أن يعرفنا أحد.

فذهبتُ معه رأسًا، وذهبنا ووصلنا إلى الدنمارك، و لم نجد فيها شيئًا اسمه الإسلام في ذلك الوقت. وذهبنا إلى السويد، و لم نجد فيها شيئًا اسمه الإسلام. وذهبنا بعد ذلك إلى النرويج، وكان الشيخ يستعجلنا يقول: إنه في ١٣ يونيو الشمس لا تغيب هناك، فلا بُدَّ أن نراها. وفاتنا يوم، ولكننا رأينا الشمس أيضًا لم تغب، لكنها ليست مشرقة تمامًا، لكن قرصها واضح لم تغرب، لا تغيب أبدًا هناك. ثم ذهبنا إلى فنلندا. هذه الرحلة مفاجئة، و لم نكن نحضر لها، لكننا كتبنا ما وجدنا عن المسلمين.

ثم بعد ذلك حدثت فترات، وصحبتُه إلى البرازيل ٣ مرات، وذهبنا إلى البرازيل، وكُنَّا يعني هنا يأتي الحديث عن الشيخ، كان لا يترك فترة إلا بكتابة، وقد تضايقتُ من ذلك طبعًا؛ لأنه لا يترك لي فرصة إلا وقت الغداء أو وقت العشاء، وكنَّا نأكل قليلاً، ونشرب قليلاً، لا نعرف البيبسي مثل اليوم، ولا نعرف شيئًا يُشرب سوى أننا يعني نشرب الماء والحمد لله، ونأكل قليلاً، ونعيش عيشة الكفاف.

ففي البرازيل ذكريات كثيرة، منها أننا كنا مسافرين إلى البرازيل وبعد ذلك قال: إن الشيخ محمد الحركان -رحمه الله، وكان رئيس الرابطة قبل أن يكون وزير العدل- قد عقد مؤتمرًا في (ترينددادا وتوباقو)، وهذه في جزر الكاريبي. ثم قال الشيخ: خلنا نمر عليه شوي. أنا ظننتُ أن المسألة بسيطة يعني، فإذا بنا نطير ١٨ ساعة حتى نصل إلى ذلك المكان، ونأتي إلى هذه الأمكنة، ونحن لم نقل: مالنا من المال؟ أو ماذا نُعطى؟ أو ماذا يكون؟ أو ما هو انتدابنا؟

جلسنا هناك، وشاركتُ أنا والشيخ مشاركةً رئيسةً أكثر من الذين تجهَّزوا لها. وبعد ذلك قال الشيخ: فيه مدينة قريبة هنا نبِّي نمرها. وإذا به يمر على أربعة

بلدان لا تُعرف؛ مثل (سنت كرويس) و(برتريكو)، صغيرة، ونرمي أنفسنا بالخوف وبالخطر الداهم الذي لا نعرف شيئًا، والبلاد قد يكون فيها لصوص، وقد يكون فيها قُطّاع طرق، ومع ذلك مَرَرْنا عليها للمعرفة حتى يكتب.

وذهبنا إلى ما كنَّا نذهب إليه بعدها، وهذه مخاطرة أخرى. أيضًا الشيخ قال: لا بُدَّ أن نذهب إلى أمريكا الوسطى التي لا يذهب إليها كثير من الناس، وعزمنا على ذلك، وتوكلنا على الله، فذهبنا نستعد للركوب، فقال: إن علينا الآن أن نذهب إلى لندن، ثم نذهب إلى المكسيك، ومعنى ذلك الذهاب إلى المكسيك أن نذهب إلى أمريكا الشمالية، ثم بعد ذلك نترل ونذهب إلى المكسيك من أجل ماذا؟ من أجل أن نحصل على تأشيرة لأمريكا الوسطى، ذهبنا إلى هناك وقابلنا القائم بالأعمال السعودي، وفعلاً دبَّر لنا التأشيرات؛ لأنه ما عندنا ولا سفارة في أمريكا الوسطى كلها إلاَّ في المكسيك، والبلدان متعددة كثيرة ذهبنا لها.

أنا كنتُ أظنُّ أن أمريكا الوسطى مثل الدول الأخرى أو أمريكا الشمالية أو أمريكا الجنوبية، فلما ذهبنا إذا هي بلد ميتة وبلد مخيفة، يعني كِدْنا أن نفقد أنفسنا عدة مرات، بحيث إننا نقع في المجاهل وفي الصاعب، وهذا أترجم به الشيخ لماذا ذهب إلى إفريقية؟ أو كيف وصل إلى تلك البلدان؟ لأنه لا يسأل عن نفسه.

ذهبنا إلى هناك، وكان فيه مخاطرة أكيدة أن نُقتل ويؤخذ ما معنا، ومنه أن أذكر أنه لما وصلنا إلى بلد اسمه (سلفادور)، ووصلنا بالليل، وأخذنا أمكنة ظننا أنه ذهب بنا ليقتلنا ويأخذ ما معنا. والسفر في ذلك الوقت يقتضي أن يكون معنا شنطة كبيرة لنذهب إلى مدن كثيرة، فهي مُغرية، وإن لم يكن فيها مال، فلما أصبحنا وقابلنا واحدًا من الجالية العربية هناك قال: كيف جئتم؟ قلنا: والله هكذا، قال: وركبتم سيارة أجرة من المطار إلى هنا؟ قلنا: نعم، قال: وسَلمتم؟! قلنا: الحمد لله، الله سَلَّمنا؛ لأنه يعرف نيَّتنا، قال: وأين سكَنْتُم؟ قلنا: سكَنَّا في الفندق الفلاني، قال: وهذا مكان قطاع الطرائق والمجرمين، قلنا: لا إله إلا الله، قال: اذهبوا الآن الآن، وأخَذَنا رأسًا ونقلنا إلى مكان آخر.

وهكذا، هذا فيما كان يتعلق بالذي يريد أن يتصل بالمسلمين، أو أن يعمل عملاً لا بُدَّ أن يضحي بنفسه. وعدة مرات نكاد نقع في مصائب، مثلاً قال: إننا سنذهب إلى البلد الفلاني، وهو يحفظ البلد قبل أن يصل إليه بطبيعة أهله أين نجد المسلمين، فكان معه عنوانه من أحد المسلمين فَطِرْنا بطيارة ونزلنا في بلد، فلما نزلنا قلنا: أين كذا؟ قالوا: إن هذه يجب عليكم أن تسافروا إليها؛ لأنها بعيدة لا يُوجد هنا أحد من المسلمين، كيف نذهب؟ قالوا: لا بُدَّ أن تأخذوا سيارة – حافلة– وأن تذهبوا إلى هناك، ظننَّا أن الأمر قريب، كيف نأخذ؟ قالوا: هذه شركة توصلكم إليها، ذهبنا إلى هناك، قالوا: يجب عليكم أن تسيروا ٩ ساعات في الحافلة حتى تصلوا إلى ذلك البلد، ويمكن أن تجدوا واحدًا من المسلمين أو يمكن ألاَّ تجدوا، قلتُ: يا شيخ، ما نريد أن نذهب.. واحد من المسلمين.

قال: لا بُدَّ أن نذهب، قلتُ: هناك خطر كما يقول الناس الآن، قال: إذا قُتلنا فنحن في سبيل الله. إلى آخر هذه من الأمور السريعة، لكن أتحدث عن الجانب الذي وعدتُكم به، الجانب الهزلي:

الشيخ مرَّة من المرات لم نجد أكْلاً أبدًا، يعني أي نوع من الأكل لم نجده، فإذا به يخرج تمرًا عبيط وبقل (أقط)، وقال: نتمتع بهذا؛ لأني تعوَّدْتُ بإفريقية أني لا أجد الأكل يومًا أو يومين، فأتمتع بهذا عن الموت فقط، فخُذْ، كل لقمة من هذه تكفيك يومًا أو يومين.

فهذه من الجوانب، والجوانب الأخرى أيضًا كنتُ أنا أمشي أنا وإياه في البرازيل، ويبدو أنه كان لابسًا؛ لأن الجو رطب وبحري، فيبدو أننا لابسين شيئًا من الأمور التي هي صغيرة، ما يُسمونه هنا حذاءً مفتوحًا أو شبشبًا، فضربه سيخ من رجله، فلما ضربه من رجله صار الدم يجري، أنا لم أكن معتادًا للرحلات المجهولة التي لا يتوافر فيها كل شيء مثل الشيخ، فإذا به يجري بسرعة، أنا أرى الدم يسيل من رجله: يا شيخ، وقف، ويقول: امشِ امشِ.

واستقبلنا رجل، الرجل هذا من الذين يبيعون، معه لوح، ويبيع الأشـياء الصغيرة هذه، فوضعها في وجه الشيخ، الشيخ لأن الدم يمشي معه ضربها بيـده فكبها، هذا رجل مجرم، فإذا به يهجم على الشيخ يريد أن يفتك به، فاستقبلته في وجهه أنا هذا الرجل، الشيخ ما يدري عنه؛ لأنه لما ضرب هذا وانكـب تـرك الحاجة ولحق به، فأمسكتُه ولحقتُه ووجدتُه مُغْضَبًا يريد أن يفتك بالشيخ، طبعًـا هذا الرجل لا يعرف إنجليزي، ولا يعرف لغةً نحدِّثه بها، ما يعرف إلا البرازيلية، والشيخ كان علمني كلمة أو كلمتين من البرازيلية بمعنى عفوًا أو اصبر، فقلتُ له ذلك، وأخرجت الفلوس رأسًا، قلتُ: خُذْ خُذْ، يعني خُذْ قيمة هذه الأشياء التي انكبَّت.

وكان هذا إنقاذًا لأن يفتك بنا الرجل، وإذا الشيخ يجري بسرعة، أنـا لا أدري أين يذهب: يا شيخ محمد، وقف، يا شيخ محمد، تُسعف رجلك. بدأ الدم يجري، ويبدو أن الشق كان كبيرًا، وإذا به يجري إلى الصيدلية، وأنا لم أكن أعلم حتى ذلك الوقت أن الصيدلية تُسعف اللي يجيها، فإذا به يقف علـيهم ويُـريهم رجله، فقام رجل وفعلاً طهَّر الجرح ثم ربطها، فعلمتُ أن الشيخ أيضًا عنده من الخبرة ما يجعله يأتي هذه المجاهل.

أيضًا صحبتُ الشيخ إلى الصين الشعبية قبل أن يكون الإذن فيها، أي ذهبنا وهي شيوعية، أي كان الشيخ يذهب إلى أماكن فيها خطورة جدًّا ولا يسـأل على نفسه أبدًا، سواء كان في المأكل أو المشرب أو في أي شيء.

بالنسبة إلى الشيء الذي أريد أن أسجله قبل أن أنهي الكلام عن الشـيخ، والكلام عن الشيخ كثير، أُهَنِّيه على الذاكرة التي سمعتموها الآن، ذاكرتُهُ لا أعتقد أن رجلاً يحمل مثل ذاكرته، بحيث إنه يتذكر الحركات والسكنات والكلمـات التي مرَّت، مثلاً من ٢٠ سنة، ٤٠ سنة مثل ما رأيت، ولو كانت دقيقة بالمكان وبالضبط أينما كان.

فمثلاً: كنَّا في البرازيل، وكنا نأكل في دكان صغير نمرُّ عليه، وقُدِّر لابني الدكتور عمر أن يسافر في مهمة منذ سنتين أو ثلاث إلى البرازيل في مؤتمر، فاتصلتُ بالشيخ، قلتُ: نسأل الشيخ، فاتصلتُ بالشيخ في الهاتف وقلتُ: يا شيخ، إن عمر سيذهب إلى (ريو)، ماذا تنصحه أن يسكن؟ قال: شُفْت الشارع اللي أنا وِيَّاك نمشي فيه؟ قلتُ: إيه، قال: شُفْت الدكان اللي يبيع كذا؟ قلتُ: إيه نعم، وأنا لا أعرف ماذا يقول، قال: شُفْت اللي نمر عليه مكتوب كذا؟ قلتُ كذا، قال: شُفْت الشويرع اللي ندخل ونشوف راعي المطعم اللي هناك؟ قلتُ: إيه، قال: هذا المكان تذكر الفندق الذي نزلنا فيه اسمه (كاسترو آفن)؟ قلتُ: لا والله يا شيخ ما أذكره، قال: لا، لازم تعرفه. فوصفه لي كأنه بيته، ثم قال لي، وهذا الكلام قبل ١٥ سنة أو أكثر، قال: يمشي وينزل في (كاسترو آفن)، وكنا لما كنت أنا وِيَّاك كانت الأجرة ٢٤ أو ٢٦ دولارًا، الآن أتصور أن (كاسترو) وصل يمكن إلى ٣٠ دولارًا، لكن أنا سافرتُ بعدك ووجدتُ فندقًا يمشي من (الفيدكاسترو) على يمينه، ثم يلقى شويرع صغير، ثم يمشي ويلقى واحدًا يبيع قهوة، ثم يمشي على اليسار، ويدخل شارعًا على اليسار فيجد فندقًا على اليسار سكنتُه وكانت الأجرة في الذي سكنتُه ٣٦ دولارًا، أتوقع الآن أن الأجرة تكون ٤٠ دولارًا.

يعني شوف الذاكرة والتصور، وأنا لا أذكر من هذه شيئًا، فالشيخ الآن الذي جعله -ما شاء الله- يعني يلم بهذه الأمور وعمره كما تسمعون الآن -أمد الله في عمره، ونفعه به- عنده ذاكرة عجيبة، بحيث إنه يتذكر كل شيء من الأمور. الذاكرة الجيدة أنه أحيانًا عندما يهديه الله ويطول عند الغداء وإلا ما يترك لي فرصة دائمًا يكتب، سواء كان وهو جالس أو في الغرفة أو ونحن نمشي، ففي الغداء أحيانًا عندما نبدأ نتذاكر فيقرأ لي من الشعر الأشياء العجيبة جدًّا، في أي موضوع نبحثه، أو يأتي على لساني بيت من الشعر، فإذا هو يأتي بالقصيدة وبالقصة وبالمناسبة، ثم يأتي بوابل من القصص ومن الأشياء التي في الحقيقة تشحذ الفكر والذهن في أي موضوع من المواضيع.

فهنا أنا أُهَنِّيه على الذاكرة وعلى الحفظ، وقد حفظ من الأوائل ومن المتأخرين، وهو الحقيقة مليء علمًا، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يُطيل عمره، وأن يرزقنا المزيد من الفوائد التي نستفيد منه. وبكل تأكيد وتسجيل أنا استفدتُ منه كثيرًا من العلم، ومن الفوائد، ومن القصص، ومن الأمثال، ومن التاريخ، بحيث إننا إذا أَثَرْنَا موضوعًا واحدًا، سواء كان من تاريخ الدولة الأموية أو العباسية أو الوقت المتأخر، تجده يتذكر تمامًا ويُتْحِفُك بحقائق علمية لا ينساها أبدًا، والحديث عنه كثير، ولكني لا أحب أن أطيل عليكم، أعانكم الله ووفقكم، وهو أيضًا كتب الله له الأجر، وأمد الله في عمره، ونفعنا بعلمه. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري[1]:

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته..

وأسعد الله مساءكم بكل خير، وشكرًا للأستاذ محمد المشوح على هذه الندوة الكريمة، وعلى أيضًا حسن الاختيار لهذه الوجوه النَّيرة، وأشكر أستاذي معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وكذلك أستاذي قديمًا منذ معهد شقراء الشيخ عبد العزيز المسند، جزاهم الله عني خيرًا.

حديثي عن شيخنا محمد بن ناصر العبودي إنما هو من التحدث بنعمة الله، ومن الاعتراف بالفضل لذويه، ومن عاجل بُشرى المؤمن. أتحدث بهذا وفي فمي ماء؛ لما أراه من تفريط في حق هذا الشيخ الجليل، فلا المؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية أدَّتْ حقَّهُ، وهي تعرف حقه، ولكن لم تؤد حقه بتكريم معنوي، ولا كذلك المؤسسات العلمية الثقافية في عالمنا العربي والإسلامي،

---

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أحد الكتَّاب السعوديين، من مواليد شقراء سنة ١٣٦١هـ، تلقى تعليمه الأول بها، ثم كلية الشريعة، ونال الماجستير من المعهد العالي للقضاء، له أكثر من مائة وخمسين مؤلفًا في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والأدب واللغة، عضو في عدد من المجامع العربية، وتسولى رئاسة النادي الأدبي بالرياض فترة.

شخص ما من الأثرياء في الكويت يؤلف لجنة لتكريم حملة الشعر العامي ويخسرون الأموال الطائلة.

إن الشيخ محمد العبودي شاهد عصر -وأعني ما أقول في كلمة شاهد عصر- من خلال عمله في رحلاته، وفي مُعاينته المباشرة لأمور المسلمين، وفي مشاركته في صُنع القرار الذي يخص المسلمين، يُعينه على ذلك بَعْدَ الله رحابةُ أفق، ودماثة خلق. وقد رأيتُ شيئًا من ذلك أول ما عرفتُ الشيخ العبودي مُعاينةً لا قراءةً، وذلك في حدود عام ٨٣ أو ٨٤، لا أذكر ذلك، وقد تغدَّيت عنده في المدينة المنورة وعنده الشيخ محمد ناصر الألباني، والنار تغلي حول الشيخ محمد ناصر الألباني مما أبداه من شدَّة في المدينة، فكان الشيخ محمد العبودي وهو في الجامعة الإسلامية يمسك العصا من وسطها، ويؤلف بين مثل الشيخ الألباني في عنفوانه وصلفه -رحمه الله- وبين مَن نقموا عليه من مسؤولين وغيرهم، وبين مَن لا يرضيهم المنهج السلفي.

الشيخ محمد كما أنه شاهد عصر يتسم عمله العلمي بالابتكار، وأعني ما أقول في ذلك أيضًا، كَم من الكتب أُلِّفت في الأمثال العامية، سواء الأمثال العامية في المملكة أو غيرها، ولكن كتابه المكون من خمسه أجزاء عن الأمثال العامية في نجد أشهد بحق أنه كتاب علمي، جمع بين استيعاب الباحث العالم وجمع بين التقنين الفكري، وليست العبرة بما رصده من مصادر كثيرة، فكثيرون يُتخموننا في آخر كتبهم بثمرة المصادر، ولكنها مصادر على كثرتها استفاد منها استفادة مباشرة واعية.

المعجم الجغرافي تقاسمه عدَّة، منهم مَن غلب عليه الجانب الشعبي والناحية الفطرية والرؤيا المباشرة، ومنهم مَن غلب عليه سمعته العلمية وبعض رجوعه إلى المصادر.

الشيخ محمد العبودي كتب عن مشاهدة ومعاينة، وعن جمع بين مواقع التسمية الحديثة ومواقع التسمية القديمة، وعن بحث دؤوب في المصادر واستفاد حقيقة بها.

الرحــلات:

يقول الشيخ العبودي: لا أعلم أحدًا كتب ١٧٧ أو ١٦٧ رحلــة، وأنــا كتابتي كتابة كَمٍّ لا كيف، لا والله بل هي كتابة كمٍّ وكيفٍ معًا، وليست العبرة بزيارة أنحاء العالم، أنيس منصور زار العالم كله وآخــرون، ولكنــهم كتبــوا ضمائم أو كتيبات، الشيخ محمد العبودي ليس كمَن سافر وخرج مــن حيــث دخل، بل أثمر ثمرة علمية مفيدة فيما كتب. ننظر إلى رجل كابن بطوطة جاءنــا بغرائب وأشياء عظيمة، ولكن نصفه كما يقول المثال العامي (شوي): أكثرهــا أكاذيب. الشيخ محمد العبودي سجَّل عن وعي وعن خبرة، وقد خدمته وسائل العصر لأن يُنجز هذا الإنجاز من ناحية الرحلات، ولكن هذا الإنتــاج الغزيــر ساعده عليه ربه أولاً، ثم مَلَكَته العلمية، ثم جَلَــده، زاده الله نشــاطًا وتوفيقًــا وصحَّة. من أعماله الرائدة أيضًا عملان لا أزال أنتظرهما وغيري كثيرون بفارغ الصبر.

الأول: معجم الألفاظ العامية وارتدادها إلى الفصحى بوجه مــن أوجــه النمو، أو ارتدادها إلى الدخيل، أو ارتدادها إلى ما ارتجله العامة، ولا أعرف كتابًا رائدًا في هذا الموضوع سوى كتيب لفالح حنيضل اختصر به على لهجة الإمارات (حقين السواحل في أبو ظبي وربعه). والكتاب الآخر: معجم الأُسر في القصيم، وإن كنتُ أيضًا اطَّلعت أو سمعتُ بعض أعمال الشيخ، قرأ لي منها قليلاً لما كان في الفاخرية، وأظن أنني سمعتُ منه سطورًا من رواية، فإنني أستحثُّه وأستنجده في إنجاز ما عمل وما وعد به من هذه الأعمال الرائدة، ولا أوفي الشيخ حقه مــن الثناء والعرفان، ولكن هذا ما سمح به منطقي في هذه الليلة وبحضوركم المبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ عبد الله الحقيل[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أبدأ الحديث بإيجاء تحيتي بمَن جمعنا على هذه المائدة الفكرية والأمسية الثقافية، كما أُحيي معالي الشيخ محمدًا بعد أن سمعنا واستمتعنا بحديث طيب وما انطوى عليه من ذكريات وأبحاث فكرية؛ فقد أعطى الموضوع حقه، وأوجز العبارة، واختصر الإشارة، كما يقال، سأوجز الحديث عن ثلاث خلال عرفتُها وقرأتُها ولمستُها وعشتُها، بل ورحلتُ مع شيخنا في إحدى رحلاته:

أُولاها: دماثة خلقه وتواضعه وثقافته التراثية الواسعة التي تتجلى في كتاباته ورؤيته الواعية في ميدان التاريخ وأدب الرحلات، وفي مجال اللغة العربية.

ثانيتها: هذه الرحلات الواسعة؛ حيث طاف الشرق والغرب بهدف دراسة أوضاع الأقليات الإسلامية على حد قول الشاعر أبي تمام:

كأنَّ به شوقًا إلى كل جانب من الأرض ... أو هدنا على كل جانب

حيث تمتاز هذه الرحلات بصور جميلة، وطراز أدبي، وتنوع في الرؤية والانطباع؛ مما يدل على حس فني وملكة ومهارة في الاختيار والعرض والرسم، ونجد متعة أدبية في قراءتها. ويعدُّ أدب الرحلات فنًّا متميزًا عُني به أعلام بارزون قديمًا وحديثًا.

ثالثتها: قدرته على العرض الأدبي في الرحلات، وتميزه في ذلك، واستطلاعه الموثق في هذه الرحلات؛ فقد وفَّر للدارسين والباحثين عن العمل

---

(١) عبد الله بن حمد الحقيل، من مواليد المجمعة سنة ١٣٥٢هـ، يحمل ليسانس اللغة العربية وآدابها، وعددًا من الشهادات العلمية الأخرى، عمل أمينًا عامًّا لدارة الملك عبد العزيز من ١٤٠٦هـ حتى ١٤١٢هـ، له مؤلفات أدبية وثقافية متنوعة، وله أكثر من ديوان مطبوع.

الإسلامي؛ فأدب الرحلات مصدر للمؤرخ وللجغرافي وللعالم الاجتماعي، وهي عطاء كبير ابتداءً من كتاب "في إفريقية الخضراء" إلى آخر كتاب، الذي أحاط فيه بأوصاف تلك البلدان وأوضاعها وطقوسها ومناخها وتاريخها وغير ذلك من الأنماط المختلفة والأشكال المتباينة، يستقرب من واقعها، ويعرض من صفاتها، ويصور بيئاتها، فهو يحلق بالقارئ أجواء مختلفة، وخواطر متفرقة لا تقف عند الانسجام فحسب، وإنما تهدف أيضًا إلى الأسوة والقدوة الحسنة، إلى القصة والعبرة، وإلى ما يترك أثرًا حسنًا، ومن كل أعطاه وصفًا زاده الله قوة. وفي هذه المناسبة يا شيخ أُحبُّ أن أتوجه إليك بسؤال عن رحلة أحمد بن فضلان، هذه الرحلة التي تُرجمت إلى ١٥ لغة فيما اشتملت عليه من قضايا تاريخية، وتعدُّ مصدرًا مهمًّا لتاريخ روسيا وبلغاريا والدول الإسكندنافية، فهل يعطينا الشيخ لمحة موجزة عن هذا الرحالة؛ إذ إن قصته وحياته مثيرة حقًّا، والذي اختطفه الفايكلج الإسكندنافي وأخذوه معهم إلى بلادهم، وكان عالمًا حاضر البديهة، وقد وصفت جريدة الديلي تلغراف اللندنية عندما ترجمت روايته منذ سنوات بأنها أعظم روايات العصر في هذا الزمن، ويقول محقق الرحلة أحمد البقال، وهو مقام السفير العربي: استغربتُ أن يكون ابن فضلان أقام الدنيا وأقعدها في أوروبا دون أن ينتبه العرب إليه، أو يهتموا به.

هذا وشكرًا لكم.

الدكتور حسن الهويمل:

لي أكثر من مدخل بالنسبة لمعالي الأستاذ محمد العبودي، وعرفتُهُ منذ كنتُ طفلاً صغيرًا؛ لأنه كان مجاورًا، أو كنا مجاورين له في سكننا، ثم بعد ذلك عندما التحقتُ بالمعهد العلمي في بُرَيْدَة عام ١٣٧٤ هـ، وتلاحقت المعارفات والانطباعات. وبعض الشخصيات العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الإدارية تشكل ظاهرة ومواهب دائمًا تكون نادرة؛ لأنها توفر على إمكانيات قد لا تتكرر. ومن خلال الجهود التي بذلها معاليه، سواء على مستوى العمل الإداري، أو على مستوى العمل العلمي، أو على مستوى العمل التاريخي أو الدعوي أو غيره، هو يبدو محليًّا في كل موقع، ويبدو لي أن الإنسان عندما يصل هذا المستوى من الإنجاز، وهذا المستوى من العمل، يتحول إلى موضوع، ومن ثَـمَّ تختفي الشخصية، فلا يكون له حق الاعتراض على أحد من المادحين أو القادحين؛ لأنه أصبح يشكل مرحلة تاريخية مُؤثِّرة في فكر الأمة، وفي حياتها، وفي عملها، ويصبح له تأثير مباشر. ومن ثَمَّ الحق للقارئ أن يقول ماذا يقرأ، والذين أثنوا عليه واعترض عليهم وأثنوا عليه؛ لأنه تعايش مع هؤلاء الناس. ربما يستكثر الإخوة ما كتبه في الرحلات، وربما نحن ننظر إلى ما كتبه على أنه لون من الأدب بحكم ارتباطنا في النحو وفي الأدب. ومن ثَمَّ تكون لنا رؤية مغايرة لكثير من الرؤى؛ لأننا نُقَيِّمُ النص من خلال شطره الفني اللغوي، ومن خلال شطره السياقي أو النسق، وقد ينظر آخر إلى هذا الأدب من الناحية التاريخية، فَيُقَيِّمُ هذه الأعمال في مقاييس المؤرخين، وينظر إليه آخر أكثر من الجانب الجغرافي، ورابع ينظر إليه من الجانب السياسي، وخامس ينظر إليه من الجانب الدعوي، وكل قارئ يلتقط الزاوية التي تهمه، ومن ثَمَّ يُبدي رأيه فيها على أية حال. سواء رضي هو عما أنجز، أو رضي غيره، هو ترك للتاريخ، وترك للأجيال، وترك للذين يريدون أن يعرفوا عن أحوال المسلمين وثائق لا يمكن أن تتوافر، لولا أنه انتبه منذ الرحلة الأولى إلى أهمية التجميع.

والشيخ عبد العزيز المسند أشار إلى قوة الذاكرة، ولكنني أنا أشير إلى نقطة أخرى، وهي دقة الملاحظة؛ لأن كثيرًا من الرحالين وكثيرًا من الذين يجوبون الآفاق لا تدق ملاحظتهم بحيث يلتقطون صغائر الأشياء، ثم يحوِّلونها إلى قضية، وأنا أرى طرفًا من أدب الرحلة عنده عندما تحدثتُ عن جانب من السرديات الأدبية، ووجدتُ أنه يمتلك ليس فقط قوة الذاكرة؛ لأنه يمكن أن يكون يدون كما أشار الدكتور الأستاذ عبد العزيز أنه كان يكتب في كل لحظة، لكن ليس هذا هو المهم، هو بذاكرة قد تعوضه، أو يعوضه التدوين أو التسجيل أو التصوير، ولكن الأهم هي دقة الملاحظة؛ لأنه تقع عينه على أشياء تافهة أو أشياء صغيرة أو أشياء غير مهمة، ولكنه يجد أنه بداية خيط تنتهي إلى قضية كبرى. ولهذا كثير من الذين يقرؤون بعض ما سجَّل في أدب الرحلات قد لا يدعمونه كثير اهتمام، ولكن الذي يشاركه في دقة الملاحظة، ويدرك أن ما كتبه يؤدي في النهاية إلى قضايا كبيرة وقضايا كثيرة.

يبدو لي أن هناك عددًا كبيرًا من المخطوطات، وأنا أوجِّه دعوةً للناشرين ولأصحاب المؤسسات الثقافية، ولِمَن له دالة على دور النشر أن يقتحم خلوة معاليه، ويقوم بطباعة هذه الكتب التي ما زالت تنتظر الطباعة؛ لكي يكتمل أدب الرحلة عنده، ولكي تصبح كل الانطباعات وكل الروئ وكل الصور التي جمعها والتي كتبها في متناول أيدي الراغبين في الاطلاع على بعض الجوانب الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي رصدها لهم بدقة ملاحظته، وبقوة ذاكرته.

أشكر للأخ محمد المشوح هذه الدعوة، وأنا أغبط أصحاب الصالونات الذين يحبون مثل هذه الجلسات الأدبية، ويمكنون البعض من التواصل مع مَن يحبون ولا يجدون الطريق إليهم.

أشكركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*   *   *

المبحث الخامس

الهدايا والدروع

لقد حظي العلاّمة العبودي باهتمام من قبل شتى الدول التي زارها، والبلدان التي حط رحاله بها.

فهم لا يستقبلون مسؤولاً زائرًا فحسب، ولكنه شخصية علمية فذة تحظى بالرعاية والاهتمام، خصوصًا من جانب المسلمين الذين وجدوا فيه باحثًا عن أحوالهم، لاهثًا وراء شؤونهم وشجونهم وآلامهم.

وكان العبودي في كل حلٍ يقع فيه يقطف ثمرة سعيه، وعاقبة جهده وعمله ومسعاه.

لذا لم يكن التكريم والتقدير محصورًا في نطاق أو بلد أو ميدان. وهذا بيان بعض مشاهد التكريم التي لقيها من الداخل:

١- براءة تكريم الأدباء السعوديين في أثناء المؤتمر الذي عقد في رحاب جامعة أم القرى في ١٣٩٤/٣/٥هـ.

٢- درع من جامعة الملك سعود بالرياض.

٣- درع جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

٤- درع منظمة المؤتمر الإسلامي.

٥- درع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

٦- درع الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

كما تلقى عددًا من الهدايا والدروع من عدد من رؤساء الدول والحكومات الوزارية ورؤساء الجمعيات الإسلامية في العالم.

* * *

العضوية في الهيئات والمجالس

١- عضو إداري في نادي القصيم الأدبي.

٢- عضو عامل في النادي الأدبي في الرياض.

٣- عضو شرف في الجمعية السعودية الجغرافية.

٤- عضو شرف في الجمعية السعودية التاريخية.

٥- عضو ثقافي في الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

٦- عضو اللجنة التحضيرية للدعوة في الرياض (منبثقة عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).

٧- رئيس اللجنة التحضيرية للدعوة في رابطة العالم الإسلامي.

٨- عضو المجلس الأعلى العالي للمساجد.

٩- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

١٠- عضو الأدب الإسلامي.

١١- عضو لجنة تقويم أم القرى.

١٢- عضو لجنة (معجم النبات).

هذا إلى عضوية مجالس الإدارة في مؤسسات علمية وبحثية عديدة خارج المملكة العربية السعودية.

المؤتمرات:

حضر العبودي عشرات المؤتمرات، إن لم تكن المئات منها، التي انعقدت في جميع أنحاء العالم، وكتب عن ذلك عدة كتب؛ منها كتاب: (مؤتمرات إسلامية حضرتها) في أربعة مجلدات، وكتاب: (حديث المؤتمرات) في مجلدين، وهو عن المؤتمرات العلمية والسياسية غير المتعلقة بالموضوعات الإسلامية، وكلها لا تزال مخطوطة.

المبحث السادس

العبودي في عيون الشعراء

إضاءةٌ في خيمة الشيخ محمد العبودي

بنانــك هــذا، أم حســام مــدرَّبُ ... وأزهــاري اللاتــي قطفــتُ، أم الأبُ
ثمانون، ما أحلى الثمانين فــي فمــي ... ثمانون دنيــا مــن حياتــك أعــذبُ
ثمانون مــن عمــر الرجــال وهبتهــا ... رســولاً تغنــي للحيــاة وتكتــبُ
وصــوتك هــذا أي معنًــى حملتــه ... وأي حقــول فــوق حرفــك تُعشــبُ
حديقــةُ أحلامــي التــي قــد رعيتهــا ... لعشرين، ما زالت من العود أصلبُ
إلــى أن رآك اليــوم شــاعرُ حبّــه ... فغنَّى، وهل غيــر الكــلام سيُطربُ
لك الله، هل فــي البيــد ســرٌّ تركتــه ... فنبحثَ عن سرِّ الــذي أنــت تطلــبُ
إذا قلتُ: يا شيخي الكبير، نمــت هنــا ... حقــول وأزهــار وأوراق أجــدبُ
لماذا رحيــق المســك فــوق أناملي ... يضيء، ومن عمق المشــاعر أكتــبُ
إذا قلــتُ: أحلامــي، فأنــت أميرهــا ... وإن قلتُ: آلامــي، فأنــت المطبِّــبُ
ملــيءٌ كأعنــاق النخيــل، وصــوته ... مــؤذنُ فجــرٍ، كــلَّ حــين يُــؤوِّبُ
زرعت علــى أفواهنــا بعــض حلمنــا ... وما زلت أنت الظــلَّ للكــان يتعــبُ
سميرَ الليــالي عــدَّك الشــيب بعضــه ... ولــلآن تغــزو كــلَّ يــوم وتركــبُ
أراك ومــا زالــت بعينيــك أبحــرٌ ... هنــاك وطــرس والمنــى تتوثَّــبُ
تســافر للــدنيا بــبعض نشــيدها ... ويُملي عليك الــدهرُ شــوقًا فتكتــبُ

وتغســـل مـــن لـــون الغبـــار رمالنـــا　وأفواهنـــا، والأرضُ بعـــدك تخصـــبُ
وأنـــت هنـــا يـــا ســـيد البيـــد واحـــد　وخلفك من جنـــد المحبـــين كوكـــبُ
عباءاتـــك الخضـــراء، هـــذا عبيرهـــا　وهذي بقايا الطيـــب بعـــدك أعـــذبُ
أتيتَ مـــن التـــاريخ صـــوتك صـــوته　وحرفك سطرٌ في الشـــهادة مُـــذْهَبُ
فيا ابن الصحارى البيض يا ابن خيامنا　ظَمِئْنَا ظَمِئْنَا، مَنْ إلـــى الآن مـــذنِبُ؟
ببابك يا شـــيخي وقفـــتُ ومَـــن أنـــا!　يتـــيم! أنـــا القلـــب الـــذي يتعـــذَّبُ
قصـــيمك هـــذا العبقـــريُّ زمانـــه　يحنُّ إلى الصوت الذي هـــو أعـــذبُ
وتغشـــاه مـــن كـــل المحبـــين أنجـــمٌ　وأنت الذي في القلب لو كنت تحـــدبُ
رحيقك يـــا نحـــل الخزامـــى رحيقنـــا　وخطوك فينا اليـــوم أبهـــى وأعجـــبُ
تعالى إلـــى عـــرس الرمـــال ومائهـــا　تعـــال هنـــا يـــا أيهـــا المترهِّـــبُ
تعـــال فســـرُّ الأرض أنـــت وريشـــه　وفينا بقايا الشعر، مَنْ سوف يخطـــبُ؟
تعـــال فأشـــواق المحبـــين جمَّـــة　وإني احتراق الشمع! هل ثَمَّ مُعتـــبُ؟
أجلـــــك، لا أدري إلامَ، وإنمـــــا　أعـــيشُ حريقـــي صـــامتًا أتعـــذبُ
يلومونني، لُومُوا، فمَـــن ذاق خمرهـــا　بكـــى وتمنَّـــى أنـــه الآن أقـــربُ
على شطِّ هذا البحـــر ألقيـــت راحتـــي　ويَتَّمْـــتُ أوراقـــي وجئتـــك أشـــربُ
أتسألني: هل زاد حُبِّي عـــن الهـــوى؟　أجلْ، كلُّ حرف في مـــديحك مـــذنِبُ!

شعر: عبد الله بن صالح الوشمي(١)

---

(١) هو عبد الله بن صالح بن سليمان الوشمي أحد الشعراء السعوديين الشباب، له إسهامات أدبية متنوعـــة، وله ديوان مطبوع، يعمل محاضرًا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

راوية الزمان

هذا الذي يروي الزمان بلحظة　　　ويلفُّ أقطارَ الوجودِ بثانيهْ
عقلٌ كبيرٌ لم يضق عن خاطرٍ　　　ونشاطُ عزمٌ في الرياح العاتيهْ
في الليل نجم يتقد متألقًا　　　أما النهار فشمس علمٍ ضاحيهْ
في همةٍ تذر السحابَ مقصرًا　　　في سيرة والريح تبدو ثاويهْ
سَلْ عن بلاد الصين عن أعماقها　　　يعطيك أخبار الشعوب كما هيهْ
فكأن ربك قد أزال حدودها　　　في ناظرَيْه وجمعت في زاويهْ
يومًا بأرض الفرس يسبر غورها　　　وغدًا إلى الصومال في إفريقيهْ
ماذا أعد من البلاد وأهلها　　　أيكون شعري كالإمام الراويهْ
كالسندباد على البحور سريره　　　لا يستقي إلا ويركب ثانيهْ
كانت أعاجيب الحياة نعدها　　　سبعًا فجاء فَصِرْنَ بعدُ ثمانيهْ
والله مهما قلتُ في تصويره　　　فهو العُباب وإنني للساقيهْ
أنا شاعرٌ أغزو الخيال، فهل تُرى　　　غزوًا كغزو صفات هذا الداهيهْ
قف يا يَرَاع فلن تكون موفقًا　　　إن رحتَ تركض خلف هذا الداعيهْ
ارجع ببعض غنيمةٍ يا صاحبي　　　وارحم دواتك ولْتَكُنْ في عافيهْ

شعر: صالح بن عبد الكريم العبودي[1]

---

(١) صالح بن عبد الكريم بن ناصر العبودي، له قصائد منشورة تصل إلى ديوان، يعمل مدرسًا في الثانوية التجارية ببريدة، وهو ابن أخٍ للمترجم عنه، من مواليد بريدة سنة ١٣٨٤هـ، وتخرج في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم سنة ١٤٠٧هـ.

مجاهد في واحة الأمجاد

إلى وَاحة الأمجادِ يَمضي ويَعبُـرُ ... ومن حَولهِ الأهوال تَعوي وتـزأرُ
تُناديه: يا مِقدامُ، دَربُـكَ مُـوحشٌ ... ظَلامٌ وأشـواكٌ وصـمتٌ مخـدرُ
فقال: إليكِ اشتقتُ يا غايةَ المُنـى ... ومَا لِسواكِ اشتاقَ قلبي المُزمجـرُ
لَئن كنتِ أشواكًا فبـين جَـوانحي ... لَهيـبٌ سَـيُنهيكِ ونـارٌ تَسـعَّرُ
وإن كانت الأخرى ظلامٌ ووحشـةٌ ... فنورُ فؤادي اليوم أبقـى وأكبـرُ
أو الصمتُ يا للصمت سوف يَقُدْهُ ... نِـدائي لإنقـاذ الـذين تَـذمَّرُوا
وإنقاذ أحبـابٍ لنـا مـا تَـذَوَّقُوا ... لطعمِ الكَرَى طَعمًـا لذيـذًا يبشـرُ
تضورهم نيـرانُ فقرهمـو التـي ... تُجندلهم كالأُسْـد حـين تَضـوَّرُ
أقولُ لعيني حين تُبصـرُ حـالهم ... فتمطرُ دَمعًا مثلما المُزنُ تمطـرُ:
سأبقى لهم يا عَينُ عَونًا وخادمًـا ... ليَسعدَ قلبٌ في الـدَّياجير يسـهرُ
وتسعدَ عينٌ كلما داعـب الكـرى ... محاجرها أقصـاه عنهـا التَّـذَكُّرُ
فتُضحي وفي أجفانها السُهدُ عالقٌ ... وفي جوفها دمعٌ إلـى الله يجـأرُ
سأبقى لهم، قد قالها وهو صامتٌ ... ونمت به أفعالـهُ وهـي تجهـرُ
سأبقى لهم، قد كُنتَ والله صـادقًا ... ويعضدُ هذا الصدقَ فعـلٌ مـؤثرُ
فقد طفتَ في طولِ البلادِ وعرضـها ... وكنتَ لهـذا الـدين عقـلاً يفكِّـرُ
وأشجاكَ مِثلي حالُ أمَّتنـا التـي ... غَدَت في بحارِ الذلِّ والضـعفِ تُبحـرُ
وقد أصبحَتْ في مجلسِ الخوفِ دُميـةً ... يُصـرفها أنَّـى يشـاءُ ويقـدرُ

فَللهِ نَشكو أيُّها الشيخُ مــا نَــرى وقد باتَ في أحشائِنا الهَمُّ يَنْخِــرُ
ألا يا حبيبَ المجدِ شــيَّدْتَ رحلــةً يُعانقهــا إخلاصُــكَ المُتَفجِّــرُ
وأبقيتَ للأجيــالِ وَاحتَــكَ التــي سَنَاها يُضيءُ الكونَ إبَّانَ يُســفرُ
وخَلَّفتَ بل خَلَّدْتَ في الناسِ سيرةً جِهــادُكَ فيهــا مِنبــرٌ يَتصــدَّرُ
سَتبقى بَقاءَ الـدهرِ فــي خــافقٍ ليَزْهو بكَ التــاريخُ حـين يُخبِّـرُ

شعر: مُشوِّح بن عبد الله المُشوِّح

لا يُبَارَى في السخاء

نأي فعــلاً بقلبــك خيــر نــاء فودَّعــه علــى أمــل اللقــاءْ
ومــا توديــع ركــاب تولَّــوا قُبيل الصبح في جــوٍّ الســماءْ
على أثبــاج طــائرة أشــارَتْ إلــى دول الخلــيج بالانتمــاءْ
نأت عنــي بمكســال عــروب خلوب اللحظ معطــار الخبــاءْ
لعوب مــا يمــلُّ لهــا جلــيس ولا يعتامهــا زيــر النســاءْ
لها بالصــون فخــرٌ واعتــزازٌ وفخــر واعتــزاز بالحيــاءْ
ألا يا مَن حوت رقــي، لمــاذا خطابك مــن دمــاء الأبريــاءْ
حكمتَ بما حكمــتَ بــه وإنِّــي لراضٍ في قضــائك بالقضــاءْ
ولم أبرح ألاقــي منــك برحًــا فأكتم ما أعــاني مــن عنــاءْ
ويا عجبًا لمَــن يــزداد شــوقًا على طول القطيعــة والجفــاءْ

فصارمها ويمــم خيــر شــيخ		وفيٌّ لا يُبــارى فــي الســخاءْ
محمد ناصر الــدين العبــودي		ــمؤمل في الشدائد والرخــاءْ
أبــيٌّ الضــيم ملجــأ كــل لاجٍ		إذا ضــافت مــذاهب الالتجــاءْ
وحَسْبُك أنــه فــي كــل أرض		به ضُرِبَ المثال في الاعــتلاءْ
عصــاميٌّ عظــاميٌّ أديــبٌ		مثــاليٌّ تفــرَّد بالــذكاءْ
هُمام لم يــزل يســمو سموًّا		إلى العليــا بمصــعد كهربــاءْ
يواسي ذا ويــدفع ظلــم هــذا		ويبــذل جاهــه فــي نفــع داءْ
ألا يا مَن سبقتَ ذوي المعــالي		إلى بــاب الســماحة والوفــاءْ
وَرِثْتَ المجد تعصــيبًا وفرضًــا		وعنه قد حجبــتَ ذوي الــولاءْ
أدام الله عِـــزَّكُمُ وصـــلَّى		على خير الأنــام بــلا انتهــاءْ

بقلم الشاعر الموريتاني: محمد قال بن الحسين

السيرة الذاتية لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الحمد لله على ما أنْعَمَا   به علينا من وداد العُلَمَا

أحمده ثم أصلي بالدوامْ   على محمد وآله الكِرامْ

والصحب والأزواج والأتباعِ   من كل مَن كان أخا اتِّباعِ

هذا وقد رأيتُ نظميَ القديمْ   لسيرة الشيخ أخي النهج

محمد بن ناصر العبودي   محطة الثنا خضمٍّ الجُودِ

يحتاج للترتيب والزيادهْ   بما به تكتمل الإفادهْ

فقمتُ بالترتيب فيه من جديدِ   مع الإضافةِ لمقطعٍ مفيدِ

والنظم الأول على رغم الحسودِ   جاء كنظم الدُّرِّ في أبهى العقودِ

فَلْنَسْتَمِعْ لما طرا عليه منْ   إضافة حسنًا وتنسيقٍ حسَنْ

حمدًا لمَن ألهمني التعبيرَا   عن وصف مَن يستوجب التقديرَا

في كل مَن أعجبني من أحدِ   أو من كتابة له عن بلدِ

أو وصفه لحاتمٍ للكرَمَا   في عصره وقُدوة للعُلَمَا

مثل محمد ناصر العُبُو   دي الذي له الثناء مكسبُ

وبالمناسبة قمتُ أنظمُ   سيرة مَن له الفخار القيمُ

لما رأيتُهُ لذاك أهلا   علمًا وجودًا منطقًا وفِعْلا

فهو الجواد الماجد الشهم الأغرّ   ذو المكرماتِ المزْرياتِ بالدُّرَرْ

وند بالقصيمِ عام شُغْلِ   لدى بُريدةَ محلِّ الفضلِ

كان عزيزًا فائقًا في صِغَرِهْ وبالفهمِ والذكا ابنا حضرِهْ
تعلَّمَ العلمَ على أعدادِ كثيرةٍ من علماءِ النادي
من بعدِ أن تعلَّمَ القرآن في مُحيطِهِ الفاضلِ دون كَلَفِ
لازَمَ عبد الله شيخَهُ الرِّضَا نجلَ حُمَيْدٍ تاجَ مجلسِ القَضَا
وكان ذا ذاكرةٍ قويَّةِ موثقًا ذا همَّةٍ عليَّةِ
كان على الطلابِ ذا امتيازِ بالفهمِ والذَّكَا والاعتزازِ
ألَّفَ نحوَ مائةٍ مع الثَّلا ثينَ من المؤلفاتِ للمَلا
وكلُّها في الرحلاتِ تُعتبرْ مرجعَ آدابٍ وعلمٍ وأثَرْ
وقد يلوحُ العَجَبُ العُجابُ لمَن غدا منها لهُ كتابُ
زارَ البلادَ شرقها والغربَ جنوبَ والشمالَ زَوْرَةَ عَمَلْ
ففازَ في حياتِهِ الكريمهْ برحلاتٍ عالياتِ القيمهْ
يكتُبُ عن كل البلادِ ما رَأى حتى تَتِمَّ فيهِ للقاري الرُّؤى
بوصْفِهِ البلدَ تحسَبُ البلدْ بين يديكَ حاضرًا يدًا بِيَدْ
وكل رحلةٍ لنشرِ الدعوةِ قامَ بها أو لحضورِ ندوةِ
أو مهرجاناتٍ تَرى أو مؤتمرْ فذاكَ للإسلامِ نشرًا يُعْتَبَرْ
في عامِ ألفٍ وثلاثمائةِ أضفْ لها تسعينَ مَعْ أربعةِ
على مداليَّةِ الاستحقاقِ في الْـ آدابِ بالذكاءِ والجِدِّ حَصَلْ
وليسَ ذلك غريبًا فالذَّكَا نالَ بهِ فوقَ اللَّذاتِ مُتَّكَا
شَغَلَ في وظائفِ الحكومهْ مناصبًا ساميةً معلومهْ

كـــانَ مــديرَ المعهــدِ العلمــيِّ   لـــدى بُريـــدةَ فَتَـــى النَّـــدِيِّ
سبعَ ســـنينَ ثـــم حُـــوِّل إلَـــى   جامعةِ الإسلامِ في أرض العُـــلا
وتلكَ فـــي المدينـــةِ المنـــوَّرهْ   ظـــلَّ أمينَهـــا ثـــلاثَ عشـــرهْ
من الســـنين ثـــم عُـــيِّنَ ســـنهْ   وكيلَها أخَـــا خِصَـــالٍ حَسَـــنَهْ
وعُيِّنَ الشـــيخُ أمـــينَ الـــدعوةِ   بِرُتبـــةِ الوكيـــلِ للـــوزارةِ
حَاءَ سِـــنينَ ثـــم جَـــا يُحَيِّـــي   رابطـــةَ العـــالمِ الإســـلاميِّ
أمينهـــا المســـاعدَ العُمُـــومِي   فانزاحَ عنهـــا ســـائرُ الهمـــومِ
وابتسمت مشرقةَ الوجهِ تَـــرى   أمينها الجليـــلَ غَوثًـــا للـــوَرَى
فـــتَحَ بابَـــهُ أمـــامَ الزائـــرينْ   بـــأدبٍ طليـــقَ وجـــهٍ ويَـــدَيْنْ
ســـادَ كعُضْـــوٍ أكثـــرَ الهيئـــاتِ   كـــذا مُنيفـــاتِ المؤسَّســـاتِ
كنـــادِي الآدابِ لـــدى القصـــيمِ   وفي الرياضِ مـــوطنَ التعلـــيمِ
مؤتمراتُهُ التي شـــاركَ فِيـــــــ   ــــــها عشـــراتٌ ســـادَها فـــي
وكان عُضوًا في الكثيرِ من لجانِ   حكومةِ العَدلِ وتطبيـــقِ القـــرآنِ
كلجنـــةِ التحضـــيرِ للـــدَّعْوَةِ أوْ   كلجنـــةٍ لـــوكلاءٍ قَـــدْ سَـــمَوْا
وغيرُ ذا مِنْ عَمَلٍ فـــي مَنصـــبِ   لـــم أرَهُ فيهـــا لـــهُ مـــن كُتُـــبِ
كـــمْ ألَّـــفَ الرَّحالـــةُ العُبُـــودي   مـــن كُتُـــبٍ نـــادرةِ الوُجُـــودِ
لَوْلاهُ لم تكُـــنْ ومـــا اســـتفادُوا   ذو هِمَّـــةٍ بمـــا بِـــهِ أفـــادُوا
ذاكَ الأديـــبُ الكاتـــبُ الرَّحالـــهْ   كُتُبُـــهُ فـــي مُنتهـــى الجَزَالَـــهْ
في عَصْـــرهِ قـــدْ فقـــدَ النظيـــرَا   فـــي جُـــودِهِ فَسَـــلْ بـــهِ خَبِيـــرَا

فَهْوَ الجوَادُ الأرْيَحــيُّ المُكتَمِــلْ وهو على العُفَاةِ وَبْــلٌ مُنْهَمِــلْ
سَهْلُ السَّــجايا شَــيِّقُ العِبَــارَهْ رحيــبُ صَــدْرٍ دائــمُ البِشَــارَهْ
أُســلوبُهُ كــانَ رشــيقًا سَلِسَــا مُلاحظًــا دقيــقَ فِكْــرٍ مُؤْنِسَــا
أكرِمْ بهِ مِنْ ماجدٍ ما في الأُمَــمْ نظيــرُهُ فــي أدَبٍ ولا كَــرَمْ
حُلْــوُ الفُكاهــةِ لذيــذُ المجلــسِ طليقُ الجيــبِ واليَــدَيْنِ كــيِّسِ
يُعطي ويُعطي ثم يُعطي واليَمــينْ تُخْفي عن الشمالِ إنفاقَ الأمــينْ
جزاهُ عنَّا ذُو الجَزا خَيــرَ الجَــزَا على الذي من الوُعُــودِ أَنْجَــزَا
لا زالَ فَذًّا فــي المفــاخِرِ قَرِيــرْ عَينٍ في الأبنا منْ كبيرٍ وصَــغِيرْ
وبــاركَ اللهُ لــهُ فــي الكُــلِّ مِــنَ العِيــالِ وجميــعِ الأهْــلِ

شعر فضيلة الشيخ: أبو بكر بن محفوظ بن بَدّ

المبحث السابع

حصر ببليوجرافي بمؤلفات العبودي

الدكتور: أمين سليمان سيدو*

الشيخ العبودي أحد أبرز الرحالين المعاصرين العاملين في ميدان الدعوة الإسلامية؛ فقد قام برحلات كثيرة إلى عدد من بقاع الأرض في آسيا وإفريقية وأوروبا وأمريكا، وذلك بهدف الاطلاع على أحوال المسلمين في هذه الأماكن، والوقوف على أوضاعهم عن كثب.

وقد دوَّن الشيخ العبودي مشاهداته وانطباعاته عن هذه البلدان والأماكن التي زارها في كتب مستقلة، أو بحوث ومقالات نُشرت في دوريات علمية، بعد أن صاغها بأسلوب أدبي رفيع.

وهذه القائمة الببليوجرافية تحصر آثار الشيخ العبودي، سواء أكانت كتبًا مستقلة، أو بحوثًا منشورة في الدوريات العلمية؛ مثل: مجلة العرب، والمنهل، والدرعية، ومجلة الحج، ومجلة الرابطة الإسلامية، وغيرها.

ولوحظ من خلال بيانات النشر أن بعض الكتب التي ألَّفها قد طُبعت على نفقته الخاصة، باستثناء بعضها نُشرت عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر والتأليف في الرياض، أو عن نادي مكة الثقافي، أو رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، أو الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في الرياض، أو نادي الرياض الأدبي، أو نادي أبها الأدبي، أو نادي القصيم الأدبي، أو المؤسسة السعيدية في الرياض، أو دار خضر ودار الثقافة في بيروت.

(*) بكالوريوس في علم المكتبات والمعلومات من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- دكتوراه في علم المكتبات والمعلومات من جامعة قازخستان الوطنية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- يعمل الآن مدير تحرير مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. مجلة الدرعية – السنة الرابعة – العدد السادس عشر – شوال/ ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ ديسمبر ٢٠٠١م/ مارس ٢٠٠٢م.

الكتب: (البحوث المنشورة في كتب مستقلة)

أخبار أبي العيناء اليمامي - الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م - ١٥٠ص.

إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م - ١٨٠ص.

إلى أقصى الجنوب الأمريكي، رحلة في الأرجنتين وتشيلي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م - ١٩١ص (مطابع الفرزدق).

الأمثال العامية في نجد -ط١- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م - ٥مج.

بقية الحديث عن إفريقية -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، (د. ن.) - ٢١٥ص (مطابع الفرزدق).

بلاد التتار والبلغار - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ٢٣٢ص (دعوة الحق: ٨٨).

بلاد الداغستان، زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (مطابع الفرزدق).

بلاد الشركس، الاديغي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٢هـ، ١٩٩٩م - ١٥٤ص (مطابع التقنية).

بورما، الخبر والعيان -ط١- (د. م.): م. ن. العبودي، ١٤١١هـ، ١٩٩١م - ٢٩٥ص.

بين الأرغواي والبارغواي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م - ٢٢٣ص (مطابع الفرزدق).

تائه في تاهيتي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ١٢٦ص (مطابع التقنية).

الثقلاء -ط١- الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م - ٢٣٨ص (يحتوي على نصوص ثلاثة كتب مخطوطة من كتب التراث مع نصوص كثيرة من مراجع أخرى).

جمهورية أذربيجان -ط١- الرياض: م. ن. العبودي (د. ت.) - ١٦٥ص (مطابع الفرزدق).

جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي -ط١- الرياض: توزيع دار العلوم، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م - ٣٦٨ص (المطابع الأهلية للأوفست).

جولة في جزائر البحر الكاريبي: رحلات وبيان لأحوال المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م - ١٧٨ص.

جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ: مشاهدات وبيان لأحوال المسلمين - (د. م.): م. ن. العبودي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م - ٣٠٥ص.

حديث قيرغيرستان: دراسة ومشاهدات ميدانية -ط١- بيروت: دار خضر، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م - ١٧٢ص.

ذكريات من يوغسلافيا: رحلة ودراسات في شؤون المسلمين -ط١- مكة المكرمة: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ١٦٢ص.

رحلات في أمريكا الجنوبية بين الأورغواي والبارغواي -ط١- (د. م.) م. ن. العبودي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

رحلات في أمريكا الجنوبية (رغيانا وسورينام): مشاهدات وأحاديث -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٨ - ١٩٩٧م - ٢١٢ص.

رحلات في أمريكا الوسطى -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م - ٢٥٣ (المطابع الأهلية).

رحلات في جنوب روسيا: إقليما سمارة وأستراخان: مشاهدات وأحاديث -ط١- مكة المكرمة: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م - ١٨٧ص.

رحلة إلى جزر مالديف: إحدى عجائب الدنيا -ط١- الرياض: دار العلوم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م - ١٢٦ص.

رحلة إلى سيلان وحديث في أحوال المسلمين -ط١- الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م - ٢٦٨ص.

الرحلة الروسية: مشاهدات في جمهورية روسيا الاتحادية وأحاديث في شؤون المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ٢٨٥ص (مطابع الفرزدق).

زيارات للمسلمين في بلاد الروس والباشقرد -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م (في رأس العنوان: ذكريات من الاتحاد السوفيتي).

زيارة رسمية لتايوان -ط١- بيروت: دار خضر، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م - ١٥٩ص.
زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م - ١٩٥ص.
سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور: رحلة في مالي وحديث عن حاضرها الجديد -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ٢٧٠ص.
سوانح أدبية -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م - ٩٥ص (مطابع الفرزدق).
سياحة في كشمير وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م - ٢٤٢ص.
شهر في غرب إفريقية: مشاهدات وأحاديث عن المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م - ٤٣٨ص.
صلة الحديث عن إفريقية: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين -ط١- الرياض: دار العلوم، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م - ٤٤٠ص.
صور ثقيلة - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م - ١٥٩ص (مطابع الفرزدق).
العالم الإسلامي: واقع وتوقعات - الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م - (كتيب المجلة العربية، ٣٦).
العنوان داخل أسوار الصين: رحلة وحديث في شؤون المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م - ٢مج (مطابع الفرزدق).
العودة إلى الصين: مشاهدات وأحاديث في أحوال المسلمين - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ٣١٥ص (الرحلات الصينية).
على ضفاف الأمازون: رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م - ٩٥ص.
على قمم جبال الأنديز — مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
فطاني أو جنوب تايلند - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢١هـ.

في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م - ٧٧٩ص.

ط٢ - الرياض: دار العلوم، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م - ٧٧٩ص.

في أندونيسيا: أكبر بلاد المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ٢٧٤ص.

في بلاد المنسيين: بخارى وما وراء النهر -ط١- (د. م.): م. ن. العبودي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م - ٢٧٤ص.

في جنوب البرازيل - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢١هـ.

في جنوب الصين: حديث عن المسلمين في ماضيهم وحاضرهم - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ١٤٣ص (دعوة الحق، ٣٦).

في شرق البرازيل -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ١٨٤ص (الرحلات البرازيلية).

في شرق الهند: رحلة وحديث في أحوال المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م - ٢٢١ص (مطابع التقنية).

في غرب البرازيل - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م - ١١١ص (مطابع الفرزدق).

في غرب الهند: مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م - ١٨٦ص (دعوة الحق، ١٨٠).

في نيبال بلاد الجبال: رحلة وحديث في شؤون المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م - ١٤٨ص.

قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ١٦٢ص (الرحلات الكاريبية).

قصة سفر في نيجيريا -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م - ٢مج.

كنتُ في ألبانيا: رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ١٩٠ص (مطابع الفرزدق).

كنتُ في بلغاريا: رحلة وحديث عن أحوال المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ١٧٢ص (مطابع الفرزدق).

مأثورات شعبية -ط١- الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م - ٣٨٨ص.

مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض: نادي الرياض الأدبي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م - ٢٤٩ص.

مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز - الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م - ١٢٨ص (المكتبة السعودية، ٢٢).

المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٦هـ - ٢١١ص.

مشاهدات في بلاد العنصريين: رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - بُريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م - ٤٤٨ص.

معجم بلاد القصيم -ط٢- بريدة: م. ن. العبودي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م - ٦مج (سبق نشر الكتاب بعنوان: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم).

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم - الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ، ١٩٧٩م - ١٩٨٠م - ٦مج.

مع المسلمين البولنديين: رحلة وحديث عن الإسلام - (د. م.): م. ن. العبودي، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م - ٣٠٠ص.

مقال في بلاد البنغال -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م - ١١١ص (مطابع الفرزدق).

المقامات الصحراوية: رواية أبي ناصر النجدي أبي زيد الخيالي -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م - ٩٠ص (مطابع التقنية).

من أنقولا إلى الرأس الأخضر: رحلة وحديث عن الإسلام -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

من بلاد القرنتشاي إلى بلاد القبرداي - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م (الرحلات القوقازية).

من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري: رحلة وحديث في أمور المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م - ٣٠٩ص (مطابع الفرزدق).

مواطن إسلامية ضائعة -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م - ٢٢٤ص (رحلات الشمال).

نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية وخاصة -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م - ٢٠٩ص.

نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض، أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في الهادئ -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م - ٢٧٧ص (مطابع التقنية).

نظرة في العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م - ٤٦ص (مطابع التقنية).

نظرة في وسط إفريقية: رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١١هـ، ١٩٩١م - ١٥٤ص (مطابع الفرزدق).

نظرة من شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد سقوط الشيوعية -ط١- الرياض: م. ن. العبودي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

نفحات من السكينة القرآنية، تصحيح عبد الرحمن حسن محمود، تقديم عبد الله بن محمد بن حميد - الرياض: المؤسسة السعيدية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م - ٢٠٧ص.

ط٣ - الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م - ٢٠٧ص.

المقالات (البحوث المنشورة في الدوريات)

إبان: تحديد موقعها ودراسة ما ورد فيها من الشعر - العرب - س١٠، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٥هـ، كانون الأول - كانون الثاني ١٩٧٥م) - ص٣٩١-٤١٢.

أثال: تحديده وما ورد فيه - العرب - س١٠، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٣٩٦هـ، كانون الثاني - شباط ١٩٧٦م) - ص٤٨٣-٤٩١.

الأسياح: النباج قديماً - العرب - س٩، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٣٩٥هـ، شباط ١٩٧٥م) - ص٥٣١-٥٥١.

الإكوادور: وسط العالم - المنهل - مج٥٢، ع٤٨٥ (جمادى الآخرة ١٤١١هـ، ديسمبر ١٩٩٠م، ١٩٩١م) - ص٣٤-٤٩.

الأمثال العامية في نجد - العرب - س٢، ع١ (رجب ١٣٨٧هـ، تشرين الأول ١٩٦٧م) - ص١٨-٢٧، ٥٠.

س٢، ع٦ (ذو الحجة ١٣٨٧هـ، آذار ١٩٦٨م) - ص٥١٦-٥٣٣.

س٣، ع٢ (شعبان ١٣٨٨هـ، تشرين الثاني ١٩٦٨م) - ص١٠٥ - ١١٧.

س٣، ع٤ (شوال ١٣٨٨هـ، كانون الثاني ١٩٦٨م) - ص٢٩٣-٣٠٢.

س٣، ع٥ (ذو القعدة ١٣٨٨هـ، شباط ١٩٦٩م) - ص٤١٠-٤٢٤.

س٣، ع٧ (المحرم ١٣٨٩هـ، نيسان ١٩٦٩م) - ص٦١٩-٦٢٧.

س٣، ع٨ (ربيع الأول ١٣٨٩هـ، أيار ١٩٦٩م) - ص٦٧٧-٦٨٤.

س٣، ع٩ (ربيع الأول ١٣٨٩هـ، حزيران ١٩٦٩م) - ص٨٤٥-٨٥١.

س٣، ع١٠ (ربيع الآخر ١٣٨٩هـ، تموز ١٩٦٩م) - ص٩١٥-٩٢٥.

س٣، ع١٢ (جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ، أيلول ١٩٦٩م) - ص١٠٩٥-١١٠٤.

س٤، ع١ (رجب ١٣٨٩هـ، تشرين الأول ١٩٦٩م) - ص٥١-٥٥.

س٤، ع٢ (شعبان ١٣٨٩هـ، تشرين الثاني ١٩٦٩م) - ص١٥٥ - ١٦٠.

س١٥، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٠هـ، تشرين الأول ١٩٨٠م) - ص٤٤٢-٤٥٤.

الأمثال وتطورها - العرب - س٨، ع٩، ١٠ (الربيعان ١٣٩٤هـ، نيسان ١٩٦٤م) ص٧٠٠-٧٠٥.

الأمن في المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر - مجلة الحج - س٥٤، ج٣-٥ (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م) - ص٥٠-٥١.

أضاخ: ما هو تاريخها - العرب - س١٣، ع٧-٨ (المحرم - صفر ١٣٩٩هـ، كانون الأول ١٩٧٩م) - ص٦٢٧-٦٤٠.

أيام في النيجر - الرابطة الإسلامية - س٣، ٤، ع٣٨٠ (جمادى الأولى ١٤١٧هـ، أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٦م) - ص١٧-٢١.

بريدة: قاعدة بلاد القصيم - العرب - س١٤، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٩هـ، تشرين الثاني ١٩٧٩م) - ص٣٢٩-٣٦٢.

العرب - س١٤، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٤٠٠هـ، كانون الأول - كانون الثاني ١٩٨٠م) - ص٥٠٢-٥٢١.

العرب - س١٤، ع٩، ١٠ (الربيعان ١٤٠٠هـ، شباط ١٩٨٠م) - ص٦٦٥-٦٨٧.

العرب - س١٤، ع١١، ١٢ (الجماديان ١٤٠٠هـ، نيسان ١٩٨٠م) - ص٨٢٧-٨٣٩.

بلاد الداغستان - الرابطة الإسلامية - س٤٣، ع٣٧٥، يونيه ١٩٩٧م) - ص٢١-٢٤.

بلاد القصيم - العرب - س١٣، ع٣، ٤ (رمضان - شوال ١٣٩٨هـ، تشرين الأول ١٩٧٨م) - ص١٦١-٢١٣.

بلاد قديمة العمارة في القصيم: الفوارة - المنهل - مج٤١ (ربيع الآخر ١٤٠٠هـ، إبريل - مايو ١٩٨٠م) - ص٢٧٣-٢٨٠.

جمهورية أذربيجان - الرابطة الإسلامية - س٣، ع٣٦٩ (ديسمبر ١٩٩٥م) - ص١٧-٢٠.

الحق العربي والإسلامي في مدينة القدس وفق وثائق التاريخ وقرارات الأمم المتحدة - مجلة الحج - س٥٦، ج١، ٢، ٣(رجب - شعبان ١٤٢١هـ، أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٠م)ص٥٠-٥٣.

الربذة أيضًا - العرب - س١١، ع٣-٤ (رمضان - شوال ١٣٩٦هـ، تشرين الأول ١٩٨٦م) - ص١٦١-١٦٧.

الربذة ليست الحناكية - العرب - س١٣، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٨هـ، كانون الأول - كانون الثاني ١٩٧٨م) - ص٣٩٠-٤٠٣.

الرحلة إلى بلدان المسلمين ومعايشتهم لمعرفة أوضاعهم - مجلة الحج - س٥٥، ج١١، ١٢ (جمادى الأولى ١٤٢١هـ، أغسطس - سبتمبر ٢٠٠٠م) - ص١٠-٢٠.

رحلة في منغوليا الداخلية - المنهل - س٥٦، ع٤٧٦ (جمادى الأولى ١٤١٠هـ، ديسمبر ١٩٨٩م) - ص٤٦-٦٣.

المنهل - س٥٦، ع٤٧٧ (جمادى الأولى ١٤١٠هـ، يناير ١٩٩٠م) - ص٤٢-٥٩.

المنهل - س٥٦، ع٤٧٩ (١٤١٠هـ، مارس ١٩٩٠م) - ٤٤-٦٢.

رحلة وحديث في أمور المسلمين من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري - الرابطة الإسلامية - س٤٣، ع٣٨٤ (مارس - إبريل ١٩٩٧م) ١٧-٢٠.

زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - الرابطة الإسلامية - س٤٣، ع٣٨٥ (مارس-إبريل ١٩٩٧م) ص٢٥-٢٧.

ساق وسويقة - العرب - س١١، ع٩-١٠ (الربيعان ١٣٩٧هـ، آذار ١٩٧٧م) - ص٦٥٠-٦٦١.

سويقة في الحمى - العرب - س١٥، ع٣، ٤ (رمضان - شوال ١٤٠٠هـ، تموز ١٩٨٠م) - ص٢٥٧-٢٦١.

الشقة ليست الشقوق - العرب - س١٤، ع٣، ٤ (رمضان - شوال ١٣٩٩هـ، آب ١٩٧٩م) - ص١٨٧-١٩٤.

الشيحة والشيحية - العرب - س١٤، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٩هـ، تشرين الأول - تشرين الثاني ١٩٧٩م) - ص٣٨٩-٣٩٨.

ضارج: ضاري - العرب - س١٠، ع٩، ١٠ (ربيع الأول - ربيع الآخر، آذار - نيسان ١٩٧٦م) - ص٦٤١-٦٥٨.

الضلفعة: إحدى قرى القصيم - العرب . س١٥، ع٧-٨ (المحرم - صفر ١٤٠١هـ) - ص٦٠٦-٦١٥.

العرب في مدغشقر - العرب - س١٦، ع١، ٢ (رجب - شعبان ١٤٠١هـ) ص٧٧-٩٢.

عصران مدينة عنيزة - العرب - س٩، ع١١، ١٢ (الجماديان ١٣٩٥هـ، حزيران - تشرين الأول ١٩٧٥م) - ص٨٤٨-٨٥٢.

عنيزة في النصوص القديمة - العرب - س٩، ع٩، ١٠ (الربيعان ١٣٩٥هـ، نيسان ١٩٧٥م). - ص٦٩١-٧٠٩.

القرعاء: إحدى قرى القصيم - العرب - س١٥، ع٩، ١٠ (الربيعان ١٤٠١هـ) - ص٦٧٠-٦٨٨.

القريتان: القرية والعيارية - العرب - س١٥، ع١١، ١٢ (الجماديان ١٤٠١هـ، آذار ١٩٨١م) - ص٨٦٠-٨٨٣.

القضاء بين الماضي والحاضر: مشاهدات وانطباعات - الدرعية - س١، ع٣، ٤ (رجب - شوال ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) - ص٥٠٩-٥١٩.

الكناية والمجاز في لغتنا الدارجة - الدرعية - س٣، ع١١، ١٢ (رجب - شوال ١٤٢١هـ، كانون الأول ٢٠٠٠م، يناير ٢٠٠١م) - ص٢٣٤-٢٨٦.

كنتُ في ألبانيا أو أيام في ألبانيا: إلى مدينة إلبسان - الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣٤ (تشرين الثاني ١٩٩٢م) - ص١٤-١٨.

الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣٠ (١٩٩٢م) - ص١٠-١١.

الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣١ (١٩٩٢م) - ص١٠-١٣.

الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣٢ (أيلول ١٩٩٢م) - ص٧-١٠.

الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣٣ (تشرين الأول ١٩٩٢م) - ص٦-٩.

الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٣٥ (١٩٩٢م) - ص١٦-١٨.

كنتُ في بلغاريا - الرابطة الإسلامية - س١٣، ع٣٤٧ (جمادى الأولى ١٤١٤هـ، تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٩٣م) - ص٨-١٠.

كنتُ في بورما - المنهل - مج٥٢، ع٤٨٦ (رجب - شعبان ١٤١١هـ)، يناير - فبراير ١٩٩١م) - ص٣٦-٤١.

المنهل - مج٥٢، ع٤٨٧ (رمضان - شوال ١٤١١هـ - إبريل ١٩٩١م) - ص٣٤-٤١.

المنهل - مج٥٢، ع٤٨٨ (يونيو ١٩٩١م) - ص٥٠-٥٧.

لهجة أهل القصيم - العرب - س١٣، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٨هـ، كانون الأول - كانون الثاني ١٩٧٨م) - ص٣٣٧-٣٥١.

ليما عاصمة بيرو - المنهل - س٥٧، ع٤٨٢ (أغسطس ١٩٩٠م) - ص٣٨-٤٨.

المنهل - س٥٧، ع٤٨٣ (صفر ١٤١١هـ، أغسطس - سبتمبر ١٩٩٠م) - ص٣٨-٤٨.

ماوان والماوية - العرب - س١٦، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٠هـ، تشرين الأول ١٩٨١م) - ص٣٩٢-٤٠٢.

مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض: نادي الرياض الأدبي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م - ٢٤٩ص (الإصدارات السنوية، ٥).

مدينة عنيزة - العرب - س١٥، ع١، ٢ (رجب - شعبان ١٤٠٠هـ، أيار ١٩٨٠م) - ص١١-٤١.

س١٥، ع٣، ٤ (رمضان - شوال ١٤٠٠هـ، تموز ١٩٨٠م) - ص١٨٣-١٩٤.

العرب - س١٥، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٠هـ، تشرين الأول ١٩٨٠م). ص٣٥٧-٣٩٤).

العرب - س١٥، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٣٠١هـ، تشرين الأول ١٩٨٠م) - ص٥٣٢-٥٤٨.

المسلمون داخل أسوار جنوب الصين - الرابطة الإسلامية - س٤٣، ع٣٧٦ (يوليه - أغسطس ١٩٩٦م) - ص١٧-١٩.

مشاهدات في جمهورية السلفادور - المنهل - مج٥٨، ع٥٣٢ (مايو - يونيه ١٩٩٦م) - ص١٠٢-١١٧.

المنهل - مج٥٨، ع٥٣٣ (صفر ١٤١٦هـ، يونيو - يوليو ١٩٩٦م) - ص١٣٢-١٤١.

المنهل - مج٥٨، ع٥٣٤ (الربيعان ١٤١٦هـ، أغسطس ١٩٩٦م) - ص١١٢-١٢١.

المنهل - مج٥٨، ع٥٣٥ (جمادى الآخرة ١٤١٧هـ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٦م) - ص١٠٦-١١٥.

مشاهدات في سورينام - المنهل - س٦٤، ع٥٤٩ (١٩٩٨م) - ص٧٢-٧٥.

المنهل - س٦٤، ع٥٥٠ (صفر ١٤١٩هـ، يونيو ١٩٩٨م) - ص٩٤-١٠١.

المنهل - س٦٤، ع٥٥١ (يوليو - أغسطس ١٩٩٨م) - ص٨٨-٩٥.

مشاهدات في فيتنام - المنهل - مج٥٩، ع٥٤٠ (١٩٩٧م) - ص٩٢-١٠٧.
المنهل - مج٥٩، ع٥٤١ (١٩٩٧م) - ص٩٢-١٠٥.
المنهل - مج٥٩، ع٥٤٢ (يوليو - أغسطس ١٩٩٧م) - ص١٠٤-١١٧.
المنهل - مج٥٩، ع٥٤٣ (سبتمبر ١٩٩٧م) - ص٩٤-١٠٧.
المنهل - مج٥٩، ع٥٤٤ (جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٧م) - ص٩٢-١٠٤.

منازل القبائل العربية القديمة في منطقة القصيم - العرب - س١٣، ع٩-١٠ (الربيعان ١٣٩٩هـ، آذار ١٩٧٩م) - ص٦٤٨-٦٦٤.

من جبال القصيم: جبل خزاز - العرب - س١٣، ع١، ٢ (رجب - شعبان ١٣٩٨هـ، تموز ١٩٧٨م) - ص٣٦-٤٧.

من جبال القصيم: **جبل طمية** - العرب - س١٢، ع٩، ١٠ (الربيعان ١٩٧٨م) - ص٧٣٧-٧٤٦.

من جبال القصيم: **جبل قطن** - العرب - س١٥، ع٥، ٦ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٠هـ، تشرين الأول ١٩٨٠م) - ص٤٢٣-٤٣٦.

من جبال القصيم: **طخفة الجبل المشهور** - العرب - س١٥، ع١، ٢ (رجب - شعبان ١٤٠٠هـ، أيار ١٩٨٠م) - ص١٦٦-١٦٨.

من جبال القصيم: **القنان الموشم** - العرب س١٢، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٣٩٨هـ، كانون الثاني ١٩٧٨م) - ص٤٨٥-٤٩٦.

من ظرفاء اليمامة: **أبو العيناء** - العرب - س١٢، ع٣، ٤ (رمضان - شوال ١٣٩٧هـ، تشرين الأول ١٩٧٧م) - ص٢٨٢-٣٠٣.

مواضع تاريخية في بلاد القصيم: **الرس والرسيس** - العرب - س١٤، ع١، ٢ (رجب - شعبان ١٣٩٩هـ، حزيران - تموز ١٩٧٩م) - ص٥-٢٩.

مواضع تاريخية في منطقة القصيم - العرب - س١٠، ع٩، ١٠ (ربيع الأول - ربيع الآخر، آذار - نيسان ١٩٧٦م) - ٦٩٧-٧١٤.

النخل في القصيم - **العرب** - س١٣، ع٧، ٨ (المحرم - صفر ١٣٩٩هـ، كانون الثاني ١٩٧٩م) - ص٥١٦-٥٣٠.

نظرة في وسط إفريقية: رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين - الرابطة الإسلامية - س٣، ع٤ (سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٦م) - ص٢١-٢٤.

وادي الرمة - العرب - س٧، ع١ (رجب ١٣٩٢هـ، آب ١٩٧٢م) - ص٢٠-٢٧.

العرب - س٦، ع١١ (جمادى الأولى ١٣٩٢هـ، تموز ١٩٦٢م) - ص٨٣٣-٨٤٠.

العرب - س٧، ع٤ (شوال ١٣٩٢هـ، تشرين الثاني ١٩٧٢م) - ص٢٥٢-٢٦٣.

يوغسلافيا في ذاكرة الماضي - المنهل - مج٥٥، ع٥٠٦ (المحرم ١٩٩٣م) - ص٦٠-٧٣.

المنهل - مج٥٥، ع٥٠٧ (أغسطس ١٩٩٣م) - ص٦٠-٧٤.

المنهل - مج٥٥، ع٥٠٩ (أكتوبر ١٩٩٣م) - ص٦٠-٧٠.

المنهل - مج٥٥، ع٥١٠ (نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٣م) - ص٦٠-٦٩.

المنهل - مج٥٥، ع٥١١ (يناير ١٩٩٤م) - ص١٠٨-١١٥.

المنهل - مج٥٥، ع٥١٢ (فبراير ١٩٩٤م) - ص١١٣-١٢٣.

حوارات (حوارات أجْرِيَتْ معه)

الأديب الرحالة العبودي في رحلة البلدان الشمالية: في موسكو مليون مسلم - حوار محمد الأسعد - الرابطة الإسلامية - س٣٥، ع٣٣٨ (صفر ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م) - ص٩-١٥.

الشيخ العبودي الذي تفوّق على ابن بطوطة في رحلاته وكتاباته - حوار سعاد عامر - المسافر - س٦، ع٦٨ (شعبان ١٤٢١هـ، نوفمبر ٢٠٠٠م) - ص١٨-٢١.

وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة الشيخ العبودي يتفقد أوضاع المسلمين في كوبا - حوار محمد الأسعد - الرابطة - س٣٨، ع٤٢٤ (٢٠٠٠م) ص٢٠-٢٣.

* * *

الملاحق والمصادر والمراجع

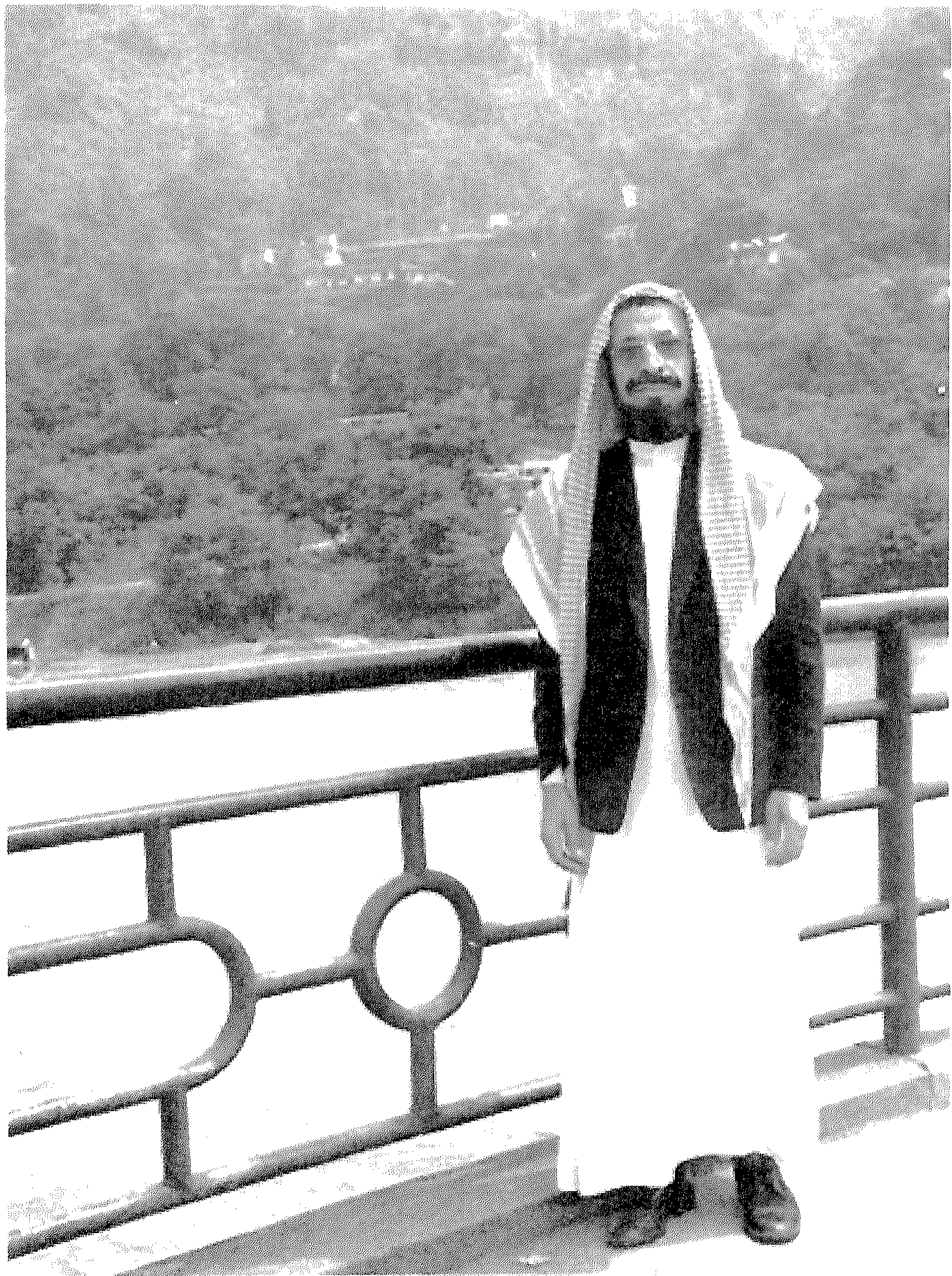
أولاً : ملاحق الصور.

ثانياً: ملاحق الوثائق.

ثالثاً: المصادر والمراجع.

أولاً : ملاحق الصور





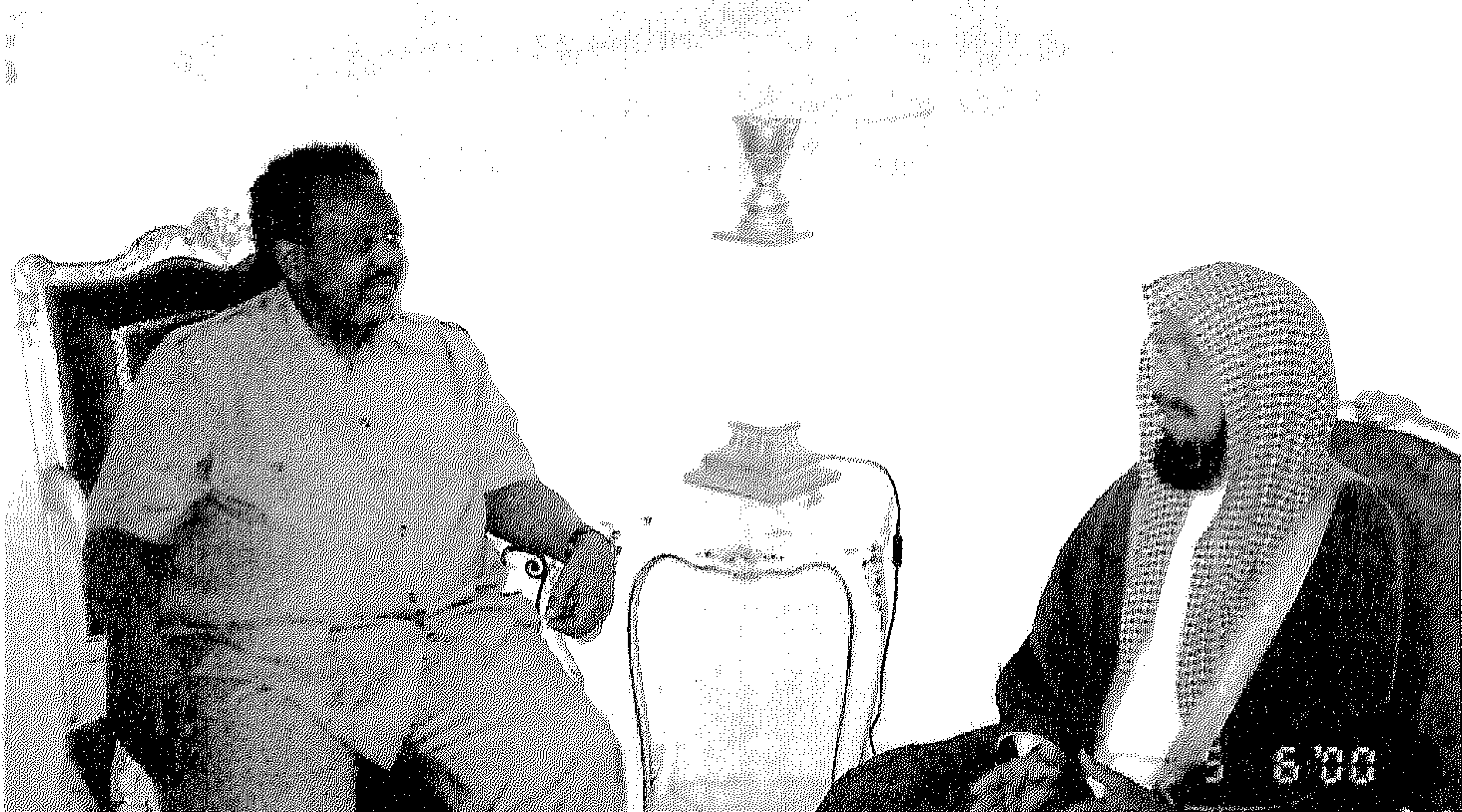
قرب أقدم سد في العالم في وسط الصين



في شمال روسيا



صورة للشيخ داخل المركز الإسلامي بتلبرغ في هولندا



الشيخ محمد العبودي يتحدث

إلى رئيس جمهورية جيبوتي إسماعيل جيلي

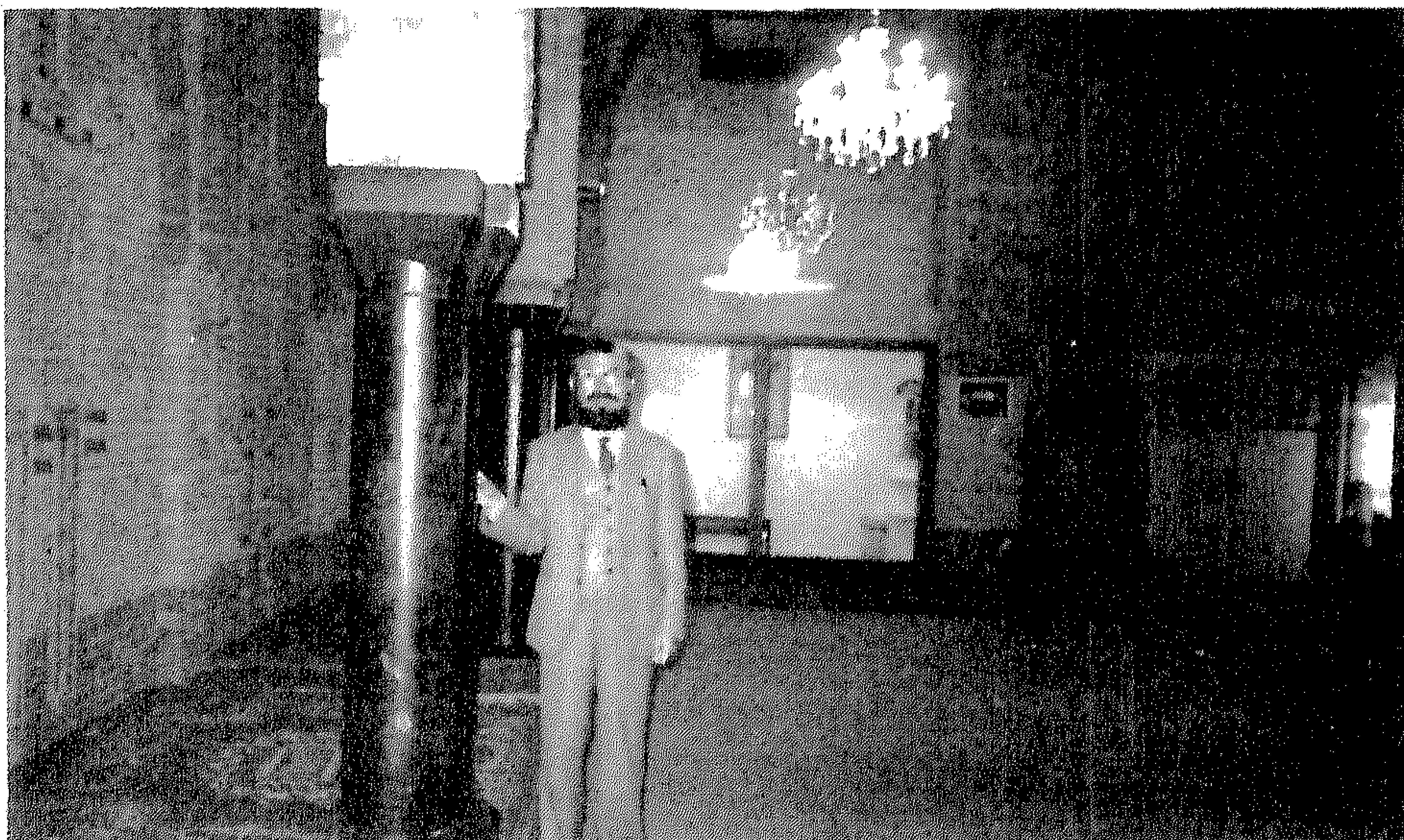


الشيخ العبودي مع المرحوم عبد الله الأهدل

حيث يلقي العبودي محاضرة على أئمة المساجد في بلجيكا



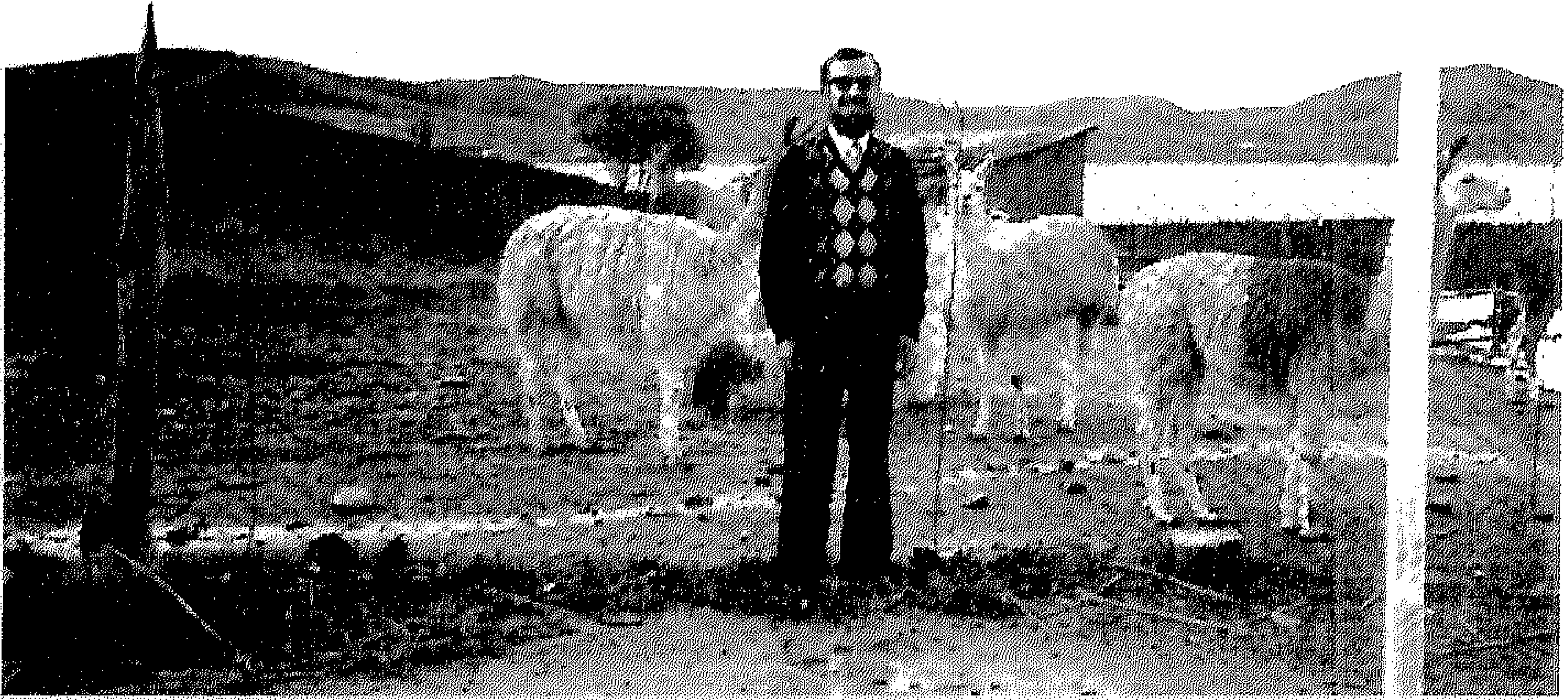
العبودي في مكتبته في أول عام ١٤٠٢هـ



في مسجد النصر في هولندا



خلال المؤتمر في المعهد السلفي في بلدة ريشا في الهند



فوق جبال الأنديز في بوليفيا - أمريكا الجنوبية وبجانبه حيوان اللاما



الواقف مع الدكتور أحمد نظيري عدلاني

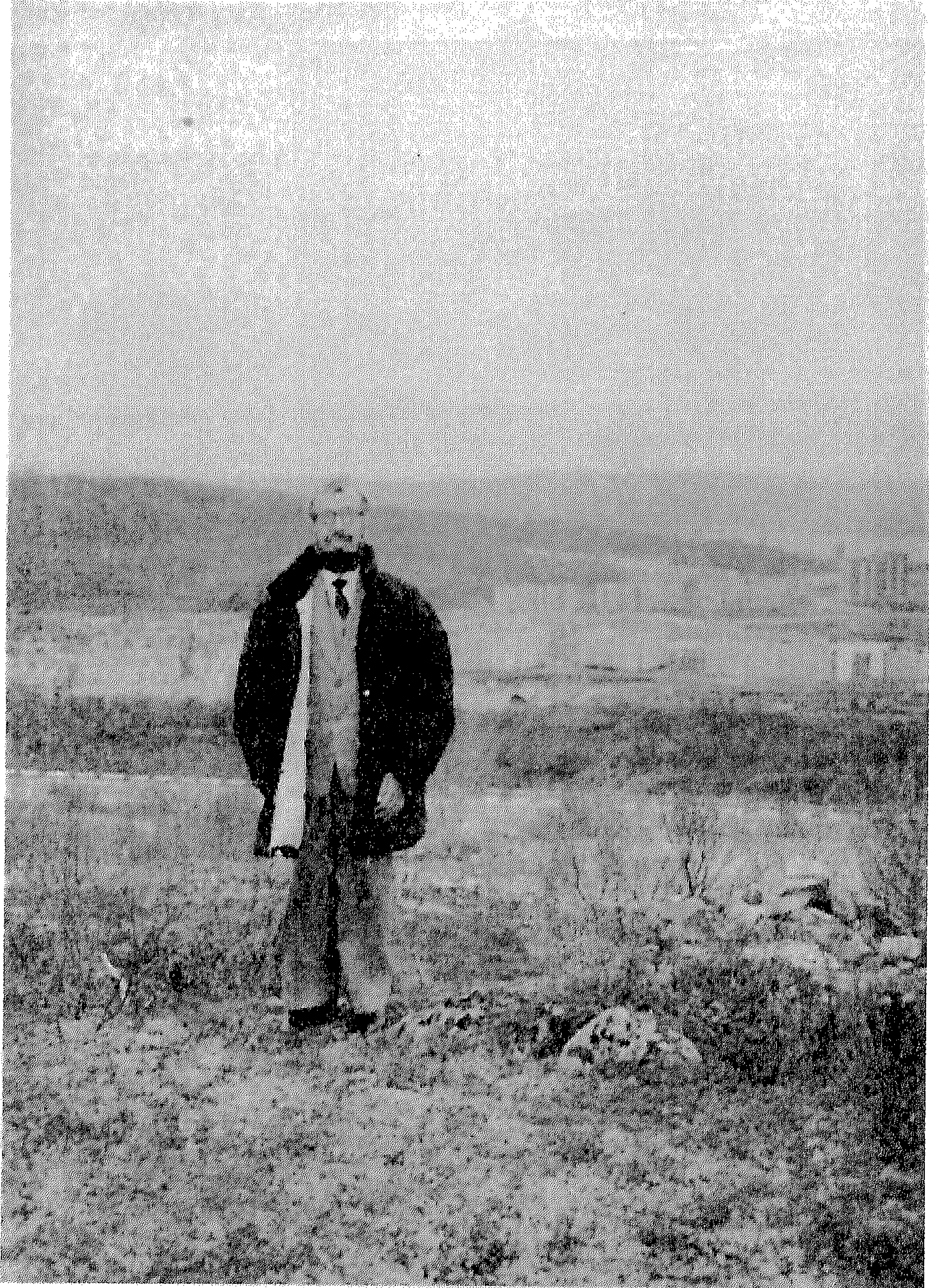
مدير الجامعة الإسلامية الحكومية في إندونيسيا عند الدخول في الجامعة



العبودي في كمبوديا في أحد ميادين العاصمة بنومبنا

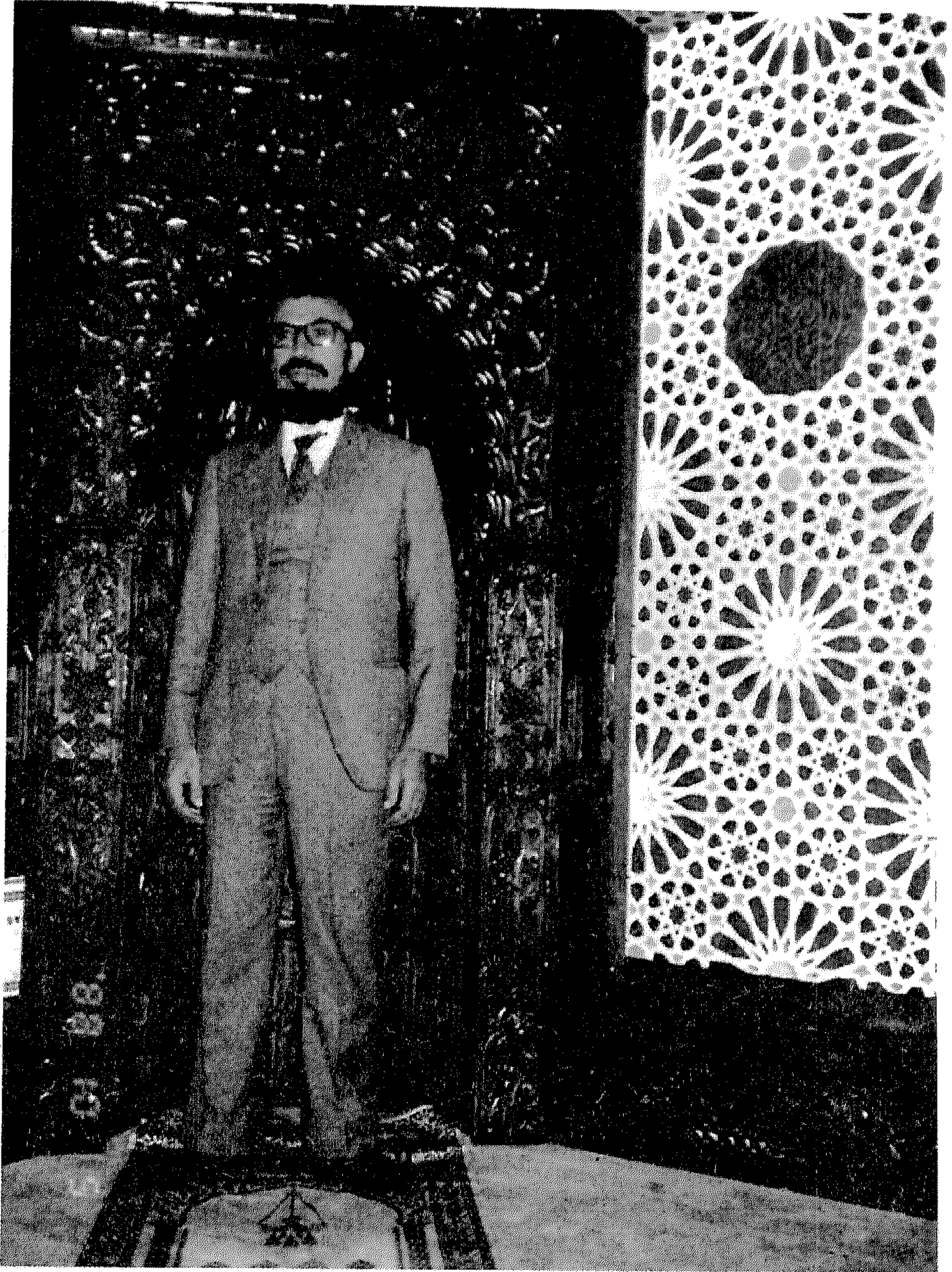


على مائدة المسلمين في المسجد الكبير في سي شوان في الصين



محمد بن ناصر العبودي في الدائرة القطبية الشمالية

قرب مدينة مورمانسكي الروسية



فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي في مسجد المطار في بروكسل



السنة الثالثة عشرة — العدد ٤٢٤٢ — الخميس ٥ محرم ١٣٩٣ هـ — ٨ صفحات —

جريدة يومية تصدر بمدينة جدة عن مؤسسة البلاد للصحافة والنشر

رسالة من جلالة الملك
الى الملك الحسن والرئيسين التونسي والجزائري
يحملها اليهم معالي السيد السقاف لدى زيارته لدول المغرب العربي

جدة — وكالة الأنباء السعودية :

من المقرر أن يقوم معالي السيد عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية بزيارات رسمية لتونس والجزائر والمغرب تلبية لدعوات رسمية من أصحاب المعالي وزراء خارجية هذه الدول وعلمت وكالة الأنباء السعودية بأن معالي السيد عمر السقاف سيحمل خلال زيارته هذه رسائل من صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم الى جلالة الملك الحسن عاهل المغرب وفخامة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة وفخامة الرئيس الجزائري هواري بومدين.

هذا وسيبدأ معاليه زيارته الرسمية التي تستغرق تسعة أيام اعتبارا من يوم الثلاثاء الثامن من شهر صفر الموافق الثالث عشر من شهر مارس.

سمو وزير المالية والاقتصاد الوطني يتفقد مشروع مركز المؤتمرات الدولية في مكة المكرمة

جلالة الملك فيصل مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ العبودي

أثناء زيارة الملك للجامعة في ١٤ محرم ١٣٩٣هـ



الشيخ العبودي في الثلاثينيات من عمره



الشيخ العبودي في الخمسينيات من عمره



الشيخ العبودي خلال تكريمه في إثنينية عبد المقصود خوجه



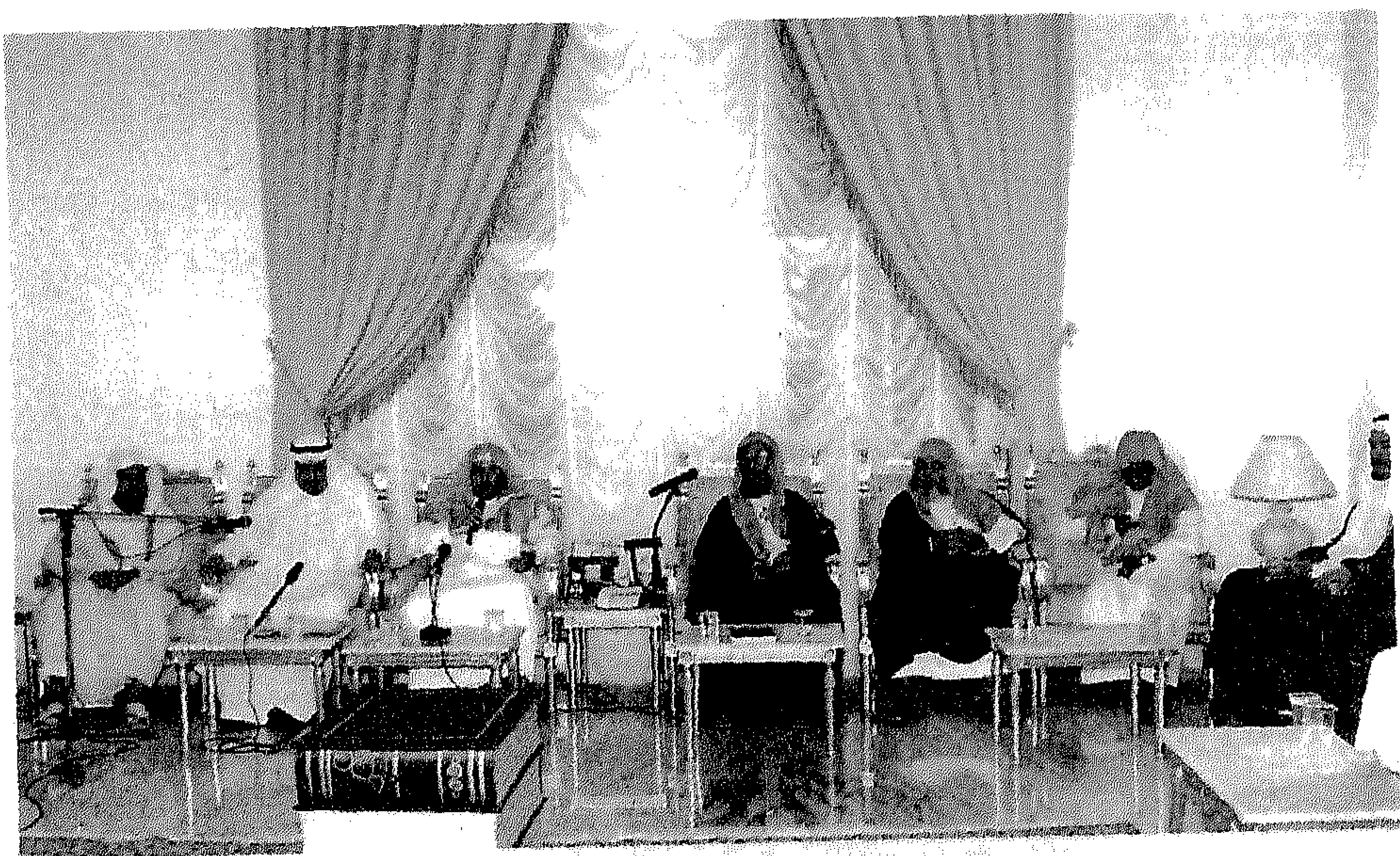
الشيخ العبودي مع بغدادي في إثنينية عبد المقصود خوجه



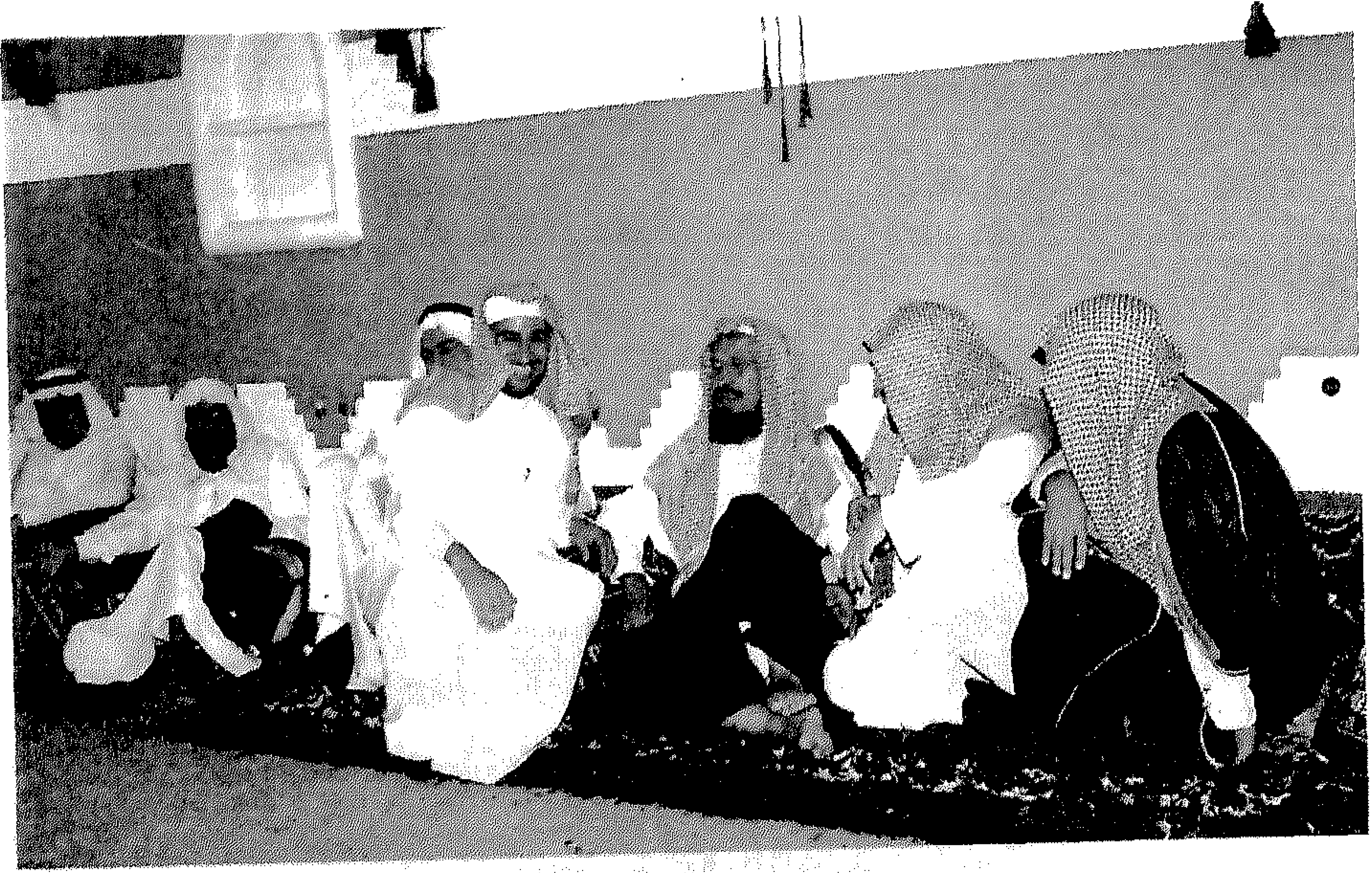
الشيخ العبودي في إثنينية عبد المقصود خوجه



الشيخ العبودي خلال تسلمه درع الثلوثية من صاحبها محمد المشوح



الشيخ محمد العبودي والشيخ عبد العزيز المسند والدكتور حسن الهويمل والدكتور عبد الرحمن المشيقح والدكتور عمر العمري والشيخ عبد الرافع قارى



الشيخ العبودي والمضيف وبعض ضيوف ثلوثية المشوح



الشيخ العبودي والشيخ فهد الرشودي والدكتور عبد العزيز الرشودي والدكتور عبد الرحمن المشيقح والدكتور محمد الدبل والأستاذ محمد المعارك



الشيخ محمد العبودي والشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

وبعض ضيوف الثلوثية



الشيخ محمد العبودي في ثلوثية المشوح



الأستاذ حمد القاضي والأستاذ عبد الله الحقيل

في ثلوثية المشوح خلال تكريم الشيخ العبودي



العلامة العبودي مكرمًا من

رئيس النادي الأدبي بالقصيم الدكتور حسن بن فهد الهويمل

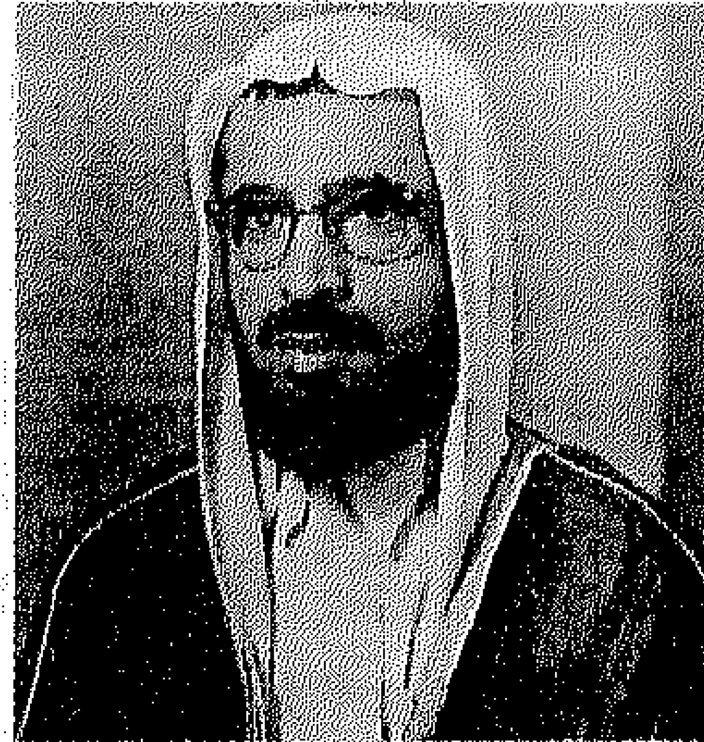


العلامة العبودي خلال محاضرته في النادي الأدبي بالقصيم

نشرة تذكارية

بمناسبة افتتاح مسجد مارنفا

بتأريخ : ١٥ - ١٠ - ١٩٨٩م



والذي بنته الجمعية الخيرية الاسلامية

في مارنفا

واسمته : «جامع الشيخ محمد بن ناصر العبودي»

النشرة التذكارية

ثانيًا: ملاحق الوثائق

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم [illegible]
التاريخ ٢٣/١/١٤٠٨هـ
المرفقات

الموضوع

شخصي خاص يسلم بيد فضيلته

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودى وفقه الله لكل خير

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : -

فقد بلغني يا محب انكم ترغبون في الاحالة على التقاعد وترك الاعمال الرسمية ومحبكم لا يشير عليكم بذلك بل يجب لكم أن تبقوا في ميدان العمل الاسلامي لما لفضيلتكم من خبرة كبيرة وطويلة في هذا المجال مع مسيس الحاجة الى وجود أمثالكم ولا سيما في هذا العصر الذى كثر فيه دعاة الباطل وقل فيه دعاة الحق والمعينين عليه .

ولكون الأمر يهمني فاني أرجو من فضيلتكم الافادة عن الحقيقة ، وعن أسباب ذلك حتى أتعاون معكم ان شاء الله في تحقيق ما ترغبون فيه حسب الامكان .

وأسأل الله أن يقدر الأصلح للجميع وأن يجعلنا واياكم من المتعاونين على البر والتقوى ومن دعاة الهدى وأنصار الحق انه سميع قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته 

خطاب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله إلى الشيخ العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعية الجغرافية السعودية

Saudi Geographical Society



عضوية شرف

أوصى مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية منح الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي

عضوية الشرف في الجمعية الجغرافية السعودية، ويتطلع المجلس إلى استمرار دعمكم لهذه

الهيئة العلمية التي تهدف إلى تنمية الفكر الجغرافي وتوثيق الصلة بين الجغرافيين ونشر

المعارف والبحوث التي تتعلق باهتمامات الجمعية خاصة جغرافية المملكة العربية السعودية.

رئيس مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية

....

مطابع جامعة الملك سعود

عضوية الشيخ العبودي في الجمعية الجغرافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء
ادارة الشئون المالية
والانظمة والمشاريع

الرقم
التاريخ
التوابع

الموضوع: الموافقة على ترقية الشيخ محمد ناصر العبودي
الى المرتبة الخامسة عشرة

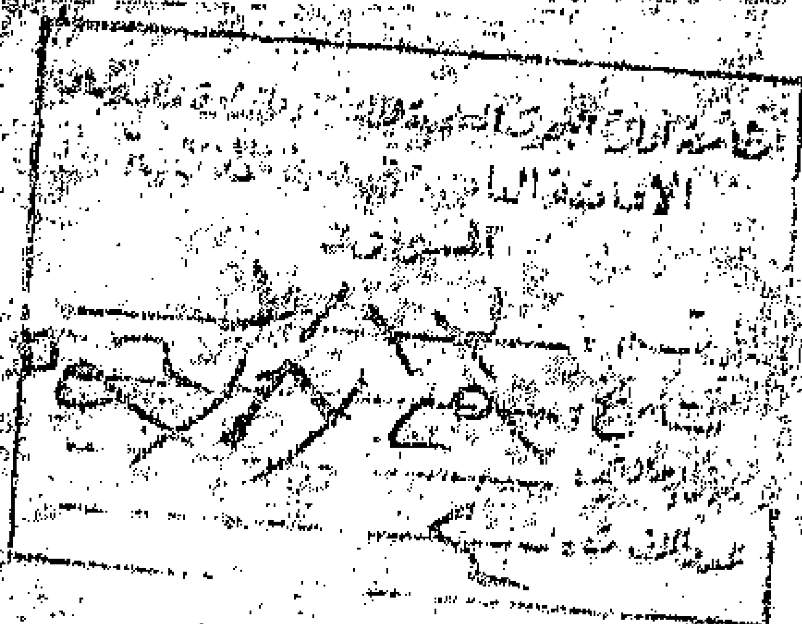
صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران ورئيس الهيئة العليا للدعوة الاسلامية حفظه الله
بعد التحية، ابعث لسموكم طيه صورة من قرار مجلس الوزراء رقم ١٢٩٠ وتاريخ ٢/٨/١٣٩٦هـ
المتخذ بترقية الشيخ محمد بن ناصر العبودي الى المرتبة الخامسة عشرة على وظيفة الامين العام
للدعوة الاسلامية وامين الهيئة العليا.
وحيث وافق جلالة مولاي على ذلك. ارجو التكرم بإكمال ما يلزم بموجبه. وتقبلوا تحياتي...

رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء

محمد العبد الله النويصر

ص م

صورة مع نسخة مع القرار لوزارة المالية والاقتصاد الوطني.
" " " لديوان الموظفين العام.
" " " لديوان المراقبة العامة.
" " " للامانة العامة لمجلس الوزراء.



ترقية الشيخ العبودي إلى المرتبة الخامسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقال الشيخ محمد العبودي في رثاء

الوجيه الكبير الشيخ فهد بن علي الرشودي عام١٣٦٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ العزيز الأستاذ محمد العبودي المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أرجو أن تكونوا
بأتم الصحة والسرور .
أخي : يؤسفني تأخر الكتب التي أرسلتها بسبب
عدم وصول كتابك لي وقد علمت أن الرسائل
[illegible] رجاء أن تصل سريعة [illegible]
من البريد [illegible]
[illegible] ولم يرد [illegible]
[illegible] هذه [illegible]
[illegible] ماذا [illegible] والجهول والفرقة [illegible] ؟
[illegible]
[illegible] يا أخي [illegible]
الدول واحدة والثقافة واحدة والثقافات [illegible]
[illegible] الثقافة اليوم [illegible]
[illegible]
[illegible] وتعليم الإنكليزية بالإجبار) [illegible]
[illegible] ولكنها لم تصل بعد
ويؤسفني أن [illegible] هذه الكتب [illegible]
[illegible]
أربعة عشر [illegible]

[illegible] هل [illegible] ؟ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذه الكتب [illegible]
[illegible]
أخي : ليس عندنا من الأخبار [illegible]
[illegible]
هذا وبلغ سلامي الوالد وأرجو [illegible]
وعلى [illegible] وسالم وعبد الله [illegible]
والإخوان وجميع الأساتذة [illegible]
ومن لدينا عبد العزيز وعبد الرحمن ومحمد وجميع
الزملاء [illegible] ودمتم [illegible]

المحب
عبد العزيز بن مسند
مكة المكرمة كلية الشريعة

رسالة من الشيخ عبد العزيز المسند إلى الشيخ محمد العبودي عام ١٣٧١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة الحرس الوطني
المهرجان الوطني للتراث والثقافة

INGDOM OF SAUDI ARABIA
ITIONAL GUARD HEADQUARTERS
ERITAGE AND FOLK CULTURE FESTIVAL

الرقم ٢٣/٣/١ التاريخ ٦/١٠/١٤٢٤ الموضوع ......

معالي الأستاذ/ محمد بن ناصر العبودي يحفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكون في أتم نعمة من الصحة والسعادة . وإنكم تعلمون بلا ريب أن الحرس الوطني ينظم سنوياً المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية بالرياض، وهو تجمع تراثي وثقافي يدعو إليه الحرس الوطني عدداً كبيراً من الأدباء والمفكرين من شتى أنحاء العالم، وتقام في إطار نشاطاته الثقافية عدد من الندوات الفكرية والأدبية، والأمسيات القصصية والشعرية، إضافة إلى العروض التراثية والشعبية.

وفي كل عام يتم ترشيح أحد الأدباء الرواد في المملكة في مجال الفكر والإبداع لتكريمه في هذا المنتدى الهام، وإقامة ندوة ثقافية عنه وعن نتاجه الأدبي، وأثر ذلك في الثقافة بالمملكة.

ولا شك أنكم أحد الرواد الذين نعتز بهم، وواجهة مشرقة للثقافة السعودية، تدل عليكم أعمالكم الجليلة وعملكم في خدمة دينكم وقيادتكم وطنكم من خلال العديد من المواقع القيادية، وإسهاماتكم المتعددة في جوانب كثيرة.

لذلك يسرني أن أفيدكم أن الحرس الوطني قد رشحكم لتكونوا الشخصية الثقافية السعودية التي سوف تكرم في مهرجان هذا العام الذي سيبدأ فعالياته في يوم الأربعاء ١٤٢٤/١٠/٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٧م وسوف يقع التكريم يوم الخميس ١٤٢٤/١٠/٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٨م من الساعة ٧,١٥ – ٩,٤٥.

وسوف تقام بذلك ندوة عنكم، ويشارك فيها عدد من المتخصصين والنقاد، وسيحضرها جميع المدعوين لحضور المهرجان، وحشد من المثقفين والمهتمين.

والمرشحون للمشاركة في هذه الندوة هم :

١ – مدير الندوة: د. عبدالرحمن الشبيلي.
٢ – أ.د. صالح العايد.
٣ – أ.د. حسن الهويمل.
٤ – أ.د. أسعد عبده.

إننا في الوقت الذي نشعر بأن لكم حقاً كبيراً علينا جميعاً، نأمل أن يمثل هذا العمل تذكيراً بدوركم الريادي في بلادنا العزيزة، وبعطائكم الثقافي والإبداعي المتميز.

آمل أن نراكم معنا على خير.

والله الموفق .

نائب رئيس الحرس الوطني المساعد
ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان

عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

المهرجان الوطني للتراث والثقافة .. ص.ب ٨٧٠٢٥ - الرياض ١١٦٤٢ - هاتف ٤٩٢٤٥٠٩ - ٤٩٢٣٣٠٣ - فاكس ٤٩٢٤١٦٥

المصادر والمراجع

١- أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه، صالح الزهراني.

٢- الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي، د. صالح سليمان الوشمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٣- الإثنينية، عبد المقصود ومحمد سعيد خوجه، عبد المقصود محمد سعيد خوجه، الطبعة الأولى.

٤- الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، د. محمد السلمان، المطابع الوطنية، الطبعة الأولى.

٥- أخبار أبي العيناء اليمامي، محمد ناصر العبودي، دار اليمامة للنشر، الطبعة الأولى.

٦- أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، عبد الله حامد، نادي أبها الأدبي.

٧- الأدباء والكُتاب السعوديين، د. أحمد سعيد مسلم، نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الأولى.

٨- أرض القصيم، تركي إبراهيم القهيدان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى.

٩- الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، محمد ناصر العبودي، مطبعة النرجس.

١٠- أعلام من أرض النبوة، الشريف أنس يعقوب الحسني، الخزانة المكتبية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١١- أعلام وروّاد في الثقافة والأدب الحديث، نصر محمد عباس.

١٢- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

١٣- إلى أقصى الجنوب الإفريقي، محمد ناصر العبودي، مطبعة النرجس.

١٤- الأمثال العامية في نجد، محمد ناصر العبودي، دار اليمامة للنشر، الطبعة الأولى.

١٥- أنساب الأسر والقبائل في الكويت، د. أحمد المزيني.

١٦- أهل الحجاز وعبقهم التاريخي، حسن عبد الحي قزاز، مؤسسة المدينة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.

١٧- بريدة، د. حسن الهويمل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الطبعة الأولى.

١٨- بريدة داخل الأسوار وخارجها، أحمد حسن المنصور، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى.

١٩- بريدة ماضٍ مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق، إبراهيم عبد العزيز المعارك، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

٢٠- بريدة ونموها الحضري، د. محمد بن صالح الربدي، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

٢١- البكيرية ماضٍ وحاضر، صالح عطا الله الخزيِّم، المؤسسة السعيدية- الطبعة الأولى.

٢٢- بلاد العربية الضائعة ، محمد ناصر العبودي، مطبعة العلا.

٢٣- بورما الخبر والعيان، محمد ناصر العبودي،

٢٤- تاريخ ابن غنام المسمى مغني ذوي الأفهام، تحقيق: حسين بن غنام ناصر الدين الأسد، الصفحات الذهبية، الطبعة الثالثة.

٢٥- تاريخ الدولة السعودية الأولى، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، معهد الدراسات العربية، الطبعة الأولى.

٢٦- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، إبراهيم بن صالح بن عيسى، دار اليمامة.

٢٧- تاريخ جيل وحياة رجل، فهد المارك، مخطوط.

٢٨- تاريخ ملوك آل سعود، الأمير سعود بن هذلول، مطابع المدينة، الطبعة الثانية.
٢٩- تحفة المشتاق، عبد الله بن محمد البسام، شركة المختلف، الطبعة الأولى.
٣٠- تذكرة أولي النهى والعرفان، للشيخ إبراهيم بن العبد المحسن، مؤسسة النور.
٣١- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، صالح بن عبد العزيز العثيمين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
٣٢- التعليم غير المنظم في عهد الملك عبد العزيز، د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الطالب الجامعي، الطبعة الأولى.
٣٣- التعليم في القصيم، الشيخ صالح بن سليمان العمري، المحقق د. عمر العمري.
٣٤- جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.
٣٥- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، حمد الجاسر، دار اليمامة، الطبعة الثانية.
٣٦- حركة الإصلاح والتجديد في نجد، د. عبد الله محمد العجلان، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
٣٧- حمد الجاسر علاّمة الجزيرة العربية، الملحقية الثقافية السعودية، مطبعة علي موسى - بيروت، الطبعة الأولى.
٣٨- الحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، د. أحمد عبد العزيز البسام، مخطوط.
٣٩- الدعاة إلى الله وشرف مهمتهم وطرق دعمهم، محمد ناصر العبودي، رابطة العالم الإسلامي.
٤٠- دليل الخليج، ج. ج. لوريمر، مطابع عيسى بن علي، الدوحة.
٤١- دليل الكُتّاب والكاتبات، خالد بن أحمد اليوسف، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الطبعة الأولى.

٤٢- رجال في الذاكرة. ، عبد الله زايد الطويان،

٤٣- رجال من القصيم، خمسة أجزاء، إبراهيم المسلم، الدار الثقافية للنشر.

٤٤- رجال من الميدان التربوي، عبد الله سليمان المرزوق، دار المسلم.

٤٥- رجال ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الاعتصام.

٤٦- الرحلة في الأدب العربي "حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، د. ناصر عبد الرازق الموافي، دار النشر للجامعات المصرية، الطبعة الأولى.

٤٧- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي.

٤٨- سوانح أدبية، محمد ناصر العبودي، مطابع الفرزدق، الطبعة الأولى.

٤٩- سير وتراجم، عمر عبد الجبار، تهامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥٠- الشيخ صالح البليهي رحمه الله، أحمد الحصين، مطبوع

٥١- صالح بن سليمان العمري حياته وآثاره، د. عمر صالح العمري، العبيكان للنشر، الطبعة الأولى.

٥٢- الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان الدخيل، د. محسن عياض عجيل، الدار العربية للموسوعات.

٥٣- صحيح الأخبار، محمد بن عبد الله بن بليهد، د. عبد العزيز آل حسين، الطبعة الثالثة.

٥٤- الصحيح في تاريخ أنساب قبائل بني رشيد العبسية، د. معيض رويشد الخياري،

٥٥- صحيفة الشرق الأوسط، العدد رقم ١٠٤٠٥، ١٤٢١/١٢/٢٠هـ

٥٦- صحيفة الجزيرة، العدد رقم ١٤٠٥٠، ١٤٢١/١٢/٣٠ هـ.

٥٧- صور ثقيلة، محمد ناصر العبودي، مطابع الفرزدق.

٥٨- طيبة وذكريات الأحبة، أحمد صالح مرشد، دار البلاد للنشر، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ.
٥٩- العاصمة التاريخية للدعوة السلفية والدرعية، د. عثمان بن صالح الصوينع، مطابع الفرزدق.
٦٠- العالم الإسلامي والرابطة، محمد بن ناصر العبودي، مطبوع
٦١- عبد الله السليم حياته وجهوده، د. عمر بن صالح العمري، النادي الأدبي بالقصيم، الطبعة الأولى.
٦٢- علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، الشيخ صالح بن سليمان العمري، مطابع الإشعاع، الطبعة الأولى.
٦٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، دار العاصمة.
٦٤- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، مكتبة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى.
٦٥- في موكب الدعوة، محمد بن عبد الله المشوح، مخطوط
٦٦- قضاة المدينة المنورة، عبد الله بن محمد بن زاحم، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى
٦٧- قضاة بريدة خلال خمسة قرون، محمد بن عبد الله المشوح، مخطوط.
٦٨- القلم وما أوتي في جيبوتي، محمد ناصر العبودي، مطبعة النرجس.
٦٩- كنت مع عبد العزيز، مجموعة من الباحثين، دار مبين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
٧٠- كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد الحقيل، الطبعة السابعة.
٧١- لمحات من منطقة القصيم، د. حسن الهويمل د. صالح الوشمي، الطبعة الأولى.
٧٢- مجلة الدرعية، د. محمد بن سعد الشويعر، فوزان السابق، العدد ١٨ و ١٩ جمادى الآخرة، ورمضان ١٤٢٣ هـ.

٧٣- محمد العلي العرفج حياته وشعره، محمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم، دار الكتاب السعودي.

٧٤- محمد العوني، إبراهيم المسلم، الدار الثقافية، الطبعة الأولى.

٧٥- مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، دار الأصالة، الطبعة الرابعة.

٧٦- مساجد بريدة، د. عبد الله الرميان، دار الحميضي.

٧٧- المسلمون في لاوس وكمبوديا، محمد ناصر العبودي، رابطة العالم الإسلامي.

٧٨- مشاهدات في بلاد العنصريين، محمد ناصر العبودي، نادي القصيم الأدبي.

٧٩- مشاهير علماء نجد، عبد الرحمن آل الشيخ،

٨٠- معجم أسر القصيم، محمد بن ناصر العبودي، مخطوط.

٨١- معجم بلاد القصيم، محمد ناصر العبودي، دار اليمامة، الطبعة الأولى.

٨٢- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية "عالية نجد"، سعد بن جنيدل، دار اليمامة.

٨٣- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، حمد الجاسر، دار اليمامة للنشر

٨٤- مقالات الأدباء ومناظرات النجباء - علي بن عبد الرحمن بن هذيل، تحقيق د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل، دار الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.

٨٥- المقامات الصحراوية، محمد ناصر العبودي، مطابع التقنية، الطبعة الأولى.

٨٦- ملامح عربية، ناصر سليمان العمري، د. الشبل، الطبعة الأولى.

٨٧- المملكة العربية السعودية، محمد ناصر العبودي، رابطة العالم الإسلامي.

٨٨- من شعراء بريدة ١-٢، سليمان النقيدان، مطبعة السلمان.

٨٩- من شيم العرب. ، فهد المارك،

٩٠- من مشاهير علمائنا، د. محمد سعد الشويعر، نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى.

٩١- موسوعة أسبار للعلماء، أسبار للدراسات، أسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى.

٩٢- الموسوعة في تاريخ نجد، محمد عثمان القاضي، المؤلف عام ١٤١٤هـ.
٩٣- نفحات من السكينة القرآنية، محمد ناصر العبودي، المؤسسة السعيدية، الطبعة الأولى.

المؤلف في سطور

- محمد بن عبد الله بن إبراهيم المشوح.
- مواليد بريدة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- بكالوريوس كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- اجتاز عددًا من الدورات في المرافعات والمنازعات من معهد الإدارة.
- يدير حاليًا مكتبًا خاصًّا للمحاماة والاستشارات والمرافعات والتحكيم.
- عمل مستشارًا شرعيًّا في أمانة مدينة الرياض.
- مشاركات إعلامية منوعة في الإذاعة والتلفزيون.
- شارك في عشرات الدورات الشرعية والملتقيات الإسلامية في عددٍ من دول العالم.
- عضو في عدد من اللجان الخيرية والثقافية.
- عضو نادي القصيم الأدبي.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- مؤسس ثلوثية المشوح المقامة في حي الغدير بالرياض.

المؤلفات:

- مفردات- مطبوع.

الفهرس



المؤلف في سطور

- محمد بن عبد الله بن ابراهيم المشوح.
- مواليد بريدة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.
- بكالوريوس كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- اجتاز عدداً من الدورات في المرافعات والمنازعات من معهد الإدارة.
- يدير حاليا مكتبا خاصا للمحاماة والاستشارات والمرافعات والتحكيم.
- عمل مستشارا شرعيا في امانة مدينة الرياض.
- مشاركات إعلامية منوعة في الاذاعة والتلفزيون.
- شارك في عشرات الدورات الشرعية والملتقيات الإسلامية في عدد من دول العالم.
- عضو في عدد من اللجان الخيرية والثقافية.
- عضو نادي القصيم الأدبي.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- موسس ثلوثية المشوح المقامة في حي الغدير بالرياض.
- له كتاب مطبوع بعنوان (مفردات).

هذا الكتاب

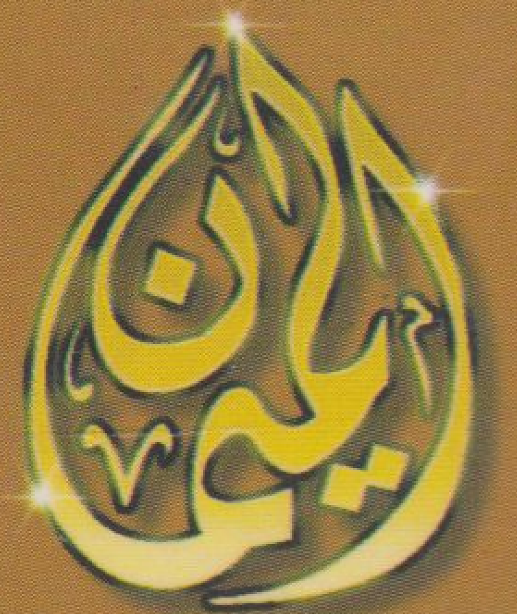
إن مسيرة العلامة الشيخ محمد بن ناصر العبودي في البحث والتأليف والكتابة والتدوين في الدعوة والأدب والتراث لتستدعي من عاشقي العلم التوقف والتأمل لإبرازها إلى خلوف الأجيال من بعد والذي صار بدوره ظاهرة تستحق المعاينة والدراسة ومرحلة تاريخية يلزم كشفها ودراستها.

ها هو ذا العلامة العبودي بقامته الممتدة عبر علومه المتزاحمة وفنونه المشرعة يقدم أنموذجا فريدا لشخصيات فريدة اختصتها المملكة العربية السعودية فقدم وبذل حتى احتل منزلة شماء في نفوس الناس كافة.

بل لقد سبقت ذكرى محاسنه إلى السمع ووصل خبر لطائفه إلى الفؤاد وحقًا ما قيل "وما المرء إلا ذكره ومآثره".

إن العلامة العبودي ومن خلال هذا السفر الحاوي لمسيرته وعطائه ليدل دلالة أخرى على حياة أمتنا وتواصل قدرتها على إنجاب الرادة النوابغ فتقدم بثقة وتؤدة ليعتلي ريادة في الفكر والثقافة فكان رائدا تنويريا وموسوعيا عالميا.





للنشر والتوزيع

ردمك: 9960-10-80